الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلية الآداب والحضارة الإسلامية



وظائف اللغة وآليات التماسك النصي في القرآن الكريم

سورتي (طه والرحمن) نموذجا

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة العربية والدراسات القرآنية

إعداد الطالبة

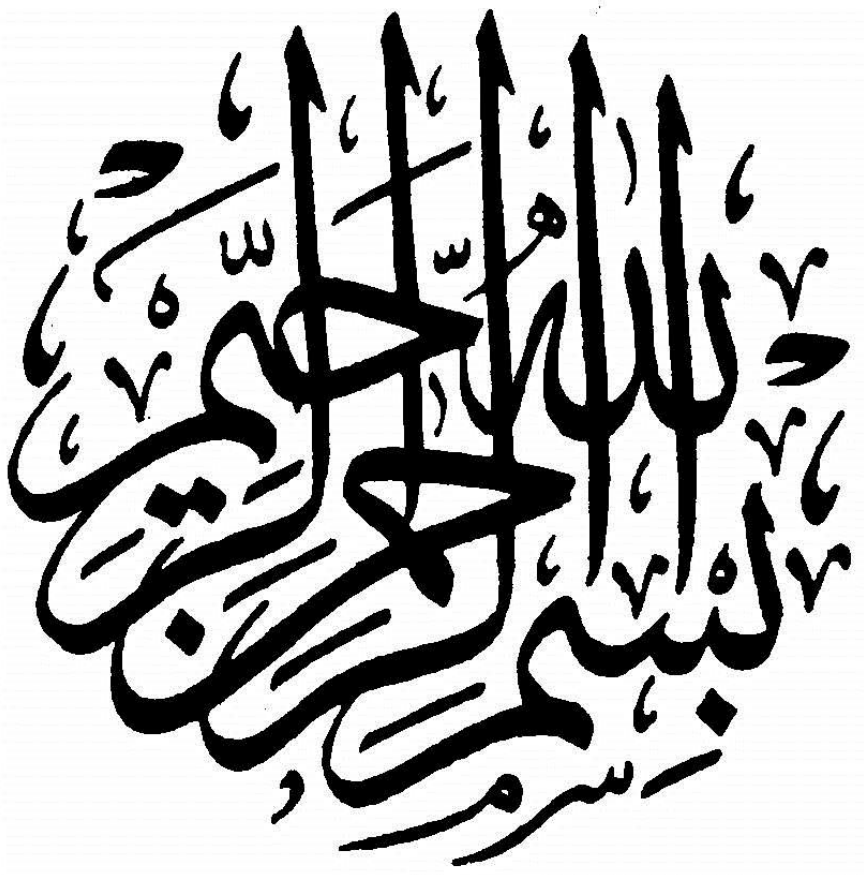
سلاف بوحراثي

إشراف الأستاذ الدكتور

رابح دوب

الدكتور	الجامعة	الصفة
أ-د. ذهبية بورويس	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	رئيسا
أ-د. رابح دوب	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	مشرفا ومقررا
أ-د.صالح خديش	المركز الجامعي خنشلة	مناقشا
د. عبد الناصر بن طناش	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	مناقشا
د. زين الدين بن موسى	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	مناقشا
د. لخضر روبحي	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1436 – 1437هـ/ 2015–2016م


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

أهدي ثمرة عملي إلى من أحمل اسمه بكل فخر

إلى من علّمني العطاء دون انتظار

إلى الذي لا تفيه الكلمات والشكر والعرفان بالجميل

أبي

إلى رمز الحب وبلسم الشفاء

إلى ينبوع الحنان والتفاؤل والأمل

إلى التي أحيت في نفسي جذوة الروح العلمية وغذّتها بالصبر والأناة

أمي

إلى من هما أقرب إلي من روحي و بهما أستمد قوتي وإصراري

أخي وأختي

إلى كل من كان معي على طريق النجاح.

شكر وتقدير

أحمد الله عز وجل وأشكره عدد خلقه ورضاء نفسه و زينة عرشه ومداد كلماته أن منّ عليّ ووفقني إلى إتمام هذا البحث.

إنه ليسعني أن أسجل أسمى آيات التقدير والاحترام إلى أستاذي الدكتور "رابح دوب" المشرف على إعداد هذه الأطروحة لما قدمه لي من توجيه ونصح إذ أنه كان يتتبع خطوات البحث حتى استقر على هذه الصورة.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى الأساتذة في لجنة المناقشة الذين سأستفيد من توجيهاتهم السديدة.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى أسرة كلية الآداب والحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، الجزائر.

وأتوجه بشكري إلى كل من ساعدني.

سلاف بوحراثي

مقـدمـة

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين وبعد:

ارتبط مفهوم اللغة عند كثير من الدارسين اللغويين بالوظيفة التي وضعت من أجلها وهي التبليغ والتواصل ،ذلك أنه لا معنى للغة إذا لم يستطع أصحابها أن يتواصلوا من خلالها،وتتجلى هذه الوظيفة اللسانية في مجموعة من المستويات اللغوية لأن كل عنصر في النظام اللغوي يؤدي وظيفة معينة في سياق محدد،ويعمل على إثبات وجوده داخل هذا النظام.

وهذا ما استدعى انتباه مجموعة من اللسانيين، الذين ركزوا على إبراز الوظائف المختلفة للعناصر اللسانية،فنشأت بذلك مدرسة خاصة تعنى بالبحث في الوظيفة اللسانية والتي تختلف من باحث لآخر، لأنها لم تستقر في فترة زمنية معينة ولا عند دارس معين، لكن هذا لا يمنعنا من رصد بداياتها والتي كانت من خلال أعمال مدرسة براغ حين ميّز الدارسون فيها بين علم الأصوات الفيزيائي وعلم الأصوات الوظيفي،وقد اهتموا بدراسة الوجهة الوظيفية للجملة و الوظيفة التواصلية التي تؤديها اللغة كوظيفة أساسية.

وقد اشتهر بتناول وظائف اللغة عدد من الباحثين اللسانيين المحدثين، ومنهم جاكبسون (Jacobson) الذي ركّز على دراسة العناصر المكونة للعملية التواصلية وهي: المرسل،المرسل إليه، الرسالة،السنن،المرجع،القناة. واللغة في نظره شيء خارج عن هذه الأطراف حيث يصبح التحكم في توظيفها معقودا بإرادة المرسل الذي يمثل طرف العملية التواصلية الأول، ولذلك جعل كل عنصر من هذه العناصر مرجعا في تحديد واحدة من هذه الوظائف،ليصبح للغة ست وظائف هي: التعبيرية، والندائية، وإقامة الاتصال، وما وراء اللغة، والمرجعية.

ولم يبتعد روبول (Reboul)في تحديده لوظائف اللغة كثيرا عن تحديدات جاكبسون إذ انطلق من المصطلحات التي اتخذها في تسميته وأبدى وجهة نظره في بعضها.

أما هاليداي (Halliday)فيرى من وجهة نظره الوظيفية أن هناك ثلاث وظائف كبرى هي :الوظيفة التمثيلية، والوظيفة التعاملية(التعالقية)، والوظيفة النصية؛حيث تعبر الوظيفة التمثيلية عن الواقع سواء كان الواقع الخارجي أو كان الواقع النفسي للمتكلم. وتعبر الوظيفة

التعاملية عن دور المتكلم في مقام الكلام ،وما يلزم به نفسه من قيم وأعراف في تعامله مع الآخرين، وتعين هذه الوظيفة على تأسيس العلاقات الاجتماعية وترسيخها. أما الوظيفة النصية فهي التي تمكن المتكلم من تنظيم الخطاب وفقا لمقتضيات المواقف التبليغية فتنقل الخطاب من مجرد متواليات خطابية إلى نص متماسك.

ويربط ليتش (Litch) بين الوظائف عند كل من بوبر وهاليداي إذ يرى أن وظيفتي هاليداي التمثيلية والتعاملية تتضمنان وظائف بوبر، كما يرى أن اعتماده على هاليداي هو رغبته في دمج هذه الوظائف في النحو.

وهناك وجهة نظر أخرى تخص فلاسفة الوضعية المنطقية الذين ميزوا بين وظيفتين أساسيتين للغة هما: الوظيفة المعرفية ومفادها استخدام اللغة كأداة رمزية تشير إلى الوقائع الموجودة في العالم الخارجي، والوظيفة الانفعالية التي يستخدمها الإنسان لإخراج انفعالاته.كما حصر بعض الفلاسفة وظيفة اللغة في الوصف والإثبات.

أما بنفنيست (Benfnist) فيرى أن الوظيفة الجوهرية للغة هي الوظيفة الرمزية التي تمكن الإنسان من تحويل العالم والتجارب الإنسانية إلى مفاهيم ،كما يتمكن بها من أن يرتب ويسلسل القضايا عند الاستدلال، وعندها تبلغ الملكة الرمزية لديه تحققها الأعلى.

ومع تطور الدراسات اللسانية ظهر المستوى التداولي الذي تدرس فيه الوظيفة التبليغية للغة وفيه يتم التركيز على ما يؤديه تداول اللغة بين المرسل والمرسل إليه. وبذلك برز لسانيون جدد أضافوا إلى أفكار سابقيهم أفكارا جديدة استمدوها من اللسانيات التداولية ،وعلم اللغة النفسي،وعلم اللغة الاجتماعي.

ويرجع تاريخ الوجهة الوظيفية إلى القرن الماضي حيث درس اللغويون الألمان الجملة من المنظور النفسي مهتمين خاصة بمفهوم الفاعل النفسي، وتوبع هذا النمط من الدراسات في تشيكوسلوفاكيا سابقا بين الحربين على يد مجموعة من اللغويين ومن بينهم ماثزيوس حيث تبلور مفهوم الوجهة الوظيفية للجملة كأحد المفاهيم المتحكمة في ترتيب الكلمات مبيّنا كيفية ربط الجملة بالموقف الكلامي.

وطور دانيش (Danich) أفكار ماثزيوس حيث اقترح مقاربة وظيفية للجملة تميز بين ثلاث مستويات للتحليل وهي: المستوى الدلالي،والمستوى النحوي، والمستوى الوظيفي.

أما الهولندي سيمون ديك (Simon Dik) فقد أسس نموذجا وظيفيا جديدا هو الصياغة الأولية العامة للنحو الوظيفي سنة 1978؛ حيث تناول في البداية ظهور اللغات المتباينة الأنماط والتي مكنته من تمحيص مدى تطبيق هذا النحو على لغات طبيعية مختلفة البنية. وتابع أعماله بأبحاث أخرى ركزت على نحو الجملة إلى نهاية سنة 1988، أما نموذج النص فبدأ سنة 1989 بكتابه الموسوم ب: نظرية النحو الوظيفي والذي رسم فيه نموذج النحو الجديد.

وقد تأثر بهذا الاتجاه الوظيفي فئة من اللسانيين العرب الذين حاولوا ربط هذا المنهج الجديد بالدراسات اللغوية العربية القديمة ومن بين هؤلاء تمام حسان في كتابه "مناهج البحث في اللغة "و" اللغة العربية معناها ومبناها" فكان الكتاب الأول بمثابة التنظير لمدرسة وظيفية عربية تستقي مادتها الأولى من التراث العربي، أما الكتاب الثاني فهو محاولة لتطبيق ما جاء في الكتاب الأول على اللغة العربية، وإعادة النظر في بعض القضايا اللغوية والنحوية.

أما اللساني أحمد المتوكل فقد تبنى نموذج النحو الوظيفي الذي اقترحه سيمون ديك، فعمل على إثراء الدراسات اللغوية العربية بأفكار هذا المنهج من خلال بحوثه القيمة وكتاباته المتعددة، والتي ركز فيها على تحديد وظائف اللغة التي تكتنف البني اللسانية والتي تقوم أساسا على فكرة التواصل، وببيان قيمة العنصر اللغوي ودوره في الجملة بعدّه عنصرا من عناصر الإبلاغ في الجملة وأصبحت بذلك الدراسات الوظيفية نظريات خطاب لا نظريات جملة، لأنها تهتم بدراسة هذا العنصر بوصفه معطى ضمن سياق ومقام معروفين، يكتسب
قيمته منها ويؤدي دوره من خلالها. وقد اهتم أحمد المتوكل كثيرا بقضايا الوظائف التداولية في اللغة العربية وكيف تتضافر مع الوظائف التركيبية والوظائف الدلالية،حيث تعتبر الوظائف الدلالية والتركيبية والتداولية وظائف أولى لا وظائف مشتقة،فهي تستفيد من الدراسات التداولية الحديثة،التي تناولت مفاهيم نظرية الأفعال اللغوية، والقوة الإنجازية والإحالة، كما تفيد من نظرية الاتصال والإخبار ولسانيات النص والخطاب.

وهكذا انتقل الدرس اللغوي عند العرب بدوره من مستوى الجملة إلى مستوى النص متأثرا بالدرس الغربي، إلاّ أن هذا لا يعني أن العرب لم يعرفوا مثل هذه الدراسة إلا بعد تطور الدرس اللغوي الحديث ،فقد اهتم المصنفون في علوم القران و بلاغته بدراسة النص القرآني باعتباره نصا يفيض بلاغة عجز العرب عن الإتيان بمثلها ،فانصب جهد العلماء على إبراز كل الظواهر اللغوية والعلاقات التي تحكم هذا النص المعجز بكل ما جاء فيه.

وباعتبار ظاهرة التماسك النصي من الظواهر اللغوية التي استقطبت أراء النقاد والدارسين ارتأينا أن نخوض في هذا المجال من خلال الربط بين الوظيفية التي تؤديها اللغة والتماسك النصي في القرآن الكريم، وقد اخترنا سورة طه المكية وسورة الرحمان المدنية باعتبارهما سورا يختلف فيهما التبليغ والتواصل باختلاف مكان وزمان النزول.

وهذا البحث هو محاولة لبيان الكيفية التي تتجلى فيها الوظيفة النصية ودورها في تماسك النص القرآني وذلك بالاعتماد على مجموعة من الآليات التي تناولتها الدراسات العربية القديمة و اللسانيات النصية الحديثة.

ومن هنا يأتي اختيار هذا الموضوع الموسوم ب:

وظائف اللغة وآليات التماسك النصي في القران الكريم
سورتي (طه والرحمان) نموذجا

ولقد اجتمعت مجموعة من الأسباب دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع ومنها:

1-الرغبة في دراسة النص القرآني المكي والمدني.

2-الاستفادة من محاولة ربط التفكير اللساني الحديث بالدرس الغوي العربي القديم.

3-الكشف عن الدور الذي تلعبه الوظيفة النصية في تماسك النص القرآني.

4-كما كان سبب اختياري لسورتي طه والرحمان نموذجا للدراسة التطبيقية لما فيهما من اختلاف في عملية التواصل والتبليغ بين القران المكي الذي يركز على موضوعات العقيدة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره، والقرآن المدني الذي انتقل إلى تناول حياة الجماعة الإسلامية التي ثبتت فيها العقيدة ووقرت فيها النفوس أو كادت

ولا يختلف القرآن المدني عن المكي إلا لأنه أغنى وأكثر تنوعا ويرجع ذلك لاختلاف المرحلتين المكية والمدنية، ولأن القرآن الكريم معجزة كبرى يطابق مقتضى الحال وخاصة مقتضى حال المخاطب،ذلك أن أحوال الناس متعددة ومتغيرة، والقرآن الكريم يحيط بالحالات الاجتماعية والنفسية للمتلقي.

وبهذا يرمي البحث إلى دراسة الوظيفة النصية وآليات التماسك النصي في القرآن الكريم ليبيّن أسرارها ومظاهر استعمالها، ويكشف عن مدى تحققها فيه، وقد تنوعت مصادر ومراجع البحث بتنوع فصوله النظرية والتطبيقية.

ومع تنوع المصادر والمراجع تنوعت الصعوبات التي اعترضت سبيل البحث فأولاها تلك التي تعلقت بقلة الدراسات التطبيقية في مجال الدراسات الوظيفية والتداولية.

وعلى الرغم من هذا نجد في لسانيات النص كتابا لهاليداي ورقية حسن بعنوان :"الاتساق في اللغة الانجليزية" حيث تناولا فيه أدوات التماسك النصي في اللغة الانجليزية وهي قابلة للتطبيق على اللغة العربية.

وتضاف إلى هذه الدراسة دراسات أخرى منها:

- عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق.
- إبراهيم محمود خليل:في اللسانيات ونحو النص.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري:استراتيجيات الخطاب.
- عثمان أبو زنيد :نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية.

- صبحي إبراهيم الفقي:علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق...

أما الصعوبات الأخرى فتمثلت في حصر مصادر ومراجع البحث التي تشمل:

- اللسانيات العامة
- اللسانيات الوظيفية
- لسانيات النص
- اللسانيات التداولية.

- ما قدمته الدراسات العربية القديمة من: بلاغة ونحو ودراسات قرآنية...

ومن غايات هذه الدراسة الوقوف على العلاقة القائمة بين الوظيفة النصية وآليات التماسك النصي في القران الكريم.

ومن هذا المنطلق يركز البحث لأول مرة على الجانب التطبيقي الذي يجمع بين المستويات التالية :(النحوي والمعجمي والتداولي)، وذلك من خلال دراسة الوظيفة النصية وتجلياتها في القرآن الكريم المكي والمدني، ومن ثم كانت هذه الدراسة ضرورية لأن الجهود مازالت تتوالى، والاهتمامات تتعدد، وكلها تسعى إلى فهم معاني النص القرآني الكريم وإدراك دلالاته.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن أتخذ المنهج الوصفي الاستقرائي والمنهج الوظيفي التداولي من أجل الربط بين البنية والوظيفة في سورتي طه والرحمان.

كما استعنت بالمنهج التاريخي في دراسة الجانب التاريخي للمدارس اللسانية الحديثة وأهم أعلامها.

وتبقى أهمية الموضوع تكمن في السعي إلى الإجابة عن أسئلة كثيرة من بينها ما يلي:

-ما هي أهم الثورات الكبرى التي عرفتها اللسانيات الحديثة خلال تطورها؟

-ما هو مفهوم الوظيفة من خلال ما قدمته مدرسة براغ ومدرسة لندن؟

-ما هي أهم التطورات التي عرفها الاتجاه الوظيفي؟

-ما هي الوظيفة النصية؟

-كيف تتجلى الوظيفة النصية في سورتي طه والرحمان؟وما هو دورها في التحام النص القرآني وتماسكه؟

-وما هي آليات التماسك في النص القرآني؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة رسمت خطة البحث التفصيلية،وهي كالتالي:

مقدمة: اشتملت على الخطوات المنهجية من تعريف بالبحث وأسباب اختيار الموضوع، والأهداف المرجوة من البحث، والمنهج المعتمد وعرض خطة البحث.

مدخل: الثورات الكبرى للسانيات الحديثة ونظرتها للغة.

تناولت فيه مجموعة من الأفكار المتعلقة باللغة وعلاقاتها بأهم المدارس اللسانية الحديثة: مدرسة جنيف السويسرية، ومدرسة كوبنهاغن الدانيماركية، والمدرسة الألمانية، والمدرسة الأمريكية، والتداولية وآفاق الدرس اللساني الحديث.

الفصل الأول: الاتجاه الوظيفي في اللسانيات الحديثة.

تناولت فيه مفهوم الوظيفة لغة واصطلاحا، ثم وقفت عند مفهوم الوظيفة في اللسانيات الغربية الحديثة من خلال ما قدّمه الدارسون في مدرسة براغ وهم: تروبتسكوي، بوهلر، ورومان جاكبسون، وأندريه مارتنيه. وكذلك ما قدمته مدرسة لندن من أعمال لسانية رائدة وخاصة ما قدمه فيرث في نظرية السياق وما قدمه تلميذه هاليداي، وليتش والفلاسفة،كما تناولت في هذا الفصل تطور النظريات النحوية الوظيفية من خلال نظرية الوجهة الوظيفية للجملة ونظرية النحو النسقي في الثورة اللسانية الأولى (الداليات)، وتناولت في الثورة اللسانية الثانية ثورة الدلاليات نظرية البراغمنتاكس ونظرية التركيبات الوظيفية، أما في المرحلة الثالثة وهي ثورة التداوليات فدرست تطور الوظيفة عند ديل هايمز والوظيفة التبليغية وكذلك ما قدمه سيمون ديك في نظرية النحو الوظيفي.

الفصل الثاني: التماسك النصي من منظور لسانيات النص.

تناولت في هذا الفصل تعريف النص لغة واصطلاحا، ثم تناولت فيه التماسك عند الغربيين وتحديد مفهوم التماسك لغة واصطلاحا، وتحديد آليات التماسك النصي في:
المستوى النحوي (الإحالة،الربط،الاستبدال،الحذف)، والمستوى المعجمي
(التكرار،التضام)، ثم تحديد الوظيفة النصية في الدراسات اللسانية النصية، ثم التماسك النصي من منظور الدراسات اللغوية عند العرب القدامى، وتعريف النص القرآني،ومعرفة المكي والمدني.

الفصل الثالث: الوظيفة النصية وآليات التماسك النصي في سورة طه المكية.

وفيه قسمت الدراسة التطبيقية إلى:

-**المستوى النحوي**:درست فيه الإحالة بأنواعها المختلفة (الضميرية، الموصولية، الاشارية)، والاستبدال، والحذف، والربط ودورهم في تماسك النص القرآني المكي.

-**المستوى المعجمي**:درست فيه التكرار بأنواعه المختلفة (المباشر، الجزئي، الكلمى، الجملي...) والتضام (التقابل، التضاد، التوازي).

- **المستوى التداولي**: درست فيه مرسل النص القرآني الأعلى، والرسول، والمرسل إليه،والقناة،والسنن، وطبيعة الرسالة (النص القرآني)، السياق وموضوع السورة، والأفعال التقريرية والأفعال الإنجازية ومؤشراتها التداولية في سورة طه، ومقاصد السورة التداولية.

الفصل الرابع: الوظيفة النصية وآليات التماسك النصي في سورة الرحمان المدنية.

وفيه قسمت الدراسة التطبيقية إلى:

-**المستوى النحوي**:درست فيه الإحالة بأنواعها المختلفة (الضميرية، الموصولية، الاشارية)، والاستبدال، والحذف، والربط ودورهم في تماسك النص القرآني المدني.

-**المستوى المعجمي**:درست فيه التكرار بأنواعه المختلفة (تكرار الفواصل القرآنية، التكرار المباشر، الجزئي، الكلمى، الجملي...) والتضام (التقابل، التضاد).

-**المستوى التداولي**:درست فيه مرسل النص القرآني، والمرسل إليه، وطبيعة الرسالة (النص القرآني)،السياق وموضوعات السورة، والأفعال التقريرية والأفعال الإنجازية ومؤشراتها التداولية في سورة الرحمان، ومقاصد السورة التداولية.

الخاتمة: وخصصتها لمحاولة جمع أهم النتائج المتوصل إليها.

وفي الختام أتقدم بشكري الجزيل إلى الأستاذ الدكتور رابح دوب على ما قدمه لي من توجيه ونصح حتى استقر البحث على هذه الصورة.

ويبقى أملي كبيرا في أن أكون قد وفقت إلى دراسة سليمة لسورتي (طه المكية والرحمان المدنية).

وإني لأرجوا أن يكون لهذا البحث ما بعده من دراسات تتدارك ما فيه من نقص وتفتح له مجالات أخرى في البحث والاستقراء والتحليل.

وأخيرا أحمد الله وأشكره على تيسيره لي سبل البحث.

سلاف بوحراثي

مدخـل

الثورات الكبرى للسانيات الحديثة ونظرتها للغة

تمهيد

1–مدرسة جنيف السويسرية

2–مدرسة كوبنهاغن الدانيماركية

3–المدرسةالألمانية

4–المدرسة الأمريكية

5–التداولية وآفاق الدرس اللساني الحديث

تمهيد

تميّز اللغة اللسان البشري وتجعل الإنسان يختلف عن باقي الكائنات، فمن خلالها ندرك العالم الذي حولنا ونتواصل فيما بيننا في مختلف الأحوال، واللغة هي الأداة التي نستعملها عندما نفكر كما تقول الحكمة السقراطية: "أيها الإنسان اعرف لغتك تعرف نفسك، وأعرف نفسك تعرف العالم"[1] وهي الفكرة التي أحدثت نقاشا طويلا في الأوساط اللغوية.

ووجود اللغة لا يتحقق إلا بوجود المجتمع الإنساني، ولا يتحقق وجود المجتمع الإنساني إلا بوجود اللغة، ومن ثم فإن اللغة لا يمكن فهمها إلا على ضوء الحقيقة الإنسانية الاجتماعية، فاللغة هي التي تعكس شخصية الشعب والمجتمع الذي يستخدمها كما أنها تعكس بنيته الذهنية لأننا باللغة نستطيع:

- التحدث عن الواقع الخارجي بكل ملابساته الداخلية والخارجية
- نتحدث باللغة عن اللغة نفسها
- نتحدث عن الجانب الفكري، إذا كيف يعقل أن نفصل اللغة عن الفكر، فكل يكمل الآخر.
- باللغة نفهم الآخر[2].

فاللغة هي وسيلة للتعبير عن الأفكار والمشاعر يستخدمها الناس في مختلف نشاطاتهم فهي تربط بتفكيرهم وانفعالاتهم وعواطفهم...الخ، ولعل هذا ما جعل اللغة تنطوي على حقيقة مهمة هي أن البحث في اللغة أصبح يتداخل مع مجالات كثيرة تضافرت في سبيل الكشف عن أسرارها.

فقد حاول اللسانيون والفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع وغيرهم وضع تعريف جامع مانع للغة – عبر العصور المختلفة– إلا أن تعريف اللغة ظل بابا مفتوحا للاجتهاد والإضافة،

---

[1] عمر أوكان: اللغة والخطاب، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ص 15.

[2] حنيفي بن ناصر ومختار لزعر: اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2011، ص 30.

وهذا ما يؤكده ظهور تلك العلوم الجديدة التي تحاول أن تربط بين اللسانيات والعلوم الأخرى في إطار ما يسمى بالعلوم المتداخلة الاختصاص.

فالفلاسفة –مثلا– يرون اللغة من زاوية اتصالها بالفكر، والمناطقة يدرسون قوانين التفكير وانعكاسه على اللغة، ويهتم علماء الاجتماع بالطبيعة الاجتماعية للغة ودورها في قيام المجتمع وفي تحديد أنماط علاقات أعضائه، ويدرس علماء النفس تأثير اللغة على مجمل مظاهر التنظيم السلوكي والعمليات النفسية المختلفة كالإدراك والتفكير والذاكرة، أما منظّروا الحضارة فيدرسون تأثير اللغة في عمليات الصراع الحضاري والتغيير الثقافي وعلاقاتها بطبيعة المكان، ودوافع الهجرات وقضايا التأثير الحضاري.

و بذلك تتعدد وجهات النظر وتبقى اللغة هي كل هذه الأفكار، ويجب علينا أن نتساءل أي وجهة هي المفيدة لنا في أبحاثنا؟ أو كما قال "ديفيد كرستال" في كتابه "اللسانيات": إن أول سؤال ينبغي أن يطرح ليس هو ما اللغة؟ بل هو لماذا الانشغال – أصلا– بدراسة اللغة ؟

وكذلك ما قاله "كوردر": "فإن السؤال الذي نحن بحاجة الآن لأن نسأله حقا ليس هو: أي وجهة من وجهات النظر تلك هي الصحيحة، بل هو: أي وجهة هي المفيدة"[1].

ومن هذا المنطلق فإن هذه الأسئلة المطروحة حول اللغة تتضمن الإشارة إلى أهميتها وانشغال الدارسين بها منذ القديم إلى يومنا هذا، ومن بين التعريفات التي وضعها الدارسون من اللسانيات وعلم النفس نجد:

- تعريف الفيلسوف الألماني "هيغل" (1770-1831) الذي يرى أن اللغة هي: التفكير النظري بمعناه الحقيقي، لأنها هي التعبير الخارجي عنه فاللغة تعبر عن فكر الإنسان.
- تعريف "دي سوسير" (1857-1913) للغة فهي: "نظام من العلامات للتعبير عن

[1]Corder S. P. Introducing Applied Linguistics ,Penguin Education, 1973, P13.

الأفكار" فاللغة عنده عبارة عن نظام أو نسق منظم من العلامات التي يعبر بها الفرد عن أفكاره المختلفة وهو ما عبر عنه بأن اللغة هي: "منظومة لا قيمة لمكوناتها، أي لعلاماتها اللغوية إلا بالعلاقات القائمة فيما بينها، وبالتالي لا يمكن للألسني اعتبار مفردات لغة ما كيانات مستقلة، بل عليه وصف العلاقات التي تربط المفردات"[1].

- وهذه المفاهيم التي قدمها دوسويسير (F.Desaussur) وجهت الدراسات اللسانية وجهة جديدة ساعدت في تطور الدرس اللساني الحديث.
- تعريف "بنديتوكروتشه" (1866-1952) فيلسوف علم الجمال الايطالي الذي يرى أن اللغة نسق محدود من الأصوات المنطوقة منظم بغرض التعبير. فاللغة هي عبارة عن نظام من الأصوات المنطوقة المنظمة التي لها وظيفة التعبير وهو ما يعطي البعد التواصلي للغة.
- تعريف "إدوارد سابير" (1884-1939) للغة باعتبارها وسيلة إنسانية خالصة –وليس غريزية– لتوصيل الأفكار والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر لا إراديا فاللغة عنده نظام من الرموز تستعمل من أجل التواصل.
- تعريف "ليونارد بلومفيلد" (1887-1949) الذي يقول بأن اللغة تمكن الفرد من التعبير عن رد الفعل تجاه مثير آخر" فاللغة عند بلومفيلد عبارة عن ظاهرة إنسانية سلوكية. حيث يصبح كل تصرف من أجل التبليغ، يفرض على المرسل تحت تأثير ظروف معينة أن يرسل أصواتا تتطلب رد فعل (استجابة) من المرسل إليه (المتلقي).[2]

فاللغة تصبح شكلا من أشكال السلوك الإنساني المرئي، وهو بذلك يهمل الجانب الذهني أو العقلي في شرح قدرات الإنسان ونشاطاته المختلفة (وسنركز أكثر على هذه المفاهيم في المبحث القادم).

ولقد كان من النتائج التي أثمرها البحث في موضوع (ماهية اللغة) ما يسمى في اللسانيات الحديثة بـ (خصائص التصميم) بحيث وصلت هذه الخصائص إلى ست عشرة

---

[1] خليفة بوجادي: اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات، بيت الحكمة، العلمة، ط1، الجزائر،2012،ص 31.

[2] كارل ديتر بونتبخ: المدخل إلى علم اللغة،مؤسسة المختار للنشر والتوزي، دت،ص13

خصيصة عند اللساني "هوكيت" (Hockette) والتي اختصرها "جون لايونز" (J.Lyyonse) فيما يلي:

1) الاعتباطية (Arbitrariness):

وهو عدم وجود علاقة بين العلامة اللغوية وما تدل عليه، فكلمة (منضدة) لا تحمل بمكوناتها الصوتية أو بتكوينها الصرفي شيئا يجعلها بهذا المسمى وهذا المبدأ أخذ به" فرديناند دو سوسير" عندما أكد على أن الرابط الذي يجمع بين الدال والمدلول رابط اعتباطي أي غير مبرر، وواجهت هذه الفكرة النقد والتعديل بعده.

2) الإبداعية (Productivity):

والمقصود بهذا المصطلح تلك الخاصية القائمة في النظام اللغوي والتي تمكن أهل النظام من إنشاء وفهم عدد غير محدد من العبارات: وهذه الخاصية هي وليدة الأفكار التي جاء بها "تشومسكي" والتي يرتكز عليها في مهاجمة المناهج السلوكية التصنيفية وهي متصلة اتصالا وثيقا بالاكتساب اللغوي.

وتظهر إبداعية اللغة في الجانب التركيبي (Syntaxe) لأن كل لغة إنسانية تمتلك عدد محدودا من المفردات (الوحدات المعجمية)، وهي تستثني من خلال ذلك تركيبات نحوية غير محدودة.

3) التقطيع المزدوج (Double Articulation):

أكد "أندري مارتيني" على أن التقطيع يتم على مستويين مختلفين: فكل وحدة تنتج عن تقطيع أولي تنقسم بدورها إلى وحدات من نوع آخر.

أما التقطيع الأولي للغة فهو ذلك التقطيع الذي يمكن معه تجزئة كل موضوع من موضوعات التجربة الإنسانية، عندما يراد نقله إلى الآخرين، ... إلى سلسلة من الوحدات يكون لكل منها معنى وصيغة صوتية[1]، فعند النطق بالجملة (عندي قلم) فهي تتألف من (عند، ي، قلم) فهي تتكون من ثلاث وحدات، فهذا التقطيع أولي لا يقبل التجزئة إلى وحدات أصغر تحمل

[1] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة،عالم الكتب الحديث ا للنشر والتوزيع، وجدار للكتاب العالمي،ط1، لأردن، 2009م، ص101.

معنى معينا، إن كلمة (قلم) لا يمكن أن تؤدي معنى القلم الذي نكتب به إذا جزئت مثلا إلى (ق) و(ل) و(م).

4) التمايز (Descretenesse):

إن عناصر النظام اللغوي قائمة على الاختلاف المطلق فنجد مثلا:

/ضرب/و/هرب/ فالصويتم /الضاد/ في (ضرب) غير الصويتم/الهاء/في (هرب) فإن الوحدتين (ضرب وهرب) متمايزتان صوتيا ودلاليا. وهذا ما نجده عند دي سوسير في كتابة "دروس في الألسنية العامة": "كل نظام لغوي هو عبارة عن سلسة من الاختلافات الصوتية مؤتلفة مع سلسة من الاختلافات المعنوية"[1].

5) الدلالية (Sementicity):

اللغة نظام اتصالي أو نظام إعلامي وبالتالي فهي قائمة على الدلالة.

6) الاستبدالية (Disphacement):

تمكننا هذه الخاصية اللغوية من أن نتحدث عن أحداث تنتمي إلى زمان ومكان بعيدين عن زمان ومكان وقوع الحديث فنحن يمكننا أن نقول الآن: سيهبط أول إنسان على سطح المريخ في القرن القادم.

7) التباديلية (Interchangeability)

يستطيع المتكلم أن يتحول إلى مستمع في الحدث اللغوي المعين، والعكس صحيح لأن كل من المتكلم والسامع ينتميان إلى نظام لغوي واحد، فكل واحد منهما قادر على إصدار وفهم الجمل فالعملية تبادلية.

8) الاسترجاع التام (Complete feedback)

تعتمد هذه الخاصية على الاسترجاع فأثناء الكلام يستطيع المتكلم أن يسمع ويراقب نفسه، فهو قادر على تصحيح أخطائه التي يقع فيها ويغير عباراته إذا كانت غير واضحة.

---

[1] فرديناند دوسوسير: دروس في الألسنية العامة، تر: صالح القرمادي وآخرين، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985، ص 183.

9) إمكانية التعلم (Learnability):

يتمكن الإنسان من تعلم أية لغة في مرحلة الطفولة، حيث يتعرض لنماذج هذه اللغة تحت ظروف بيئية ملائمة.

10) الانعكاسية (Reflexivity):

و هي خاصية تنفرد بها اللغة الإنسانية، فلا يوجد نظام اتصال غير لغوي يمكن أن يستخدم في الإشارة إلى نفسه بالطريقة التي يستخدم بها النظام اللغوي، فمثلا: نتكلم باللغة عن اللغة فنقول: الكلمة اسم وفعل وحرف...

11) الانتقال الثقافي (Cultural transmission):

فاللغة تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق التعلم والتعليم وهذا لا يعني على الإطلاق إلغاء دور المحيط الثقافي في تحديد نوع اللغة التي يتم اكتسابها وانتقالها من جيل إلى آخر.

12) المراوغة (Prevarication):

ويقصد بها إمكانية استخدام اللغة في التضليل أو الكذب أو الخداع، ويرى بعض الباحثين أن هذه الخاصية تميز اللغة الإنسانية عن سائر أنساق الاتصال الأخرى، كما يرى البعض الآخر أن هذه الخاصية هي سلوكية لدى مستعملي اللغة وهي ليست خاصية لغوية.

ويمكن أن نستنتج مما سبق أن هذه الخواص التي حاول الدارسون وضعها، تؤكد أن الظاهرة اللغوية مازالت تحتاج إلى البحث والاستنباط والمقارنة.

وإذا جاز لنا أن نسمي "دي سوسير" الأب الحقيقي اللسانيات الحديثة فإنه يجب علينا أن نعترف بالآراء والنصوص اللسانية التراثية من الهنود إلى الإغريق والرومان مرورا بالحضارة العربية ووصولا إلى جهود النحاة المقارنين في القرن التاسع عشر فكل هذه التصورات تمثل رحلة الفكر البشري في التعامل مع الظاهرة اللسانية لأن المعرفة في جوهرها إنسانية وتراكمية وهي المسؤولة على توجيه الفكر البشري في تحديد اللسان ووظيفته ومستوياته وعلاقته بالمتكلم والمعرفة بشتى دروبها، فقد ظهرت المدارس اللسانية التي تهتم بدراسة اللغة محققة بذلك استقال الدرس اللساني وجاعلة منه علما مستقلا بذاته.

ويمكن أن نوجز أهم ما جاءت به أهم المدارس اللسانية الحديثة كما يلي:

1) مدرسة جنيف السويسرية:

يمثل المدرسة السويسرية: اللساني "دي سوسير" مؤسس اللسانيات الحديثة عبر محاضراته الشهيرة التي كانت عصارة ثلاثة فصول دراسة بجامعة جنيف خلال الفترة الممتدة بين 1906 و1911 ثم نشرت عام 1916 بعد وفاته بثلاث سنوات وذلك برعاية تلميذيه:شارل بالي (ch.Bally) وألبير سيشهاي (A.Sechhaye) تحت عنوان (Cour de Linguinstique générale)[1] والتي شكلت ثورة حقيقية غيرت مسار الدراسات اللغوية الحديثة خاصة عندما أكد "دوسوسير" على أن موضوع اللسانيات عموما هو الكلام البشري فقال: "إن مادة الألسنية تتكون من جميع مظاهر الكلام البشري سواء تعلق الأمر بكلام الشعوب المتوحشة أو الأمم لمتحضرة في العصور العتيقة أو الكلاسيكية، أو في عصور الانحطاط، والمعتبرة في كل عصر في هذه العصور ليس الكلام

الصحيح والكلام الأدبي فقط، ولكن جميع أشكال التعبير"[2] واللسانيات ليست علما واحدا، وإنما هي علوم مختلفة تفرعت عن دراسة اللغة، وهذه الفروع لها صلات وثيقة بينها بحيث يتطلب البحث في فرع من فروعها المعرفة بالفروع الأخرى.

ولقد لخص "فرديناند دوسوسير" مهمة اللسانيات في ثلاث نقاط هي[3]:

1. تقديم وصف اللغات وتاريخها وإعادة بناء اللغات الأم في كل منها.
2. البحث عن خصائص اللغات ثم استخلاص قوانينها العامة.
3. أن تحدد اللسانيات نفسها و يعترف بها ضمن حقل العلوم الإنسانية.

وبذلك يكون "دوسوسير" قد هجر الدراسات اللغوية التاريخية في شكلها المعروف (النحو المقارن) ليركز على الدراسات الوصفية، والتي شكلت المهد الفكري لكل الدراسات اللاحقة.

---

[1] يوسف وَغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 2008، ص112.

[2] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006، ص 12.

[3] خليفة بوجادي: اللسانيات النظرية(دروس وتطبيقات)، ص 10.

ويمكن أن نوضح آراء "سوسير" التي عني فيها بدراسة اللغة كواقع قائم بذاته من خلال النقاط التالية والتي تأسست عليها النظرية اللسانية.

1-1- اللغة/الكلام (Langue/Parole):

فرق "دوسوسير" بين الثنائي على أساس أن اللغة هي عبارة عن "نظام اجتماعي في حين يعد الكلام الأداء الفردي الذي يتحقق من خلال هذا النظام"[1].

فاللغة ملك للجماعة المتكلمة بها وتتحقق عن طريق الكلام الفردي فالكلام إذن هو "التجسيد الفعلي والواقعي للسان ويختلف من شخص إلى آخر تبعا لاختلاف البيئة والمستوى الدراسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي"[2] فالفعل الكلامي ملموس ونشاط شخصي مراقب يمكن ملاحظته من خلال كلام الأفراد.

وللكلام الإنساني أشكال كثيرة، وله أبعاد كثيرة: نفسيه وفيزيائية وفسيولوجية... يحتاج إلى علوم كثيرة لدراسته في حين أن اللغة هي جزء من الكلام الإنساني، وهي مكون جوهري تمتاز بنظام خاص وهي تصنف بأربعة أشياء هي[3]:

1) هي جزء اجتماعي من الكلام الإنساني، فالفرد ينشأ وينمو ويتغير على أساس من الاتفاق والتواضع بين أفراد الجامعة المستقلة لتلك اللغة.
2) يمكن أن تبحث اللغة المعينة مستقلة عن الكلام لأن ثمة لغات ميتة كالسريانية والآرامية ومع ذلك يمكن أن تدرس.
3) اللغة المعينة هي وحدة متماسكة.
4) كل ما يتعلق بهذه اللغة يمكن تحديده عن طريق الكتابة.

اللسانLangue:يدل على النظام العام للغة، ويضم كل ما يتعلق بكلام البشر، وهو بكل بساطة لسان أي قوم من الأقوام ويتكون من ظاهرتين مختلفتين: "اللغة" و

---

[1] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 89.

[2] بن زروق نصر الدين: دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة،كنوز الحكمة،، ط1، الأبيار، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص 16.

[3] إبراهيم محمود خليل: اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان ،الأردن ،2007،ص 16.

"الكلام"[1]. فاللسان هو نتاج اجتماعي لملكة اللغة ومجموعة التواضعات الضرورية التي يتبناها الكيان الاجتماعي[2].

ويبقى اللسان هو الجزء المتحقق من اللغة بمعناها الإنساني الواسع، وهو اجتماعي، عرفي، مكتسب، ويشكل نظاما متعارفا عليه داخل جماعة إنسانية محددة مثال ذلك: اللسان العربي، الفرنسي...[3].

فالفضل يعود إلى دي سوسير في إرساء دعائم علم اللغة الحديث بعد أن سيطرت النظرة التاريخية لحقب متتالية، وما يعزي إليه كتفرقه بين (اللغة Languageً)، باعتبارها من مميزات الكائن البشري وبين (اللسان Langue) باعتباره لغة تتوزع ملكا مشاعا بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة. وكل ذلك يختلف عن (الكلام Parole) أو الممارسة الفعلية للغة المتكلمة، وذلك بالاحتكام إلى أحكام اللسان[4].

وقد سار الألسنيون على نهج "دي سوسير" من بعده، وخاصة البنيويين الذين حاولوا التركيز على خصائص الثنائية (لغة/كلام).

1-2- الدال والمدلول (Signifiant/signifie):

إن اللغة عند دي سوسير هي عبارة عن: "مستودع العلامات، والعلامة وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفراد مجتمع معين وتظم جانبين أساسيين هما: الدال (Signifiant) والمدلول (Signifié)[5] فالدال هو الصورة السمعية التي تدل على شيء ما، أما المدلول فهو (التصور) أو الشيء المعني.

ويؤكد دي سوسير على أن طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة اعتباطية[6] فيقول: "إن العلامة اللسانية علامة اعتباطية، وهكذا فإن فكرة (أخت) ليست مرتبطة بأية

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، بن عكنون، الجزائر، 2005، ص 123.

[2] عمر أوكان: اللغة والخطاب، ص 19.

[3] خليفة بوجادي: اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات، ص 32.

[4] نواري سعودي أبوزيد: جدلية الحركة والسكون نحو مقاربة أسلوبية لدلائلية البني في الخطاب الشعري، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ص 17.

[5] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 127.

[6] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 91.

علاقة داخلية مع السلسلة المتتابعة من الأصوات أ-خ-ت التي تستعمل كدال بالنسبة لهذه الفكرة إذ يمكن تمثيلها بسلسلة أخرى، والدليل على ذلك الفروق بين اللغات، بل وجود لغات مختلفة، فمدلول (ثور) الدال ث-و-ر في محيط معين، و Bœuf فيما وراءه"[1] أي أن العلاقة بين الدال والمدلول غير مبررة، لا تقوم على رابطة طبيعية، ويبقى الاستعمال وحده هو الذي يحدد قيمة الدليل اللغوي.

كما أشار"دي سوسير" إلى خطية الدال (linéarité du signe) بحيث يتلخص مفهوم الخطية في أن المتكلم لا يمكنه أن يتلفظ بصوتين في آن واحد.

1-3- اللسانية الآنية والزمانية (Synchronic et diachronic):

ويمكن تحليل بنية اللغة بنوعين من المقاربة[2]:

أ.المقاربة الآنية أو التزامنية (Synchronic): هي التي تهتم بمعالجة الموقف اللساني في لحظة زمانية معينة أي أنها تعنى بوصف الحالة القائمة للغة والتي هي عبارة عن نظام لمجتمع ما وهي ما يطلق عليه اسم المنهج البنيوي الوصفي الذي يهدف إلى تحديد المبادئ الإنسانية للنظام المتزامن.

ب.المقاربة التعاقبية (Diachronic): تعنى هذه المقاربة بتاريخ اللغة أي تعنى بالظواهر اللغوية غير المختزنة في الوعي اللساني للمتكلمين بها، وهو ما يطبق عليه اللسانيون المنهج التاريخي الذي يهدف إلى البحث في العناصر المتتابعة زمانيا.

لكن اللسانيات الحديثة تقدم المنهج الوصفي أو التزامني على المنهج التاريخي، وتقديم أحدهما على الآخر لا يعني إلغاء الآخر.

1-4-العلاقات التركيبية والعلاقات الترابطية

syntagmatique relation et paradigmatique relation):

أ.العلاقات التركيبية:

---

[1] خليفة بوجادي: اللسانيات النظرية، دروس وتطبيقات، ص 39.

[2] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص.ص 91-92 .

وتتمثل في العلاقات الأفقية بين الوحدات اللغوية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة،مثل: العلاقة بين الأصوات في الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة لأن كل وحدة تضفي معنى إضافيا على الكل وهي في حالة تقابلية مع بقية الوحدات اللغوية الأخرى، فكل وحدة لغوية لا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها مع ما قبلها وما بعدها وتسمى هذه الأنساق الخطية تراكيب[1].

ففي الجملة "الجو جميل" العلاقة قائمة بين عنصرين تركيبيين هما المسند (جميل) و"المسند إليه" "الجو" وهي علاقة بين وحدتين لغويتين: الجو+جميل.

ب. العلاقات الترابطية:

تطلق على "العلاقات الاستبدالية بين الوحدات اللغوية التي يمكن أن تحل محل بعضها بعض في سياق واحد، وبعبارة أخرى فإنها تعكس علاقات موجودة بين علامة في جملة ما وعلامة أخرى غير موجودة في الجملة أصلا بل موجودة في أذهاننا طبعا"[2].

ويمكن أن نوضح ذلك بالمثال الموالي: حيث يمكن أن نعوض كلمة "أصبح" بـ "صار"، و"كان" و "أضحى"... وكلمة "مناخ" بـ "الأمن" و"البحر" و"الطفل" وكلمة "صحوا" بـ "رطبا" و"منعدما"...

أصبح الجو صحوا

صار المناخ رطبا

كان الأمن منعدما.

فالكلمات التي يمكن أن تتخذ الموقع نفسه تنتظم في عقل المرسل ليختار منها المناسب، وبذلك يتخذ الرمز اللغوي مكانه في نظام اللغة من حيث الموقع الذي يحدد دوره.

وفي الأخير نشير إلى أنه على الرغم من تأثير دي سوسير بعلم الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد السياسي فقد تمكن من جعل اللسانيات الحديثة علما مستقلا بذاته يهتم بدراسة اللغة

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 131.

[2] أحمد مومن: المرجع السابق، ص 131.

لذاتها ومن أجل ذاتها، وقد عرفت مدرسة جنيف نشاطا كبيرا قاده مجموعة من الباحثين أمثال: "ريتشارد لوكسينجر" الذي انصب اهتمامه على الدراسات الفونولوجية وأمراض الصوت اللغوي، وكذلك نجد "فنك" و"دافيد" و"هارولد"، و"إفامارياكريش" الذين اهتمتوا بالصوتيات.

ويبقى دائما الفضل يعود إلى دي سوسير الذي فتح الباب واسعا أمام الدراسات اللسانية الحديثة وما وصلت إليه اليوم من تطور وهو ما أكده "جون ليونز j.Lyons" حيث أن عددا كبيرا من المدارس في اللسانيات خاضعة للتأثير المباشر وغير مباشر لدروس دي سوسير.

2) مدرسة كوبنهاغن الدانيماركية (الغلوسيماتيكية):

تأسست هذه المدرسة عام 1934 على يد اللساني "فيكو بروندال" (1887-1942) و"لويس هلمسلف" "L. Hjelmsler" الذي ألف كتابه (To a theory of language prolegmena) عام 1934 الذي ترجم إلى الانجليزية عام 1951[1].

ولقد حاول أصحاب هذه المدرسة إحداث ثورة عارمة على الأساليب القديمة لدراسة اللغة وإضفاء صيغة علمية عليها، وبالفعل لقد كسوها مصطلحات غريبة، وصاغوا عناصر اللغة في رموز جبرية، وتراكيبها في معادلات رياضية، هذا ما حدد دور أفعال كثيرة من قبل اللسانيين على اختلاف انتماءاتهم الفكرية والفلسفية[2].

ومدرسة كوبنهاغن هي: "مدرسة شكلية ترى أن اللغة شكل وليس مادة وتتواجد اللغة والكتابة دون أولية إحداهما على الأخرى، وأن إمكانية اللغة والكتابة كتعبيرين متلازمين لنفس اللغة الواحدة"[3]، هذا ويرى مؤسس هذه المدرسة "هلمسلف" أن "اللسان ليسن قائمة مفردات بل إن جوهر اللسان يكمن في تلك العلاقات النسقية الموجودة بين وحداته التي

---

[1] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 125.

[2] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 157.

[3] صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، ط6، 2011، ص 33.

تشكله ولا مناص له منها"[1]. بعبارة أخرى فإن هلمسلف يركز على الجانب الشكلي وهو بذلك لا يخرج عما دعا إليه دي سوسير.

لويس هلمسلف (Louis Hjelmslev) (1899–1965):

لقد اشتهر "لويس هلمسلف" بنظريته اللغوية (الغلوسيماتيك)، وقد أثر فيه والده الذي اشتغل منصب أستاذ الرياضيات وتقلد رئاسة جامعة كوبنهاغن، أثرا واضحا.

2-1- نظرية الغلوسيماتيك:

اشترك كل من "هلمسليف" و "أولدل" في عام 1933، في انبثاق بحث علمي جديد مغاير لما جاءت به مدرسة براغ وبعد ذلك اقتراحا النظرية الجديدة (في عام 1935) في المؤتمر الدولي الثاني للعلوم الصوتية بوصفها نظرية متميزة عن نظرية براغ الفونولوجية، وقد تجسد هذا الأمر بظهور مصطلح الغلوسيماتيك في المؤتمر الثالث الدولي للسانيات الذي انعقد بكوبنهاغن سنة 1936، حيث تم توزيع نص قصير على المؤتمرين بعنوان: "مختصر المخطط التمهيدي للغلوسيماتيك"، وفي عام 1938 أسس "هلمسليف" و"فيغو بروندال" "Viggo brondal" مجلة "Actalinguistica"ملحقة بعنوان فرعي: "مجلة دولية للسانيات البنيوية" وهذا العمل هو فعل رسمي لنشأة البنيوية بوصفه اتجاها جديدا في أوروبا ومنذ عام 1944م بدأت تتولى.

وقد أصدر "هلمسليف" كتبا عديدة أسس من خلالها لنظرية الغلوسيماتيك وهي:

أ) مبادئ النحو العام (1928).

ب) محاولة في نظرية المورفيمات (1936)

ت) مقدمة في نظرية اللغة (1943)[2]

---

[1] حنيفي بن ناصر ومختار لزعر: اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ص 54.

[2] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 158.

2-2- فحوى نظرية الغلوسيماتيك:

تخلت هذه النظرية عن الدراسات اللغوية المتأثرة بالفلسفة، والأنثروبولوجيا واللسانيات المقارنة لتقيم لسانيات علمية مبنية على أسس رياضية ومنطقية وكلية (universel)، تصف الظاهرة اللغوية، وتحللها وتفسيرها بطريقة موضوعية، ويؤكد هذا بقوله: "إنها تهدف إلى إرساء منهج إجرائي، يمكن من فهم كل النصوص من خلال الوصف المنسجم والشامل، إنها ليست نظرية بالمعنى العادي لنظام من الفرضيات، بل نظام من المقدمات المنطقية الشكلية، والتعريفات والنظريات المحكمة التي تمكن من إحصاء كل إمكانيات التأليف بين عناصر النص الثابتة"[1].

ففي هذه النظرية تمت صياغة مفردات جديدة، وصياغة عبارات عتيقة بمعان جديدة، فنجد مصطلح "غلوسيماتيك" « Glossematics » اشتق من الكلمة الاغريقية "Glossa" التي تعني اللغة، وتهتم الغلوسيماتيك بدراسة الغلوسيمات (glossemes) أي الوحدات النحوية الصغرى –التي لا تقبل التجزئة– وتنقسم بدورها إلى قسمين هما:

أ) "سوانم" (Cenmes) وهي وحدات التعبير، وقد اشتق هذا المصطلح من الاغريقية "Kenos" بمعنى فارغ.

ب) مضامين (Pleremes) وهي وحدات المحتوى، وقد اشتقت من الكلمة الاغريقية (Pleros) بمعنى (مليئ) وهذه الوحدات ذات المحتوى تقابل المورفيمات (morphemes) في مدرسة براغ أو "اللفاظم" (Monemes) مدرسة جنيف.

2) مصطلح "تعالقات" (Correlation) يدل على العلاقات الاستبدالية.

3) مصطلح "علاقات" (Relation) يدل على العلاقات الركنية الأفقية.

4) مصطلح "وظيفة" (Fonction) يدل على كل علاقة أفقية بين أي مفردتين، أي كل علاقة غير مادية ومجردة وشكلية.

ومن المصطلحات التي استعملها "هلمسليف" أيضا نجد:

- مستوى التعبير (Expression plane).

---

[1] أحمد مومن: المرجع السابق، ص. ص، 159-160 .

- مستوى المضمون (Content plane) أو المحتوى.
- النظام (System).
- النص (Text).
- التحليل (Analyse).
- المتغير (Variant).
- التحفيز (Catalysis).
- النمط (Schema).
- الموظف (Functive).

كما استبدل هلمسليف ثنائية اللغة وكلام عند ديسوسير بثنائية أخرى سماها (النمط والنص) أو الاستعمال (Usage).

وتتسم البنية الاسمية لكل جملة بخمس سمات أساسية حسب هلمسليف هي[1]:

1. اللغة تتألف من مضمون وتعبير .
2. اللغة تتألف من تتابع (Successions) أي نص ونظام.
3. المضمون يتصل بالتعبير اتصالا وثيقا خلال عملية التواصل.
4. تربط التتابع والنظام علاقات محددة.
5. لا يتطابق المضمون والتعبير تطابقا تاما.

وأهم شيء في نظرية الغلوسيماتيك هو علاقة الأصوات والحروف والمعاني المتبادلة ضمن سلاسل الكلام ونماذج النحو لأن "هذه العلاقات هي التي تصنع نظام اللغة الداخلي، وتجعلها تتميز عن باقي اللغات الأخرى، أما الأصوات والحروف والمعاني يوحدها، فليست لها أية علاقة بالنظام"[2].

---

[1] أحمد مومن: المرجع السابق، ص 160.

[2] أحمد مومن: المرجع نفسه، ص 161.

وجدير بالذكر أن "هلمسليف" وقد عني كثيرا بالمصطلحات التي ثبتها في مائة وثمانين مصطلح وضح بها المفاهيم التي استعملها في الجانب النظري وهو ما جعل بعض الدارسين ينتقد هذه النظرية لصعوبة مصطلحاتها.

2-3- نظام اللغة في نظرية الغلوسيماتيك:

إن نظرية الغلوسيماتيك هي امتداد طبيعي لنظرية ديسوسير، ولقد أكد "هلمسليف" ما ذهب إليه دي سوسير حول اللغة التي عدها شكلا وليس مادة لأن المادة ليس لها معنى في ذاتها، فالدوال (Signifiers) يمكن أن تكون صوتية أو مكتوبة أو إشارتية أما بالنسبة للمدلولات (Signifieds) فقد تجاوز دي سوسير فيها فذهب إلى أن القيم (Values) المجردة للعبارات هي وحدها التي لها وجود. وبهذا فإن اللغة نظام من القيم، وبذلك تصبح اللسانيات المحايثة (Immament Linguistics) المتكاملة في ذاتها والمبنية على منهج استنباطي موضوعي هي وحدها القادرة على تحليل هذا الشكل[1].

ويؤكد هذا "جورج مونان" (Mounin) بقوله: "إن المبدأ السوسيري الأولى والأساسي، الذي يؤكد على تمييز العلوم اللسانية عن باقي الدراسات اللغوية، ويعد اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها الموضوع الحقيقي والوحيد للسانيات، قد أصبح يسمى في اصطلاح "هلمسليف" بمبدأ "المحايثة" (L'immanence) وبالإضافة إلى هذا فقد استبدل "هلمسليف" ثنائية الدال والمدلول بثنائية جديدة هي مستوى التعبير ومستوى المحتوى فاللغة عند "هلمسليف" تتكون من هذين المستويين وكل مستوى منهما يخضع إلى ثنائية أخرى هي: (الشكل والمادة) حيث تنتج عن هذه التعالقات أربع طبقات منطقية هي[2]:

أ) مادة المحتوى (الأفكار)

ب) شكل المحتوى (البنية التركيبية والمعجمية)

ت) شكل التعبير (الفونولوجيا)

---

[1] أحمد مومن: المرجع السابق، ص 161.

[2] أحمد مومن: المرجع نفسه، ص 162.

ث) مادة التعبير (الفونوتيك)

ويمكن أن نوضح ذلك بالمثال الآتي:

فكلمة نخلة مثلا تحلل إلى /ن/، /خ/ل/،/ة/ على مستوى التعبير (شكل +مادة)، وإلى "نخلة" على مستوى المحتوى (شكل+مادة).

2-4- المبادئ العامة للنظرية الغلوسيماتيكية:

حاول "هلمسليف" تأسيس نظرية لسانية علمية وصفية وفق مبادئ معرفية تفسيرية تتمثل في مبدأين أساسيين هما:

1) مبدأ التجريبية (Empirical principal):

يرى "هلمسليف" أن مبدأ التجريبية يعتمد على الملاحظة والاختبار، ويجمع بين ثلاثة معايير: اللاتناقض (Non-contradiction)، والشمولية (exhaustivity)، والتبسيط (Simplicity) هذه المعايير تكون القاعدة الاساسية لكل التراكيب، المنطقية.

2) الاحكام والملاءمة (Arbitrariness et appropriteness):

فلكي تكون النظرية ناجعة من الناحية المنطقية لا بد أن تخضع لمعيار الإحكام أو الاتساق التام، أي أن تكون النتائج الطبيعية لأي قضية تابعة لمقدماتها المنطقية.

وقد ضرب هلمسليف على ذلك مثالا بعالم الرياضيات الذي بإمكانه أن يبني جبرا أو حسابا متماسكا، وشاملا، وبسيطا، ومحكما، ولكنه عديم الفائدة أو الجدوى لأنه غير قابل للتطبيق على العلاقات التي تفرزها المعطيات التجريبية، وكذلك الأمر بالنسبة للنظرية اللسانية التي يجب أن تكون منطقية حتى نتمكن من تطبيقها على المدونة اللغوية وتقييمها بطريقة موضوعية، وهذا يتطلب أيضا الملاءمة (appropriate)، وتكون النظرية ملائمة إذ لبت مقدماتها شروط التطبيق على عدد كبير من المعطيات التجريبية[1]، وهذا ما سيتوضح أكثر من خلال تحديد منهج الدراسة الغلوسيماتيكية.

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص.ص 163-164.

2-5 – منهج الدراسة الغلوسيماتيكية:

يهدف المنهج الغلوسيماتيكي إلى أن يكون موضوع اللسانيات علما بحثا أو هو دراسة علمية على منوال العلوم الدقيقة وفق تصورات حلقة فينا أي "الفلسفة الوضعية المنطقية التي طورها "أوغست كونت"، والتي لا تدرس إلا الظواهر اليقينية مبتعدة عن كل تفكير تجريدي في الأسباب المطلقة"[1] ونريد هنا أن نوضح بإيجاز أهم النقاط التي يركز عليها هذا المنهج وهي تتمثل فيما يأتي[2]:

1) النزعة المضادة للميتافيزيقا: الجمل الميتافيزيقية ليست خاطئة بل خالية من المعنى.

2) المبدأ التجريبي: يحدد معنى الجملة بطريقة تجريبية تحقيقية في بادئ الأمر "وقد أدى هذا إلى تناقضات عديدة جعلت الوضعيين المنطقيين يتبنون الموقف الضعيف القائل بأن العلم ينبغي أن يشمل كل الوقائع التجريبية الممكنة بواسطة الاستدلال المنطقي انطلاقا من أقل عدد ممكن من المسلمات"[3].

3) التركيز على الوصف التركيبي: وفيه يتم وصف مضمون أشياء كثيرة غير قابلة للملاحظة أو الإبلاغ بطريقة غير مباشرة، كما هو الشأن بالنسبة إلى إدراك الألوان عند شخصين مختلفين، وفي هذه الحالة يكون وصف العلاقات بين الظواهر أكثر ملاءمة.

4) تحويل اللغة العلمية إلى علم الجبر: وفيه يتم إقصاء كل أنواع التراكيب الميتافيزيقية من الخطاب العلمي، وهذا يتطلب تحديد العبارات دون غموض وتناقض، وهذا المنهج يقوم على اكتشاف خصائص اللغات بغية استنباط كليات لغوية (Linguinsticsuniversals) من خلال الوصف اللازم للنصوص وبنيتها.

فالنص هو عبارة عن جملة من الاستنتاجات المنفصلة عن المحتوى (أي الخطاب أو الحديث) أو المجسدة في قضايا خاضعة لمتطلبات المنطق الصوري: فالنص "هو موضوع

---

[1] أحمد مومن: المرجع السابق، ص 164.

[2] أحمد مومن: المرجع نفسه، ص.ص 164-165.

[3] أحمد مومن: المرجع نفسه، ص 165.

الدراسة في هذه النظرية، ويمكن أن يكون في شكل كلام أو كتابة أو نقش وإذا كان يتكون من سلسلة أصوات كلامية عبر حقبة زمنية في لغة معينة فإنه يعد نصا مقيدا أما إذا كان يتكون من كل الأصوات الكلامية في لغة معينة، فإنه يعد نصا غير مقيد"[1].

فالمنهج الغلوسيماتيكي يبدأ من الوحدات الكبرى ثم الصغرى ثم الأصغر فيتناول "النص الشامل سواء أكان مكتوبا أم منطوقا ثم يقوم بتحليله تدريجيا إلى فصول وفقرات وجمل ومفردات وغلوسيمات وحروف أو أصوات" وهذه الدراسة ترتكز على بنية اللغة التي تمثل شبكة من العلاقات التي تربط بين كل عناصرها.

وتجدر الإشارة بالنسبة إلى هذه النظرية أن لها نقاط قوة كثيرة ومع هذا فإن لها بعض نقاط الضعف التي ترجع إلى صعوبة المصطلحات وغرابتها والتي تخضع إلى القوانين الرياضية والجبرية.

وبالرغم مما قيل حول هذه النظرية يمكننا القول بأن هذه النظرية هي نظرية جامعة وقد ألمت بمبادئ النحو الصوري (الشكلي) واللسانيات الحديثة وقد أحدثت التغيير باستخدامها الرموز الجبرية والقوانين الرياضية –حتى وإن بالغت في ذلك– لكنها تبقى في حاجة إلى مزيد من البحث والاهتمام والتطبيق وهي لا تزال تتمتع بمنزلة عالية وسط الدراسات اللسانية الحديثة.

وهي ساهمت بشكل واضح في التفاف بعض الدارسين إلى الاستفادة من العلوم الدقيقة بطريقة مدروسة وظهور اللسانيات الرياضية في السنوات الأخيرة أكبر دليل على مكانة الجانب العلمي الرياضي في الدراسات اللسانية الحديثة.

3) المدرسة الألمانية:

يمكن الإشارة إلى الاتجاه الألماني الذي تمثله الأعمال المقارنة الأولى التي قدمها كل من:

–فرانس بوب (ت 1867) في الصوتيات والصوتيات الوظيفية والنحو المقارن.

–جاكوب غريم (ت 1863) في النحو المقارن.

–فلهلم فون همبلدت (1835) في اللسانيات العامة والنحو المقارن.

---

[1] أحمد مومن: المرجع السابق، ص 166.

ولقد نشأت في جامعة ليبزيش حركة لسانية مجددة قادها مجموعة من النحاة المقارنيين عرفوا بالنحاة الجدد (Neo grammarians)، وذلك سنة 1876 ومن بينهم كارل بروجمان وستهوف وهرمان بول، وفرنز وقد ركز هؤلاء الباحثون في دراستهم للغة على التغيرات الصوتية للغات مع محاولتهم اكتشاف القوانين المتحكمة في تطورها، ويتلخص منهجهم في الدراسة دعوتهم إلى:

- دراسة اللغات الحية.
- العناية بالجانب المنطوق إذ أن النظام الكتابي للغات لا يفسر ظواهرها النظامية.
- دراسة اللهجات كمدخل لدراسة اللغات دراسة علمية[1].

4) المدرسة الأمريكية:

تأثرت اللسانيات الأمريكية بالأبحاث الحقلية الأنثروبولوجية التي قام بإجرائها ثلاث باحثين بارزين هم: "فرانز بواز" (F.Boas) (1858-1942)، و"إدوارد سابير" (Edward Sapir) (1884-1939)و "ليونارد بلومفيلد" (Leonard Bloomfield)[2]، الذين ركزوا على اللغات الهندية الأمريكية، ففي سنة 1911 صدر في سلسلة كتب جامعة أنديانا الأمريكية كتابا بعنوان دليل اللغات الهندو-أمريكية لمؤلفه العالم اللغوي "فرانز بواز" والذي أوضح فيه أبرز ما يميز اللغات الهندو-أمريكية عن غيرها وخاصة القواعد النحوية. وبالرغم من ما قدمه "فرانز بواز" إلا أنه يبقى الأب الحقيقي لعلم اللغة الأمريكي في القرن العشرين هو "إدوارد سابير" الذي تأثر "ببواز" وبالنحاة الجدد الألمان فبالإضافة إلى اهتمامه باللغة إهتم-أيضا- بالأنثروبولوجيا والأدب والفن والموسيقى، نشر كتبا واحدا بعنوان "اللغة" (Language) الذي ظهرت الطبعة الأولى منه عام 1921[3].

---

[1] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 133.

[2] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 283.

[3] ابراهيم محمود خليل: في اللسانيات ونحو النص،دار المسيرة،عمان،الأردن،2007، ص 32.

وقد هيمنت اللسانيات الوصفية البنيوية التي وضع أسسها "بلومفيلد" على الساحة الأمريكية حتى أواخر الخمسينيات.

وشهدت هذه المراحل ظهور نظريات مختلفة عكست الاختلافات الموجودة بين البنيويين أنفسهم، وصبت انتقاداتها على المقاربة البنيوية مثل: نظرية القوالب لـ : "بايك" (Kenneth Pike) والقواعد الطبقية لـ "لامب" (S.M. Lambs)[1].

ويمكن أن نوجز أهم الأفكار التي درسها هؤلاء الباحثين كالآتي:

4-1- فرانز بواز:

وضع "فرانز بواز" أسس اللسانيات الوصفية في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال كتابه "دليل اللغات الهندية الأمريكية" (Hand book of American Indian Language)[2] الصادر سنة 1911 الذي هيمنت أفكاره حتى سنة 1957عندما ألف "تشومسكي" كتابه الشهير "البنى التركيبية" (Syntactic Structures)[3].

رأى "بواز" أن "اللغة هي أهم مظهر من مظاهر الثقافة ومن ثمة يجب على الأنثروبولوجي أن يفهمها، ويصفها بدقة بالغة ويبين كيف أن نظامها يشكل وحدة متماسكة" فثقافة المجتمع تنعكس في لغته.

وبما أن أغلب اللغات الهندية الأمريكية غير مدونة في الأصل فقد اعتمد "بواز" على اللغة المنطوقة (الكلام) عكس ما ذهب إليه دوسوسير الذي ركز على اللغة: هذا ليؤكد "بواز" أن اللغة الإنسانية تتميز بالاختلاف والتمايز.

وهذا ما أكده "جون ليونز" (J.Lyons) عندما قال: "إن "بواز" قد توصل إلى أن درجة التنوع بين اللغات الإنسانية هي أوسع مدى مما يظنه المرء، تعتمد عل الوصف النحوي الخاص باللغات الأوروبية المألوفة"[4].

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 183.

[2] أحمد مومن: المرجع نفسه، ص 188.

[3] أحمد مومن: المرجع نفسه، ص 188.

[4] أحمد مومن: المرجع السابق، ص 189.

وبشكل عام فقد أثرت أبحاث "بواز" في الدراسات الأمريكية وأصبح اليوم الجميع يعترف أن هذه الدراسات انبثقت عن الأنثروبولوجيا.

4-2 – إدوارد سابير:

تأثر "سابير" باللساني "بواز" عندما التقى به لأول مرة سنة 1904 فانكب على دراسة اللغات الهندية الأمريكية على طول ساحل المحيط الهادي للولايات المتحدة الأمريكية.

ويرى "سابير" أنه "لا ينبغي فصل الدراسة اللغوية عن دراسة باقي مظاهر السلوك البشري"[1]، فهو لم يكن منشغلا بالأنثروبولوجيا واللسانيات فحسب بل بالأدب والفن أيضا، ولهذا اهتم بالجانب الإنساني للغة وبعدها الثقافي، حيث ركز على دراسة الأشكال اللغوية دراسة تصنيفية، ورأى أن كل لغة تملك من الأصوات والبني والمفردات ما يكفيها لتلبية حاجياتها، واللغة عنده نظام مزدوج يتكون من الشكل وهو موضوع علم النحو، والمعنى وهو موضوع علم الدلالة.

واللغة حسب رأيه "ليست أداة اتصال فحسب ولكنها تتراءى فيها ثقافة متكلمي تلك اللغة وبيئتهم وما فيها من قيم وعادات وأعراف أيضا"[2].

وقد شاعت في حقل الدراسات اللغوية فرضية "سابير و ورف" (Hypethsis worf) والتي مفادها أن العالم الذي يعيش فيه الإنسان قفص لغوي وأن لغة المرء تؤثر على تفكيره وإدراكه للواقع، ورؤيته للأشياء، يقول "سابير":"إن الناس يعيشون تحت رحمة اللغة التي أصبحت وسيلة للتعبير في مجتمعهم..وإن العالم الحقيقي مبني إلى حد كبير – ودون وعي– على العادات اللغوية للمجتمع"[3]، جعل سابير الوظيفة التواصلية للغة هي الأساس في المجتمع الذي تحركه العادات اللغوية المتعارف عليها فيه.

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 189.

[2] ابراهيم محمود خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص 32.

[3] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 190.

وفي مقال آخر ذهب "سابير" إلى أن: "اللغة لا ترجع إلى الخبرة المكتسبة في غالب الأحيان دون مساعدتها فحسب بل تحدد خبرتنا أيضا بسبب اكتمالها الشكلي وتصورنا غير الواعي لتوقعاتها الضمنية داخل ميدان الخبرة"[1] ويقول أيضا : "لأجل أن يتم التواصل يجب على التجربة الفردية أن تنضم للمقولات التي تعرفها الجماعة"[2]، فسابير يؤكد دائما على شروط التواصل الناجح الذي يتحقق من خلاله التفاهم بين أفراد الجماعة.

وتحدث "سابير" عن مفهوم الاقتصاد في الأخبار لأنه قد تكتفي كلمة واحدة لتبليغ المراد أو الهدف وبناء على هذا توجد حسب "سابير" ثلاث أقسام أساسية في التقنيات التي يكون موضوعها تسهيل العمليات الأولية للتواصل في المجتمع وهي:

1- قسم تحويل الكلام أي تحويل نظام الكلام المنطوق إلى نظام الكتابة أي من نمط إلى نمط تواصلي آخر.

2- قسم الترميزات المشتقة من مقامات التقنيات المضبوطة، وترميز التواصل التقني يستحيل عليه أن يعطي ترجمة كلمة بكلمة –في بعض الأحيان- فيتم اللجوء إلى الإطناب أو الحشو للتعبير عن ما نرغب فيه.

3- قسم ابتكار الشروط الفيزيائية الملائمة لفعل التواصل وفيه يشير "سابير" إلى أهمية التطور الحاصل في الشروط الفيزيائية المستخدمة لغايات التواصل من مثل التلغراف والتليفون والراديو والطائرة...الخ[3].

فيبيّن "سابير"هنا أن هذه الوسائط تشكل امتدادات لحواسنا كما سماها "بيير كيرو"و"مارشال ماك لوهن"(Macc luhan Marchal).وتجدر الإشارة إلى أن كتاب

"سابير" (اللسانيات) الذي خصص فيه فصلا "للتواصل" عنونه بـ: "وظيفة لغة عالمية مساعدة" والذي أعطى فيه الدور الأكبر للغة الانجليزية التي سيتبناها العالم المتحضر كلغة واحدة للتواصل المتبادل لأن "اللغة الانجليزية يتكلمها أكبر نسبة من الناس في العالم... كما

---

[1] أحمد مومن: المرجع نفسه، ص 191.

[2] رايص نور الدين: نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، مطبعة سايس ،ط1، فاس، 1428هـ/2007م، ص 165.

[3] رايص نور الدين: نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، ص 169.

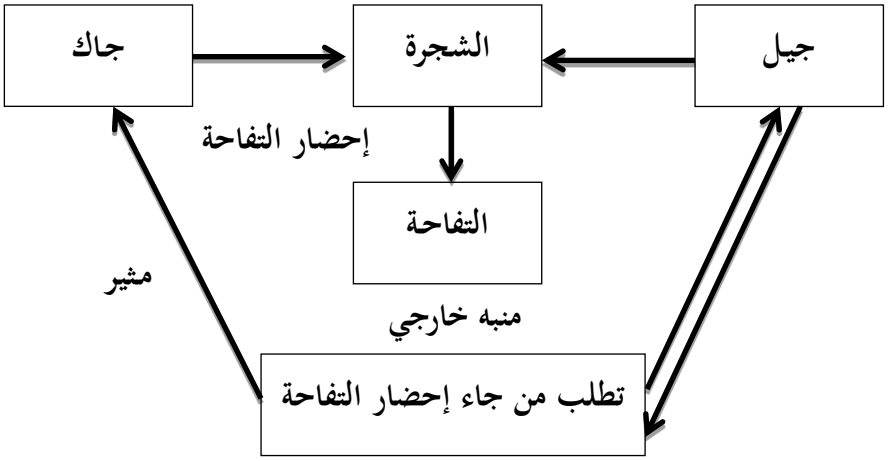
أن الانجليزية لا تحتاج إلى محاولة النشر بل هي منتشرة، ونظامها متطور بما فيه الكفاية أي أن قواعدها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والتداولية في أي مجال من مجالات الحياة شاملة له ومتطورة فيه"[1].

وهكذا نلاحظ أن أراء "سابير" كانت تمهد لنشأة نظرية التواصل وقد تحقق ذلك بالفعل بعد وفاته بعشر سنين على يد "شانون" و "ويفر".

3-4 – بلومفيلد (L.Bloomfield) (1939-1987)

ظهر بعد "سابير" باثني عشرة سنة كتابا لليونارد بلومفيلد الذي كرس جهوده لجعل علم اللغة دراسة علمية مستقلة عن العلوم الأخرى، وتأثر في ذلك بالمذهب السلوكي، فأصبح هو زعيم المدرسة التوزيعية في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1930.

قدم بلومفيلد نظرية توزيعية في التواصل ضمن كتابة "اللغة" وذلك من خلال المحاورة التي تمت بين جيل وجاك حول التفاحة والذي يمكن أن نلخصه فيما يلي:



[1] رايص نور الدين: المرجع السابق، ص 171.

كان جاك (Jack) وجيل (Jill) يتنزهان بين صفوف الأشجار، وشعرت جيل بالجوع، ثم رأت تفاحة على الشجرة، فأصدرت صوتا بحنجرتها ولسانها، وشفتيها، فقفز جاك فوق السياج، وتسلق الشجرة، وقطف التفاحة وأتى بها إلى جيل، ووضعها في يدها فأكلتها.

وقد حلل بلومفيلد هذه القصة كما يلي:

1. أحداث عملية سابقة للحدث الكلامي
2. الحدث الكلامي.
3. أحداث عملية تابعة للحدث الكلامي.

S...>r..... s.....>R

تمثل الخطوط المتقطعة في هذا الشكل الحدث الكلامي بين المتكلم والسامع.

- (s) هو المثير ويعادل الأحداث العملية السابقة للحدث الكلامي
- (R) هو الاستجابة وتعادل الأحداث العملية التابعة للحدث الكلامي
- (r) يدل على الاستجابة البديلة والحرف (s) على المثير البديل.

فشعور جيل بالجوع ناتج عن تقلص معدتها، فهو عبارة عن (s) مثير وكذلك رؤية التفاحة فكانت استجابتها مباشرة وهي أن تتسلق الشجرة وتحضر التفاحة لنفسها (R) لكن حدثت الاستجابة البديلة (r) وهي إصدارها للأصوات التي قامت بدور المثير البديل (s) بالنسبة لجاك الذي قام بإحضار التفاحة[1]، وقد ألح "بلومفيلد" في دراسة اللغة على عدم إقحام المعنى والمعايير غير اللغوية في دراسة اللغة وذلك لأن التعريف الدقيق للمعنى الذي يتضمنه أي شكل لغوي يتطلب هنا معرفة علمية عميقة بالأشياء، والحالات، والعمليات التي تدل عليها"[2]، ويمكننا القول بأن بلومفيلد قد اعتمد الرؤية السلوكية ومنهج الفلسفة الوضعية في دراسة اللغة لأن اللغة تكتسب في البيئة.

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 195.

[2] أحمد مومن: المرجع نفسه، ص 196.

وقد اشتهر بلومفيلد ببحوثه في الفونيم، والمورفيم، خاصة نظريته المعروفة بإسم: نظرية المكونات المباشرة (immediate constutuent theory)، حيث قدم محاولات لوصف البنية التركيبية وصفا بنيويا تاما، أي تفكيك بنية الجملة إلى مؤلفات على أنها مكونة من طبقات من مكونات الجملة بعضها أكبر من الآخر إلى أن يتم تحليلها إلى عناصرها الأولية من المورفيمات، لكون المروفيم "وحدة دنيا تفيد دلالة يبرزها التحليل. ومصطلح (مؤلف) Constituantيطلق عندهم على كل مورفيم أو ركن كلامي يمكن له أن يدرج ضمن بناء أكبر"[1] ومؤلفات الكلام تنقسم إلى قسمين هما:

أ) **مؤلفات مباشرة:** هي مكونات الجملة القابلة للتحليل إلى مؤلفات أصغر.

ب) **مؤلفات نهائية:** هي المؤلفات غير القابلة للتحليل إلى مؤلفات أصغر.

ويمكن أن نشير إلى أهم الأفكار التي اعتمدها بلومفيلد في دراسة اللغة كالتالي[2]:

1) التركيز على قضية المثير والاستجابة في عملية التواصل.

2) الاكتساب اللغوي يخضع لعوامل الدافعية والتعزيز والقياس والمحاكاة.

3) عدم إقحام العوامل غير الفيزيائية في وصف الحدث الكلامي مثل: الروح والعقل والإرادة والحدث العام لعدم قابليتها للاختبار.

4) لا يمكن وصف المعنى إلا من خلال ما هو منتج من الكلام وسيظل الأمر على هذه الحال حتى تتقدم المعرفة اللسانية في هذا الموضوع.

5) اعتماد مبدأ التوزيع في دراسة الشكل اللغوي (المورفيم) من خلال تحليل العينة (Corpus) التي تجمع من المخبر اللغوي.

نلاحظ أن بلومفيلد قد أقصى المعنى وتخلى عن التحليل الدلالي في وصف الظاهرة اللغوية، فهو يركز أكثر على وصف البنية التركيبية وصفا بنيويا من خلال منهج انفردت به المدرسة التوزيعية التي استبعدت المعنى كليا من التحليل اللغوي لصعوبة إخضاعه للدراسة الوصفية

---

[1] خليفة بوجادي: اللسانيات دروس وتطبيقات، ص 79.

[2] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضياها الراهنة، ص128.

المبنية على المنهج العلمي الدقيق، وهذا ما أكده بلومفيلد بقوله: "إن دراسة المعنى وتحليله هو أضعف نقطة في دراسة اللغة وسيظل الأمر على هذا النحو حتى تصل المعرفة الإنسانية إلى مرحلة أكثر تقدما مما هي عليه الآن"[1].

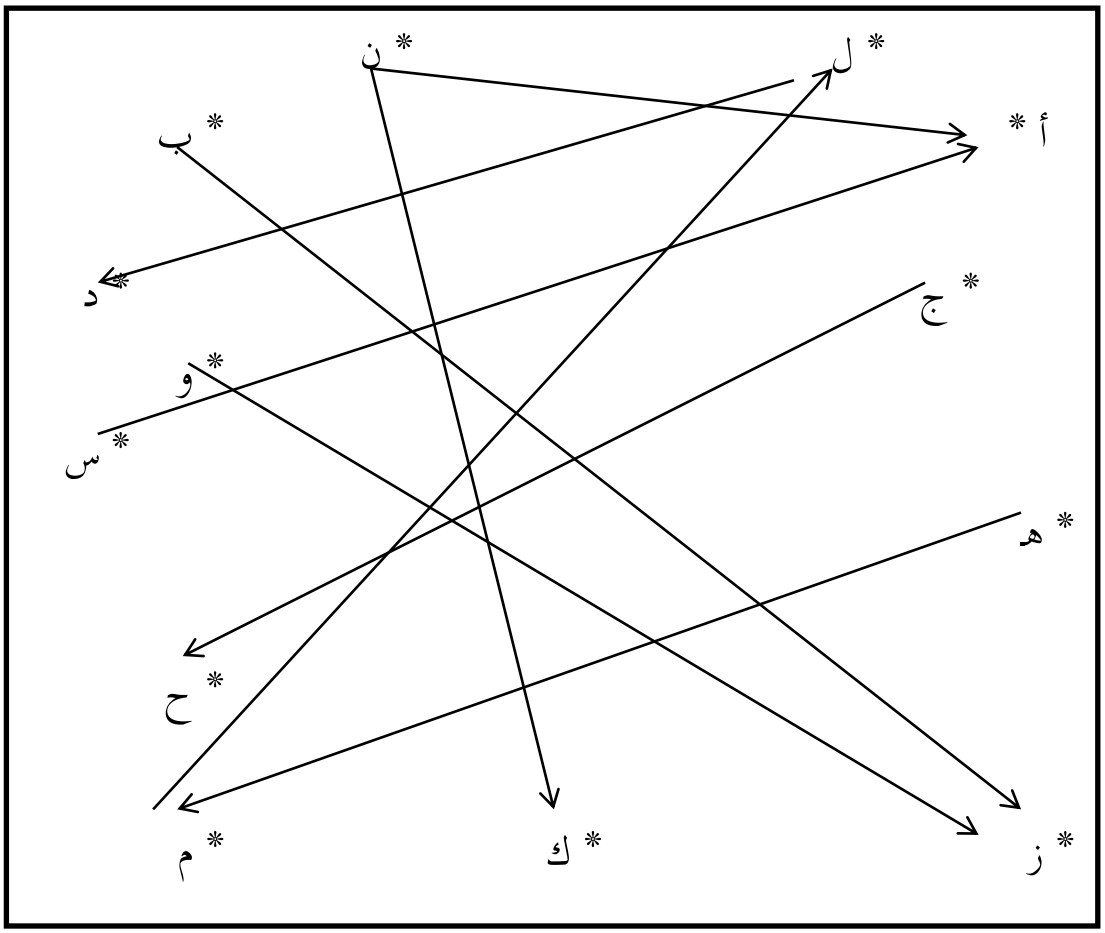
ومع هذا فإن بلومفيلد قد أعطى أهمية كبيرة للوظيفة التواصلية للغة وما يجري فيها لأن السلوكية تؤدي إليها، فالحوافز المادية واللغوية تؤثر على المرسل والمستقبل، وهذا يتضح أكثر في حديثه عن الكثافة التواصلية (La densité de la communication)وخاصة عندما تحدث عن الاختلافات الناتجة عن الاختلافات في الكثافة التواصلية، فقال: "الطفل يتعلم الكلام كما يتعلم الناس الذين هم من حوله ذلك، لكن لا يمكننا أن نصف هذه المعرفة أنها منتهية أبدا فلا توجد ساعة ولا يوم من الأيام يمكننا فيه أن نقول أن شخصا ما قد انتهى من تعلم الكلام، بل لا تنتهي ولا تنقضي تلك العملية إلا بالموت طبعا، إن المتكلم يتابع تحركه مثله —في ذلك– مثل الطفل الذي يتلقن الكلام، ووصفنا للطريقة التي يتعلم بها يمكن اعتبارها —من نواح عديدة– كفيلم يصور عملية الخطاب بتثاقل فلغة كل متكلم —باستثناء العوامل التي يجب أن تجعلها هنا– هي نتيجة مؤلفة من القول الذي يسمعه المتكلم من الآخرين"[2].

ولقد شرح "بلومفيلد" هذا التصور من خلال التصميم الذي وضعه بحيث يمثل فيه كل متكلم/سامع من المجموعة اللسانية وهو كالتالي:

---

[1] حنيفي بن ناصر ومختار لزعر: اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ص 60.

[2] رايص نور الدين: نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، ص 174.



ويمثل لنا هذا المخطط أنه كلما تحدث متكلم إلا ورسمنا له سهما انطلاقا من النقطة التي تلكم فيها إلى النقطة التي تمثل مستمعا من مستمعيه، فهذا التصميم يمثل لنا مدى كثافة العملية التواصلية داخل المجموعة اللسانية فبعض المتكلمين لهم تواصل ضيق محدود، والبعض الآخر لهم تواصل واسع، فالتواصل يختلف من شخص إلى آخر وهو ما عبر عنه بلومفيلد بالأسهم في هذا التصميم.

ومن خلال هذا التصميم أشار بلومفيلد –أيضا– إلى قضية الفئات التي تتواجد داخل تلك المجموعة اللسانية، فكل فئة تتفاهم فيما بينها بدرجة أكبر من التفاهم فيما بينها بدرجة أكبر من التفاهم مع الفئات الأخرى التي تختلف عنها في قضية البعد المكاني (السكني)، وقد يكبر الاختلاف بين تلك الفئات وقد يصغر تبعا لوسيلة الاتصال والتقارب بينهم، لهذا أعطى بلومفيلد مجموعة من الأمثلة ميز فيها بين الانجليزية الممتازة التي يتكلم

بها أفراد الطبقات الراقية والانجليزية الشنيعة التي هي لغة الطبقات المنحطة ومثال ذلك ما هو موجود عند الأمريكان البيض والأمريكان السود[1].

ويمكننا القول – هنا – أن كتاب "اللغة" ليلومفيلد بقي مرجعا أساسيا أكثر من ثلاثين سنة، وأن تفسيره للسانيات بقي مهيمنا على موقف اللسانيات الأمريكيين من 1933م حتى عام 1957 لأن الأعمال التي جاءت في هذه الفترات كانت مجرد شرح أو تطوير لأفكاره وبعد أن لاقت أفكاره الكثير من الشهرة والكثير من الانتقاد –أيضا– ظهر نحوي آخر وهو "زليغ هاريس" (Z.Harris) الذي حاول أن يقدم نموذجا نحويا آخر يتجاوز فيه الدراسات السابقة.

4-4- زليغ هاريس (Z.Harris):

حاول "هاريس" أن يقدم نموذجا في الدرس النحوي يتجاوز فيه ما في النموذج السابق، فوضع كتابه في "تحليل الخطاب" (Discourse Analysis) مقترحا نظرية جديدة تقوم على "تصنيف مفردات اللغة في جداول وفقا لما فيها من مورفيمات حرة ومقيدة، فكل مورفيم منها ينتمي إلى صيغة صرفية، ولكل صيغة صرفية خانة من الخانات التي تتألف منها الجملة، فالصيغة التي تنتسب إلى الاسم مثلا، تقع بعد أداة التعريف لكن الصيغة التي تنتمي إلى صنف الأفعال لا يمكن مثلا أن تقع بعد حرف الجر..."[2]، وفي هذا الصدد كتب "هاريس" عام 1946 مقالة بعنوان "من المورفيم إلى التعبير" عدّها اللسانيون أول نموذج تحليلي شكلي للمورفيمات والمكونات المباشرة، كان لها أثرها فيما اعتمده تلميذه تشومسكي في أبحاثه في المستوى التحليلي والبنيوي لذلك كانت أعماله مماثلة لأعمال أستاذه قبل سنة 1957.

---

[1] رايص نور الدين: نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، ص 176.

[2] رايص نور الدين: المرجع نفسه، ص35.

تطرّق هاريس إلى ركني الجملة وهما الركن الخطي أو المجاورة والركن الاستبدالي العمودي وهو ما يوجد في ذاكرة المتكلم والسامع من اختيارات وبدائل يمكن ذكرها بدلا من هذه الوحدة أو تلك.

وقد أوضح لأول مرة أن أي تغيير في الجملة باستبدال وحدة بأخرى يتطلب أن يقوم المتكلم بمراجعة العناصر المتجاورة، فربما أضطر إلى تغيير أحد هذه العناصر لتناسب الاختيار الجديد أي أن أي تغيير في ركن المجاورة يتبعه تغير في الركن الأخير، والعكس كذلك[1].

كما تنبه هاريس إلى قضية المعنى الذي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند تقعيد القواعد النحوية، وعلى هذا اعتمد شومسكس –بعده– على ما يعرف بالقواعد الدلالية المعجمية في النحو.

وقد وضع هاريس كتابا له بعنوان "مناهج اللسانيات البنيوية" عام 1951، حاول وضع فيه جملة من المناهج البنيوية لوصف اللغة في إطار "منطق العلاقات التوزيعية"[2].

والتوزيع حسب هاريس هو: "مجموع السياقات التي تظهر فيها الوحدة وهذا التوزيع هو الذي يميز الوحدات المختلفة عن بعضها"[3] وقد أثر ذلك في شومسكي –كما سبق وأن أشرنا – الذي أتم الدراسة التركيبية باهتمامه الكبير بدراسة الجملة وتحليلها واستكشاف بنيتها في ضوء النظرية التوليدية التحليلية وهذا ما تجلى في كتابه "البنى التركيبية عام 1957 الذي تراجعت فيه المفاهيم التوزيعية لتظهر مفاهيم جديدة مكانها خاصة في المرحلة الثانية من مراحل النحول التوليدي التحويلي –والتي سنتحدث عنها بالتفصيل في حديثنا عن شومسكي–.

وتجدر الإشارة إلى أن "هاريس" على خلاف بلومفيلد استعمل مقياس المعنى ومقياس التوزيع لتحديد البنى الفونولوجية والتركيبية، لينتقل مع مرور الزمن إلى المناداة بالمنهج التحويلي في

---

[1] ابراهيم محمود خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص 35.

[2] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 197.

[3] حنيفي بن ناصر ومختار لزعر: اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية ،ص 62.

دراسة اللغة حيث ظهر عنده هذا التوجه الجديد منذ 1952 في مقالته: "الثقافة والأسلوب في الخطاب المطول" (Culture and style in extented discourse)[1].

فلم يبقى التحويل باعتباره شكلا للتوزيع مجرد انتقال من العبارة (أ) إلى (ب) بل يبحث في صلة القرابة بين هذه الجمل على أساس إمكانيات القبول المختلفة.

وبشكل عام فإن أبحاث "هاريس" في المجال التحويلي غير معروفة لدى الأغلبية، وربما هذا يرجع إلى ظهور الأبحاث التي قدمها تشومسكي حول القواعد التوليدية التحولية التي أحدثت ثورة كبيرة في حقل اللسانيات.

ويمكننا القول في هذا السياق أن كل الدراسات السابقة تبقى دراسات تركز على الجانب الوصفي للغة وهي تعبر عن المرحلة الأولى الكبرى من مراحل التطور اللساني والتي تسمى بمرحلة الداليات باعتبارها تركز على الدال والمدلول.

4-5- تشومسكي نعوم (N. Chomeski):

قاد شومسكي "ثورة علمية نجم عنها نموذج جديد للتفكير في اللغة، أفرز مجموعة من الإشكالات يجب أن يعتني بها اللغوي، وضمنها الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين، عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي"[2] وتهدف هذه النظرية إلى الوصول إلى التفسير وعدم الاكتفاء بوصف الظاهرة اللغوية باللجوء إلى الضوابط التي تحكمها بل أن تشرح لماذا هي على ما هي عليه.

عرفت هذه المدرسة التي تزعمها تشومسكي تطورا سريعا حيث حلت محل التوزيعية، وبلغت مرحلة النضج في عام 1955، وقد أثارت جدلا عنيفا ومناقشات كثيرة بين دعاتها ومنافسيها.

مبادئ المدرسة التوليدية التحويلية:

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 197.

[2] نعمان بوقرة: محاضرات في اللسانيات المعاصرة، ص 151.

أ) الإبداعية اللغوية:

تأثر تشومسكي بفلسفة ديكارت وقد أشار في كتاباته الأخيرة إلى أن علم اللغة هو: "فرع من علم آخر أطلق عليه اسم علم النفس الإدراكي"[1]، ويظهر ذلك في كتبه:

1. مظاهر النظرية النحوية.
2. اللسانيات الديكارتية
3. اللغة والعقل.

وقد دعا تشوسكي إلى ضرورة العودة إلى المسائل التي أثارها القدامى وإعادة استكشافها، وتبني منطلقاتها العقلانية، وهي إشارة إلى دراسة اللسانيات وعلاقتها ببقية العلوم الإنسانية الأخرى ولاسيما الفلسفة،خاصة لما يدرس الروابط التي تقرن الأصوات اللغوية بالدلالات وكذلك مواضيع اكتساب اللغة عند الطفل وقضايا تنوع اللغة.

وتبرز الصفة الإبداعية للغة التي ركز عليها تشومسكي بوضوح "كإحدى الصفات الأساسية التي تتمتع بها اللغة"[2] وهو ما ساد في القرن السابع عشر ولاسيما عند ديكارت، "فاللغة تتسم بميزة أساسية من حيث أنها توفر للإنسان الوسائل اللازمة لكي يعبر بصورة غير متناهية عن أفكار متعددة"[3] فالصفة الإبداعية صفة خاصة باللغة الإنسانية، فالصفة الإبداعية للغة هي مقدرة الإنسان على إنتاج جمل لا حصر لها دون أن يسمعها من قبل.

ب) الاكتساب اللغوي:

رفض تشومسكي ما ذهب إليه السلوكيون لأن اللغة في رأيهم "مجموعة عادات صوتية، يكيفها عالم البيئة لكي يتحقق اكتسابها"[4].

فاللغة هي شكل من أشكال السلوك الإنساني يتحقق اكتسابها من خلال سماع المتكلم جملة معينة أو إحساسه إحساسا معينا، فتتولد لديه استجابة كلامية، أما اكتساب

---

[1] نعمان بوقرة: المرجع السابق، ص 154.

[2] نعمان بوقرة :المرجع نفسه، ص 156.

[3] نعمان بوقرة : المرجع نفسه، ص 156.

[4] نعمان بوقرة :المرجع نفسه، ص 152.

معاني الكلمات، فيرى السلوكيون أن الطفل بقدر ما يكتشف الأشياء التي تشير إليها الكلمات عبر اقترانها بالكلمة التي يتلفظ بها يكتسب مدلولات تلك الكلمات ثم يتمكن عن طريق المحاولة حينا والخطأ حينا آخر من تركيب الجمل تركيبا صحيحا، فالمنهج السلوكي يركز على السلوك الخارجي للإنسان عكس ما ذهب إليه تشومسكي الذي أراد أن يعلل اللغة من الداخل وليس من الخارج، ذلك أن منهج النظرية التوليدية التحويلية هو منهج ذهني يجعل ملكة اللغة قدرة فعالة غريزية وفطرية، وهي قدرة تخص الإنسان وحده

يؤكد تشومسكي على أن لكل طفل يتمتع بصحة عادية، لديه قدرة كامنة فطرية على تعلم الكلام، الذي يبدأه منذ البداية، ولكنه يتزايد بالنمو وباستخدام أعضاء النطق في إصدار الأصوات أولا "ثم تظهر لديه بعد ذلك القدرة على دمج صوتين معا لتأليف مقطع، نحو: ماما وبابا (المناغاة) وهذه المرحلة توطئة –في الواقع– لمرحلة لاحقة يكتسب فيها القدرة على ترديد الكلمات، وعندما ينتقل منها إلى المرحلة اللاحقة، وهي تكوين مركب من كلمتين اثنتين، واكتساب الطفل للغة لا يتوقف عند مرحلة معينة أو درجة من العمر محددة"[1].

ويذهب التوليديون و التحويليون إلى أن الإنسان مختلف عن الحيوان الذي أجريت عليه التجارب لأنه يمتلك ملكة فردية تكون كفايته اللغوية.

ومن هنا يتضح لنا أن اكتساب اللغة عند السلوكيين في المرحلة البنيوية يختلف عن ما جاء به تشومسكي الذي أكد أن بنية التنظيم المعرفي الذي يصل بالطفل إلى اكتساب اللغة هي بنية مكتسبة.

إن القواعد التوليدية التحويلية التي جاء بها تشومسكي في نظريته لم تأت دفعة واحدة، بل مرت بمراحل أساسية حددها الدارسون بثلاث مراحل أساسية وهي:

[1] إبراهيم محمود خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص.ص 104-105.

1) المرحلة الأولى: البنى التركيبية (1957):

بدأت هذه المرحلة بصدور كتاب "البنى التركيبية" لتشومسكي عام 1957، والذي يعتبر الدستور الأول للنظرية التوليدية حيث استطاع تشومسكي فيه تحديد الإطار النظري للبحث اللساني، فقد عني بأبحاث النحو واكتشاف البني التركيبية وأصبحت الجملة هي المدار الرئيس في النظرية التوليدية التحويلية وفي ضوء هذا المنحى عرف تشومسكي اللغة: "على أنها مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل، وبالتالي فإن عدد الجمل الصحيحة نحويا غير محدودة في أية لغة"[1].

وصرح تشومسكي أن هذه الفكرة سبقه إليها "همبلدت" منذ ما يزيد عن قرن، والفكرة نفسها قال بها العرب.

وأول فكرة طرحها تشومسكي في هذا الكتاب كانت قضية استقلالية نظام القواعد وهو المسؤول عن تحديد الجمل واللاجمل بمعنى أن "توالي الفونيمات قد يكون جملا صحيحة وقد لا يكون جملا صحيحة"[2] ،وقد طرح تشومسكي السؤال التالي: ما الأساس الذي نعتمد عليه في الفصل بين المتواليات القواعدية وغير القواعدية؟ ويجيب بأنه: "لا يمكن تشخيص القواعدية بكل ما له معنى، فالجملة قد تكون قواعدية ولا معنى لها"[3] كما هو موضح في هذا المثال:

-الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدة ← جملة قواعدية

-بشدة تنام الخضراء التي لا لون لها الأفكار ← جملة غير قواعدية

وقد صاغ تشومسكي نظريته وفقا لثلاث أنواع من القواعد هي:

أ. القواعد التوليدية: سعى تشومسكي للوصول إلى قواعد شاملة تنظم تركيب الجملة في جميع اللغات هذه القواعد هي التي تولد كل الجمل السليمة نحويا، هذه القواعد التوليدية هي:

---

[1] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 156.

[2] نعمان بوقرة: المرجع نفسه، ص 157.

[3] نعمان بوقرة: المرجع نفسه، ص 157.

"عبارة عن جهاز يحتوي على أبجدية رموز هي بمثابة معجمه، فمستخدم اللغة يستطيع أن يفهم جملا وتعبيرات لم يسبق له أن سمعها"[1].

ويبين تشومسكي أن هذه الجمل تولد عن طريق سلسة من الاختيارات تبدأ من اليسار إلى اليمين بمعنى أنه عند الانتهاء من اختيار العنصر الأول فإن كل اختيار يأتي عقب ذلك يكون مرتبطا بالعناصر التي سبقته مباشرة، وعلى هذا الأساس يجرى التركيب النحوي للجمل. ويمكن أن نوضح ذلك بهذا المثال: هذا الولد يكتب الدرس.

فتوليد الجملة يقوم على مبدأ اختياري فلو اخترنا كلمة (هذه) أو (هؤلاء) بدل (هذا) كان يجب علينا إتباع هذه الكلمات بصيغة المؤنث أو بصيغة الجمع فتصبح الجملة:

هذه البنت تكتب الدرس.

هؤلاء الأولاد يكتبون الدرس.

فالنموذج التوليدي يتخذ الجملة كوحدة أساسية في التحليل، بحيث تتخذ القاعدة التوليدية شكل قاعدة إعادة الكتابة بمعنى أنه يمكن إعادة كتابة الجملة بواسطة رمز يشير إلى عنصر معين من عناصر الكلام، ومثال ذلك:[2]

لدينا الركن الفعلي مكون من فعل و فاعل ومفعول به، نمثل له بالقاعدة التالية:

ركن فعلي = فعل + ركن اسمي (الفاعل) + ركن اسمي (مفع به)

وتتضح صورة القواعد التي تركب أركان الجملة التي اقترحها تشومسكي في كتابه "البنى التركيبية" كما يلي:

1. الجملة ← مركب اسمي + مركب فعلي
2. المركب الاسمي ← أداة تعريف + اسم
3. المركب الفعلي ← الفعل + المركب الاسمي

---

[1] نعمان بوقرة: المرجع السابق، ص 158.

[2] نعمان بوقرة: المرجع نفسه، ص 157.

4. أداة التعريف ← الـ

5. الاسم ← (رجل، كرة،...)

6. الفعل ← (ضرب، أخذ،...)

تختلف القواعد التوليدية عن القواعد التقليدية والبنيوية حسب ما وصفه بالمر (Palmer) في نقطتين أساسيتين هما:

1) تهتم القواعد التوليدية بالجمل الممكنة التي يمكن أن ترد وليس الجمل التي وردت من قبل.

2) تبين القواعد التوليدية –بدقة– الجمل الممكنة في اللغة، فلا مجال للشك أو الصدفة.

ب. القواعد التحويلية: التحويل هو"إمكانية تحويل جملة معينة إلى جملة أخرى واعتماد مستوى أعمق من المستوى الظاهري في الكلام، وبإمكان مفهوم التحويل أن يكشف، أيضا، المعاني الضمنية العائدة للجمل"[1]، نلاحظ المثال الآتي:

1) أكل الولد خبزًا.

2) الولد أكل خبزًا.

3) الخبز أكله الولد.

فالجملتان (2) و(3) متحولتان من الجملة (1) وذلك بنقل الاسم (الولد) في (2) و(الخبز) في (3).

والقواعد التحويلية نتمكن من خلالها من تحويل الجملة إلى جملة أخرى تتشابه معها في المعنى، وذلك مع ملاحظة علاقات الجملة المماثلة والإجراءات التي تحدث لتجعل جملة على مستوى السطح تختلف عن الجمل الأخرى، وذلك عن طريق: الحذف أو التعويض أو التوسع، أو الاختصار أو الزيادة أو إعادة الترتيب أو التقديم[2].

---

[1] ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1406هـ، 1986م، بيروت، لبنان، ص 14.

[2] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 160.

وتولد القواعد التحويلية عددا كبيرا من الجمل انطلاقا من البنية العميقة نحو بنيات سطحية متعددة.

وتتم عملية التحول وفق نمطين من القواعد[1]:

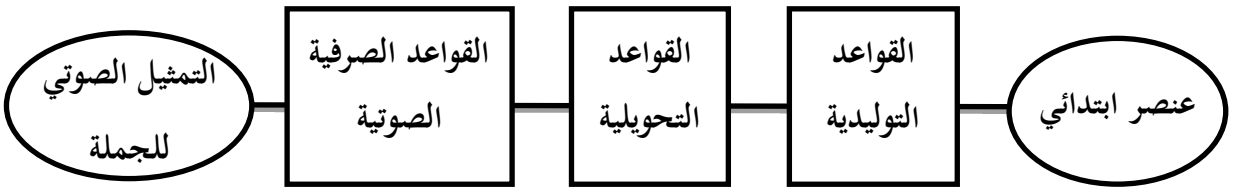
1) **قواعد جوازية اختيارية:** فهي القواعد التي تصح الجملة بها وبغيرها، كقاعدة البناء للمجهول، فهي اختيار يلجأ إليه المتكلم، أو الكاتب، لكنه باستعمال هذه القاعدة الاختيارية يضطر إلى استعمال قواعد أخرى حفاظا على سلامة الجملة.

2) **قواعد وجوبية:** وهي القواعد التي لا تصح الجملة إلا بها.

القواعد الصوتية الصرفية:

وهي القواعد التي تحول "المورفيمات إلى سلسلة من الفونيمات وبمعنى إعادة كتابة العناصر كما تنطق بها، وتطبق القواعد المورفوفونيمية بعد تطبيق القاعدة التحويلية"[2].

ويمكن أن نلخص كل ما جاء به تشومسكي في مرحلة البنية التركيبية في المخطط الموالي:



- يمثل العنصر الابتدائي البنية العميقة لعدد من الجمل المحتملة.
- *القواعد التوليدية:* هي مجموعة القواعد الاختيارية والإجبارية التي تطبق على الجملة.
- *القواعد التحويلية:* هي مجموع القواعد الصرفية والصوتية التي تحول الجملة من صورتها المورفيمية إلى صورتها الفونيمية.
- *التمثيل الصوتي للجملة:* هي البنية السطحية[3].

---

[1] إبراهيم محمود خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص 106.

[2] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 160.

[3] يوسف وَغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، المحمدية، 1428هـ-2007م، ص 106.

يمثل هذا المخطط صورة مختصرة للعملية التحويلية للجملة وصولا إلى صورتها المنطوقة، إذ يمثل العنصر الابتدائي البنية العميقة للجمل الممكنة، وتمثل القواعد التوليدية نوعين من القواعد الاختيارية والإجبارية ومدى قدرتها على تفريغ الجمل وذلك من خلال توليد الجمل في ضوء ما تقدمه هذه القواعد من إجراءات تفسيرية، لذلك نوه تشوسكي بالفرق القائم بين الجملة النواة الأساسية التي تتوفر فيها مجموعة من الصفات منها: البساطة والتمام والصراحة والايجابية والبناء للمعلوم وتصبح الجمل المحولة أو المشتقة كل جملة تنقصها صفة من الصفات السابقة فتكون منفية أو استفهامية أو تعجبية أو مبنية للمجهول أو تابعة...الخ.

وهي تضم مجموع القواعد الصوتية والصرفية التي تحول الجملة من صورتها المورفيمية إلى الفونيمية لذلك تقوم القواعد التوليدية والتحويلية بدور مهم وهو تفادي الغموض الذي قد يصاحب معنى الجمل، ويظهر العنصر الأخير والذي يمثل صورة الجملة في تمثيلها الصوتي أو بنيتها السطحية[1].

2) المرحلة الثانية: النظرية اللسانية النموذجية (1965):

بدأت هذه المرحلة بظهور كتاب تشومسكي "مظاهر النظرية النحوية" سنة 1965، والذي تدارك فيه النقائص الواردة في كتابه الأول "البنى التركيبية"، فأخذت نظريته صورتها النهائية خاصة بعد التحويلات التي طرأت عليها إثر طرح "كتز" (Katz) و"فودور" (foudor) و"بروندال" (Broundal) فكرة إدماج القضية الدلالية وقد ركز تشومسكي في هذه المرحلة على التمييز بين قضايا مختلفة في دراسة اللغة:

[1] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 145.

1.الكفاية اللغوية والأداء الكلامي (Compétence et performance linguistique):

أ- الكفاءة: تتمثل الكفاءة في "المعرفة اللغوية الباطنية للفرد، أي مجموعة القواعد التي تعلمها"[1]، أي هي "ملكة ذاتية خاصة بمتكلم اللغة الذي ترعرع، بصورة طبيعية في البيئة التي تتكلّمها "[2] أي هي القدرة على إنتاج الجمل وفهمها في عملية التكلم وهي أيضا مجموع القواعد الكامنة في ذهن الإنسان والتي تمكنه من بناء الجمل أي هي امتلاك الآلية اللغوية[3]، وهو ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته عندما قال: "أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة"[4] فكل لغة حسب ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في "اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع"[5] فكل إنسان يستطيع التعبير بلغة البيئة التي ينشأ فيها، فهو يفهم عدد غير متناه من الجمل كما يصيغ جملا غير محدودة بشكل عفوي وذلك من خلال ما أكتسبه وهذه المقدرة على إنتاج وفهم الجمل تعبر عن الكفاية اللغوية واستعمالها في المواقف والمقامات المختلفة من أجل أهداف مقصودة.

فمفهوم الملكة عند ابن خلدون أعم وأشمل من كل المفاهيم التي وضعها التوليديون التحويليون والتداوليون من بعدهم.

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 210.

[2] ميشال زكريا: الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص 07.

[3] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 162.

[4] ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد): مقدمة ابن خلدون، ضبط وشرح وتقديم محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1425هـ- 2005م، ص 513.

[5] ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد): المصدر نفسه، ص 508 .

ونشير هنا إلى أن مصطلح الكفاية اللغوية تعبر عنه مصطلحات أخرى مثل: القدرة اللغوية، والملكة اللغوية، والطاقة اللغوية، وهي كلها تعكس لنا قدرة المتكلم الذي يستطيع استنادا إلى خبرته أن ينتج ويفهم عددا غير محدودا من الجمل وهو ما ركز عليه تشومسكي في حديثه عن الكفاية اللغوية عندما قال "هي مجموع القواعد الكامنة في ذهن الإنسان التي تمكنه من بناء الجمل وامتلاك الآلية اللغوية، أو هي المعرفة الضمنية بقواعد اللغة القائمة في ذهن كل من يتكلم اللغة"[1].

ب- الأداء الكلامي أو الإنجاز: هو "ما يبلغه متكلم أو سامع معين عند مباشرته الفعلية للغة، فالأداء الكلامي إذن هو استعمال الآني للغة ضمن سياق معين وهو حصيلة عمل للآلية اللغوية، وفي الأداء الكلامي يعود المتكلم -بصورة طبيعية- إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية كلما استخدم اللغة في مختلف ظروف التكلم"[2].

فالأداء الكلامي هو استعمال المتكلم لقدرته اللغوية بشكل آني ضمن سياق معين وظروف مختلفة تحيط به، وهو بذلك يتضمن عددا من المظاهر المترابطة والتي منها: "العوامل السيكولوجية (ضعف الذاكرة، الانفعال، عدم الانتباه...) والعوامل السوسيوثقافية (الانتماء إلى مجموعة اجتماعية، طريقة التدريس اللغوي)..."[3].

فالأداء الكلامي يمثل الجانب المنطوق للغة، ومن هنا يتضح الفرق بين الكفاية اللغوية التي تمثل القدرة الضمنية للغة والأداء الكلامي الذي يمثل الإنجاز الفعلي لهذه القدرة الكامنة في الذهن.

2. الجملة الأصولية وغير الأصولية:

أشرنا فيما سبق إلى أن القدرة اللغوية للمتكلم تمكنه من إنتاج عدد من الجمل الصحيحة وهو ما سماه تشومسكي بالجملة الأصولية بمعنى أن "الجمل التي توافق الأصول اللغوية"[4] أي

---

[1] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 148.

[2] يوسف وغليس: مناهج انقد الأدبي، ص 149.

[3] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 165.

[4] نعمان بوقرة: المرجع السابق، ص 166.

القواعد وحدها هي التي تحكم على أصولية الجملة أو عدمها، كما تحدد كل الجمل المحتملة في اللغة، وتمنع في الوقت ذاته الجمل غير الأصولية من أن تتكون، ومثال ذلك:

أبحر الإسكندرية من سعد اليوم إلى باريس (1).

يعلق "ميشال زكريا" على هذه الجملة بقوله: "لا يمكن اعتبار هذه الجملة مفيدة، وذلك أن كلمة) الإسكندرية تقع فاعلا للفعل أبحر... إلا أنها غير مقبولة، وذلك لأنها لا تخضع لقاعدة الملاءمة بين سمات الاسم والفاعل والفعل"[1].

كما أننا لو قارنا الجملة (1) بالجملتين الآتيتين:

- سيعود حاملا مصر إلى الاستقلال (2)
- مصر حاملا الاستقلال إلى سيعود (3)

فنلاحظ أن الجملة (2) غير أصولية أيضا، وكذا الجملة (3) ومن هنا يتبين أن درجة انحراف الجملة (2) عن الأصولية أقل من درجة انحراف الجملة (1).

ومن هنا لا يجب أن نخلط بين الجمل الصحيحة نحويا ومعرفيا وبين الجمل الخاطئة (غير الأصولية) نحويا، والجمل الخاطئة معرفيا.

3. البنية السطحية والبنية العميقة:

إن أول من استعمل هذين المصطلحين هو"تشالز هوكيت" (CharlesHockett) في كتابه "محاضرة في اللسانيات الحديثة" ثم ظهر عند تشومسكي في المرحلة النموذجية في كتابه "مظهر النظرية التركيبية" 1965.

أ– البنية السطحية: هي "البنية الظاهرة عبر تتابع الكلمات التي تصدر عن المتكلم"[2].

ب– البنية العميقة: هي "القواعد التي أوجدت هذا التتابع، وهي التي تتمثل في ذهن المتكلم المستمع المثالي أي هي عبارة عن حقيقة عقلية يعكسها التتابع اللفظي للجملة أي: البنية السطحية"[1].تساهم البنية العميقة في فهم الكلام وإيجاد المعنى وتفسيره وتحتوي البنية العميقة على كل "العلاقات النحوية والوظائف التركيبية والمعلومات الدلالية اللازمة لتفسير

---

[1] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، ص 167.

[2] نعمان بوقرة: المرجع نفسه، ص 168.

الجملة واستعمالاتها الممكنة"[2]، وتصبح البنية السطحية هي البنية النهائية الظاهرة المستخدمة في سياق ما في سلسلة الكلمات ذات السمات الصوتية أو الكتابية لذلك هي تحتوي على كل المكونات الفونولوجية اللازمة للتفسير الصوتي.

والعلاقة بين البنيتين مهمة لأن تحليل بناء الجملة يقوم على ذلك فغموض الدلالة يرتكز على تعداد الأبنية العميقة للجملة، فالبنية العميقة تتقارب عند جميع الناس بينما تختلف البنية السطحية من فرد لآخر، فالجملة المنطوقة غالبا ما تكون البنية السطحية للجملة، ويتضح الفرق بين البنيتين كالتالي[3]:

- **البنية السطحية:**

1. تتابع العملية التوليدية التي يقوم عليها المكون التركيبي.
2. هي الشكل الصوتي النهائي للتتابع الكلامي المنطوق فعلا.
3. ترتبط بالأصوات اللغوية المتتابعة، ويتم تحديد التفسير الصوتي للجمل عبرها.

- **البنية العميقة:**

1. تمثل التفسير الدلالي للجملة
2. البنية التي يمكن أن تحول بواسطة قواعد تحويلية إلى بنية سطحية.

4. أهمية المكون الدلالي في النموذج التوليدي:

أهمل تشومسكي في المرحلة الأولى مرحلة البنى التركيبية في نظريته "المكون الدلالي" واستدرك الأمر في كتابه "ملامح النظرية التركيبية" حيث حاول إدماج المبادئ الدلالية

---

[1] نعمان بوقرة: المرجع السابق، ص 168.

[2] نعمان بوقرة: المرجع نفسه، ص 168

[3] نعمان بوقرة: المرجع نفسه، ص 169.

المتطورة في منهجه، خاصة بعد طرح "كاتز وفودور" عام 1963 القضية الدلالية وحاولا تطويرها على غرار النموذج التركيبي فوضعا نوعين من القواعد الدلالية:

أ- القواعد المعجمية.

ب- القواعد التفسيرية.

فوظيفة القواعد المعجمية هي إيضاح المفردات المعجمية ثم تبيان وظائفها الدلالية في التركيب أما وظيفة القواعد التفسيرية فهي تحديد الطريقة التي من خلالها يمكن للمفردات المعجمية أن تنظم بعضها إلى بعض وذلك من أجل تفسير التركيب دلاليا، ثم بعد ذلك قدم "كاتز و بوستال" عام 1964 مفهوما جديدا للقواعد التفسيرية وذلك من خلال الربط بين المكونين: التركيبي والدلالي[1]، وهو ما جعل تشومسكي يعيد النظر في نظريته وحاول إدماج المبادئ الدلالية في منهجه الذي يتكون من ثلاث مستويات هي[2]:

1) **المستوى التركيبي**: ويعمل على مكونين هما:

أ. ***مكون توليدي (أساسي):*** وفيه قواعد إعادة الكتابة ومداخل معجمية لها سمات معينة.

ب. مكون تحويلي: يتكون من قواعد وجوبية وأسلوبية تشتق البنى السطحية من البنية العميقة المولدة.

2) **المستوى الدلالي**: ويمثل المستوى التفسيري ويعمل على البنية العميقة أي يعتمد على القواعد الدلالية التي تضم معاني الأركان اللغوية المختلفة وهو يعطي البنية العميقة للتفسيرات الدلالية المناسبة.

3) **المستوى الصوتي**: مستوى تمثيلي يعمل على مستوى البنية السطحية للتركيب وهو يعطي الصورة النهائية للجملة الناتجة.

---

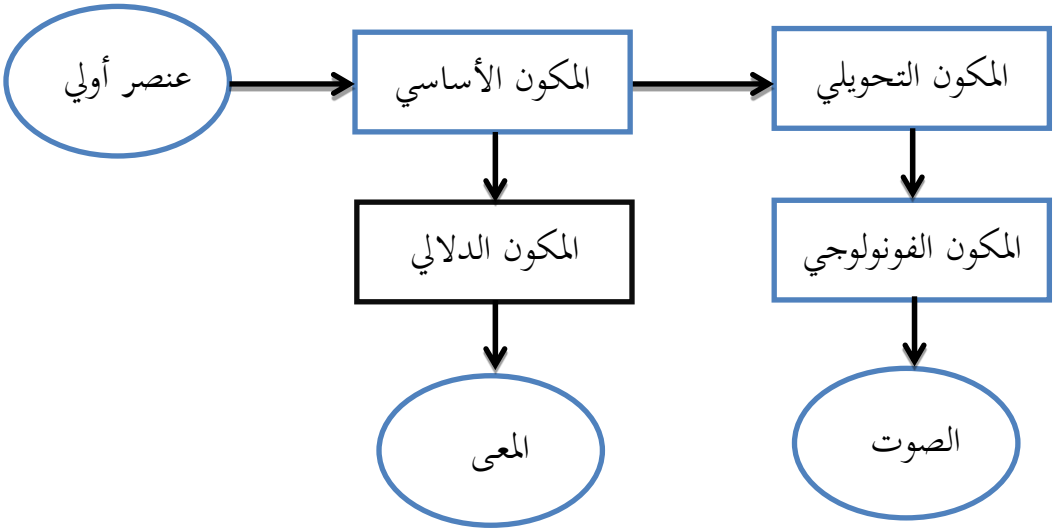
[1] نعمان بوقرة: المرجع السابق، ص.ص: 169-170.

[2] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص154 .

فقد أكد تشومكسي على دمج الدلالة والفونولوجيا على غير ما كان عليه الأمر في التراكيب النحوية، مما جعل الكثير من الدارسين يتقبلون منهج تشومسكي الذي طرحه في كتابه "مظاهر (ملامح) النظرية التركيبية" ومع هذا فظهور كتاب فيلمور (Le cas pour lecas) الذي تبلورت أفكاره التي أثرت على نحو تشومسكي تأثيرا قويا، مما هددت نظرية النحو التوليدي التوزيعي، ومن بين الانتقادات التي وجهها لها عدم اهتمام نظريته بالجانب المعنوي وتركيزه المفرط على القدرة التفسيرية.

ومن أهم النقاط التي تبلورت في هذه المرحلة الكفاءة والأداء والبنية السطحية والبنية العميقة والنحوية والمقبولية وإدراج المعجم في المكون الأساسي كما سبق وأن ذكرنا.

ويمكن الاختلاف بين المرحلة الأولى والثانية في إضافة صندوق (Box) للقواعد أطلق عليه اسم المكون الدلالي، وذلك كما يوضحه الرسم الآتي[1]:



ذهب تشومسكي إلى أن المعنى يجب أن يخضع للتحليل العلمي الدقيق ويجب أن تندرج الدلالة في التحليل النحوي بوصفها جزءا مكملا لا يمكن الاستغناء عنه.

وحسب الرسم السابق تتألف النظرية النموذجية من القواعد الآتية[2]:

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص231.

[2] أحمد مومن: المرجع نفسه، ص 232.

أ)**المكون الأساسي**:ويشبه المكون المركبي للنظرية الأولى ويحتوي على:

- قواعد إعادة الكتابة التي تولد عددا غير متناه من البنى المركبية التحتية.
- يحتوي على مداخل معجمية مزودة بسلسلة من السمات المميزة مثل: حي إنسان، محسوس، مجرد، معدود...الخ.

وبعد إدراج الوحدات المعجمية نحصل على البنية العميقة للجملة.

ب)**المكون التحويلي**: له دور تحويل البنية العميقة إلى بينة سطحية من خلال عمليات الحذف، والزيادة، والتوسيع، والاختصار، وإعادة الترتيب، وهي بذلك لا تخرج عن هذه العلميات المستعملة في الرياضيات بكثرة:

أ) الحذف (délestions):أ + ب .....> ب

ب) الزيادة (addition) : أ .....> ب + جـ

ت) التوسع(expansion) :أ .....> ب + جـ

ث) الاختصار(réduction) :أ + ب .....> جـ

ج) إعادة الترتيب (permutation) : أ + ب .....> ب + أ

ح) الإحلال(remplacement) : أ .....> ب

ج)**المكون الدلالي**: يعد هذا العنصر مكونا أساسيا جديدا، أهمله تشومسكي في المرحلة الأولى كما أهملته اللسانيات التوزيعية من قبل فهو يشتق معنى الجملة من بنيتها العميقة بواسطة قواعد التفسير الدلالي.

د)**المكون الفونولوجي**: ويضم القواعد الفونولوجية التي تقوم باشتقاق التفسير الصوتي لكل جملة انطلاقا من بنيتها السطحية ثم تكتب برموز صوتية عالمية.

3)المرحلة الثالثة: النظرية النموذجية الموسعة:

ظهرت هذه المرحلة بظهور كتاب تشومسكي "دراساتالدلالة في القواعد التوليدية" عام 1972 (Studies on semantics in generative Grammar)، وقد ظهرت هذه المرحلة بعدما نشر تشومسكي ثلاثة مقالات مختلفة حول مكانة الدلالة

والبنية العميقة في نظريته والتي جمعت في هذا الكتاب—وعرفت هذه النظرية بالنظرية النموذجية الموسعة (Extended standart theory)- وفيها أعاد تشومسكي النظر في نظريته وعدلها من جديد وذلك بوضعه فرضيات جديدة لتبسيط القواعد التوليدية التحويلية، فربط التمثيل الدلالي بالبنية العميقة والبنية السطحية وذلك من خلال:

أ.قاعدة تفسيرية دلالية أولى للبنية العميقة

ب. قاعدة تفسيرية دلالية ثانية للبنية السطحية.

أصبحت -في هذه المرحلة – القواعد التحويلية لا تطبق إلا بعد إقحام الكلمات المأخوذة من المعجم في رسم أركان الجملة العميقة لأن التركيب العميق هو الذي يحدد الصورة الدلالية للبنية، ونتيجة لهذا أسقط تشومسكي من منهجه فرضية كاتز وفودور التي ترى أن القواعد التحويلية لا تغير المعنى، ونظرية كاتز وبوستال، كما حاول تشومسكي الربط بين التركيب والمعنى من خلال الإفادة من الرياضيات والمنطق والبيولوجيا بخاصة في موضوع القواعد الكلية، وذلك يظهر من خلال دراسته المعروفة بـ "مقالات في الشكل والتفسير" سنة 1977[1] وهي تعتبر مرحلة رابعة في نظريته.

وعرفت نظرية النحو التوليدي التحويلي ركودا واضحا إلى سنة 1980 حتى طبع كتابه "المعرفة اللغوية" وهو عبارة عن سلسلة من المحاضرات التي أنعشت ما قدمه تشومسكي من قبل فوضح قضية "الربط العاملي"وقد شرح هذا في مؤلفين هما:

1. محاضرات حول العامل والربط الإحالي (1981)
2. بعض متصورات نظرية العامل والربط الإحالي وآثارها (1982)[2].

التي حدد فيها الكثير من المصطلحات كالعلاقة بين اللسانيات البيولوجية والقواعد التوليدية ومفهوم النحو الكلي، وتبقى نظرية تشومسكي بما حملته من أفكار جديدة في تاريخ الفكر اللغوي بلا منازع من أهم النظريات التي عرفها اللساني لما أحدثته من أثر

---

[1] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 157.

[2] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 234.

منهجي ونظري ليس في الجامعات الأمريكية فقط بل في كل الجامعات الأوروبية والعربية...، وذلك من خلال سعيها إلى العالمية في مبادئها وقواعدها من أجل الجمع بين اللغات البشرية وتوحيد شعوبها بمحاولة وضع نحو كلي عالمي– حتى وإن لم يتحقق هذا الأمر– تبقى نظرية ناجحة في الحقل اللساني.

ونشير إلى أن النحو التوليدي يرتكز في الأساس على الجملة فإنه عندما يدرس الجملة المدمجة، يكون بذلك قد فتح المجال بالنسبة لمنظري نحو النص أن يمروا من مستوى الجملة إلى مستوى أعم وأشمل هو نحو النص الذي سنفرد له فصلا خاصا في هذه الأطروحة.

ونلاحظ أن هذه النظرية التي مثلت الثورة الثانية من ثورات اللسانيات الكبرى ثورة الدلاليات لم تسلم من الانتقاد كغيرها من النظريات اللسانية وهو ما أدى إلى ظهور الثورة الثالثة الكبرى في اللسانيات وهي الثورة التبليغية التي تزعمها "ديل هايمز" (Dil Hymes) عالم الاجتماع الأمريكي–الذي سنتحدث عنه لاحقا–.

5– التداولية وأفاق الدرس اللساني الحديث:

دخل علم اللسانيات الحديث منعطفا فكريا مهما نحو الانفتاح على مجالات معرفية مختلفة مثل: علم النفس، والفلسفة، والتاريخ، والأنثروبولوجيا، والثقافة... فكان الاعتناء باللغة المنطوقة والمكتوبة لأن في استعمالها تتجلى تلك الخصائص والمميزات حسب حال مستعملها وأهدافه، والمتلقي وما يتقاسمه الاثنان من آفاق مشتركة والتي لها آثارها المرجوة، فظهر في اللسانيات مجال جديد يعني بكل ذلك سمي بالتداولية[1] التي تقوم على مبدأ اللغة في الاستعمال مما يسهل عملية التواصل بين أفراد الجماعة تواصلا صحيحا مبنيا على عمليتي الإنتاج والفهم ودور السياق أو المقام في التواصل البشري، وتميز هذا الاتجاه بعنايته بالمتكلم والسامع والعلاقة بينهما، وما يرافق العملية الكلامية من حركات الجسد وتعبيرات الوجه، وكل من يشارك في الاتصال اللغوي، وظروف الحدث المكانية والزمانية، ومحاولة

[1] نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، ط1، العلمة، الجزائر، 2009، ص07.

كشف مقاصد المتكلم، وما يستلزمه التواصل من معان لا تستطيع النظريات الشكلية الكشف عنها أو تحليلها أو تفسيرها.

ونلاحظ أن التداولية بمفاهيمها المعاصرة وعلى الرغم من أنها نظرية لسانية حديثة إلا أنها حاضرة في تراثنا العربي، ولو بمصطلحات مغايرة أو مشابهة لها، ويعود الفضل في ذلك لعلمائنا القدامى الذين ساهموا في وصف التراكيب ورصد خصائصها وتفسيرها، سواء تعلق الأمر بالبلاغة العربية أو بالنحو وعلم الأصول... فقد بذل علماؤنا جهودا جبارة، أمثال: الخليل بن أحمد الفراهيدي، الجاحظ، الجرجاني، سيبويه، أبو هلال العسكري، ابن خلدون وغيرهم كثير.

5-1- مفهوم التداولية:

أ) **لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور: "ودواليك من تداولوا الأمر بينهم، يأخذ هذا دولة، وهذا دولة، وقولهم دواليك أي تداول بعد تداول"[1].

ورد في معجم مقاييس اللغة: "دول: الدال والواو واللام، أصلان، أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فأما الأول فقال أهل اللغة: أنذال القوم إذا تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، الدولة والدولة لغتان، ويقال بل الدولة في المال والدولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب: لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا"[2].

والدولة: انقلاب الزمان من حال البؤس والضر إلى حال الغبطة والسرور، وقيل بالضم انتقال النعمة من قوم إلى قوم، وبالفتح الاستيلاء والغلبة، وقد أداله إدالة، ومنه قول الحجاج: "إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها" قيل: معناه ستأكل منا كما أكلناها.

---

[1] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب ،دار صادر للنشر والتوزيع ، د.ط، ج5، بيروت، لبنان، ص 328.

[2] ابن فارس (أبو الحسن أحمد): مقاييس اللغة ،منشروات علي بيوض، دار الكتب العلمية، ط1، ج1، بيروت، لبنان، 1420هـ، 1999م، ص 426.

وتداولوه: أخذوه بالدول، وتداولته الأيدي: أخذته هذه المرة وهذه المرة، وقوله تعالى: "وتلك الأيام نداولها بين الناس" آل عمران [الآية:140][1]، فوردت في هذه المعاجم بمعنى الانتقال والتغير من حال إلى حال.

ب) اصطلاحا: إن التداولية أو البراغماتية (Pragmatique) توجه معرفي يعني بخصائص استعمال اللغة والدوافع النفسية للمتكلمين، وردود أفعال المستقبلين والنماذج الاجتماعية للخطاب وموضوعه، وذلك بمراعاة الخصائص التركيبية والدلالية[2]لتتحول مع "ج.ل أوستين" (J.L. Austin) إلى دراسة أفعال اللغة، ثم توسعت لتشمل نماذج الاستعمال والتلفظ وشروط التحليل الحواري.

ونجد مصطلحا آخر هو "الذرائعية (Paragmatisme) وهي نظرية تهتم بالفائدة العملية لفكرة ما من حيث هي معيار لصدقها، وهذا ما يتيح لنا ترجمة مصطلح البراغماتية بالذرائعية لأنها مدرسة فلسفية معروفة.

وهناك من يستعمل مصطلح التداولية للدلالة على البراغماتية وهي تعنى "البراكسيس" وتهتم بإدماج السلوك اللغوي داخل نظرية الفعل، وتهتم بالجانب التواصلي للغة[3]. وقد تعددت التسميات العربية المقابلة للمصطلح الأجنبي "pragmatique" فقيل: البراغماتية والبراغماتيك، البرجماتية والبراجماتيك، وقيل: التداولية، المقامية، الوظيفية، السياقية، الذرائعية، النفعية[4]، لكن في الواقع بين هذه المصطلحات توجد فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة.

ويعود أقدم تعريف للسانيات التداولية لشارل موريس (CH. Mauris) سنة 1938 إذ يعتبرها جزءا من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعمليها، وهي

---

[1] الزبيدي (مرتضى) : تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ج14، بيروت، لبنان، 1414هـ، 1994م، ص 245.

[2] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة،، ص 16.

[3] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 162.

[4] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، العلمة، الجزائر، 2009م، ص 65.

تعريف يتجاوز به مفهوم العلامة اللسانية إلى العلامة غير اللسانية وهو بذلك يتعدى المجال اللساني إلى السيميائي الذي يهتم بالمجال الحيواني والآلي.

ويعرفها "آن ماري دبير" (A.M.Diller) و "وفرانسوازريكاناتي" (FrançoiseRiccanati) بقولهما: "التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية فهي إذن تهتم بالمعنى كالدلالية وبعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها"[1] فالدلالة تتلخص في دراسة اللغة في الاستعمال وهنا تتجلى الوظيفة التواصلية كوظيفة أساسية للغة، وفي هذا السياق يعرفها "فرانسيس جاك" (F.Jack) بقوله: "تتطرق التداولية إلى اللغة الخطابية والتواصلية والاجتماعية معا"[2] لأن اللغة استعمال بين شخصين على الأقل، وفيها تتجلى الأفكار التي دعا إليها دي سوسير من قبل على اعتبار أن اللغة نظام يتواصل به بين أفراد المجتمع وهو ما أكد عليه" ابن جني" في تراثنا العربي عندما قال بأن حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.

وتعنى التداولية في الدراسات اللسانية بـأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق، وتشمل هذه المعطيات:

- معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته، وتكوينه الثقافي، ومن يشارك في الحدث اللغوي.
- الوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية والزمانية، والظواهر الاجتماعية المرتبطة.

والتداولية فرع من علم اللغة الحديث يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلمSpeaker intentions، وهو دراسة معنى المتكلم Speaker

[1] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 162.

[2] نعمان بوقرة: المرجع نفسه، ص 162.

meaningفقول القائل: أنا عطشان، مثلا قد يعني أحضر لي كوبا من الماء، وليس من اللازم أن يكون إخبار بأنه عطشان، فالمتكلم كثيرا ما يعني أكثر ما تقوله كلماته[1]، ويظهر لنا تعريف آخر "فرانسيس جاك" (Francis Jacques) إذ يقول: "تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية، تواصلية واجتماعية معا"[2].

ومن كل هذا نجد أن أوجز تعريف لتداولية وأقربه إلى كل هذه المفاهيم هو: "دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل"[3]، لأنه يركز على ارتباط المتكلم بالسامع وبالسياق.

ودراسة اللغة في الاستعمال جعل التداولية تستند إلى علم اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي، ومعالجة قيود صلاحية المنطوقات (أفعال اللغة) وقواعدها بالنسبة للسياق، ويتلخص ذلك في دراسة العلاقة بين المخاطب والمخاطب فموضوعها إذن هو التواصل البشري لهذا عرفها صلاح فضل بأنها ذلك: "الفرع العلمي المتكون من مجموعة العلوم اللغوية التي تختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة، ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام"[4].

فالتداولية هي جزء لا يتجزأ من اللسانيات تهتم بدراسة وتحليل عمليات الكلام والوظائف الناتجة عنها والتي تؤول في مجملها إلى الوظيفة التواصلية للغة فنحتاج إلى المرسل والمرسل إليه والعلاقات الناتجة من التأثير والتأثر بينهما حسب مقصد الكلام وهذا ما يجعل التداولية علما واسعا يجمع بين علوم مختلفة فهي ليست علما لسانيا صرفا بل تستند إلى اللسانيات وعلم النفس وعلم الاجتماع والبلاغة والنحو، فهي لا تتوقف عند بنية اللغة (صوت، صرف، تركيب، دلالة) بل تنطلق من النقطة التي تتوقف عندها اللسانيات وذلك بربط بنية اللغة بالسياق التواصلي.

---

[1] محمد أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الازاريطة ،د.ط، الإسكندرية ،مصر، 2005،ص.ص، 12-13.

[2] فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، دط، دت، ص .ص 9-10.

[3] محمد أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 14.

[4] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 162.

5-2- نشأة التداولية وتطورها:

التداولية علم جديد بأفكار قديمة الوجود وتعود كلمة التداولية في أصلها الأجنبي "Pragmatique" إلى الكلمة اللاتينية "Pragmaticus" والتي يعود استعمالها إلى عام 1440م ومبناها على الجذر "Pragma"، ثم صارت الكلمة بفعل اللاحقة "Ticus" تطلق على كل ماله نسبة إلى الفعل أو التحقق العملي، أما في الفرنسية فقبل أن تدخل إلى مجال الدراسات الفلسفية والأدبية فإنها استعملت في المجال القانوني، وتحديدا في عبارة pragmtique sanction وتعني المرسوم أو المنشور أو نحوه الذي يهدف إلى تسوية قضية هامة، باقتراح الحلول العملية والنهائية في الوقت نفسه، ثم كان توظيفها في مجال العلوم البحتة لتدل على كل بحث أو اكتشاف له صفة إمكانية التطبيق العملي، وفي وقت متأخر تسللت الكلمة إلى اللغة المستعملة في عبارات من مثل: هذا تفكير عملي، أو هو شخص عملي، للدلالة على أن شخصا ما ميال إلى إيجاد الحلول العملية والواقعية، لما قد يطرح من إشكاليات[1].

وتبقى جذور التداولية الأولى في مشروع "شارل بيرس" (Charl Birss) وفلاسفة اللغة، فقد ألقى جون أوستين (J.Austine) محاضراته عل طلبته في جامعة هارفرد في بداية الخمسينيات من القرن العشرين، كما اقترن ذكر التداولية -أيضا- باسم "وليام جيمس" (W.Djimse)، وكانت التداولية في بداية الأمر إحدى الفروع الثلاثة المكونة للسيميولوجيا التي تقوم على ثلاثة مكونات هي[2]:

1) **علم التركيب syntactics**: وهو يعني بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.

2) **علم الدلالة Semantics**: يهتم بدراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل إليها.

---

[1] نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، ص: 18.

[2] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص: 164.

3) **التداولية**: وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها.

تعمل هذه المكونات بشكل متكامل فلا يقوم التركيب إلا بتحديد العلاقات النحوية بين الدوال التي تربطها علاقات دلالية تهتم بالمعنى يحكمها الجانب البراغماتي للغة، والذي يحدد الشروط المناسبة التي تجعل الدال علامة بالنسبة للمتكلم وتصبح اللغة القائمة على أساس البنية التي تسيرها القواعد التركيبية والدلالية والتداولية.

وبوجه عام فإن الفلسفة عبر تياراتها المختلفة اتخذت من اللغة موضوعا لها لذا يقول: "فيجنشتين" :"إن المعنى الذي يقصده أي فرد منا بأية كلمة، لا ينكشف لنا إلا من خلال الأشياء التي يطبق عليها أو لا يطبق، تلك الكلمة، أعني من خلال المواقف التي تستخدم في سياقاتها تكتيك ذلك اللفظ، فالمرء حين يفكر فيما يقوله فإنه لا يفعل شيئا أكثر من كونه يعني ما يقوله"[1].

ويمكن أن نشير إلى برنامج "هانسون" (Hanssone) 1974: الذي يمثل إسهاما لا ينكر في تطوير الدرس التداولي، وهو أول من حاول التوحيد النسقي لها بتمييزه لثلاث درجات منها هي:

أ) **تداولية الدرجة الأولى**: هي دراسة للرموز تراعي المخاطبين ومحددات الفضاء والزمن، ويندرج ضمنها ما قدمه "بول كوشي" ومعالجة الرموز الإشارة عند "بارهيل" والمحاولة الاختزالية لـ: "رسل" (Rusel).

ب) **تداولية الدرجة الثانية**: المعنى الحرفي والمعنى المتواصل، وهي دراسة طريقة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفظ بها في الحالات المهمة، ويضم هذا النوع من التداولية: التضمين والاقتضاء والمعنى الحرفي والمعنى السياقي من وجهة نظر سيرل، والمعنى الحرفي والمعنى الموضوعي حسب "ديكرو" (Ducrot).

ت) **تداولية الدرجة الثالثة**: هي نظرية أفعال اللغة.

---

[1] نعمان بوقرة: المرجع السابق، ص 181.

وتبقى نشأة التداولية في ظل كل الإسهامات المعرفية اللسانية والفلسفية جعلتها تتميز بالتنوع والثراء، ولم تكن لتستقر إلا في السبعينات من القرن العشرين بعد الأعمال التي قدمها الفيلسوف الانجليزي "أوستين" (Austin) الذي رسخها في كتابه "كيف نصنع الأشياء بالكلمات" بالإضافة إلى أعمال "ج.سيرل" و "جرايس" وغيرهم كثير.

5-3- أهم المفاهيم التداولية:

ترتكز التداولية على مجموعة من المفاهيم التي لخصت مبادئها وأفكارها التي جاءت بها ومن أهمها ما يلي:

1) المقاصد: إن المقاصد من أهم المفاهيم التداولية، فالمتكلم لا يتكلم مع غيره "إلا إذا كان لكلامه قصد، وهذا القصد محدد عند المتكلم وثابت لا يتغير، وهو لذلك يتخذ من الوسائل الكلامية والمقامية ما يعين السامع على إدراك ما يريد، ولكن مراتب السامعين تتفاوت في إدراك مقصود المتكلمين تبعا لتفاوت قدراتهم العقلية واللغوية والثقافية[1].

ويرى جرايس أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال، وما يقصد، فيما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر، فالسامع قادر على أن يصل إلى هدف المتكلم استنادا إلى أعراف الاستعمال، فنشأت عنده فكرة الاستلزام الذي ينقسم إلى قسمين:

أ)استلزام عرفي: وهو قائم على ما يتعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات معينة مهما اختلف السياقات وتغيرت التراكيب.

ب)استلزام حواري: وهو يتغير بتغير السياق الوارد فيه فالمعنى لا يستقى من البنية وحدها، بل من الجانب السياقي أيضا، وهذا ما كان يشغل "جرايس"، فكيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخر؟ ثم كيف يكون ممكنا أن يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا

[1] محمد أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 89.

آخر؟ وقد وجد حلا لهذا الإشكال فيما أسماه بمبدأ "التعاون" بين المتكلم والمخاطب، وهو مبدأ حواري عام يشتمل على أربعة مبادئ هي:

- مبدأ الكم (quantity)
- مبدأ الكيف (quality)
- مبدأ المناسبة (Relevance)
- مبدأ الطريقة (Manner)[1]

2) نظرية أفعال الكلام:

استمرت الأفكار الفلسفية لكامبريدج في تحليلاتهم للمشكلات الفلسفية إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، لينتقل بعدها مركز التحليل إلى أكسفورد مع "جلبرت رايل" (J.Rail) وجان أوستين (Austin) و "بيتر ستراسون" (Straoson)، ويأتي الحديث عن أوستين (Astin) بالذات لأنه قام بتأثير من "فجنشتين" (L. Wittgenstein) بالرد على فلاسفة الوضعية في محاضراته التي ألاقاها في أكسفورد ما بين سنتي (1952-1954)، ومحاضرات أخرى في هارفرد سنة 1955م والتي جمعها "إرمسون" (Ermsson) سنة 1960 وعنونها بـ: ماذا نصنع بالكلمات ؟ (How to do things with words ?) حين رفض "أوستين" أن تكون اللغة مجرد وصف للوقائع الخارجية ويحكم على مقولاتها بالصدق أو الكذب بالنظر إلى المطابقة أو عدمها، فاللغة عنده شيء متصل اتصالا وثيقا بالطبيعة البشرية في جانبيها الرئيسيين: القوة الإبداعية والقدرة العقلية.

ولقد ميز أوستين بين نوعين من الأفعال في نظريته حول الأفعال الكلامية:

1. أفعال إخبارية تقريرية وصفية، ويمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب.
2. أفعال أدائية إنجازيه" تتميز باقتران الانجاز بالتلفظ[2].

---

[1] محمود أحمد نحلة: المرجع السابق، ص33.

[2] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 186.

فإذا كانت الجمل الوصفية (الإخبارية) تخضع إلى معيار الصدق أو الكذب فإن الجمل الانجازية تخضع إلى معيار النجاح أو الفشل، فتكون ناجحة إذا كانت موافقة لشروط انجازها، وفاشلة إذا غابت تلك الشروط، وهي شروط مقاميه بالدرجة الأولى.

ولضبط معيار نجاح أو فشل الجمل الانجازية، صاغ "أوستين" و"سيرل" جملة من المعايير يمكن تصنيفها إلى صنفين هما: معايير مقاميه ومعايير مقاليه[1].

ويتكون الفعل الكلامي حسب أوستين من ثلاثة أفعال هي:

أ) **الفعل اللفظي (النطقي) (Acte locutoire)**: ويتجلى في انتظام الأصوات المنطوقة في السلسلة الكلامية وفق تراكيب نحوية تحقق المعنى الذي يحيل إلى مرجع معلوم.

ب) **الفعل الانجازي (Acte illocutoire)**: وهو الفعل المتضمن في القول أي يمثله المعنى الإضافي الذي ينطوي خلف المعنى الأصلي أو الحرفي، وهو صلب العملية التواصلية.

ج) **الفعل التأثيري (Acte perlocutoire)**: وهو الفعل الناتج عن القول ويتمثل في الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي سواء كان سلوكيا ظاهرا أو لغويا[2].

ويتفرع الفعل الانجازي حسب أوستين في ضوء قياس القوة الانجازية التي تصاحب الأداء الفعلي للكلام إلى أصناف عدة وهي[3]:

- الأحكام (verdictive) ← قرار قضائي محاكمة...
- القرارات (executive) ← الإذن، التعيين، الحرمان...
- التعهد (comissive) ← الوعد، الضمان، التعاقد...
- السلوك (Behabitive) ←اعتذار، شكر، مواساة...

---

[1] يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، قسنطينة،الجزائر، 2005-2006م، ص 125.

[2] خالد خليل هويدي: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي، الأصول والاتجاهات، الدار العربية للعلوم ناشرون ومكتبة عدنان، ط1،، بيروت، لبنان 1433،هـ-2012م، ص 186.

[3] خالد خليل هويدي: المرجع السابق، ص 187.

- الإيضاح (Expositive) ← الاعتراض، تشكيك، إنكار، موافقة، تخطئة...

تطور النظرية الانجازية مع سيرل (J.Searl): ساهم سيرل في تطوير المفاهيم التي جاء بها أوستين وأضاف للفعل الانجازي باعتباره الوحدة الصغرى في الاتصال والتحليل اللساني، ومفهوم القوة الانجازية وإبراز دليلها المتمثل في نظام بناء الجملة، والنبر، والتنغيم، وعلامات الترقيم وصيغة الفعل والأفعال الأدائية، وكذلك أعاد "سيرل" صياغة شروط الملاءمة التي حددها "أوستين" وجعلها أربعة شروط هي[1]:

1) **شرط المحتوى القوي (Contenue propositionnelle)**:فللكلام معنى قضوي يقوم على مرجع ومتحدث به (خبر) أي هو المعنى الحرفي الأصلي للجملة.

2) **الشروط التمهيدية (Préparatoire)**: يتحقق هذا الشرط من خلال قدرة الفرد عل إنجاز الفعل لحظة الفعل.

3) **شرط الإخلاص (Sinceritive)**: إخلاص الفاعل في قدرته على الانجاز.

4) الشرط الأساسي (Esentielle): محاولة المتكلم إنجاز الفعل التأثيري.

وأفاد سيرل –أيضا– من تقسيم أوستين للفعل الانجازي فجعله خمسة أنواع وهي[2]:

- **التوجيهات (Directives)**← الأمر النصح، الاستعطاف، التشجيع، الطلب بأنواعه.
- **الإخباريات (Assertives)**← الوصف، تقرير الواقعة كما هي (صدق/كذب)...
- **التزامات (Commissives)** ← الوعد، الوصية.
- **التعبيريات (Expressives)** ← الشكر، التهنئة، الاعتذار، المواساة.
- **– الاعلانيات (Déclaratives)** ← إعلان، حرب، هدنة...

---

[1] خالد خليل هويدي: المرجع السابق، ص 188 .

[2] خالد خليل هويدي: المرجع السابق، ص 189.

ونشير أيضا إلى أن سيرل قد ميز داخل الجملة بين الفعل القضية أو الفعل القضوي، وهو الحمولة الدلالية المباشرة التي تحملها الجملة، وهو مستقى من المعجم، وهو معادل لمفهوم فعل القول لدى أوستين، وما يتصل بفعل القوة أو قوة مقصودة بالفعل، وعلى هذا الأساس صنف سيرل الانجازات اللغوية إلى صنفين هما:

أ) **الانجازات البسيطة:** وهي التي تواكب محتواها القضوي قوة إنجازيه واحدة، أي يكون قصد المتكلم مساويا للمعنى الحرفي للجملة.

ب) **الانجازات المعقدة:** وهي تلك الانجازات التي يقصد فيها المتكلم إنجاز جملة تواكبها قوتان انجازيتان على الأقل، قوة إنجازيه حرفية، وقوة إنجازيه مستلزمة مقاميا، ومن خلالها ميز "سيرل" بين الفعل اللغوي المباشر والفعل اللغوي غير المباشر[1].

ويؤكد "جون ليونز" (J.Lyons) على أنه "لا يغيب على البال أن فعل الكلام شامل للمنجز الكلامي"[2].

فتكلم اللغة أو كتابتها والتحدث بها يعني تحقيق أفعال لغوية، والتي أصبحت محط اهتمام الدراسات اللسانية النصية، ونجد الأفعال التداولية كإعطاء الأوامر، أو الأخبار أو التأكيد... تركز على النصوص باعتبارها أفعالا لغوية كالوعود والتهديدات والاستفهامات والطلبات والأوامر.

وقد اهتمت الدراسات التداولية بالأفعال اللغوية في ارتباطها بالمقاصد والنوايا في الخطاب، والتي تختلف باختلاف السياق، لأن القصد يحدد الغرض من أي فعل لغوي كما يحدد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها، وهذا ما يساعد المتلقي على فهم الرسالة الموجهة إليه، وبذلك يصبح القصد – الذي سبقت الإشارة إليه– شرط نجاح الفعل اللغوي الذي يجب أن يكون متحققا ودالا على معنى. والبحث عن مثل هذه

---

[1] يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص.ص 144-155.

[2] خالد خليل هويدي: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي، الأصول والاتجاهات ، ص 189.

الشروط يعد من "الوظائف الأساسية التداولية التي تتجاوز ذلك أيضا إلى البحث في المميزات المطلوبة في الجمل حتى نتمكن من استعمالها كأفعال لغوية"[1].

وستظل جهود كل من أوستين وسيرل تؤثر في الدرس اللساني التداولي والنظريات المختلفة التي جاءت بعدهم كنظرية النحو الوظيفي التي استفادت من كل المعطيات التي جاءت بها تداولية سيرل و أوستين، والتي سنتحدث عنها أكثر في الفصل الموالي.

[1] خالد خليل هويدي: المرجع السابق، ص 190.

الفصــل الأول

الاتجاه الوظيفي في الدراسات اللسانية الحديثة

1-مفهوم الوظيفة

2- مدرسة براغ

2-1- تروبتسكوي.

2-2- كارل بوهلر.

2-3-رومان جاكسبون

2-4- ربول

2-5- بوبر

2-6- أندريه مارتينيه

2-7- ايميل بنفنست

3- مدرسة لندن:

3-1- فيرثونظريته السياقية

3-2- مايكل هاليداي

4- الوظيفة عند الفلاسفة

5- تطور النظريات النحوية الوظيفية في الدراسات اللسانية الحديثة.

يتصل البحث في اللسانيات الوظيفية بمصطلح الوظيفة كمفتاح لولوج خباياها، فماذا يعني هذا المصطلح ؟وما هي أهم الاتجاهات اللسانية التي اهتمت بالمجال الوظيفي للغة؟

1- مفهوم الوظيفة:

1-1- لغـة:

- **الوظيفة في المعاجم العربية:**

ورد في لسان العرب لابن منظور: "*وظف*الوظيفة من كل شيء: ما يقدر له في كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب، وجمعها الوظائف والوظف، ووظف الشيء على نفسه ووظفه توظيفا: ألزمها إياه، وقد وظفت له توظيفا على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عز وجل.

والوظيف لكل ذي أربع: ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق، ووظيف يدي الفرس: ما تحت ركبتيه إلى جنبه، ووظيفا رجليه ما بين كعبيه إلى جنبيه.

وقال ابن الأعرابي: الوظيف من رسغي البعير إلى ركبتيه في يديه، وأما في رجليه فمن رسغيه إلى عرقوبيه والجمع من كل ذلك أوظفة ووظف. ووظفت البعير أظفه وظفا أصبت وظيفه.

الجوهري: الوظيف مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل ونحوهما، والجمع الأوظفة.

وقال الأصمعي: يستحب من الفرس أن تعرض أظفه رجليه وتحدب أوظفة يديه.

ووظفت البعير إذا قصرت قيده.

وجاءت الإبل على وظيف واحد إذا تبع بعضها بعضا كأنها قطار، كل بعير رأسه عند ذنب صاحبه.

وجاء يظفه أي يتبعه (عن ابن الأعرابي) ويقال: وظف فلان فلانا يظفه وظفا إذا تبعه، مأخوذ من الوظيف ويقال إذا ذبحت ذبيحة فاستوظف قطع الحلقوم والمريء والودجين، أي استوعب ذلك كله، هكذا، قاله الشافعي في كتاب الصيد والذبائح، وقوله:

أبقت لنا وقعات الدهر مكرمة ما هبت الريح والدنيا لها وظف

أي دول[1]".

ونجد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة وظف: "(وظف) الواو والظاء والفاء: كلمة تدل على تقدير شيء يقال وظفت له، إذا قدرت له كل حين شيئا من رزق أو طعام. ثم استعير ذلك في عظم الساق، كأنه شيء مقدر وهو ما فوق الرسغ من قائمة الراية إلى الساق.

ووظفت البعير، إذا قصرت له القيد، ويقال: مر يظفهم أي يتبعهم كأنه يجعل وظيفه بإزاء أوظفتهم"[2].

من خلال هذين المعجمين نجد أن مفهوم مصطلح الوظيفة ورد بعدة معان منها: تقدير الأمور الحيوية في حياة الإنسان والحيوان كالماء والطعام للإنسان والعلف للحيوان، وقد ارتبط المعني بالبيئة القديمة، وذلك في ارتباطها بالفرس وتحديد أعضاء جسمه، كما ارتبط بالإنسان المسلم وذلك حسب ما ذهب إليه الشافعي في قضية الالتزام بأداء واجب معين.

وقد ورد مصطلح وظيفة ومشتقاته في بعض القواميس الغربية كالآتي:

Fonctionnaire: موظف

Fonctionnelle: وظيفي (متعلق بوظيفة) فهي وردت هنا بمعنى العمل.

Physioligical: وظائفي، فسيولوجي

Physiologist: وظائفي: عالم بالفسيولوجيا.

Functionalism: وظائفية (مذهب فلسفي)

To employengage serivices or labor of takeon ; recruit ; to oppoint: وظف شخصا، استخدم عين

To invest: وظف مالا، استثمر

Job , office, post: وظيفة شغل، عمل، منصب، خدمة.

---

[1] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، ، ج6، ص 4870.

[2] ابن فارس (أبو الحسن أحمد): مقاييس اللغة، مكتبة الخانجي ،القاهرة، ج6، ط3، 1402 – 1981م، ص 122.

Function: مهمة، وظيفة

School assignent, home work: وظيفة فرض.

وردت هذه المصطلحات للدلالة على علم وظائف الأعضاء.[1]

Physiology: علم وظائف الأعضاء، علم الوظائف.

Fonctionnel: وظيفي[2]

Faire fonction de jouer un rôle de serrer de personnes ou choses, rôle d'un organe, d'une cellule dans être, les fonctions digestives[3].

وردت الوظيفة في هذا التعريف بمعنى الدور الذي يؤديه كل عنصر.

« Fonction syntagmatique d'un mot, sa relation avec les autres mots d'une phrases, d'une proposition, d'un groupe des mots, fonction sujet »[4]

ووردت الوظيفة في هذا التعريف بمعنى الوظيفة النحوية للكلمات وعلاقاتها بالكلمات الأخرى في الجملة وباقي العناصر ومجموعات الكلمات، وهذا يتماشى مع مفهوم الوظيفة التركيبية كعلاقات نحوية قائمة بين العناصر.

---

[1] **Dictionnaire ALmanhal, français – arabe, par Dr SOUHEIL IDRISS , Dr JABOUR ABDEL**

[2] قاموس المورد (عربي، انجليزي) روحي البعلبكي، دار العلم للملايين، ط6، لبنان،1994، ص 1239.

[3] **Dictionnaire du français 3700 mots précis de grammaire tableau, de conjugaison de verbes réguliers et irréguliers alphabet phonétiques international .répertoire historique et géographiques des langues ,Imprimé en France , par imprimerie Herissey ,é dition N2,nouvelle nouvelle édition1995,p470**

[4] **Dictionnaire du français 3700 mots précis de grammaire tableau, p470**

1-2- اصطلاحا:

ترجع جذور استعمال هذا المصطلح عموما إلى" العلوم البيولوجية إذ يعتبر جسم الإنسان نظاما كليا يحتوي على مجموعة من الأعضاء ويقوم كل عضو بدور مهم"[1].وقد تأثرت العلوم اللغوية بهذا المفهوم، إذ نجده ارتبط باللسانيات الوظيفية التي تصنف الظواهر اللغوية على اختلافها انطلاقا من وظيفتها الأساسية، وظيفة التواصل أو التبليغ.ويمكن إرجاع المفاهيم المرتبطة بالوظيفة عموما إلى مفهومين اثنين هما:

- الوظيفة كعلاقة.
- الوظيفة كدور.

أ) الوظيفة العلاقة:

أي العلاقة القائمة بين مكونين أو مكونات في المركب الاسمي أو الجملة، والوظيفة بهذا المعنى متداولة في جل الأنحاء (بما فيها الأنحاء الصورية)، مع اختلافها من نحو إلى آخر، ففي الأنحاء الصورية التقليدية تستعمل للدلالة على العلاقات التركية كعلاقات الفاعل والمفعول غير المباشر، أما في الأنحاء ذات المنحى الوظيفي يستخدم للدلالة على كل العلاقات التي يمكن أن تقوم داخل المركب، ومثال ذلك أن النحو الوظيفي يميز بين ثلاثة مستويات من الوظائف: وظائف دلالية (منفذ، متقبل، مستقل، زمان، أداة)، وظائف تركيبية لفاعل مفعول، ووظائف تداولية(محور، بؤرة،...)[2].

وهذه الوظائف تكون علاقات مشتقة حين تحدد على أساس موقع المكونات داخل بنية تركيبية معينة، وتكون أيضا الوظائف علاقات أولى (غير مشتقة) إذا هي حددت في البداية.

---

[1] حسن كمال مكاوي وليلى حسن السيد: الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المحمدية اللبنانية، لبنان، ط2، 2004، ص 266.

[2] أحمد المتوكل :التركيبات الوظيفية (قضايا ومقاربات)، مكتبة دار الأمان ، الرباط، المغرب، ط1، 1426 – 2006، ص 22.

ب) الوظيفة الدور:

هو المفهوم الثاني للوظيفة ويقصد به "الغرض الذي تسخر الكائنات البشرية اللغات الطبيعية من أجل تحقيقه"[1].

ونشير هنا إلى أن مفهومي العلاقة والدور بالنسبة للوظيفة مفهومان متباينان، فالعلاقة رابط بنيوي قائم بين مكونات الجملة أما الدور يرتكز على اللغة باعتبارها نظاما،وهذا الاختلاف لا يلغي الترابط الموجود بين العلاقة والدور ولهذا الترابط وجهان أساسيان حددهما أحمد المتوكل بالعنصرين التاليين[2]:

- في الأنحاء التي تعتمد مبدأ وظيفة اللغة، فللغة دور معين تسخّر لأجله كدور تحقيق التواصل بين مستعمليها، وتضاف إلى الوظائف التركيبية والدلالية وظائف أخرى يمكن تسميتها وظائف تداوليه (المحور، البؤرة..).
- تتخذ الوظائف صفة وظائف أولى (غير مشتقة)، وهي تسند للغة دورا معينا وخاصة دور تحقيق التواصل.

إلا أن هذا الأمر لا يمكن أن يعمم فبإمكان الوظائف ذات العلاقات الأولى في نحو غير وظيفي أن يكون لها الدور الكبير الذي يؤخذ بعين الاعتبار في وصف الظواهر اللغوية وتفسيرها.

دور اللغة وظيفة أم وظائف؟

إن الاختلاف بين اللسانيين وفلاسفة اللغة العادية يكمن في البحث عن دور اللغة هل هو وظيفة واحدة أم وظائف؟ ويمكن أن نلخص ذلك في النقاط التالية:

دار نقاش شهير بين تشومسكي (1975) زعيم المدرسة النحوية التوليدية والتحويلة مع فلاسفة اللغة (أوستين وسيرل) رواد الاتجاه التداولي حول وظيفة اللغة التي ليست بالضرورة وظيفة التواصل حسب تشومسكي لأنها وظيفة التعبير عن الفكر وحجته في ذلك قوله:

---

[1] أحمد المتوكل :المرجع السابق، ص 23.

[2] أحمد المتوكل : المرجع نفسه، ص24.

"قد نكتب نصا مادون أن نكون عازمين على نشره أو مخاطبة أحد ما به على الإطلاق[1]".وهذا الرأي لا يتماشى مع ما ذهب إليه اللسانيون وفلاسفة اللغة، وغيرهم لأن دور اللغة الأساس هو التواصل بين البشر.

إذا كانت للغة وظيفة أساسية هي التواصل فهل هي الوظيفة الوحيدة أم لها وظائف أخرى؟

يرى بعض اللسانين أن للغة وظائف متعددة لا وظيفة واحدة، فوضع جاكبسون كما هو معلوم للغة ست وظائف وهي المرجعية :(الإحالية أوالتمثيلية) والتعبيرية والتأثيرية والشعرية والمتالغوية، واللغوية، ويذهب "هاليداي" (1970) إلى أنه هناك ثلاث وظائف أساسية للغة وهي التمثيلية والعلاقية والنصية.

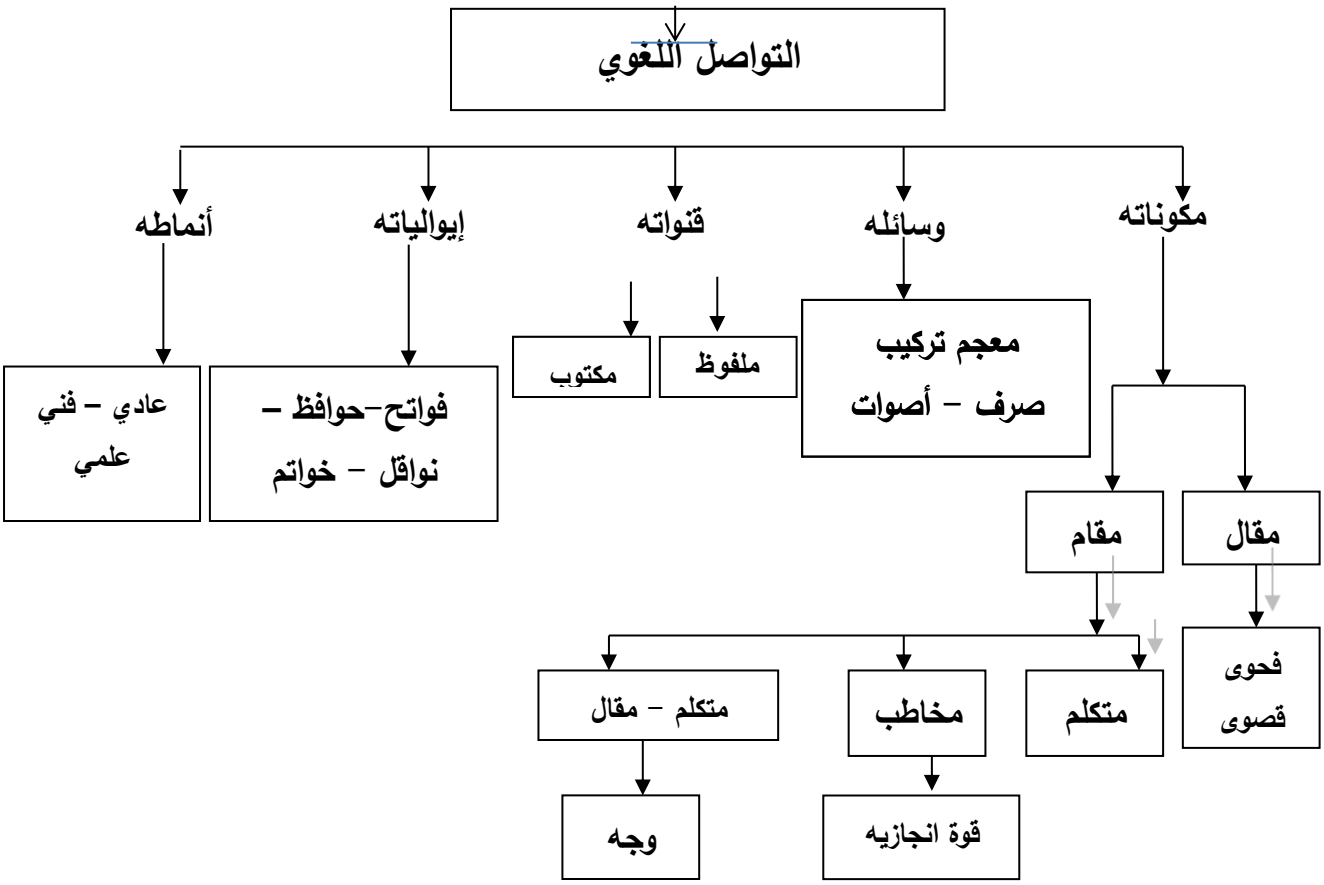
وقد ميز "سيمون ديك" عام 1968في النحو الوظيفي بين وظيفة التواصل التي تعد أصل كل الوظائف التي تؤديها اللغة وهي وظائف دلالية (منفذ، مستقبل، متقبل) ووظائف تركيبية (فاعل، مفعول) ووظائف تداولية داخلية (البؤرة والمحور) وخارجية (المبتدأ والذيل) ويعلق أحمد المتوكل على هذه الوظائف بقوله: "للغة وظيفة واحدة هي وظيفة التواصل، أما وظائف هاليداي ووظائف جاكبسون فمن الممكن عدها أنماطا من أنماط التواصل المتعددة"[2] .ويلخّص بذلك مقومات عملية التواصل اللغوي في هذا المخطط:[3]

---

[1] أحمد المتوكل :المرجع السابق، ص 24.

[2] أحمد المتوكل :المرجع نفسه، ص 25.

[3] أحمد المتوكل :المرجع نفسه، ص. ص25 -26.



وعكس لنا هذا المخطط أهم مقومات عملية التواصل، فمن الواضح إمكان إدراج ما عده جاكبسون وهاليداي وظائف في هذه الخانات التواصلية، كإدراج الوظيفتين التمثيلية و"المرجعية" في المقال الوظائف "العلاقية" و"التعبيرية" و" التأثيرية" في المقام والوظيفية "اللغوية" في الإيواليات ويمكن إدراج الوظيفتين: الشعرية والميتالغوية في الخانة الأخيرة.وبهذا اختلف منظور اللسانيات اختلافا كبيرا سنوجز أهم محاوره في المبحث الموالي.

2)مدرسة براغ: المدرسة الوظيفية:

بعد أن وضع "سوسير" المبادئ الكبرى للّسانيات الحديثة، برزت مدارس لسانية أخرى حاولت مواصلة البحث وتطويره، والتي من بينها مدرسة "براغ" المدرسة الوظيفية"، التي ظهرت عام 1926 عندما دعا إلى تأسيسها "فيلم ماتزيوس" (W.Mathesius) (1882 – 1945)[1]،حيث قام مجموعة من الباحثين في علم اللغة في تشيكوسلوفاكيا –سابقا- بتكوين حلقة دراسية ضمت عددا كبيرا من الباحثين اللغويين من أقطار مختلفة منها: روسيا وهولندا وألمانيا وانجليترا وفرنسا ومن بينهم نجد:رومان جاكبسون ونيكولاي تروبتسكوي وكارل بوهلر وجان موكاروفسكي وماثزيوس وترنكا وهافرانيك وفاشيك وسكاليكا وأندريه مارتينيه وبنفنست ورينيه ويليك[2] اللذين صاغوا أهم المبادئ وتقدموا بها إلى المؤتمر الدولي الأول لعلماء اللغة في "لاهاي"سنة 1928 تحت عنوان " النصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية"، ليقدموا في العام التالي الجزء الأول من الدراسة الجمالية بعنوان "الأعمال" ، وفي عام 1930 ظهرت أول دراسة منهجية في تاريخ أصوات اللغة، قدمها "جاكبسون"، ثم تواصلت المؤتمرات وتبلورت في ثمانية أجزاء عن أعمال حلقة براغ حتى عام 1938، وهي السنة التي حلت فيها الحلقة لأسباب مجهولة وقد تبنت مبادئها ومفاهيمها المدرسة الفرنسية على يد كل من أندري "مارتيني" و"إميل بنفنست"[3].

وقد تأسست مدرسة "براغ" (prague circle) من خلال المبادئ التي أرسى دعائمها "دوسوسير" خاصة بعد عام 1928 عندما تبنى اللسانيون في مؤتمر "لاهاي" المنهج الوصفي بدلا من المنهج المعياري أو التاريخي في دراسة اللغة، وذلك بتركيزهم على الصوتيات

---

[1] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 82.

وينظر فاطمة طبال بركة: النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 1993، ص 259.

[2] بن زروق نصر الدين: دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، ص 92 وص 93 وينظر: يوسف وغليسي :إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي ، ص 115.

[3] نعمان بوقرة : اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة ،ص 83.

ووظائف اللغة أو المهام التي تؤديها اللغة أي أنهم عملوا برأي "دي سويسر" الذي دعا إلى الاهتمام بالعالم الداخلي للغة (الأصوات)، وتناولوا العلاقة بين اللغة والواقع غير اللغوي.

و في بحثهم ميزوا في الدراسات الصوتية تمييزا شديدا بين ثلاث زوايا ينظر منها إلى الصوت اللغوي وهي:[1]

أ) من زاوية المتكلم:

وهو ما أوجد دراسة متخصصة في الصوتيات عرفت باسم علم الأصوات النطقي، وهي ذات طابع فيسيولوجي، يتم التركيز فيها على جهاز النطق وأعضائه، ووظيفية كل عضو منها ومدى تأثيره في نطق الصوت اللغوي وكذلك وصف العمليات البيولوجية التي تصاحب النطق.

ب) من زواية السامع (المتلقي):

ظهرت دراسة أخرى هي علم الأصوات الإدراكي أو السمعي وله أيضا طبيعة فيسيولوجية إذ لا يكتفي بمعرفة جهاز النطق أو الجهاز السمعي والوقوف على مراحل انتقال الصوت ؛من الصوان عبر الممر (السمعي) (الدهليز أو الصماخ) إلى الأذن الوسطى، فالعظيمات الثلاث، وغشاء الطبلة ثم الأذن الداخلية بكل ما يكونها من (أعصاب وألياف) فتنتقل الذبذبات الصوتية إلى مخ الإنسان وما فيه من أجزاء،بل تقوم باستقبال الصوت ومعالجة الوحدات الصوتية وتفسيرها والاستعداد للقيام بالرد على الكلام المسموع بالأفعال،و الكلام أو الفعل النفسي.

ومن مهام علم الأصوات الإدراكي ما يلي:

- تصنيف الأصوات سمعيا.
- معرفة القوي منها من الضعيف والشديد من الرخو، والمهتز من غير المهتز، والمجهور من المهموس.

[1] إبراهيم محمود خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص .ص .ص21، 22، 23.

- معرفة الصوت الناتج عن ذبذبات كثيرة منتظمة من الصوت الناتج عن ذبذبات غير منتظمة وتأثير ذلك كله في الوضوح السمعي.

ج) من زاوية الوظيفة:

وتتمثل هذه الوظيفة في بناء مركبات صوتية أكبر تتكون من فونيمات لأن الفونيم هو أصغر وحدة صوتية يسهم مع غيره في بناء وحدة صوتية أكبر وهي المقطع (Syllabe) أو المورفيم الصرفي (Morphème) أو يساهم في تمييز مقطع عن آخر.وهذا ما يؤثر في تغيير معنى العلامة اللغوية جاعلا منها في بعض الأحيان، صيغة صرفية أو اشتقاقية جديدة، كتحويل المفرد في كلمة (Cat) إلى جمع (cats) أو الاسم إلى فعل.

ويعرف هذا الحقل من البحث الصوتي باسم " علم الأصوات الوظيفي" والفونولوجيا (Phonologie).

وفي هذا الصدد قدمت " حلقة براغ" دراسات كثيرة في مجال الفونولوجيا ومن أشهر أعلامها " تروبتسكوي وجاكبسون" اللّذين برعا في الربط بين وظائف الصوت اللغوي والصرف والاشتقاق، فقد لاحظوا أن للفونيم أثرا واضحا ودورا كبيرا فيما يعرف بالمورفيم المقيد، وهو الوحدة الصوتية الصغرى التي لا وظيفة لها مستقلة عن الوحدة الأكبر منها (المورفيم الحر)، لكنها إذا أضيفت للكلمة، واتخذت بها كانت لها وظيفة إما صرفية مثلما مر معنا عندما أشرنا للكلمة (cats) وذلك أن الصوت (S) غير الكلمة من الدلالة على المفرد إلى الدلالة على الجمع، وذلك إذا أدى المورفيم إلى تغيير الصيغة الصرفية من الفعل إلى الاسم أو العكس، أو أدى إلى تغيير المعنى.

كما عني البراغيّون " بوظائف اللغة" –التي نركز عليها في بحثنا هذا – والتي انبثقت من فكرة أن اللغة أداء أكثر منها موضوعا، فاهتموا بالجانب العملي لها الحاصل في الكلام[1].

[1] رايص نورا لدين : نظرية التواصل، ص 74.

وقد وضح " سامسون" (Samsson) نظرة أصحاب هذه المدرسة إلى اللغة على أن "اللغة عبارة عن محرك، وعلى اللسانيين أن يدركوا ما هي الأعمال التي تقوم بها المكونات المتخلفة للمحرك، وكيف أن طبيعة المكون الواحد تحدد طبيعة المكونات الأخرى"[1].

شبه "سامسون" اللغة بالمحرك الذي يتكون من عناصر مختلفة متضافرة فيما بينها، لذا يجب أن تدرس اللغة "كنظام له وظيفة وغاية محددتان هما: الجانب التعبيري والتواصلي،

ومن ثم يعتمد هذا الأخير وسائل معينة لبلوغ هذا الهدف"[2].وهذا ما نجده عند جاكسبون الذي اهتم بوظائف اللغة عندما قام بالتمييز بين نوعين من اللغات هما:

1. **اللغة المعيارية:** "وهي اللغة المحايدة التي تلفظ أو تكتب بقصد توصيل رسالة (معلومة) معينة... وميزتها أنها تتوخى الدقة والنفعية والبعد عن الجماليات..."[3].
2. **اللغة الشعرية الأدبية:** هي عكس السابقة تهتم بـ: "المجاز والخيال، والتفنن الذي يتجاوز المنفعة والدقة، والدقة في التعبير، إلى جعل الرسالة الملفوظة أو المكتوبة، هي ذاتها، عملا جميلا"[4]، وهو ما ركز عليه في الوظيفة الشعرية للغة.

***مبادئ المدرسة الوظيفية:**

عنيت مدرسة براغ بالاتجاه الوظيفي الذي يهتم بكيفية استخدام اللغة بوصفها وسيلة اتصال يستخدمها الأفراد للتواصل ولأهداف وأغراض معينة، فتبرز الوظيفة التواصلية كوظيفة أساسية تؤديها اللغة. وفي هذا الصدد يقول أندريه مارتينيه: "إن الوظيفة اللغوية تتمحور في الحقيقة عملية التواصل أو عملية التفاهم المتبادل "فاللغة هي قبل كل شيء الأداة التي يتوسلها أفراد المجتمع لإقامة الاتصال بعضهم ببعض"[5].

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 137.

[2] حنيفي بن ناصر ومختار لزعر: اللسانيات منطلقاتها النظرية و تعميقاتها المنهجية ، ص 52.

[3] إبراهيم محمود خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص 21.

[4] إبراهيم محمود خليل: المرجع نفسه، ص 24.

[5] إبراهيم محمود خليل : المرجع نفسه، ص 24.

ونلاحظ أن هذه الوظيفة ترتبط بتطور اللغات عبر الأزمنة نظرا لما تقتضيه الحياة الاجتماعية من حاجات التواصل، ومن أهم المبادئ التي قامت عليها المدرسة ما يلي:

أولا– الجمالية:

إن الفيلسوف "جان موكاروفسكي" من أهم الدارسين الذين وضعوا المبادئ الجمالية للمدرسة والتي من أهمها:

1. **طبيعة الفن السيميولوجية:** قام هذا المبدأ على أن فهم علم الجمال البنيوي يتحقق في إطار علم السيميولوجيا لأن الأمر لم يبقى مقتصرا على الأدب بل تعدى إلى دخول تحليلات اجتماعية ونفسية، لذلك أصبح شاملا لشخصية الفنان والبيئة الداخلية للعمل الفني معا.
2. **علاقة الفن بالمجتمع:** الاهتمام بدراسة الرمز والعلامة ودلالتها.
3. **دور الفاعل في الفكر الوظيفي:** لا يتجسد الفاعل الذي يظهر في الأعمال الأدبية والفنية في شخص واقعي، ولا في شخصية المؤلف، وهو ما أدى إلى تخلص البنيوية الجمالية من وهم الفاعل المستقل الذي سيطر على مجمل الأحداث وقصرته على نطاق الوظائف التي يقوم بها، وهو ما توضحه بنية العمل الفني.
4. **خواص الوظيفة الجمالية وعلاقتها بالوظائف الأخرى:** رفض فلاسفة "براغ" تبعية الفن للتطور الاجتماعي، رغم اعترافهم بالقوى الخارجية التي تمارس تأثيرا على الأبنية الفنية، لأن هذا الأمر يخضع للعوامل الجمالية المنبثقة من الفن في حد ذاته وعليه يجب أن نفرق بين واقعين هما:

– واقع الرمز (العلامة).

– الواقع الذي يشير إليه هذا الرمز.

واتحاد الرمز وما يشير إليه هو الذي يمثل الفن، لذا حرص الدارسون على استقلالية الرمز وقدرته التواصلية في حدود السياق الاجتماعي ومقتضياته السياسية والاقتصادية والفلسفية.

ثانيا– اللسانية:

من أهم مبادئها:

1) يرى جاكبسون أن استغلال الفوارق الصوتية يؤدي للوصول إلى القدرة التعبيرية للقول الانفعالي.

2) للأصوات طاقة تعبيرية خاصة ، لها دور مهم في إدخال تعديلات على الكلمات والأنظمة السياقية والموسيقية.

3) البنيوية اللسانية كل شامل، ينتظم وفق مستويات محددة.

4) الواقع عبارة عن نظام سيميولوجي رمزي، بحيث يمكن المتحدث أن يعبر باللغة التي يستخدمها عن العناصر الواقعية المحددة والذهنية المجردة، فيمكن أن تقوم الكلمة مقام الجملة للتعبير عن الهدف نفسه.

5) رأت هذه المدرسة أن القاموس ليس مجموعة من الكلمات المنعزلة، بل هو نظام تتناسق في داخله هذه الكلمات وتتعارض فيما بينها[1].

- **منهجها:**

يرى أعضاء مدرسة "براغ" أن المنهج التاريخي لا يجدي نفعا، لأنه يقتصر على دراسة تطور اللغة، وتغيّر عناصرها عبر التاريخ، فاللغة هي نظام لا يمكن الفصل بين عناصره انطلاقا من مبدأ "دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها".

وعليه فإن منهجهم ينطلق من "تحديد اللغة باعتبارها نظاما وظيفيا يهدف إلى تحقيق التواصل والتعبير، الذي يقتضي أن تحمل العناصر اللسانية شحنة إعلامية"[2].

ومدرسة براغ وجهت البحث اللساني إلى ميادين لم تظهر إلا في العقدين السادس والسابع من القرن العشرين وتتمثل إسهاماتها في[3]:

1. دراسة الوظيفة الأساسية للغة، والتي تتمثل في الوظيفة التواصلية.

---

[1] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص .ص 99 – 100.

[2] نعمان بوقرة :المرجع نفسه، ص 101.

[3] نعمان بوقرة : المرجع نفسه، ص .ص 101 – 102.

2. اللغة حقيقة واقعية، ذات واقع مادي يتصل بعوامل خارجية كثيرة، (السامع ، موضوع الاتصال أو الكلام) وهذا ما يستوجب التفريق بين لغة الثقافة ولغة الأعمال الأدبية ولغة المجالات العلمية والصحف، ولغة الشارع.
3. تتصل اللغة بمظاهر عملية ونفسية للشخصية الإنسانية، فيجب على البحث اللساني أن يحيط بالعلاقة بين بنية اللغة والأفكار والعواطف التي يعبر عنها.
4. تحتاج اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة إلى دراسة علمية واضحة لأن لكل لغة خصائصها.
5. يجب أن يتجه البحث الفونولوجي إلى دراسة التقابلات الفونيمية، ولا ينبغي الفصل بين الظاهرة المورفولوجية والظاهرة الفونولوجية.
6. التركيز على البحث الوصفي دون استبعاد الدراسة التاريخية لأن النظام اللساني لابد أن يكون تاريخيا في ضوء الوصفية.

يجب أن يتخلص المنهج المقارن في اللغة من محدودية الملاحظة وهو ما يمكن الباحثين من بناء أنماط مميزة للغات.

ونظرا لاهتمام الباحثين في هذه المدرسة بالجانب الوظيفي للأصوات وهي بداية صريحة لتبلور الأفكار حول (الوظيفية) وظائف اللغة، سنقصر الحديث عن أهم الأعلام البارزيين في هذا المجال وهم: تروبتسكوي، كارل بوهلر، ورومان جاكبسون، وأندريه مارتينيه وايميل بنفنست.

2-1نيكولاي سيرجفيتش تروبتسكوي (1890 – 1938)

تندرج أفكار تروبتسكوي في إطار المفهوم الوظيفي الذي نادتبه مدرسة "براغ" والذي ينظر للغة على أنها: " تنظيم وظيفي قائم على وسائل تعبيرية، مستعملة بهدف إقرار غاية معينة"[1] لذا شملت دراسته كل المستويات اللسانية الفونولوجية والصرفية والمعجمية.

فتروبتسكوي هو أول من أسس لعلم الأصوات الوظيفي (Phonologie) الذي "يعني بدراسته الأصوات اللغوية أثناء التأدية الفعلية للكلام، أو بعبارة أخرى يدرس الأصوات

[1] نعمان بوقرة: المرجع السابق، ص 103.

باعتبارها عناصر وظيفية"[1]، ويتجلى هذا من خلال كتابة "مبادئ الفونولوجيا" الذي أصدره سنة 1939، والذي ترجم إلى اللغة الفرنسية سنة 1940[2]، والذي احتوى على:

1. مبادئ الفونولوجيا.
2. مناهج تحليل السمات القطعية والفوق قطعية.

3. دراسات حول الفونولوجيا الإحصائية والفونولوجيا التاريخية.

كما اهتم تروبتسكوي بالعلاقات القائمة بين الفونولوجيا والنحو والصرف التي أطلق عليها إسم "المورفو–فونولوجيا" بالإضافة إلى عنايته الواضحة بتطوير "الفونيم" الذي يعرفه بقوله: "الفونيم هو أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس"[3] وهو عبارة عن "النماذج الصوتية التي لها القدرة على تميز الكلمات، وأشكالها، والأنماط الصوتية المستقلة التي تميز الحدث الكلامي عن غيره من الأصوات "[4].

ومن هذا المنطلق أصبح الفونيم يؤدي وظيفة أساسية وهي الوظيفة التمييزية للوحدات الفونولوجية، وتظهر هذه الوظيفة بشكل جلي أثناء حذف الفونيم من الكلمة واستبداله بآخر فيتغير المعنى مثل: قال /صال/جال.

فاستبدال فونيم القاف في كلمة /قال/ بالصاد فتصبح الكلمة /صال/ واستبدال الصاد بالجيم تصبح /جال/ وهذا الاستبدال يبرز قدرته الوظيفية على التمييز بين معنى الكلمات،ومن هذا المنطلق أصبح هذا التحليلي الفونولوجي بارزا في الدراسات البنيوية لأن تروبتسكوي فرق بين علم الأصوات وعلم وظائف الأصوات أو الفونولوجيا لأن الأول: "هو العلم الذي يحلّل ويصف أصوات اللغة وهي في حالة تجريد، وهي مستقلة عن غيرها، ومعزولة عن البنية اللغوية"[5].

---

[1] بن رزوق نصر الدين: دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، ص 10.

[2] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص88.

[3] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 103.

[4] نعمان بوقرة :المرجع نفسه، ص 104.

[5] نعمان بوقرة:المرجع نفسه ،ص 105.

والثاني: "هو العلم الذي يعالج الظواهر الصوتية انطلاقا من وظيفتها داخل البنية اللسانية"[1] فبنية اللغة عبارة عن تنظيم وظيفي قائم على وظيفة الأصوات.
وضع "تروبتسكوي" مجموعة من القواعد تتعلق بالفونيم منها:

الفونيمات التي تنتمي إلى اللسان نفسه والإطار نفسه ولا يمكن لأحد منها أن يحل محل الآخر فالفونيم حسب تروبتسكوي هو عبارة عن النماذج الصوتية التي لها القدرة على تمييز الكلمات وأشكالها .

يؤدي الفونيم وظيفيتين هما:

أ- وظيفة إيجابية: حينما يساعد على تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه.

ب- وظيفة سلبية: عندما يحتفظ بالفرق بين كلمة ما من حيث المعنى والكلمات الأخرى، ومثال ذلك حرف النون في اللغة العربية يشترك مع غيره من الفونيمات في كلمة نام لتحديد معناها ومدلولها وهي الوظيفة الإيجابية، أما الوظيفة السلبية فتتمثل في حفظ كلمة نام مختلفة عن قام، صام.[2]

وتظهر الوظيفة الإيجابية، أثناء حذف الفونيم من الكلمة واستبداله بآخر –في تغيير الدلالة- كما سبقت الإشارة في تبديل الفونيمات، وهذه الأفكار التي جاء بها تروبتسكوي حولت الدرس الصوتي من الجزئيات المعزولة إلى النظام الوظيفي الذي يتجلى من خلال العلاقات المختلفة.

ويقوم التحليل الفونولوجي عنده على مجموعة من الأسس هي:

- الفونيم أصغر وحدة فونولوجية، وهو علامة لسانية تحمل المعنى.
- الفونيمات التي تنتمي إلى لغة واحدة، متضادة فيما بينها، ويعبر عنها بواسطة عناصر الحركات والصوامت والإيقاع.
- للتضاد الفونولوجي أنواع هي:

---

[1] نعمان بوقرة :المرجع نفسه، ص 106.

[2] نعمان بوقرة :المرجع نفسه، ص 105.

أ- التضاد السالب "Privative opposition":

أطلق اللسانيون العرب على هذا النوع من التضاد اسم التقابل الحرماني، وفيه يوجد تماثلا كبيرا بين الفونيمين، ولكن أحدهما يتضمن سمة صوتية غير موجودة في الطرف الآخر، ومثال ذلك : /س/ و/ز/، /ث/ و/ذ/ حيث أن الصوت الأول من كل زوج صوت مجهور والصوت الثاني صوت مهموس[1].

فالتضاد السالب يكون بوجود صفة في فونيم غير موجود في فونيم آخر يماثله في أغلب الصفات كصفة الجهر والهمس...

ب- التضاد التدريجي (Graduelopposition):

تشمل الأطراف المتضادة على درجات متفاوتة لخاصية معينة من الميل، كدرجة انفتاح أعضاء النطق عند التفوه ببعض الصوائت مثل: /أ/، /و/، /ي/ في العربية وصوائت كثيرة من اللغات الأوروبية مثل:/ae/ ,/e/ ,/I/ ويظهر التضاد المتدرج في الفونيمات التي تحتوي على الصفة ذاتها مثل صفة الطول في الصائت الطويل والصائت القصير.

ج- التضاد المتكافئ (Equipollent opposition):

لكل طرف في هذا التضاد سمة مميزة لا توجد في الأطراف الصوتية الأخرى وذلك كالتضاد بين /P/ ,/T/ ,/K/ ، وكذلك بين الزوجين /م/، /ع/ و/ب/ /خ/ ويظهر هذا النوع من التضاد في الفونيمات التي لها سمة مميزة لا توجد في باقي الفونيمات مثل صفة التكرار في صوت الراء.

د- التضاد الثنائي: (Bilatéral opposition):

تشترك بعض الأزواج الصوتية في عدد من الخصائص مقارنة مع الأزواج الأخرى، مثل التضاد بين /ك/ - /خ/ فهما يشتركان في السمات التالية: + فمي + طبقي، + طبقي + مهموس، فكلما ازداد عدد السمات الجامعة كانت العلاقة أكثر متانة بينهما[2].

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 144.

[2] أحمد مومن : اللسانيات النشأة والتطور ، ص 144.

هـ- التضاد المتعدد الجوانب (Multilatéral opposition):

وهو العلاقة الهشة بين الفونيمات، فالزوجان /و/ - /ي/ أو /a/ -/i/ يتمثلان لا لشيء إلا لأنهما صنف من الصوائت ويتماثل /ب/ - /ع/ أو /ج/ - /ش/ لأنهما من الصوامت، فهو يمثل العلاقة بين الفونيمات التي يجمع بينها مجرد كونها صوامت أو صوائت.

و- التضاد المتناسب (proportionnel opposition):

يتحقق هذا النوع من التضاد إذا كانت السمة الميزة نفسها توجد أيضا في الأزواج الفونيمية الأخرى فالجهورية سمة مميزة ليس بين /p/ - /b/ بل بين /t/ - /d/ و - /g/ /k/ كذلك.

ن- التضاد المعكس تحييده: (Neutralizable opposition):

يحدث هذا عندما يتغاير صوتان في بعض المواقع الكلامية، ففي اللغة الألمانية، يصير التضاد بين /t/ - /d/ محايد إذا ما وقع هذان الفونيمان في أواخر الكلمات، حيث أن الفونيم /t/هو الذي ينطق به ويطلق عليه، الفونيم الأم أو الفونيم الكلي (archiphonème)، ويتضمن هذا الفونيم الأم مجموعة السمات المشتركة المميزة بين الفونيمين المتضادين.[1]

2-2 -نموذج بوهلر (1963 – 1979):

يرى بوهلر أن للغة البشرية ثلاث وظائف أساسية تتعلق جميعها بـ:

- المتكلم (المرسل)
- المخاطب (المستقبل)
- الغائب (الشخص أو الشيء الذي نتحدث عنه).

وتتمثل هذه الوظائف التي حللها في كتابه " نظرية اللغة" في:

[1] أحمد مومن :المرجع السابق، ص 144.

1. **وظيفة تمثيلية:** هي وظيفة وصفية، ترجع إلى موضوع الحديث أي إلى المحتوى الارجاعي.
2. **وظيفة تعبيرية:** ترجع إلى المرسل (المتحدث) وتشير إلى حالته الفكرية والعاطفية قياسا إلى موضوع الحديث.
3. **وظيفة ندائية:** وترجع إلى المخاطب كطرف مرتبط ومعني بالمرسلة[1].

فقد أثر "بوهلر" في تصور "جاكبسون" تأثيرا مباشرا بهذا النموذج الثلاثي التقليدي حيث جعله المرجع الأولي لإضافة العناصر الفرعية التي أكمل بها العوامل المحيطة بإنشاء أو تشكيل عملية تخاطبية معينة، فحصر وظائف اللغة في ست وظائف تنشأ من طبيعة العلاقة بين المتكلم والسامع المتلقي في إطار العالم المحيط به.

2-3- رومان جاكبسون (1896 – 1982):

وجه جاكبسون انتقادا واضحا للمدرسة التوليدية التحويلية التي تزعمها تشومسكي فقال: "التجارب التي حاولت بناء نموذج للكلام دون علاقة مع المتكلم أو المستمع، والتي قننت هكذا نظاما منفصلا عن التواصل الفعلي أوشكت أن تحول التواصل إلى وهم متجمد"[2]. وواصل جاكسبون انتقاداته إلى كل الدراسات التي تصف بنية اللغة دون الرجوع إلى الدلالة كالنظريات التوزيعية والنظريات الأولى لشتومسكي، لأن معرفة الدلالة تتم بالرجوع إلى السياق التواصلي، يقول جاكسبون " كل نظام تواصلي بالنسبة للبشر، ملازم للغة، واللغة هي التي تشغل المكانة الرئيسة داخل شبكة التواصل الانساني الكلية".

ونجد أن قضية التواصل التي اهتم بها جاكبسون تعود إلى تأثره الواضح بنظرية التواصل التي ظهرت من خلال أعمال المهندسين الرياضيين " كلودشانون " (K.shannon) و"وارين ويفر" (W.wever) سنة 1949[3] في كتاب لهما شرحا فيه هذه النظرية، وذلك باستنادهما إلى نموذج الإخبار عبر التلغراف، فكانت البداية من التلغراف إلى التواصل البشري عبر اللغة والخط والموسيقى... ،ففتحت هذه النظرية المجال للجانب التواصلي ومن هنا كان

---

[1] فاطمة طبال بركة :النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص)، ص 66.

[2] عبد الجليل مرتاض: التحليل البنيوي للمعنى والسياق، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 197.

[3] صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة،ط6، 2011،الجزائر، ص 43.

التأثير في العلوم الإنسانية وأصبح الاهتمام منصبا على عملية الترميز وفك رموز الرسائل اللفظية في المواقف المختلفة، ومن هنا تم إسقاط المفاهيم الرياضية – نموذج الاحتمالات- المستخدمة في نظرية الاتصال على النظام اللساني[1]، وهذا ما عبر عنه جاكسبون بقوله: "عند دراستنا لحركية اللغة نجد أن اللسانيات شديدة الارتباط بالتطور الشيق لسلوكيين قريبين هما: النظرية الرياضية للتواصل والنظرية الإخبارية" [2] وهي إشارة إلى التكامل المعرفي الموجود في حقل المعرفة الإنسانية. ومن هنا طبق جاكبسون هذه الأفكار ضمن مفاهيم وظائف اللغة الست، وخاصة عندما درس قضايا الشعرية قائلا "مالذي يجعل من رسالة لغوية عملا فنيا".

هذا ما يعكس لنا العلاقة بين الباث الذي يرسل رسالته إلى المرسل إليه والرسالة التي تتطلب سياقا تحيل إليه يدركه المتلقي، بحيث تستند هذه الرسالة إلى شفرة مشتركة بينهما، فيصبح المرسل مركبا للشفرة والمتلقي مفككا لها، وحتى تنجح هذه العملية لابد من توفر قناة تمكنها من إقامة التواصل على أكمل وجه.

ومن هذا المنطلق استفاد جاكبسون من "شانون" وحاول تعميم أفكاره على وسائل التواصل بين البشر سواء عن طريق اللغة أو عن طريق أدوات التعبير والتلقي. وهنا يمكننا المقارنة بين ما جاء به شانون و جاكبسون في الجدول التالي[3]:

---

[1] أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية،(حقل تعليمية اللغات)،ديوان المطبوعات الجامعية،ابن عكنون، الجزائر،2000، ص 76.

[2] رايص نور الدين: نظرية التواصل، ص 86.

[3] صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، ص44.

كلود شانون	رومان جاكبسون
الباث جهاز تقني يقع بين مصدر الرسالة وقناتها	جهاز النطق عند الإنسان يحمل طبقة انفعالية أو تعبيرية
المتلقي جهاز تقني يعمل على تفكيك الإشارات فيحولها إلى رسالة.	عدم تحديد الجهاز الذي يفكك الإشارات ويحولها إلى رسالة متلقاة أو مدركة، وعدم تحديد الوظيفة الإدراكية
السياق وحدات إخبارية صميمية ومبنية في ضوء إشارية معينة.	السياق ما نتحدث عنه، ومرجعه في علاقة نظام الإشارات بها يجعل إليه من مدركات أو صور عملية ونفسية.
القناة هي الأسلاك الموصلة للرسالة	لم يورد جاكبسون ما يتعلق بالقناة وعوضه بعنصر التلاقي وجعل لها وظيفة تنبيهية.
الشفرة هي الإشارات التي تحملها الأسلاك وبواسطة الضغط تتحول إلى أصوات مدركة	الشفرة من صميم نظام التواصل وهي تمثل مجمل القوانين الكفيلة بتحويل الرسالة إلى إشارات، وهي وظيفة ما بعد لغوية.
التواصل يتم بلغات مصطنعة	التواصل يتم عبر اللغة الطبيعية.

جدول رقم1

نلاحظ أن جاكسبون يرى أن اللغة وسيلة للتواصل الإنساني الذي يعرفه قائلا: "التواصل كل فعل كلامي يحرك رسالة ما، وأربعة عناصر ترتبط بها وهي: المرسل والمستقبل وموضوع الرسالة (Topic) le thème، ونظامها المستعمل"[1]، فالتواصل يشبه الدارة الكهربائية، فلا يمكن استبعاد نقطة منها، والخطاب فيها هو التيار، وكذلك غياب أي عنصر من الدارة التواصلية يعرقل السير العادي للرسالة، فالعملية التواصلية هي عملية تبادلية للأفكار والمعلومات تتطلب العناصر التالية:

[1]- رايص نور الدين: نظرية التواصل، ص 90.

1. **المرسل (Emeteur)**: وهو ركن حيوي في الدارة التواصلية اللفظية لأنه هو الباعث الأول على إنشاء الرسالة، وقد اصطلح على هذا العامل بـ: "الباث" و"المخاطب" و" الناقل"، و"المحدث".

فالمرسل يكون قادرا على توجيه الخطاب في شكله المنطوق (الأداء المباشر) أو في شكله المكتوب (غير المباشر).

2. **المرسل إليه (Destinateur)**: هو متلقي الرسالة، مفكك الرموز والإشارات أو محللها أي هو الجهاز المستقبل للرسالة[1]، فهو المخاطب الذي يوجه إليه الخطاب المنطوق أو المكتوب.
3. **الرسالة: (Message)**: تتخذ الرسالة شكلا معينا، وهي "محتوى الكلام أو مضمون الرسالة التي يريد المرسل تبليغها إلى المرسل إليه"[2]، فهي التي تحقق التواصل، ويمكن أن تكون لسانية أو سيميائية وإن كانت جميع أنظمة التواصل تؤول عن طريق اللغة وهو ما يجعلها أنظمة لسانية مما يقتضي انضواء السيميائيات ضمن اللسانيات وليس العكس[3]، وهي وحدة الإشارات التي تتعلق بقواعد تركيبات مضبوطة يبعثها جهاز الإرسال (البث) إلى جهاز الاستقبال عن طريق القناة.
4. **الشفرة (Code)**:هي الرموز المستعملة المتعلقة بالكلام المنطوق أو المكتوب، وهي "مجموع العلامات التي تتشكل منها الرسالة وكذلك نظام تأليفها التركيبي، وشرطها أن تكون مشتركة ليفهمها طرف الرسالة"[4].

وقد تعددت المصطلحات في هذا العامل فنجد مصطلح " اللغة (langue) وبعضهم فضل النظام "système" فيما أطلق عليها البعض الآخر "القدرة"(compétence)

---

[1] رايص نور الدين: نظرية التواصل، ص 72.

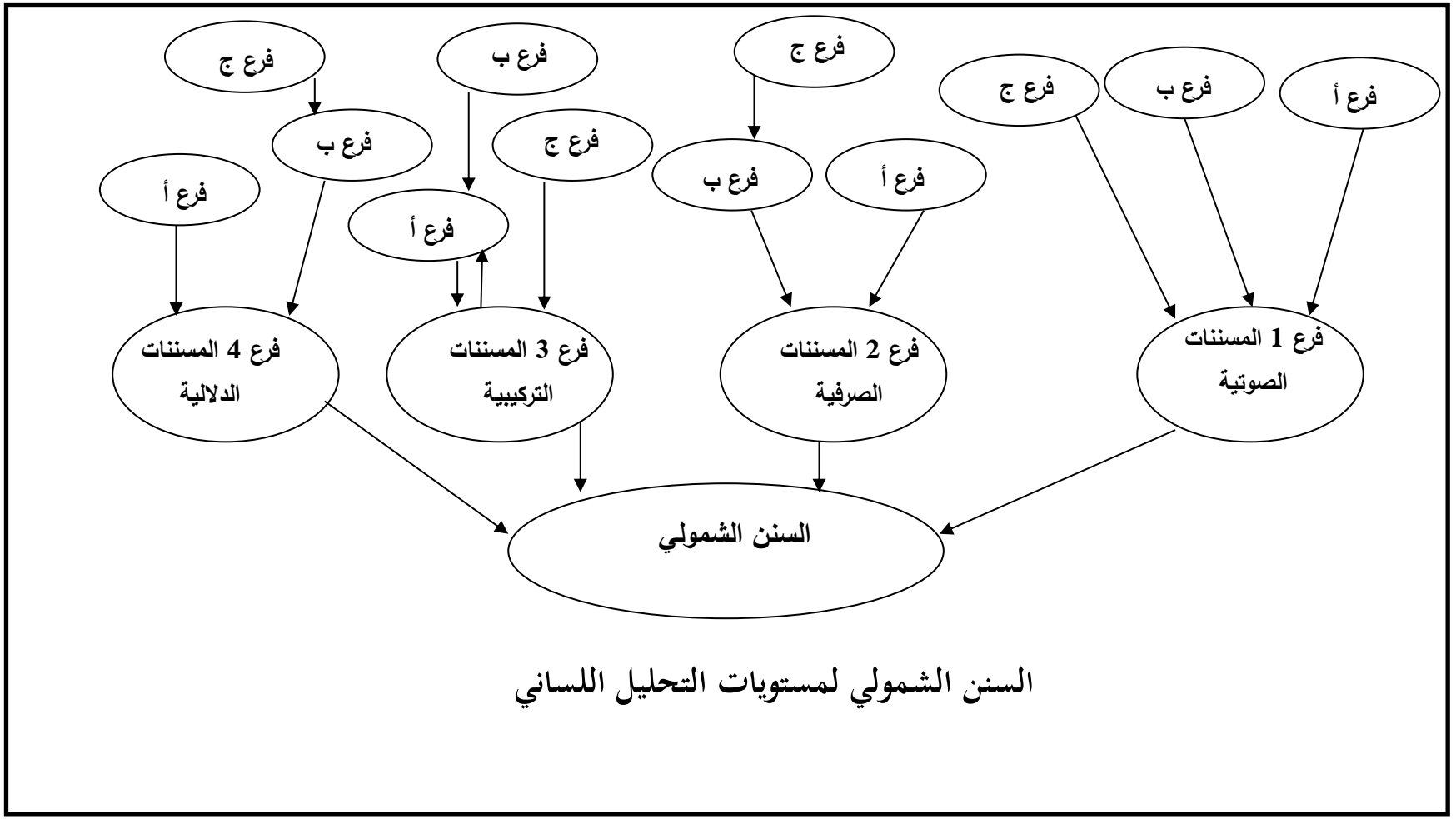
[2] بن زروق نصر الدين: دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، ص 22.

[3] عمر أوكان: اللغة والخطاب، ص 80.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا ، بيروت،لبنان،ط1، 2004.ص 12.

ومهما اختلفت الاصطلاحات فإن السنن (code) يحيل على "نظام ترميز" "un code" مشترك كليا أو جزئيا بين المرسل والمتلقي.

فاللغة عند جاكسبون تمثل النظام الكلي الذي يتواجد ضمنه عدد هائل من الأنظمة الصغرى الفرعية، ويمكن أن نوضح هدا النموذج التفريعي كالتالي:



السنن الشمولي لمستويات التحليل اللساني

5. **المرجع (Contexte)**: لكل رسالة مرجع تحيل عليه، وسياق معين قيلت فيه فاللسياق أهمية كبيرة بما يتضمنه من إطار زماني ومكاني وأهداف العملية التواصلية وغياب المرجع يؤدي إلي الشك والغموض وبالتالي التغير في التوقعات والاحتمالات ويتضمن السياق العناصر التالية:

- الموقع (site) أو الإطار الزماني
- الهدف (le but) من العملية التواصلية.
- المشاركون في العملية التواصلية (عددهم، مميزاتهم، علاقاتهم).

6. **القناة (Le canal)**: هي الوسيلة المعتمدة في نقل الرسالة فهي وسيلة نمرر عبرها العلامات وأعني بذلك مثلا الهواء إذا كان التواصل شفاهيا، ويمكن للقناة أن تأخذ أشكالا متنوعة،مثل أشرطة الأفلام،موجات الراديو، والضوء وأنظمة ميكانيكية وأخرى الكترونية...، فالقناة تسمح بنقل الرسالة من المرسل إلى المرسل إليه، وبذلك تقودنا إلى معرفة المواقف المؤثرة في الأداء إذا كان على سبيل المثال:حديثا إذاعيا أو مقالة في الصحف، أو مشهدا وحوارا في التلفزيون، أو محادثة في الهاتف...ونشير إلى أن كل عنصر من هذه العناصر التواصلية يولد وظيفة لسانية وعليه ميز جاكبسون بين ست وظائف للغة والتي سنركز عليها بعد أن نتطرق إلى أهم آراء جاكبسون اللسانية في مدرسة براغ.

آراء جاكبسون اللسانية:

تنوعت نشاطات جاكبسون العلمية، وعكست بذلك التنوع اهتمامات مدرسة "براغ" والتي يمكن أن نوجزها من خلال الآراء التي قدمها جاكبسون وهي:

1. التزامن والتعاقب:

–التزامنية (synchronie):كلمة وضعها " فردينان دوسوسير" في مقابل كلمة التعاقبية (diachronie) ليؤكد أن "التزامن هو مقياس لدراسة أحداث لغوية تكوّن

بوقوعها المتزامن حالة من حالات اللغة أما التعاقبية فهي دراسة تاريخية للغة في تطورها وتغيرها"[1]، وما ينطبق على الدراسات الألسنية ينطبق على الدراسات الأدبية والشعرية.ولقد انتقد جاكبسون الفصل بين التزامن والتعاقب لأن كل بنية لغوية كانت أم أدبية، تعمل في حركة وتطور ثابتين ومستمرين مما يجعلها بنية تعاقبية، وهي أيضا بنية تعاقبية لأنها تنتمي إلى نظام ثابت ومنهجي، وذلك لأن الحقائق اللغوية لا تتطور جميعا بالسرعة نفسها، ويؤكد جاكبسون على أن " كل نظام تزامني يتضمن ماضيه ومستقبله اللذين يكونان عناصره البنيوية اللازمة له والتعبير يحصل دائما في كل مقطع تزامني، لأن التزامن الحقيقي حيوي ومتغير"[2].

ونلاحظ من خلال دراسات جاكبسون أنه اهتم بالدراسة التزامنية للغة دون أن يهمل الدراسة التعاقبية، ذلك لأنه اهتم بتحليل الآثار الأدبية في تراكيبها وصورها المختلفة وخاصة دراسة الأصوات اللغوية كما هي، لا كما كانت عبر الأزمان والعصور، وتدرس الصور البيانية، كالاستعارة والمجاز المرسل، كما درس لغة المصابين بالحبسة ودرس السمات التمايزية.

ونلاحظ أن اعتماد جاكبسون على ثنائية " دي سوسير" في التزامن والتعاقب لم يكن عشوائيا لأن "دي سوسير" ارتكز على نظرية الزمن المطلق الذي اهتمت به الفيزياء التقليدية أما "جاكبسون" فارتكز على نظرية النسبة عند "انشتاين"، فما يكون تزامنيا في هذا الزمان يصبح تعاقبيا بعد حين لأنه ليس هناك زمنا ثابتا، فكل نظام من الأنظمة هو في حركة ذات زمن خاص تختلف سرعته من زمن لآخر[3].

---

[1] فاطمة طبال بركة: النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون ،ص34.

[2] فاطمة طبال بركة:المرجع نفسه، ص 35.

[3] فاطمة طبال بركة :المرجع نفسه، ص 36.

2. المحور الاستبدالي والمحور النظمي:

تفسر النظريات البنيوية الحديثة التراكيب اللغوية بناء على العلاقات القائمة بين الإشارات التي تتكون منها هذه التراكيب وذلك على محورين أساسين هما:

أ–محور العلاقات الاستبدالية: فهي تنتمي إلى مجموعات فرعية تتكون من وحدات يمكن أن تؤدي وظيفة نظمية واحدة في وضع معين من المنطوقة، أي أن كل واحدة منها يمكن أن تحل محل أي واحدة من أخواتها في منطوقة معينة ومثال ذلك: أكل الولد تفاحة.فمجموعة المفردات (لبجة، برتقالة، لحم) يمكن لها أن تحل محل (تفاحة).

ب–محور العلاقات النظمية: إن معنى أي مفردة لا يتضح إلا بتأثير ما يحيط بها في الحديث، فالعلاقات النظمية تربط بين المفردات وتختلف باختلاف الألسن.

3. الانتقاء والتنسيق (Délection–Combination):

الانتقاء والتنسيق ظاهرتان أساسيتان في كلام الإنسان حسب جاكبسون، فهو يدرس اللغة، بشكلها المحكي فيركز على الجانب التواصلي فيها، لأن المتكلم يختار بعض العناصر الموجودة في مخزونه اللغوي، ثم يأتي دور التنسيق بين هذه الوحدات المجردة والعناصر المختارة لتكون وحدات لسانية معقدة.

4. اللغة– الهدف وما وراء اللغة:

يدرس جاكبسون اللغة على أساس أنها أداة للتواصل لأن اللغة عنده ليست شيئا جامدا بل هي قسمان: اللغة والهدف وما وراء اللغة، وهما قسمان يكمل كل واحد منها الآخر.

وتظهر أهمية هذه الثنائية (اللغة ، الهدف وما وراء اللغة) خلال الاستعمال، وتساعد الطفل في اكتساب اللغة، فالطفل الذي يسمع كلمة "تلة" مثلا، وهي كلمة هدف، لا يفهم معناها إلا إذا شرحت له بواسطة ما وراء اللغة (أرض مرتفعة عما حولها)، وتبرز أهمية هذه الثنائية في عملية التواصل وخاصة في عمليتي الإنتاج والفهم.

5.الخطاب الخارجي والخطاب الداخلي Discours intérieure et Discours extérieur):

تتطلب العملية التواصلية توفر مجموعة من الشروط ولعل أهماها وجود الملقي والمتلقي، بالإضافة إلى وجود الرسالة، بحيث يقوم الملقي بتوجيه رسالته إلى المتلقي وهذا التواصل الخارجي يحتاج إلى وجود نظام مشترك بين قطبي الحديث (المرسل والمرسل إليه) ليتمكن كل منهما من فهم الآخر و إفهامه، كما ميز جاكبسون بين نوع آخر من التواصل وفيه يكون الملقي والمرسل شخصا واحدا، ويسميه بالخطاب الداخلي، فاللغة الداخلية والحوار مع الذات مهمان في التبادل الكلامي وإبراز الأفكار الجديدة[1].

6. السمات التمايزية: (traits distinctifs):

اشتهر جاكبسون بنظريته الفونولوجية التي تنص على وجود نظام سيكولوجي كلي منتظم وبسيط تشترك فيه جميع اللغات البشرية لأن الاختلافات سطحية، وقد نشر في مقال له سنة 1931 بعنوان "مبادئ الفونولوجيا التاريخية" أهم المبادئ الفونولوجية لأنه سبق وأن نشر في كتابه"ملاحظات حول التطور الفونولوجي" سنة 1929 الأفكار التي تؤكد على أن الطابع الوظيفي للغة يجب أن يشمل الحالة الآنية والتاريخية للغة وذلك من خلال التطور[2] اللغوي عبر العصور أو دراسة حالة معينة للغة في وقت ما وفي هذا الإطار قام جاكبسون بمقابلات فونولوجية تعتمد على التمييز السياقي، فنحن لا يمكن أن نميز الفونيم المجهور إلا إذا كان هناك فونيما غير مجهور، فكل هذه العلاقات بين الوحدات الصوتية التمايزية في اللغات المختلفة تخضع لنظام ثنائي، وقد ميز جاكبسون في الثلاثينيات بين ثلاثةأنواع من الثنائيات المتقابلة وهي[3]:

- التقابل بين الصوامت الخلفية (طبقية أو غارية) والصوامت الأمامية (شفوية أو أسنانية).

---

[1] فاطمة طبال بركة ، المرجع السابق، ص. ص 37، 38،39 ،40.

[2] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 148.

[3] فاطمة طبال بركة: النظرية الألسنية عند رومان جاكيسون، ص 42.

- التقابل بين الصوت الخفيض (grave) والصوت الحاد (aigu).
- التقابل بين الصوامت ذات النغمة العالية والصوامت ذات النغمة الحادة.

تابع جاكبسون أبحاثه ولم يتوقف عند هذا الحد، فرأى أن كل التقابلات الموجودة في مختلف لغات العالم ترجع إلى اثني عشرة تقابلا ثنائيا، وتحدد في مستويات شتى تتعلق بمراحل متتالية من سيرورة التواصل خاصة في مستوى النطق والسمع وهي:
صوامتي/ غير صوامتي، صائتي/ غير صائتي، مكثف/ مجهور، مهموس، أنفي/غير أنفي، متواصل/متقطع، صارف/عديم الرنين، مخفض/ غير مخفض، متوتر/ رخو، مطبق/غير مطبق مرفوع النغم/غير مرفوع النغم، خفيض/حاد.

وهذا ما أكده جاكبسون في قوله: "لقد وصفت السمات التمايزية من الجانبين النطقي والسمعي فقط، لسبب بسيط هو أن أكثر ما يمكن من المعلومات التي نملكها في هذا المجال تتعلق بهذين الجانبين"[1]، فهذه التقابلات تساعد الباحث في تحليل البنيات اللغوية المدروسة، وخاصة إذا تعلق الأمر بتحليل سمات الصوت اللغوي.

وتبقى هذه الملامح المميزة عبارة عن مجموعة من الخصائص الصوتية التي تميز فونيما عن آخر وعليه كان مفهوم الفونيم عند جاكبسون عبارة عن "مجموعة من الملامح المميزة التي تنبع من الخصائص النطقية والسمعية"[2].

ولدقة هذه الملامح التميزية استعان جاكبسون بالآلات والأجهزة في دراسة الصوت، ونتج عن ذلك تطور هذه الدراسة التي أصبحت تعرف بعلم الأصوات التجريبي الآلي، وانطلاقا من مبدأ السمات التمايزية أقام جاكبسون نظريته الفونولوجية السابقة.

7. موسوم وغير موسوم:(Marqué – non marque):

استعمل جاكبسون الوسم للتميز بين الوحدات اللغوية من حيث وجود السمة التمايزية وغيابها فمثلا الصامت /b/ في الفرنسية هو صوت مجهور بالقياس إلى /p/ المهموس في حين

---

[1] فاطمة طبال بركة: النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون ، ص 44.

[2] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 108.

في اللغة العربية نجد صوت (ب) صامت مجهور، فليس في العربية صامتا يشاركة في كل خصائصه ويختلف عنه في سمة واحدة وهي أنه غير مجهور.

وبالإضافة إلى اهتمام جاكبسون بدراسة الثنائية موسوم/غير موسوم في المجالين الصوتي والفونولوجي فهو لم يهمل المجال الصرفي لأن القواعد الصرفية –حسب رأيه– هي التي تسيطر على استعمال هذه التناقضات الفونولوجية والمحيط الفونولوجي.

وتتسع دائرة اهتمام جاكبسون في هذه الثنائية لتشمل اللغة بأكملها، ليتوصل إلى نتيجة هامة وهي أن كل عبارة أو مفهوم تربطه علاقة قوية بضده، ويصل الأمر إلى أننا لا يمكن أن نفكر بأحدهما دون التفكير بالآخر[1].

8. إشارات عضوية وإشارات أداتية:

قسم جاكبسون الإشارة حسب طريقة إنتاجها إلى قسمين هما:

أ. **الإشارات العضوية**:وهي الإشارات التي تنتجها أعضاء الجسم مباشرة دون الحاجة إلى آلة خارجية، فكل حركة تؤدي رمزا معينا نعبر به عن معنى معينا وهي بدورها تنقسم إلى قسمين:

- **إشارات بصرية**: وتتمثل في الحركات، كحركة الإصبع التي تعطي للمتلقي معنى التقدم، كما يظهر المرسل ما هو سلبي أو إيجابي بهز الكتفين، أو حركة الرأس التي تدل على الموافقة أو عدمها، وكذلك رفع الحاجبين وحركة العينين وغيرهما.
- **إشارات سمعية**: وتتمثل في الكلام والموسيقي التي ينتجها فم الإنسان باستعماله لأوتاره الصوتية.

ب. **الإشارات الأداتية**: تعتمد على الآلات والأدوات وتظهر الفنون كالرسم والنحت والتصوير، وهي تقابل الإشارات العضوية البصرية أما الموسيقى الصوتية الناتجة بالآلات فتقابل الإشارات العضوية السمعية[2].

---

[1] فاطمة طبال بركة: النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون ،ص.ص، 45 – 47.

[2] فاطمة طبال بركة :المرجع نفسه، ص48.

وميز جاكبسون أيضا بين الكلام الشفوي (العضوي) وإعادة الكلام بواسطة الأسطوانات أو المذياع أو التلفاز، فرغم تطور وسائل الإنتاج الحديثة كالهاتف والمذياع، قد أثرت في طبيعة التواصل وتطور الخطاب.

وهي تعتبر إعادة إنتاج للعلامات الكلامية، وبالتالي تندرج ضمن الإشارة العضوية والإشارة الأداتية وبذلك تصبح هذه الثنائية تعبر عن نموذج تواصلي سيميائي نتجاوز فيه العلامة اللغوية إلى العلامة غير اللغوية.

9. التواصل بالكلام والتواصل بالكتابة:

أ. **التواصل بالكلام (التواصل اللفظي)**: ويتم بالتواصل بالألفاظ بين فردين على الأقل، ويتمثل في بث رسالة معينة من المرسل واستقبالها من المرسل إليه، وتتحقق عبر قناة سمعية.

ب. التواصل بالكتابة: الكتابة هي انعكاس للكلام وذلك بإشارات خطية (مكتوبة) لعدة أغراض منها: حفظ الكلام الذي يزول فور إلقائه، أو نقله إلى أماكن بعيدة عن المكان الذي ألقي فيه، لأن الكلام قد يزول بمرور الزمن، وتبقى الكتابة دعامة أساسية أكثر ثبوتية وانتشارا في المكان والزمان، ورغم هذا فاللغة الكلامية أوسع انتشارا في الحيز المكاني من اللغة المكتوبة، وأهمية اللغة: "لا تنبع من أهمية التواصل الشفوي بالكلام فحسب، بل كذلك من أهمية التواصل الكتابي الذي يقوم على نقل التتابع الكلامي من الحيز الزماني إلى إشارات مكانية"[1].

إلا أن ما نشاهده اليوم من تطور في المجتمع جعل الانتشار الواسع والسريع للكلمة المكتوبة في الماضي يحل محله —اليوم– التطور التقني الشفوي كالراديو والتلفاز والهاتف والهاتف النقال وآلات التسجيل والإعلام الآلي وتطور الحاسوب ونظام المعلوماتية ككل، وبالتالي إعادة الكلام الشفوي إلى الواجهة، ومع ذلك فالوظيفة التواصلية للغة تبقى ترتكز على هذه الثنائية الهامة.

---

[1]– فاطمة طبال بركة : المرجع السابق، ص 50.

10. الاستعارة والمجاز المرسل:

اعتمد جاكبسون في دراسته للغة على ثنائية (الاستعارة والمجاز المرسل) ليحصر بذلك محاور اللغة والدراسة البلاغية في هذه الثنائية، حيث أصبحت الاستعارة والمجاز المرسل نظامين أساسيين، ليس فقط في الأسلوب الأدبي البلاغي بل في العملية اللغوية في حد ذاتها.

انطلق جاكبسون من ملاحظاته الدقيقة للإنتاجات الكلامية عند مرض الحبسة، ليستنتج أن لغة الإنسان تقوم على دعامتين أساسيتين هما: الاستعارة وهي إسقاط علاقة استبدالية على المحور اللفظي، والمجاز المرسل يقوم على التنسيق والدمج والمجاورة في حين تقوم الاستعارة على الانتقاء والاستبدال والمشابهة لذا فهو يرى أن الحبسة تصيب إما مقدرة الإنسان على انتقاء الكلمات أو استبدال كلمة بكلمة أخرى، أو مقدرته على التنسيق بين الكلمات في وحدات معنوية.

والاستعارة حسب جاكبسون تصبح غير ممكنة في التصرف الكلامي للمريض بالحبسة لأن مقدرته على الانتقاء وبناء الجمل وإقامة العلاقات الداخلية التي تربط الكلمات فيما بينها، وهو ما يسميه اضطراب التجاور لأن فيه "تتحول الجملة إلى كومة من الكلمات لغياب القواعد النحوية التي تنظم هذه الكلمات، كما قد نلاحظ غياب الروابط التي تملك وظيفة نحوية أو صرفية كحروف الجر والعطف والضمائر... وقد تتحول الجمل إلى جملة من كلمة واحدة لعدم القدرة على تنسيق الكلمات وربطها لتؤلف جملة"[1].

وهكذا نلاحظ أن جاكبسون اعتمد في دراسته على المصابين بالحبسة ليصل إلى تحديد وجود هذه الثنائية الهامة في استعمال اللغة.

ويرى جاكبسون أن التطبيقات الهامة لهذه الثنائية (الاستعارة والمجاز المرسل) تكمن في دراسة الأدب ،لأن النثر في رأيه يعتمد على الصور التقريرية التي تفهم بسهولة لأنه لا

---

[1] فاطمة طبال بركة : المرجع السابق ،ص 53.

يوظف الصور الاستعارية التي تزرع الغموض في النص، ويسيطر المجاز المرسل في النثر لأنه قريب من الأذهان وسهل للفهم – وهذا لا يعني خلو النثر من الاستعارة–.

11. الفرق بين الشعر و للاشعر:

ميز جاكبسون في استعمالات اللغة بين اللغة الشعرية واللغة النثرية أو بين الشعر واللاشعر ومهما يكن من أمر فإن هناك أسسا ثابتة تميز بين الشعر والنثر نذكر منها:[1]

- يوجه الفعل الكلامي – مهما كان نوعه– نحو غاية محددة.
- تتميز اللغة الشعرية عن اللغة اليومية بالطابع المحسوس لتركيبها ويمكن الإحساس بالمظهر الصوتي أو المظهر التلفظي أو المظهر الدلالي للفظ.
- في الشعر تظهر الوظيفة الشعرية بشكل جلي، وذلك لأنها تركز على الرسالة، ولأن اللغة تصبح مادة بناء واللغة الشعرية غاية في ذاتها وليست وسيلة، في حين أن اللغة العملية تبرر وجودها خارج نطاق اللغة، عند حدوث العملية التواصلية فهي وسيلة ليست غاية، وتختلف تماما عن هدف اللغة الشعرية.
- يتمكن متلقي الرسالة النثرية من فهمها بسهولة لكن متلقي الرسالة الشعرية قد يفقد القدرة على الكشف عن مضمونها لأن الشعر يبتعد عن الآلية وعن لغة الواقع أو اللغة المألوفة دافعا بذلك عملية الاتصال المباشر إلى الأخير، على عكس اللغة اليومية التي تعطي الصدارة لعملية التواصل.

ومن هنا نستنتج أن اعتماد جاكبسون على الشكل الثنائي في أبحاثه التي تدرس اللغة فتح الباب أمام الدراسات التي جاءت بعده.

---

[1] فاطمة طبال بركة : المرجع السابق ،ص. ص58 – 59.

نظرية وظائف اللغة:

استمد جاكبسون نظرية وظائف اللغة الست من نظرية الاتصال ((communicative theory)، والتي تقوم على ستة عناصر أساسية: المرسل والمرسل إليه وقناة الاتصال والرسالة والشفرة والمرجع،حيث استنتج منها الوظائف التي تؤديها اللغة وهي ست وظائف مختلفة تتمثل فيما يلي:

1. الوظيفة التعبيرية La fonction expressive أو الوظيفة الانفعالية: Emotive:

تركز هذه الوظيفة على المرسل لأنها تهدف إلى التعبير عن موقف المتكلم تجاه ما يتحدث عنه وهي تنزع إلى تقديم انطباع معين عن انفعال صادق أو كاذب وتتمثل في التعبير عن الأحاسيس، والمشاعر والعواطف وتتعلق بالعبارات والعناصر اللغوية التي تخص موقف المتكلم في تأدية رسالته، أو تبليغ خطابه كاستخدام أدوات تعبيرية تفيد الانفعال كالتأوه أو التعجب.

فيستعمل المرسل آليتين متكاملتين تظهر الأولى في التعبير بالكلام المنطوق الذي يبرز فيه النبر والتفخيم والترقيق، والمجهور والمهموس من خلال ارتفاع الصوت وانخفاضه، بينما تكون الثانية في النص المكتوب من خلال صيغ الأساليب المستعملة كالتعجب والاستغاثة... ويتجلى دور المواقف الانفعالية في ضبط الميزات التعبيرية المنسجمة مع طبيعة رسالة ما في وضع خطابي معين، لأن الموقف الانفعالي – وخاصة في رسالة منطوقة- هو الذي ينتج الاختلافات التعبيرية من خلال التنوع الناتج عنه.

وهنا يتضح بشكل قوي حجم المفارقات بين الخطاب المنطوق والخطاب المكتوب (الصورة الخطية).

2. الوظيفة الإفهامية أو التأثيرية La fonction cognitive:

تتمحور هذه الوظيفة حول الآخر (المرسل إليه) الذي يتلقى الخطاب وبواسطتها تأخذ الرسالة قيمتها التداولية ويتجلى ذلك في النداء أو الأمر أو الاستفهام أو في الأساليب

الخبرية والإنشائية عموما وتظهر بشكل قوي خاصة في الأدب والروايات العاطفية لأن هذين اللونين الأدبيين يعتمدان على مخاطبة الآخر، ومحاولة التأثير عليه وإقناعه أو إثارته.

3. الوظيفة المرجعية أو الإحالية Fonction référentielle:

وتسمى أيضا (تعيينية) و(تعريفية) وهي وظيفة تحدد العلاقة بين المرسلة والشيء أو الغرض الذي ترجع إليه،ولها أهمية كبيرة في العملية التواصلية لأنها: "قاعدة كل تواصل، إنها تحدد العلاقات القائمة بين الرسالة والموضوع الذي ترجع إليه، لأن المسألة الأساسية تكمن في صياغة معلومة صحيحة عن المرجع، وتكون موضوعية ويمكن ملاحظتها والتأكد من صحتها"[1].

فهذه الوظيفة تعبر عن محتوى الرسالة الذي يرغب المرسل في إيصاله إلى المرسل إليه، وقد ذكرها جاكبسون عندما تحدث عن الوظائف التي حددها "بوهلر" (Buhler) فقال: "إن النموذج التقليدي للغة كما وضحه "بوهلر" بصورة خاصة يقتصر على وظائف ثلاث: الوظيفة الانفعالية والوظيفة الندائية والوظيفة المرجعية، ويطابق القمم الثلاثة لهذا النموذج المثلث الزوايا، المتكلم أي المرسل والمخاطب أي المستقبل والغائب أي الشخص أو الشيء الذي تتكلم عنه، ومن خلال هذا النموذج المثلث الوحدات بإمكاننا أن نستنتج بعض الوظائف الإضافية..."[2].

وهذا القول يدل على أن جاكبسون قد انطلق أيضا من الوظائف التي وضعها "بوهلر" ليتوصل إلى ست وظائف تؤديها اللغة.

---

[1] رايص نور الدين: نظرية التواصل، ص 104.

[2] رايص نور الدين :المرجع نفسه، ص 105.

4. الوظيفة الميتالغوية (Fonction Métalinguistique).

تسمى أيضا بالوظيفة التفسيرية أو اللسانية الواصفة، وتظهر هذه الوظيفة في الرسالة التي تكون اللغة نفسها مادة دراستها، أي وصف اللغة وذكر عناصرها وتعريف مفرداتها، وتوظف عندما يحتاج المتخاطبان إلى التأكد من الاستعمال الصحيح للغة.

فهي لغة عن لغة، وتشير هذه الوظيفة إلى الملكة اللغوية لكل من المرسل والمرسل إليه أي هي لغة ثانية تخالف اللغة التقريرية التي هي دليل يتكون من دال ومدلول، وتخالف اللغة الإيحائية التي يصير فيها الدال دليلا[1]، فكثيرا ما يحتاجان إلى التأكد من أنهما يستخدمان الشفرة نفسها، وهذا ما يجعل المتكلم يركز على الشفرة والسامع يسأل عنها.

5. الوظيفة الانتباهية أو اللغوية "بفتح اللام"(La fonction phatique)

ذهب جاكبسون إلى أن هناك رسائل توظف في الجوهر بإقامة الاتصال وتمديده أو فصمه، وتوظف للتأكد مما إذا كانت دورة الكلام تشتغل مثل: " ألوا هل تسمعني؟" وتوظف لإثارة انتباه المخاطب أو التأكد من أن انتباهه لم يرتخ " قل هل تسمعني؟"، وتدخل في هذا الإطار عبارات المجاملة والأدب، والتحية والسلام وغيرها مما أسماه "مالينوفسكي"بـ "التشارك الانتباهي" فالخطاب لا يهدف إلى الإبلاغ ومن هنا فليس كل تواصل إبلاغا[2].ويمكن الإشارة إلى أن هذه الوظائف الأربع كانت موجودة قبل جاكبسون فالثلاث الأول من وضع "بوهلر" والرابعة وضعها " مالينوفسكي".

6. الوظيفة الشعرية (La fonction poétique)

هي وظيفة موجودة في كل أنواع الكلام، وتتجلى بشكل أوضح في النصوص الفنية اللغوية مثل: القصائد الشعرية، وهي الوظيفة المهيمنة فيها، وهي حاضرة أيضا في كل النصوص وليس النصوص الأدبية وحسب[3].

---

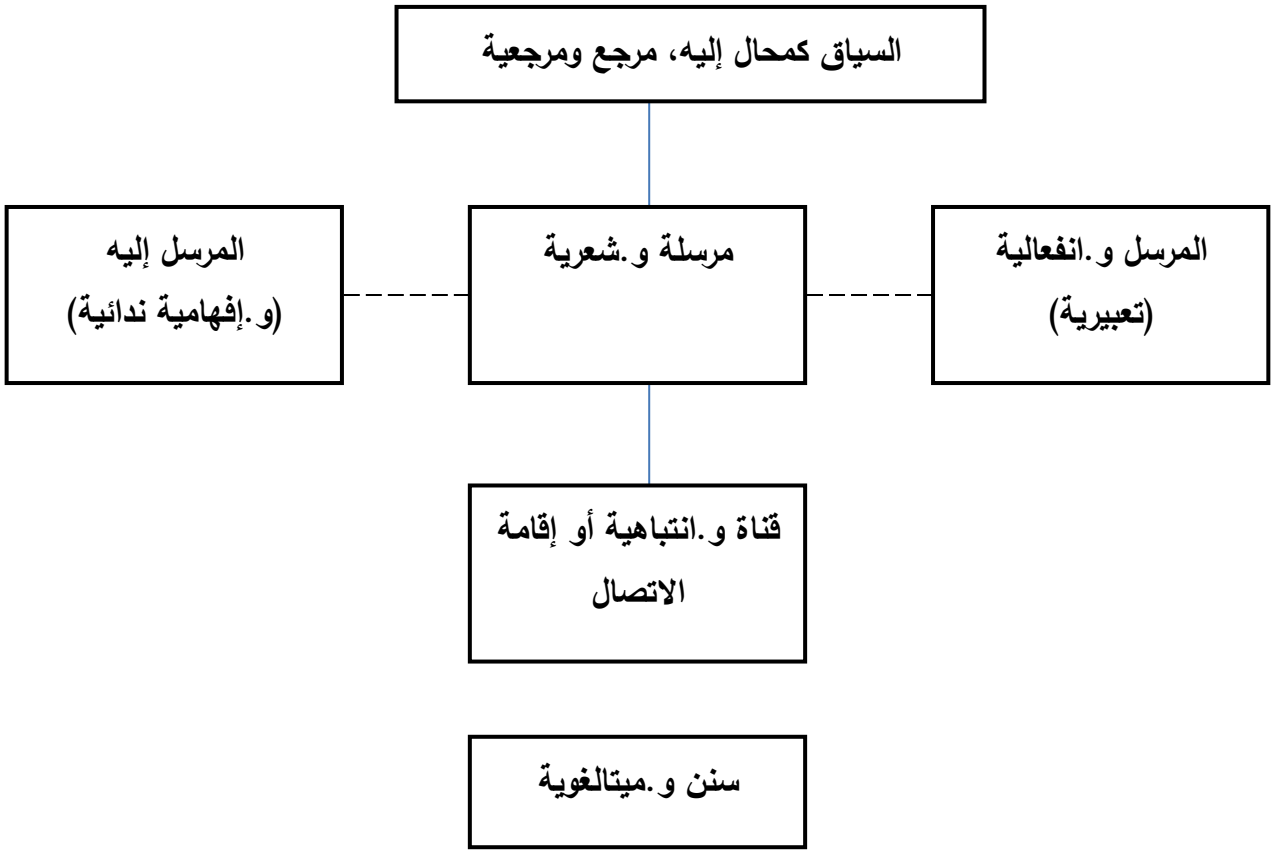
[1] عمر أوكان: اللغة والخطاب، ص 84.

[2] عمر أوكان: اللغة والخطاب ، ص 83.

[3] عبد الجليل مرتاض: الوظائف النحوية في مستوى النص، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر (د ت)، ص 83.

ويسمي جاكبسون هذه الوظيفة بالشعرية لأن "الشعر يصور الجانب الجمالي للغة أحسن تصوير بما يشتمل عليه من موسيقى داخلية وخارجية ومحسنات بديعية، وصور بيانية"[1].

ومن خلال هذه الوظيفة وضع جاكبسون الشعرية التي أصبحت علما مستقلا بذاته، حيث عرفها بقوله: "ويمكن وصف الشعرية بأنها بحث في الوظيفة الشعرية للغة، وفي الفن اللفظي فيما يتعلق بوظيفة اللغة الشعرية"[2] وهي وظيفة لا تكاد تغيب عن أية رسالة لفظية، والشعرية –إذن– هي الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية في سياق الرسائل اللفظية عموما والشعرية خصوصا وهكذا تصبح الوظائف الست التي حددها جاكبسون في تقابل واضح مع عناصر التبليغ الستة ويمكن أن نوضحها في الرسم البياني التالي:



[1] بن رزوق نصر الدين: دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، ص 19.

[2] الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية (مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون) منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1،1428هـ – 2007م، ص 57.

تؤول كل هذه الوظائف إلى الوظيفة التواصلية التي يتم فيها نقل الخبر وتحقيق الفائدة أي حصول التبليغ والفهم.

وتظهر هذه الوظائف التواصلية عند استعمال اللغة في الوسط الاجتماعي، وهي تختلف من تواصل لآخر لأن كل تواصل يهدف إلى تحقيق فعل معين، فقد تحتوي الرسالة الواحدة على وظيفة لغوية واحدة أو على وظيفتين أو أكثر. فقد تسيطر الوظيفة الشعرية في الشعر مثلا، ولكن تظهر الوظائف الأخرى بشكل متفاوت، وغلبة وظيفة معينة هو الذي يطبع الرسالة بطابع معين وتبقى الوظيفة الأساسية للغة هي الوظيفة التواصلية.

ومن خلال هذه الوظائف التواصلية لعب جاكبسون دورا كبيرا في تطور مجال اللسانيات الحديثة واللسانيات الوظيفية خاصة، لأن أراءه كانت دعامة أساسية للدراسات اللسانية المعاصرة.

2-4- روبول (Reboul):

انطلق ربول في تحديده لوظائف اللغة من وظائف جاكبسون التي حللها وبين إلى أي مدى يمكن أن تصدق المسميات التي اتخذها جاكبسون، ليبدي وجهة نظره في بعضها، لذلك فإنه يرى أن المصطلح الأنسب " للوظيفة المرجعية" هو "وظيفة التسمية" وذلك لأن هناك أساليب لا تحيل إلى مرجع مثل بعض الأساليب الإنشائية.

ويرى "ربول" أن التسمية الملائمة للوظيفة الانفعالية هي الوظيفة التعبيرية لأن التعبير عن الذات ليس محصورا في الانفعال.[1]

كما أشار إلى تزامن هذه الوظائف في الرسالة الواحدة – كما أشار جاكبسون- ولكن الفرق فقط يكمن في قوة حضور كل وظيفة من هذه الوظائف.وتنقسم الوظائف حسب "روبول" إلى ثلاثة أصناف هي[2]:

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 13.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري: المرجع نفسه، ص 13.

1. **وظائف معرفية ومرجعية:** تهتم بكل ماله علاقة بمحتوى الخطاب، كالإخبار والإحالة على الواقع المشترك.
2. **وظائف تداولية:** تهتم بالمرسل (التعبير عن الذات) وبالمرسل إليه (بالتأثير عليه) وبخصائص الاسترجاع.
3. **وظائف صورية (شكلية):** تهتم بشكل الرسالة وبفاعلية القناة وبصلاحية الشفرة.وقد نتج هذا التصنيف الذي وضعه "روبول" من عناصر بنية التواصل والتي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- عنصر خاص بالمسؤولين عن انجاز واستقبال الرسالة أي المرسل والمرسل إليه.
- عنصر خاص بالمعرفة ويشمل السياق (المرجع).
- عنصر خاص بالرسالة والقناة والشفرة.

ونلاحظ أن "روبول" أعطى أهمية كبيرة للبعد التداولي في دراسة وظائف اللغة خاصة عندما ركز على المرسل وعلاقته بالمرسل إليه ومدى تأثره بالرسالة وهو ما يحقق الوظيفة التواصلية للغة.

2-5- "بوبر"(Popper):

ركز على تفسير القدرة على استعمال اللغة وظيفيا، وتنقسم هذه القدرة إلى ثلاثة أقسام هي:[1]

1. **بيولوجية:** القدرة عند الإنسان موروث جيني.
2. **نفسية:** السلوك اللغوي عند الإنسان مكتسب من خلال التعلم والممارسة.
3. **الاجتماعية:** يظل الإنسان بحاجة إلى الفعل الثقافي والاجتماعي لاستعمال ما تعلمه.

ولقد حصر "بوبر" وظائف اللغة في أربع وظائف مرتبة من الأدنى إلى الأعلى وهي:

- **الوظيفة التعبيرية:** يعبر المرسل عن حالته الداخلية.

- **الوظيفة الإشارية:** يبلغ المرسل المعلومات المتعلقة بحالاته الداخلية إلى الآخرين.

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري : المرجع السابق، ص 14.

- **الوظيفة الوصفية:** وصف الأشياء في المحيط الخارجي.
- **الوظيفة الحجاجية:** لتقييم الحجج وتبريرها.

ويرى "بوبر" أن هذه الوظائف "تكون هرما، بحيث يتزامن ظهور الوظيفة التي تقع في المرتبة الأعلى مع ما دونها من وظائف، في حين لا تتضمن الوظيفة الدنيا ما يعلوها من وظائف"[1]، فتصبح كل وظيفة سببا في ظهور الوظيفة التي تليها فيعبر المرسل عن حالته الداخلية للمرسل إليه كما يصف الواقع الخارجي –أيضا – وذلك بتقديم الحجج الممكنة".

2-6-أندريه مارتينيه (Andrée Martinet):

يعد مارتيني من أعلام "الفونولوجيا" أو "علم الأصوات الوظيفي" شارك في أعمال مدرسة "براغ" الوظيفية، واعتمد على مبادئها فساهم في تطور اللسانيات الحديثة في أوروبا بصفة عامة وفي فرنسا بصفة خاصة، وقدر ركز على وظيفة اللغة في العملية التواصلية التبليغية.

مبادئ التحليل الوظيفي عند مارتنيه:

أ) **وظيفة اللغة:** يرى مارتينيه أن الوظيفة الأساسية للغة هي الوظيفة التواصلية وهي وظيفة تؤديها اللغة باعتبارها مؤسسة إنسانية رغم اختلاف بنيتها من مجتمع إلى آخر، فهي الوظيفة الجوهرية للغة عنده، ولكنه لا ينفي بقية الوظائف التي تؤديها اللغة. فالوظيفة اللغوية تتمحور حول عملية التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمع الذي تحكمه الضوابط والقوانين.

ويحدد مارتينيه ثلاثة أنواع من الوظائف التي تؤديها اللغة والتي تؤول في مجملها إلى الوظيفة التواصلية وهي:

1. **الوظيفة التميزية أو المضادة (Distinctive):** تمكن السامع من معرفة أن لفظة معينة عوض لفظة أخرى قد نطق بها المتكلم.
2. **الوظيفة الفاصلة (Démarcative):** التي تمكن السامع مت تحليل القول إلى وحدات متتابعة.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري : المرجع السابق، ص 14.

3. **الوظيفة التعبيرية (Expressive)**:التي تعلم السامع عن الحالة العقلية أو الفكرية للمتكلم[1].

ويعرّف اللغات بأنها: "عبارة عن أنظمة سيمائية آلية تنظم نفسها بنفسها، وتتحكم فيها المبادئ التي تلبي متطلبات الجهد الأدنى والوضوح التام أثناء عملية التواصل"[2].

كما ميز بين عدد الثنائيات الصغرى ذات القدرة التميزية والتي تمثل تقابل فونيمين في لغة ما، فالمردود الوظيفي لكل من /س/ و /ن/ هو عدد الثنائيات الصغرى التي تتقابل فيها.

ب) التقطيع المزدوج:ترتكز نظرية أندريه مارتنيه على التقطيع المزدوج الذي يؤكد فيها على أن الأقوال البشرية تتكون من مستويين مختلفين هما:

- **مستوى التقطيع الأول**: وفيه نحصل على مضمون معنوي (المدلول) وصوت ملفوظ (دال) مثل: راجع/ت درس/ي فهذا مثال يتكون من أربع مونيمات متتابعة، وهي وحدات دنيا يستحيل تحليلها إلى وحدات دالة أصغر منها.
- **مستوى التقطيع الثاني**: يمكننا تقطيع المونيمات إلى وحدات دنيا أيضا مجردة من كل دلالة ولكنها مميزة تسمى بالفونيمات[3].

ج) المبادئ الوظيفية للدراسة اللسانية: وتتمثل في:

– **الصلات القائمة بين الوحدات اللسانية**:يهتم التركيب اللساني الوظيفي بالعلاقة القائمة بين المونيمات بحيث تتحدد وظيفة كل مونيم داخل الجملة انطلاقا من هذه العلاقات.

– **رتبة الوحدات اللسانية**: كي تحدد وظيفة المونيمات التركيبية يتوجب علينا معرفة موقعها وانتظامها داخل التركيب الذي يختلف باختلاف الموقف.

---

[1] André martinet, éléments de linguistique générale , Armand Colin ,quatrième édition ,deuxième tirage . p 53.

[2] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 154.

[3] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص117 .

– **محتوى الوحدات اللسانية:** هو المحتوى الدلالي الذي يكسب المونيم دلالة خاصة ومستقلة عن غيره، تجعله يؤدي وظيفة مميزة داخل التركيب.

د) مفهوم الملاءمة: هي ملائمة الموضوع الذي تسعى إلى دراسته مجموعة المعطيات التي تخصه، فاللغة كباقي العلوم لها سمات ملائمة أو مناسبة لتحليلها، فالأعداد مثلا هي السمات المناسبة في علم الحساب، والأشكال هي السمات التي يجب التركيز عليها في علم الهندسة[1].

هـ) الاقتصاد اللغوي في مجال التطور اللساني: يتماشى الاقتصاد اللغوي مع حاجات التواصل وما تقتضيه حركية السياق الواقعي المتجدد والمتغير من جهة، ومع الطبيعة الإنسانية التي تجنح إلى استعمال أقل عدد من المفردات العامة من جهة أخرى، ويرى مارتنيه أن "الأسباب الخارجية لا يكون لها التأثير الفعال ما لم تندرج في إطار بنية اللغة"[2]. ويضيف مارتنيه في سياق آخر إلى أن التطور اللغوي يخضع في النتيجة إلى ضرورة المحافظة على إمكانية التفاهم بين هذه الأجيال المختلفة ومن أهم الأسباب التي تؤدي إلى تطور اللغة اتصال بنية اللغة ببنية لغة أخرى وهذا يظهر عند التواصل داخل المجتمع وهو ما يضمن للغة البقاء والتطور.

و) الدراسة التركيبية:استفاد "مارتيني" من نتائج الأبحاث التي وصلت إليها الدراسة الفونولوجية، فاستطاع أن يطور التحليل التركيبي للجملة، فوضع الخطوط الأولية لهذا التحليل الذي يقوم على أساس وظيفة العناصر اللسانية في التركيب وطرق ترتيبها[3].

فمثلا: كلمة [خرج] و [أخرج] فكل كلمة تتكون من عناصر لكل عنصر منها وظيفة فكلاهما تتضمن الحروف الدالة على الخروج لكن كلمة [أخرج] تتضمن زيادة دلالة صوت الهمزة فأصبحت صيغة الكلمة تدل على الأمر الموجه إلى المخاطب المفرد والمذكر ولقد أكد "مارتنيه" على العلاقة التي تربط المونيمات في النظام اللساني والتي تتجلي في حالات هي:

---

[1] نعمان بوقرة: المرجع السابق، ص.ص 117 – 118.

[2] حنيفي بن ناصر ومختار لزعر: اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ص 81.

[3] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ،ص 118.

- **اللفظة المستقلة**:وتتمثل في الوحدات الدالة التي تتضمن في بنيتها دليل وظيفتها مثل: اليوم، غدا، أحيانا...، وهي ألفاظ تدل على الزمن ودلالتها لا تتغير في الجملة، أوتتقيد بترتيب معين مثل:

كرم الأديب أمس

أمس كرم الأديب

وكرم أمس الأديب[1]

- **اللفظة الوظيفية**:هي المورفيمات التي لا وظيفة لها في حد ذاتها لكنها تساعد الكلمة التي بعدها على تحديد وظيفتها مثل حروف الجر وأدوات النصب والجزم في اللغة العربية.
- **اللفظة التابعة**:"هي اللفظة المقترنة باللفظة الوظيفية التي تحدد وظيفتها"[2]مثل الاسم المجرور المقترن بحرف الجر.

ويتضح نوع آخر من الألفاظ التابعة وهي الألفاظ التابعة المقيدة بالموقع، فوظيفتها تتحدد من خلال موقعها وإذا تغير هذا الموقع تتغير وظيفتها النحوية، مثل:

اشتريت كتاب التاريخ.

"التاريخ" مضاف إليه وهي لفظة تابعة مقيدة بموقعها.

- **العبارة المستقلة**:تتحدد وظيفة العبارة المستقلة من خلال تركيب العناصر مجتمعة مثل: الجار والمجرور، والمضاف و المضاف إليه، والنعت والمنعوت.

أنواع الوحدات التركيبية:تتخذ الوحدات التركيبية أشكالا مختلفة منها:

أ- **اللفظة البسيطة**: هي الوحدة الدنيا للتقطيع، يمكن استبدالها بوحدات مختلفة مثل:

أحمد طالب نجيب (مجتهد/كسول/ذكي/....).

ب- اللفظة الممتزجة:

هي اللفظة التي يكون فيها الدال منطويا على مدلولين أو أكثر ولا يمكن فصلهما من الناحية الشكلية.

---

[1] نعمان بوقرة :المرجع نفسه، ص .ص 118 – 119.

[2] نعمان بوقرة :المرجع نفسه، ص 120.

ج- اللفظة المفروقة: هي عكس اللفظة الممتزجة لأن فيها ينقسم الدال إلى قسمين أو أكثر لتحديد مدلول واحد غير قابل للتجزئة مثل:

ارتدت الممرضة مئزرها.

فتاء التأنيث هي ثلاث علامات في الفعل ارتدت و(ة) في الممرضة و(ها) في مئزرها.

د- اللفظة العدمية أو الصفرية:هي عبارة عن غيابات شكلية، يرمز لها أثناء التحليل بعلامة على شكل (0)، وهذا يتضح في اللغة المكتوبة من خلال الفتحة والتاء المربوطة مع المؤنث وغيابها مع المذكر، مثل:

مذكر	مؤنث
معلم 0	معلمة
أستاذ0	أستاذة
كتب0	كتبت

هـ- اللفظة المشتركة: وتظهر عندما يتقاسم دال واحد مدلولان أو أكثر مثل: أنت تبتسم ، هي تبتسم.

و- الصيغة الاتحادية:هي الصيغ التي تتحد من أجل أداء وظيفة واحدة مثال جملة القول، جواز السفر... لذلك فقد تكون عبارة عن نعت ومنعوت أو مضاف ومضاف إليه... وهي تعامل معاملة اللفظة الواحدة.

ز- الصيغة التركيبية: هي مجموع ألفاظ لكل منها وظيفة خاصة تحتوي في أغلب الأحيان على وحدة وظيفية تحقق لها الاستقلالية فتكون وظيفتها غير مرتبطة بالموقع مثل:

- في السنة الماضية سافرت إلى الأردن.
- سافرت في السنة الماضية إلى الأردن.
- سافرت إلى الأردن في السنة الماضية.

ح- **المركب الاسنادي**: المركب الاسنادي مكتفي بذاته قادر على إنشاء رسالة دون أي إضافات أو إلحاقات، وكل ما يضاف له يسمى فضله أو إلحاق فإذا تعلق بالمركب الاسنادي تعلقا مباشرا فهي تؤدي وظيفة أولية أما إذا تعلقت تعلقا غير مباشر فهي تؤدي وظيفة غير أولية.

ويميز " مارتينيه" بين نوعين من الإلحاق (expansion) هما:

- **الإلحاق بالعطف (coordination)**: وهو الذي يبقي الكلام مطابقا لبنية الجملة النواة، إذا حذف العنصر الأولي (المعطوف عليه مثل: حضر العظماء والأشراف فإذا حذفنا (العظماء) تصبح الجملة (حضر الأشراف) مطابقة للجملة الأولى.
- **الإلحاق بالتبعية أو التعلق (subordination)**: فيختلف عن الإلحاق الأول، فتميز فيه الملحق بوظيفة تختلف عن وظيفة العنصر الأولي المتبوع مثل : كافأه بجائزة كبيرة من الكتب، إذا لا يمكن حذف العنصر الأولي (لجائزة) لأن وظيفته التركيبية تختلف عن العنصر التابع (كبيرة).

يتضمن الإلحاق عند "مارتينيه" وظائف تركيبية مختلفة: كالنعت والمضاف إليه والمفعول والمعطوف لذا فهو يعرف الجملة على أساس : " كل مركب تتصل عناصره بركن إسنادي وحيد أو متعددة عن طريق الإلحاق"[1].

ويشمل تحليل مارتيني جميع اللغات والتي تستعمل المصطلحات التقليدية المألوفة كالاسم والفعل ما شابه[2].

بقي اهتمام مارتنيه يتزايد بالمجال الوظيفي وبقي يلح على الوظيفة التواصلية للغة كوظيفة أساسية، وقد نشر محاضرتين ألقيتا خلال شهر تشرين الأول (أكتوبر) 1980 في المدرسة العليا للألسن الأجنبية التابعة لجامعة اسطنبول، تحت إشراف البروفيسور "برك فاردار" (Berke vardar) والذي نشرهما ضمن كتيب له بعنوان "ألسنية وسيمائية وظيفتان"(linguistique et sémiologie fonctionnelles)وهو يدعو فيهما

---

[1] نعمان بوقرة: اللسانيات، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 107.

[2] رونالد ايلوار: مدخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، منشورات وزارة التعليم العالي، 1400هـ – 1980م،ص 104.

إلى العودة إلى الواقع الخارجي في دراسة اللغة لأن تحديد وظيفة اللسان لا يمكن أن تتجرد من الواقع، لأنها تسعى لإشباع احتياجات ما، وأنه إذا تغيرت هذه الاحتياجات على مر الزمن، فليس بمقدور هذه المؤسسة أن تتوانى عن التلاؤم في تغطيتها[1] وهذا ناتج من الاعتقاد الراسخ لديه بأن الملائمة التواصلية هي التي تمكننا من فهم طبيعة ديناميكية اللغة، وهو ما يجعلنا نرضي احتياجات التواصل التي تتلاءم مع شروط الحياة المتجددة.

وأخيرا فإن موقف مارتيني من الوظيفة هو امتداد لمواقف من سبقه في مدرسة براغ وخاصة "كارل بوهلر" و "جاكبسون".

2-7- إيميل بنفنست (Emile Benveniste):

إيميل بنفنيست هو واحد من أقطاب المدرسة الوظيفية، عرّف اللغة على أساس أنها: "تتمثل في القول الذي يحيل على موقف ما، فإذا تكلمنا فإننا نتكلم دائما عن شيء ما

يتكون من حيث الشكل من وحدات مستقلة تمثل كل واحدة منها علامة.وتنتج اللغة وتستقبل في إطار قيم إشارية مشتركة بين أعضاء مجتمع واحد، وتمثل اللغة أيضا التحقيق الوحيد للتواصل بين ذات المتكلم وذات المخاطب وتمثل اللغة بهذه الأسباب مجتمعة النظام السيميوطيقي الأمثل، وتعطينا فكرة واضحة عن وظيفة العلامة،كما تنفرد بتقديم صورتها المتكاملة"[2].

و يعتبر إيميل بنفنيست الوظيفة الأساسية للعلامة اللغوية هي التواصل الذي تنتج فيه اللغة وتستقبل ،وذلك من خلال الاشتراك في مجموعة من القيم الإشارية بين المتكلم والسامع، وبذلك يؤكد على أن اللغة نظام سيميولوجي يعكس وظيفة العلامة اللغوية، ولهذا يرى بنفنيست أن "العبارة وحدة لسانية متميزة بخصائص فريدة فهي تستوعب الإشارات وإن لم تكن إشارة بحد ذاتها ولا يصح تعريفها إلا بوصفها محمولا وبذلك تختلف اختلافا بينا عن سائر الوحدات اللسانية"[3].

---

[1] خالد خليل هويدي: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث (الأصول والاتجاهات)، ص 27.

[2] رايص نور الدين: نظرية التواصل، ص 132.

[3] رونالد ايلوار: مدخل إلى اللسانيات، ص 131.

ألّف بنفنيست كتابه "قضايا اللسانيات العامة" واهتم فيه بالتواصل حيث أفرد فيه بابا عنونه ب "التواصل" وفيه ثلاثة فصول: تناول في الفصل الأول سيميولوجيا اللغة والذي تأثر فيه ب "برولان بارت" وحاول فيه مناقشة بعض الأنظمة السيميولوجية كالموسيقى مثلا، وكان كل ذلك في إطار المقارنة بين سيميولوجيا دي سويسر وسيميوطيقا بيرس.

وفي الفصل الثاني –من باب التواصل– تناول اللغة والتجربة البشرية وتناول في الفصل الثالث " الجهاز الشكلي للتلفظ" والذي يبين فيه علاقة التلفظ enotiationبالحديث discoursوبالحوار conversationفالحديث يتطلب وجود المتكلم والسامع في نقل الأخبار، أما الحوار فهو له أبعاد تداولية واضحة في رأي بنفنيست الذي يؤكد على أن التلفظ فيه يكون من جانبين، من المتكلم إلى المستمع والعكس، وهو ما يصطلح عليه بنفنيست المتكلم – المستمع[1].

وناقش بنفنيست قضية الحوار الداخلي (le monologue) الذي يتشكل من الكلام الداخلي بين الأنا المتكلم والأنا المستمع، كما تحدث عن الوظيفة الفاتيكية (وظيفة ربط الاتصال) ومع تطور الاتجاه الوظيفي، ظهرت جملة من الأعمال التي ساهمت مدرسة لندن في بلورتها فقد أعطت كل الاهتمام للغة بوصفها ظاهرة بشرية متكاملة، ودراستها في مستوياتها (الصوتية، والصرفية والتركيبية والدلالية) لا تكفي، فلا بد من الأخذ في الحسبان كل الأبعاد الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تحيط باللغة، وذلك يتم بالرجوع إلى السياق ، وهو ما سيتوضح في المدرسة الانجليزية (لندن).

3– مدرسة لندن:

اعتنت هذه المدرسة بالدرس الصوتي منذ عصر النهضة وما ارتبط به من تعليم اللغات واصطلاح الكتابة، ومن أهم اللسانين الذين برزو في هذه المدرسة:

" ألكسندر مالفيل بال (Alexander malville Bell) و"هنري سويت" (H.Sweet) و"دانيال جونز" (D.J.ones) ودفيد أبركومي (DavidAbercombie)، و"جون ليونز" (J.Lyons)، و" بالمر" (F.palmer)، و"كريستل" (D. Crystal) و"كوردر

[1] رايص نور الدين: نظرية التواصل، ص 133.

(s.pitCorder)، وبيتر ستيرفنس (Peterstrevens) وجون فيرث (J.R.Firth) و" هاليداي" (M.Halliday)[1].

وقد برزت المدرسة الانجليزية أكثر من خلال الأبحاث التي قدمها "فيرث" وتلميذه "هاليداي".

3-1جون فيرث (John Firth) (1890 –1960)

يعد فيرث المؤسس الحقيقي للسانيات الانجليزية في بعدها الشمولي من خلال هذه المدرسة، والتي يرجع إليها الفضل في الاعتراف باللسانيات العامة علما أكاديميا في الجامعات البريطانية ابتداء من سنة 1944 و 1956[2].

درس "فيرث" اللغة بوصفها نشاطا معنويا في سياق اجتماعي معين وكان يرفض بناء فكره اللغوي على ما سمي بالثنائيات على خلاف ما ذهب إليه دي سوسير وقد تطورت الدراسات اللغوية في بريطانيا نتيجة اتساع رقعة الإمبراطورية الدراسات اللغوية في بريطانيا نتيجة اتساع رقعة الامبراطورية البريطانية، وازدياد الحاجة لدراسة اللغات الشرقية والافريقية لأغراض متعددة، فاكتشف "وليم جونز" النقاب عن القرابة بين اللغة السنسكريتية واللغات البريطانية الكلاسيكية، أما " فيرث" فقد أعطى الدراسات اللغوية البريطانية نفسا جديدا.

وسنحاول تسليط الضوء على أهم مجالات التنظيم الفيرثي والتي تتمثل في مايلي:

أ) العلاقات الداخلية أو الشكلية المتعلقة بالنص: والتي تتكون من:

- **العلاقات الركنية (Syntagmatic relation)**: وهي العلاقات الموجودة بين عناصر البنية في المستوى النحو والصوتي وذلك كالعلاقة بين المفردات في الجمل المختلفة أو المتتابعة أو العلاقات التركيبية بين الوحدات النحوية أو العلاقات بين الوحدات الفونولوجية.
- **العلاقات الاستبدالية للمفردات ضمن الأنظمة (Systems)**: فكل مفردة هي عنصر معين من البنية، ويمثل النظام مجموعة المفردات التي نقوم باختيار أية مفردة منها.

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 171، وينظر خالد خليل هويدي: التفكير الدلالي في الدرس اللساني بالعربي الحديث الأصول والاتجاهات، ص 91.

[2] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 120.

ب) العلاقات الموقفة: (**Situationnel Relation**): وتتمثل في العلاقات الموجودة ضمن سياق الموقف، والعلاقات القائمة بين أجزاء النص ومظاهر الموقف[1].

نلاحظ أن "فيرث" ميز بين البنى وعناصرها التي تربطها علاقات ركنية من جهة وعلاقات استبدالية من جهة أخرى، كما ميز بين البنية والنظام "فالبنية تدل على كل

العلاقات الموجودة على مستوى المحور الركني، أي الترتيب الأفقي لمختلف العناصر المناسبة، أما النظام فيدل على كل العلاقات الموجودة على مستوى المحور الاستبدالي بين مختلف العناصر"[2].

وجعل فيرث الدلالة علما قائما بذاته وذهب إلى القول بأن دراسة الدلالة هي المهمة الرئيسية للسانيات الوصفية.

فمفهوم الدلالة عنده مرتبط بالأفكار التي جاء بها زميله "برونيسلو مالينوفسكي" (Bromislaw Malinowsky) الأنثروبولوجي البولندي الذي درس بلندن منذ 1927، والذي استخلص من أبحاثه التي أجراها على القبائل البدائية أن "اللغة تعمل كأداة تواصل ضمن نشاط إنساني متعارف عليه، فهي ضرب من النشاط... وما الكلمات إلا أدوات ولا يكمن معنى الأداة إلا في استعمالها"[3].

مالينوفسكي بمفهوم السياق الموقفي لتوضيح المعنى، هذا المفهوم الذي وضعه حينما ترجم مفردات وجمل من النصوص الأثنوغرافية في شرقي غينيا الجديدة إلى اللغة الانجليزية المفهومة فبرزت الوظائف التي تؤديها اللغة في السياقات الموقفية التي تستعمل فيها.تبنى "فيرث" نظرية السياق الموقفي التي جاء بها مالينوفسكي الذي يعتبره كل ما يحيط بالكلام الطبيعي الفعلي أما بالنسبة لفيرث هو "حقل من العلامات (Field of Relation) علاقات بين أشخاص يقومون بأدوارهم في المجتمع، مستعملين في ذلك لغات مختلفة، ومرتبطين بحوادث وأشياء متنوعة"[4].

---

[1] أحمد مومن:اللسانيات النشأة والتطور، ص 157.

[2] أحمد مومن : المرجع السابق، ص 177.

[3] أحمد مومن :المرجع نفسه، ص 177.

[4] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 178.

ويتضح هذا أكثر في قول "فيرث" " إني أقترح تقسيم المعنى أو الوظيفة إلى مجموعة من الوظائف المكونة، وما الوظيفة إلا ضرب من استعمال شكل أو عنصر من لغة معينة حسب سياق معين وينبغي علينا أن ننظر إلى المعنى على أنه مركب من العلاقات السياقية، حيث تعالج كل من القواعد، والدلالة والصوتيات، وصناعة المعاجم مكوناتها في السياق الملائم لهذا المركب"[1]، وبذلك تصبح الوظيفة هي المعنى والغرض المحصل من خلال استعمال بنية اللغة في سياقتها المختلفة، وهو المفهوم الذي ترتكز عليه نظرية النحو الوظيفي التي جاء بها سيمون ديك فيما بعد.

- **الصوتيات الوظيفية (Phonology):**

اهتم " فيرث" بالصوتيات الوظيفية اهتماما كبيرا مكنه من بلورة مقاربتين ملازمتين للغة وهما:

1. **مقاربة الأنظمة المتعددة:** (Polystemic Approach):

اعتنى " فيرث" بفكرة إقامة أنظمة متعددة للفونيمات لوصف اللغات البشرية – عوض النظام الواحد– يقول: " يلازم كل عنصر من البنية نظام متميز عن الأنظمة التي تلازم عناصر أخرى من البنية نفسها، وبالتالي يختلف نظام الصوامت الاستهلالية الممكنة في اللغة الصينية عن نظام الصوامت الختامية الممكنة، فنظام البنية الفونولوجية يختلف من بنية إلى أخرى، ففي اللغة الانجليزية يتضمن نظام الصوامت الممكنة في المقاطع الصوتية المنفتحة الختامية عناصر أقل من عناصر النظام المطابق للمقاطع الصوتية المنغلقة، كما تختلف الأنظمة التي تنطبق على الكلمات الداخلية عن الأنظمة التي تنطبق على الكلمات الأصلية في اللغة

2. **الصوتيات الوظيفية الفوقطعية: (Prosodic Phonology)**

إن مصطلح (Prosody) في اللغة الانجليزية يحمل معنيين هما:

1. يعني علم العروض الذي يهتم بالأوزان الشعرية والتفعيلات والقوافي.
2. ويعني " مفهوم الفوقطعية" الذي يهتم بالظواهر الصوتية المختلفة كالنبر (Stress) والفاصل (Junctive) والنغم (Pitch)، والتنغيم (Intonation) وهي سمات تقترن بالجملة وشبه الجملة.

---

[1] أحمد مومن: المرجع السابق، ص178.

وقد جاء "فيرث" بنظرية التحليل الفوقطعي التي تهتم بتحليل الكلام إلى فونيمات قطعية (Segmental Phonèmes) وفونيمات فوقطعية (Suprasegmental).

أ- الفونيم القطعي: هو أصغر وحدة صوتية متمثلة في أحد الصوامت أو الصوائت التي نتلفظها.

ب-الفونيم الفوقطعي: هو فونيم يزامن أحيانا الفونيم القطعي، وقد يكون نبرة أو نغما أو فاصلا، ويطلق عليه " البروسوديوم" (Prosodeme)، وبالإضافة إلى هذا فإن الوحدات الفوقطعية تشمل أيضا سمات مختلفة:الأنفية أو الغنة (Nasalisation)، وسمة التغوير (Palatalisation)، وسمة الأطباق أو التفخيم (Vélarisation).

ويندرج هذا التحليل الصوتي ضمن نظرية فيرث العامة التي تدعى بالنظرية السياقية.

ودرس هندرسون" (Henderson) الظواهر الصوتية بشكل واسع ليتوصل في سنة 1949 إلى ضبط قائمة من السمات الفوقطعية والوحدات الفونيمية والتي تتمثل فيما يلي:

أ- السمات الفوقطعية على مستوى الجملة التنغيم.

ب-السمات الفوقطعية المتعلقة بأجزاء الجملة: النبروالتنغيم

ج- السمات الفوقطعية الخاصة بالمقطع، طول الصوت، والنغم والنبر والتغوير، والإطباق الشفوي (Labiovelarization).

د- السمات الفوق قطعية الخاصة بأجزاء المقطع الهائية (Aspiration) والارتداد (Rétroflexion)، والانفجار (Explosion)، والإغلاق غير الانفجاري (unexploded plosure).

هـ- العناصر الفونيمية (Phonemetic Eléments) الصائتة والصامتة: طبقي، أسناني شفتاني، أنفي، أمامي، خلفي مدور، (Rounded)، وغير مدور[1].

وهكذا فقد عنيت هذه المدرسة (مدرسة لندن) باللغة الانجليزية خاصة وبعض اللغات الأوربية، وإلى جانب هذا الاهتمام فقد عنيت باللغات الشرقية والإفريقية خدمة لمصالح الإمبراطورية البريطانية وإن ما يميز الدرس الانجليزي تنوع النظريات الدلالية والتي من أهمها:

---

[1] أحمد مومن :المرجع السابق، ص.ص 182 – 183 – 184.

1. النظرية الإشارية: إن أول من طور النظرية الإشارية (ReferentialTheory) أو (Denotational)، هما أوجدن ورتشاردز والتي أوضحاها بالمثلث الدلالي الشهير بحيث ركزا على علاقة الدال بالمدلول التي تعود جذورها إلى دي سوسير، ولكن قد اعترضا على أساس هذه النظرية بما يأتي:

- أنها تدرس الظاهرة اللغوية خارج إطار اللغة.
- تقوم على أساس دراسة الموجودات اللغوية (المشار إليه) لأن هذه النظرية تتطلب المعرفة الدقيقة بكل شيء في عالم المتكلم ولكن، المعرفة الإنسانية أقل من هذا بكثير.
- أنها لا تتضمن كلمات مثل لا وإلى ولكن و أو ونحو ذلك من الكلمات التي لها معنى يفهمه السامع والمتكلم ولكن الشيء الذي تدل عليه لا يمكن أن يتعرف عليه في العام المادي.
- أن معنى الشيء غير ذاته فمثلا معنى كلمة تفاحة ليس هو " التفاحة" فالتفاحة يمكن أن تؤكل لكن المعنى لا يؤكل[1].

2. النظرية التصويرية: (idéationnel theory) أو النظرية العقلية (mentalistic theory) التي جاء بها الفيلسوف الانجليزي (John Locke) (القرن السابع عشر) الذي يقول "استعمال الكلمات يجب أن يكون الإشارة الحساسة إلى الأفكار التي تمثلها"[2].

فاللغة في إطار هذه النظرية هي: "وسيلة أو أداة لتوصيل الأفكار، أو تمثيلا خارجيا أو معنويا لحالة داخلية وما يعطي تعبيرا لغويا معنى معينا استعماله باطراد في التفاهم كعلامة

---

[1] نعمان بوقرة: محاضرات في اللسانيات المعاصرة، ص 135.

[2] نعمان بوقرة :لمرجع نفسه، ص: 136.

على فكرة معينة والأفكار التي تدور في أذهاننا تملك وجودا مستقلا، ووظيفة مستقلة عن اللغة"[1].

3. النظرية السياقية:اقترنت هذه النظرية باسم اللغوي "فيرث" Firthالذي تأثر بالانتروبولوجي ما لينو فسكي Malinowskiوقد أكدت هذه النظرية على مايلي:

- أهمية الوقوف على السياقات المختلفة التي ترد فيها الكلمة ليتضح معناها الصحيح (يتحدد معنى الكلمة في سياقها).
- معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة "أو الطريقة التي تستعمل بها" أو "الدور الذي تؤديه".
- لا يمكن وصف الوحدات الدلالية وتحديدها إلا بملاحظة الوحدات المجاورة لها[2].

لقد حاول الدارسون في هذه النظرية التركيز على السياق الذي ترد فيه الكلمات، فسعوا إلى تخليص دراسة المعنى من المناهج الخارجية عن اللغة من جهة، وجعلوا هذه الدراسة خاضعة للملاحظة والتحليل الموضوعي داخل اللغة من جهة أخرى.

أ-**سياق الحال عند فيرث**: يتكون من مجموع العناصر التي تكون الحدث الكلامي، وتشمل التكوين الثقافي للمشاركين في هذا الحدث، والظروف الاجتماعية المحيطة به والأثر الذي يتركه على المشاركين فيه. وهو ما عبر عليه فيرث بـ "الوصول إلى معنى أي نص لغوي يستلزم تحليله على المستويات اللغوية المختلفة، ثم بيان وظيفة هذا النص اللغوي ومقامه، ثم بيان الأثر الذي يتركه في من يسمعه"[3].

فالمعني عند فيرث مجموعة مركبة من العلاقات السياقية والدراسة الفونولوجية والتركيبية والمعجمية والدلالية وبناء على ذلك يتغير المعنى بتغير السياقات المختلفة الوارد فيها، لسانية كانت أم غير لسانية.

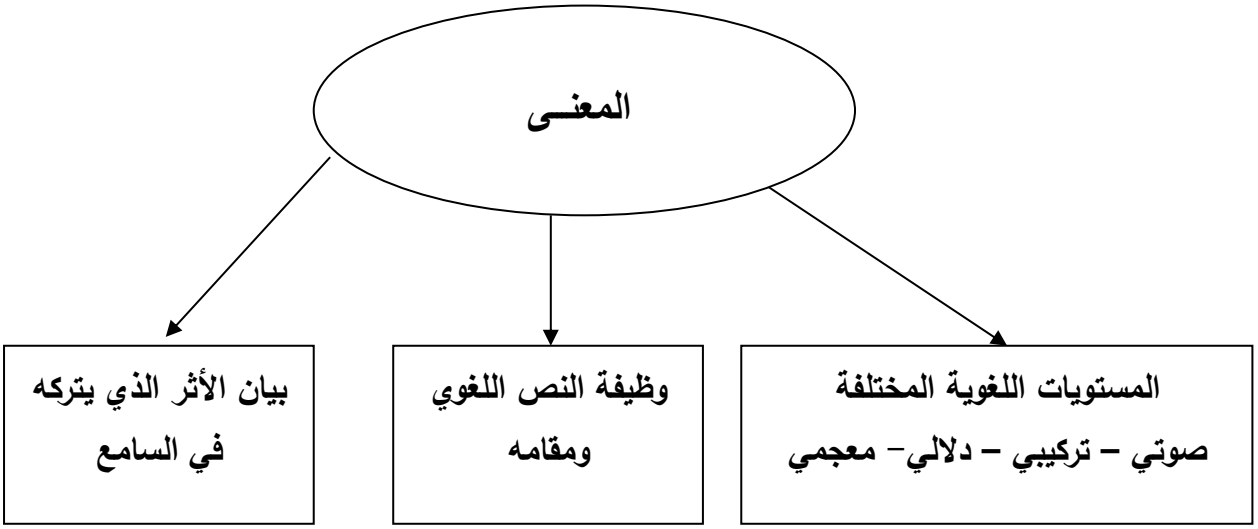
---

[1] نعمان بوقرة :المرجع السابق، ص 136.

[2] نعمان بوقرة :المرجع نفسه، ص 137.

[3] نعمان بوقرة: المرجع نفسه، ص 138.

وقد حدد فيرث سياق الحال الذي يتكون من مجموعة من العناصر هي: "التكوين الثقافي للمشاركين في الحدث والظروف الاجتماعية المحيطة به، والأثر الذي يتركه على المشاركين فيه"[1]، ويمكن أن نبين ذلك في هذا المخطط.



وهو بذلك يربط بين البنية اللغوية والوظيفة التي تؤديها في سياقها، وقد اقترح " بالمر" تقسيما واضحا للسياق يتمثل في:

ب–السياق اللغوي (Linguistic contexte) :

"وهو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة وكلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصا محددا"[2]، فالسياق اللغوي يوضح كثيرا من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياسا لبيان الترادف أو الاشتراك أو العموم أو الخصوص أو الفروق ونحو ذلك ويوضح لنا السياق اللغوي الكثير من العلاقات الدلالية القائمة بين الوحدات اللغوية المتجاورة التي لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تجاورها.

ج- السياق العاطفي(Emotionnel Contexte):

[1] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 123.

[2] نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 138.

يرتبط السياق العاطفي بدرجة الانفعال التي تصاحب الأداء الفعلي للكلام من حيث ما يقتضيه الكلام من تأكيد أو مبالغة أو اعتدال.

د- سياق الموقف (Situationnel Contexte):

" وهو الإطار الخارجي الذي يحيط بالإنتاج الفعلي للكلام في المجتمع اللغوي"[1]، ويمكن أن نمثل لذلك بالكلمة /عملية/ التي يتغير مدلولها في النظام اللساني العربي بتغير سياق الموقف الواردة فيه (أو المقام)، فإذا كان الموقف تعليمي فإن كلمة عملية تعني إجراء عملية حسابية مألوفة عن طريق الجمع والطرح والضرب، أما إذا كان السياق طبي فهي تعني إجراء عملية جراحية ما، وإذا كان الموقف عسكري فإنه كلمة عملية تعني خطة عسكرية معينة.

ويشمل سياق الحال، والموقف عند " فيرث" على جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي ومنها[2]:شخصية كل من المتكلم والسامع ومن يشهد الكلام، وتكوينهم الثقافي، مدى مشاركتهم في الموقف الكلامي. كل العوامل والظواهر الاجتماعية التي لها علاقة باللغة كحالة الجو، والوضع التخابري، ومكان الكلام.

أثر الحدث الكلامي في المشتركين (الإقناع، الإغراء، الضحك)، هذه العناصر المكونة للموقف الكلامي تجعلنا نحلل بشكل يسمح لنا بتأويلها وفهمها وفهم الرسالة لأنه يجب علينا أن نعرف من هو المتكلم ومن هو السامع وما هو زمان ومكان إنتاج الرسالة؟

ولهذا يعتبر فيرث المعنى أنه وظيفة في السياق وجعله عبارة عن مركب من العلاقات السياقية ، وهو بذلك فتح الباب واسعا نحو اتجاه جديد في دراسة المعنى.

ونجده يقول أيضا في هذا الصدد: "أن الوقت قد حان للتخلي عن البحث في المعنى بوصفه عمليات ذهنية كامنة والنظر إليه على أنه مركب من العلاقات السياقية، وذهب إلى أن الوظيفة الدلالية لا تتأتى إلا بعد أن تتجسد القولة في موقف فعلي معين، أي بعد أن تخرج من خانة الوجود الكامن إلى حيز الوجود الاستعمالي الفعلي"[3]، وهذا ما يتحقق في سياق الحال.

---

[1] نعمان بوقرة ،المرجع السابق، ص 138.

[2] خالد خليل هويدي: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص .ص 95- 96.

[3] خالد خليل هويدي :المرجع السابق، ص 96.

ويتشكل المعنى عند " فيرث" من مجموعة من الوظائف حيث عرف الوظيفة على أساس أنها: "استعمال مبنى أو عنصر لغوي في سياق ما، وهذه الوظائف هي:

1- الوظيفة الصوتية، 2- الوظيفة الصرفية، 3- الوظيفة المعجمية، 4- الوظيفة التركيبية، 5- الوظيفة الدلالية"[1].

أعطى "فيرث" للوظيفة بهذا التعريف البعد التداولي الواضح حيث يربط بنية اللغة (صوت، صرف، تركيب، دلالة) والسياق أي دراسة اللغة في سياق استعمالها وهو ما ألحت عليه الدراسات التداولية فيما بعد وجعلته مبدأ أساسيا لها.

هـ- السياق الثقافي: (Cultural Contexte)

السياق الثقافي هو سياق مستقل عن السياق الموقفي، الذي يمثل المقام – عادة- فهو يركز على المعطيات الاجتماعية فنجد مثلا المثقف العربي يختار كلمة "زوجة" أو" مدام" للدلالة على امرأته، في حين يستخدم الرجل العادي كلمة "مره" للدلالة على زوجته، ويحدد السياق الثقافي للدلالة المقصودة من الكلمة[2].

ولقد تركت هذه النظرية آثارها واضحة في الدراسات اللسانية الغربية والعربية، كما ساعدت في تطور الدرس اللساني الذي أخذ يتجه وجهة جديدة نحو استعمال اللغة وعلاقته بالسياق الوارد فيه، مما أدى إلى ظهور اتجاهات لسانية جديدة (التداولية، النحو الوظيفي،...) تهتم بدراسة اللغة في سياق الاستعمال.

- **المقام والسياق:**

نظر البلاغيون للمقام بوصفه ما يستدعي عملية التكلم ويفرض شروط الكلام، ودلك أنه يكون " مقام تكلم، أو مقام خطاب، أو مقام غيبة، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن من شأن المقام، أنه يكون مقام إثبات، أو مقام نفى، أو مقام استفهام، أو مقام تحضيض وتحريض، أو مقام مدح، أو مقام ذم، أو مقام اعتذار، أو مقام تهديد أو وعيد[3]."

---

[1] خالد خليل هويدي :المرجع نفسه، ص 97.

[2] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة ،ص124.

[3] عبد الواسع الحميري: في آفاق الكلام وتكلم النص المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1 ،بيروت، لبنان ،1431 هـ – 2010م ، ص 114.

وأصبح المقام في التداولية الغربية الحديثة عنصرا مهما جدا في تحليل ودراسة اللغة، وأصبحت التداولية تعرف بأنها: " العلم الذي يدرس تأثير المقام في معني ملفوظات الأقوال"[1]، والمقام يتكون من:

- المشاركون في القول.
- مكان القول.
- زمان القول
- وهدفه أو غايته.
- موضوعه.
- وجنسه الخطاب (الذي يجري فيه القول)
- قناة التعبير
- معارف المشتركين عن العالم، ومعرفة بعضهم بعضا ومعرفة الخلفية الثقافية للمجتمع الذي انبثق فيه الخطاب.

ويذهب "براون" و "يول" إلى أن اهتمام العمل اللساني بالمقام يربط الأصناف التالية بعضها ببعض:

أ. الخاصية المتعلقة بالأطراف المشاركة كالأشخاص والشخصيات.

- الفعل الكلامي للأطراف المشاركة.
- الفعل غير الكلامي للأطراف المشاركة.

ب. الأشياء المتعلقة بالموضوع.

ج. وقع الفعل الكلامي.

د. يضاف إلى ذلك الخصائص العامة للقناة (كيفية ربط حلقة الوصل بين الأطراف المشاركة في الفعل الكلامي لفظ أم كتابة أم إشارة)، والشفرة المستعملة، أي اللغة أو اللهجة أو

---

[1] عبد الواسع الحميري: المرجع نفسه، ص 117.

الأسلوب المستعمل وصيغة الرسالة، حديث عابر غير رسمي أم مناظرة أم خطية أم حكاية شعبية أم قصيدة أو رسالة غرامية، والحدث رأي طبيعة الحدث التواصلي الذي يمكن أن نضمن داخله نمط خطابيا معينا[1].

العلاقة بين المقام والسياق:

إن ما يميز المقام حسب بعض الباحثين عن السياق هو أن: " السياق أعم من المقام، باعتبار أن السياق سياقان، خارجي وداخلي، أما المقام فلا يكون إلا خارجيا، أي أنه يرتبط بالسياق الخارجي للملفوظ"[2].

لذلك نجد اهتمام البلاغيين القدامى بالسياق الداخلي (الخطاب) من أجل الوقوف على طبيعة العلاقات التي تساهم في إنتاجه، وتتحكم في بنيته ودلالته، وما تحدثه التغيرات التي تشمل التركيب في دلالة الخطاب، كما اهتموا بالسياق الخارجي (المقام) للوقوف على القرائن الخارجية التي تسهم في تحديد الدلالة وتوضيحها، وهذه القرائن المقامية تتخذ تمظهرات مختلفة، منها ما يرتبط بزمان الخطاب ومكانه أو بوضع المتلقي المتكلم، ومنها ما لها صلة وثيقة بالمتلقي وأفق انتظاره، فكما تختلف درجات تلقي النص ومستوياته بين كل من الفقيه والأصولي والنحوي والبلاغي... فإن المتلقي أيضا لا يمكن أن ننظر إليه على أنه متلق واحد.

- **المقام والحال:**

أما الفرق بين المقام والحال فيتمثل في كون " المقام أعم في دلالته من الحال، كونه مما يتعلق بوضع الإنسان في علاقته بعالم الخارج، مكانا وزمانا وكائنات، أما الحال فخاص كونه مما يتعلق بوضع الإنسان في علاقته بذاته أو بعالمه الداخلي، بمعنى أنه مما يخص المتكلم الفرد فالمقام ثابت، أما الحال فطارئ متحول"[3].

---

[1] عبد الواسع الحميري :المرجع السابق، ص 117.

[2] عبد الواسع الحميري :المرجع نفسه ،ص118.

[3] عبد الواسع الحميري :المرجع السابق، ص .ص 118- 117.

ولأن ما يعنينا، في هذا المقام هو تحديد مقام التكلم ومكوناته من حيث علاقته بالمتكلم ودوره في صياغة كلامه عموما، فإنه يمكن القول، في تحديد ماهية مقام التكلم هذا إنه يختلف، باختلاف أحوال المتكلمين وقدرتهم على التفاعل والاستجابة أو الجدل مع شركائهم خلال عملية التواصل، مع اختلاف دوافعهم الكامنة خلف عملية التكلم:

- فقد يكون مقام التكلم بمثابة موضع لممارسة السلطة، والتكلم من طرف واحد (الكلام الخطبوي أو المنبري).
- وقد يكون بمثابة موضع لتبادل الكلام، أو تعاطيه بين أكثر من طرف (الكلام الحواري أو كلام المحادثة المحكوم بمنطق التبادل المكافئ).
- وقد يكون بمثابة موضع لتلقي الكلام المتكلم وإلقائه، أو لتلقي الأقوال المقولة وإلقائها إلى الآخرين، كما هي، أو كما قيلت من قبل، أي دون تدخل من القائل، بزيادة أو نقص[1].

- **مقام التكلم _التخاطب:**

- لزوم كل طرف في العلمية التخاطبية ما هو محدد له (الإذعان والتسمية)
- قيام المتكلم حسيا ومعنويا بما يجب عليه القيام به نحو ذاته المتكلمة ونحو الأطراف الأخرى التي يتبادل معها، أو يصوغ لأجلها كلامه، من جهة أخرى[2].

وهنا يظهر المقام الذي تتفاعل فيه كل الأطراف فقد يكون بمثابة موضع لممارسة السلطة وفرض الإرادة من طرف واحد فقط، هو المتكلم، أو من يمثله، أو يرمز إليه، أو يتكلم باسمه، ومن ثم فهو بمثابة موضع لتعالي الكينونة المتكلمة على عالم الكلام برمته، وممارسة السلطة على عالم ما تتكلم عنه وفيه، وبه وله ولأجله وإليه.

ومن هنا يمكن أن نقسم مقامات التلفظ عموما إلى ثلاثة أقسام هي:

---

[1] عبد الواسع الحميري:المرجع نفسه، ص 119.

[2] عبد الواسع الحميري :المرجع نفسه، ص 120.

- المقام هو عبارة عن موضع لإقامة المتلفظ (للزومه والتزامه) وسقوطه في عالم ما يتلفظ عنه، وبه، وفيه، وله، وإليه، ويمكننا اعتبار المقام الذي هذا شأنه، بمثابة موضع لتألق الغياب، أو لتألق الحضور التبعي أو الوظيفي للكينونة المتلفظة، بشكل عام.
- والمقام هو عبارة عن موضع لإقامة المتلفظ ومقاومته، أو لتفاعل المتلفظ وجدله مع عالم ما يتلفظ عنه، وبه، وفيه وله، وإليه، ويمكننا اعتبار المقام الذي هذا شأنه، بمثابة موضع لتألق الحضور الكلي أو الجدلي للكينونة المتلفظة بشكل عام.
- والمقام هو عبارة عن موضع لإقامة المتلفظ وقوامته (ممارسته السلطة) على عالم ما يتلفظ عنه، وبه وفيه، وله وإليه، ويمكننا اعتبار المقام الذي هذا شأنه بمثابة موضع لتألق الحضور المتعالي أو المتسلط للكينونة المتلفظة، بشكل عام"[1].

وأخيرا نستطيع القول أن "فيرث" لعب دورا كبيرا من أجل تطور اللسانيات خاصة بتركيز على المكون الاجتماعي، وسياق الموقف، ونظرية الدلالة، ومنهج تحليل اللغة، والتحليل الفونولوجي القطعي والفوقطعي، والأنظمة المتعددة... هذه المجالات التي لازالت تستقطب اهتمام الباحثين في مجال اللسانيات الوظيفية.

ومع تطور الدراسات في هذه المدرسة ظهرت جماعة من اللسانيين وهم الفيرثيون الجدد (neo firithian) الذين اعتنوا بالتحليل التركيبي الذي عرف "بالقواعد النظامية" ،وقد سعوا إلى تحقيق ما رفض "فيرث" القيام به من قبل وهو إقامة نظرية لسانية واحدة متكاملة

ومن الذين نادوا بتطبيق المبادئ الفيرثية في مجال التركيب هما: "هاليداي" (M.Halliday) وهادسون (R.A.Hadson)، خاصة بعد النقد الذي وجهه بعض اللسانين بفيرث لأنه جعل من السياق المبدأ الوحيد الذي تبرز فيه دلالة العناصر اللغوية ولا معنى للكلمة خارج السياق، ولقد رد "بالمر" على الذين انتقدوا النظرية السياقية قائلا: "من السهل أن نسخر من النظريات السياقية — مثلما فعل بعض العلماء– وأن ترفضها باعتبارها

[1] عبد الواسع الحميري: المرجع السابق، ص 123.

غير عملية، لكن من الصعب أن ترى كيف يمكننا أن نرفضها دون إنكار الحقيقة الواضحة التي تقول بأن معنى الكلمات والجمل يرتبط بعالم التطبيق"[1].

وهذا ما جعل " ميشيل هاليداي" (Michael Halliday) يقوم بما لم يقم به أستاذه وهو تقديم عدة أعمال من خلال ما كتبه منذ عام 1961 وهو شرح ووصف لنظرية فيرث وخاصة نظرية الصرف والنحو التي لم يركز عليها فيرث، والذي سنتحدث عنه أكثر فيمايلي:

3-2- ميشيل هاليداي (MichaelHalliday):

هو من مؤسسي المدرسة السياقية أو المدرسة الانجليزية، تابع أعمال أستاذه "فيرث" كما سبقت الإشارة إليه اكتملت على يديه أسس "النحو النظامي (systemGrammer)[2].

كما طور هاليداي فكرة السياق في دراساته عن تحليل النصوص فأقترح أسلوبا جديدا لتحديد العناصر السياقية التي تؤثر في تحديد معنى النص وهذا ما جعله يوظف المصطلحات التالية:

1. **الحقل**: ويمثل المجال الاجتماعي الذي يكون مسرحا للنص.
2. **التوجهات**: وتمثل العلاقات بين الأشخاص المشاركين في الحدث اللغوي.
3. **النمط**: وهو الوسيلة اللغوية المتبعة في النص ويشمل الأسلوب اللغوي والوسائل اللغوية[3].

ويؤكد هاليداي على أن هذه العناصر هي إطار نظري لتمثيل السياق الاجتماعي الذي يمكّن المتكلم من أداء المعنى.

و قد أعطى "هاليداي" للسياق بعدا آخر، حيث لاحظ أنه ليس فكرة مطلقة تشمل كل شيء، بل هو مقيد بلحظة الخلق اللغوي إنه يمثل تلك الملامح التي لها صلة وثيقة بالكلام الحاصل، والسياق عنده يشكل مع النص وجهين لعملة واحدة، فالسياق هو: "النص الآخر أو

---

[1] خالد خليل هويدي: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث (الأصول والاتجاهات)، ص 99.

[2] جيفري سامبسون: المدارس اللغوية التطور والصراع،تر: أحمد نعيم كراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط1، 1993، ص 238.

[3] خالد خليل هويدي: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث (الأصول والاتجاهات)، ص 100.

النص المصاحب للنص الظاهر، والنص الآخر لا يشترط أن يكون قوليا، إذا هو يمثل البيئة الخارجية للبيئة اللغوية بأسرها، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية"[1].

جعل هاليداي النص الوحدة الصغرى للتحليل اللساني وليس الجملة مع الاعتداد بالسياق عند القيام بعملية التحليل اللساني، لذلك أصبح السياق عنده جزءا لا يتجزأ من عناصر نصية النص أو عدم نصيته كما نجده عند "دي بوجراند" الذي يؤكد على ضرورة ملائمة النص للسياق الوارد فيه. ومن خلال هذا المنطلق وجه "هاليداي" الدراسات اللسانية الوظيفية وجهة جديدة ساعدته في التأسيس للسانيات النص الذي أصبح علما لسانيا مستقلا بذاته يرتكز على البحث عن نصية النص ومدى تحقق الوظيفة النصية فيه فهناك "علاقات أخرى بين النص ومحيطه المباشر وغير المباشر، ويؤدي الفصل بين هذه العناصر الداخلية أو إسقاط أي منها، أو إغفال أية علاقة سواء أكانت داخلية أم خارجية إلى العجز عن إثبات الوحدة الكلية أو التماسك والانسجام الدلاليين للنص"[2].

وترك "هاليداي "بذلك أثرا كبيرا في دراسة اللغة خاصة في:

- تعليم اللغة الانجليزية
- علم اللغة الاجتماعي الانجليزي.
- ووضع مفهومين وظيفيين هما:

1. تداخل مفهوم الوظيفة العامة للغة مع مفهوم "كارل بوهلر" للوظيفة تقريبا.
2. مفهوم نحوي أو تركيبي للوظيفة يتعلق بعناصر الأبنية اللغوية التي وضع لها هاليداي إطارا وظيفيا.

وأكد هاليداي على أنه يجب على كل نحوي، أن يراعي كل هذه الوظائف التي تؤديها اللغة، والتي تتطلب سياقات اجتماعية وموقفية مختلفة.

يتكون نموذج " هاليداي" الوظيفي من مجموعة من الوظائف الأساسية والثانوية وهي:

1. الوظائف الأساسية للغة:

---

[1] خالد خليل هويدي :المرجع نفسه، ص 101.

[2] خالد خليل هويدي : المرجع نفسه، ص 101.

أ- **الوظيفة التمثيلية (fonction idéationnelle)**: وتسمى أيضا "الوظيفة التمثيلية"، وتتمثل في التعبير عن المحتوى، أي خبرة المتكلم بعالم الواقع بما فيه العالم الداخلي لوعيه الخاص[1].

ب- **الوظيفة التبادلية (interpersonnel fonction)**: هي وظيفة تؤسس للعلاقات الاجتماعية وتحافظ عليها من خلال ابتكارها أدوارا اجتماعية تشمل أدوار الاتصال (**communicationrôles**) كالسائل والمجيب مثلا، ثم من خلال تبادل الأدوار والخبرات والمنافع بين شخص وآخر[2].وتصير الفصائل الصيغية وأنماط الجملة على نحو ما في تحليلات أفعال الكلام، حيث يتخذ المتكلم إزاء مخاطبه موقف المتيقن أو المتشكك أو المحتمل.

ت- **الوظيفة النصية (Textuel Fonction)**: وهي وظيفة تجعل المتكلم قادرا على بناء النص أو الربط بين أجزاء الخطاب الواحد بما تقدمه له من وسائل الربط وخصائص السياق الذي تستخدم اللغة فيه[3]، وهي التي تجعل المتلقي يميز بين النص ومجرد سلاسل من الجمل. فالوظيفة النصية تمكن من تنظيم الخطاب طبقا لمقتضيات الموقف التواصلي، فتنقله من مجرد مجموعة من العناصر إلى نص متماسك.[4]

ويلاحظ هاليداي أن هذه الوظائف الأساسية هي التي تهم الدارس اللغوي، لهذا يجب على المتصدي لدراسة الوظائف دراسة لغوية أن يختار من بين هذه الوظائف (أساسية وثانوية) الوظائف التي تستعمل اللغة من أجل تأديتها، وهي الوظائف التي تتوافر على الخاصيتين التاليتين:

---

[1] محمود أحمد نحلة: علم اللغة النظامي مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1430 – 2009، ص : 53.

[2] محمود أحمد نحلة: المرجع نفسه، ص 53.

[3] محمود أحمد نحلة: المرجع السابق، ص 53.

[4] أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري،دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع،طرابلس ، ليبيا،ومنشورات الكتاب الجديد ،بيروت لبنان ،ط2 ،2010 ،ص 122.

- ورودها بالنسبة لجميع اللغات الطبيعية (لا تختلف من لغة إلى أخرى).
- تحديدها للبنية العميقة (انعكاسها في مستوى الصورية للغة)[1].

واللغة حسب هاليداي هي نظام لأداء المعنى، إذ ستهتم كل وظيفة من الوظائف الثلاثة في تجليته، فيكون المعنى تصوريا (تمثيليا) لأن اللغة تجسد معرفة الملقي، في حين يكون المعنى تعامليا (تعالقيا) بوصف اللغة شكلا فعليا، ويكون المعنى (نصيا) لعلاقته بالسياق الخارجي وتعالق المكونات اللغوية للخطاب.

2. الوظائف الثانوية للغة:وتتمثل في:[2]

أ- الوظيفة النفعية (الوسيلة):تسمع اللغة الإنسانية بالتعبير عن حاجات ورغبات الفرد الذاتية وما يريد الحصول عليه من الوسط الطبيعي والاجتماعي وتنعت هذه الوظيفة بوظيفة (أنا أريد).

ب- الوظيفة التنظيمية:تكتسب الكلمة القدرة على إحداث الفعل المنجز (طلب أو أمر أو النهي)، وهي بذلك تترك أثرا واضحا في توجيه سلوك الآخرين فقد نجد ذلك واضحا في قول القاضي: حكمت المحكمة بكذا وكذا فإن هذا الملفوظ يتحول إلى فعل، وتسمى هذه الوظيفة بوظيفة (افعل كذا ولا تفعل كذا).

ت- الوظيفة التفاعلية:تتحقق هذه الوظيفة عندما يلجأ الإنسان إلى استخدام اللغة للتفاعل مع الآخرين الذين يشكلون المجتمع اللغوي وتنعت بوظيفة (أنا وأنت).

ث- الوظيفة الشخصية:تنعكس شخصية الفرد الذي يعبر عن آرائه الخاصة من خلال اللغة التي يستعملها في نقل خبراته إلى الآخرين، وهو بذلك يؤكد كيانه الشخصي.

ج- الوظيفة الاستكشافية:تظهر هذه الوظيفة في أن الإنسان ميال بطبعه إلى معرفة ما يحيط به من أشياء، وأحداث وحقائق، ويمكن أن نطلق على هذه الوظيفة، الوظيفة الاستفهامية لأن بالتساؤل نكتشف المعارف الجديدة والجوانب الغامضة في هذا الكون.

---

[1] أحمد المتوكل:المرجع نفسه، ص: 48.

[2] أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية (حقل تعليمية اللغات)،ص 73.

ح- **الوظيفة التخيلية**:يهرب الإنسان في بعض الأحيان إلى عالم الخيال من واقعه فتساعده اللغة في إبداع نمط آخر يسع انفعالاته وتجاربه وأحاسيسه، وتتجلى هذه الوظيفة في الخطاب الأدبي.

خ- **الوظيفة الإخبارية**: اللغة هي القناة الرابطة بين أفراد المجتمع البشري، لأن لها القدرة الكافية لنقل المعلومات والأخبار على مسافات بعيدة، خاصة بعد أن تطورت وسائل الإعلام المسموعة والمرئية،وقد تتحول هذه الوظيفة إلى وظيفة إقناعية وتاثيرية كما يلاحظ ذلك في الإعلام الجماهيري.

إن أدنى تأمل في ما أسلفنا فيه القول يهدي إلى أن البحث في وظائف اللغة الإنسانية يبرز لنا الوظيفة الأساسية التي تؤديها اللغة وهي الوظيفة التواصلية التي تحتوي كل الوظائف أو هي منشأ كل الوظائف، وهي الأساس لوجود أي مجتمع وتطوره وتحقيق تماسكه وانسجامه.

3-3- ليتش (Litche):

ربط ليتش بين وظائف اللغة عند كل من " بوبر" و"هاليداي" إذ يرى أن الوظيفيتين التصورية والتعاملية لهاليداي تتضمنان وظائف " بوبر" الأربع، لأن الوظيفة التصورية في نظره مزيج من مستويين: أحدهما تجريبي والآخر منطقي وهو ما يقابل وظيفتي الوصف والحجاج عند "بوبر"، في حين تقابل الوظيفة التعاملية، عند "هاليداي" وظيفتي التعبير والإشارة عند بوبر"[1].

كما يرى "ليتش" أن المأخذ على " هاليداي" هو رغبته في دمج هذه الوظائف الثلاث في النحو، وهو لا يتفق معه في هذا التوجه إلا في الوظيفة الأولى (التصورية)، في حين يجعل الوظيفيتين الأخيرتين من الوظائف التداولية، لأن الوظيفة التعاملية تمثل قيود تكوين أو توليف على المدخلات في الخطاب عندما ينتجه المرسل، في حين تمثل الوظيفة النصية قيود المخرجات، أو القيود الشكلية عليه أما من جهة المرسل إليه فالعلمية معاكسة لذلك تماما فالوظيفة التعاملية تمثل قيود المخرجات عند تأويل الخطاب، في حين تمثل الوظيفة النصية قيود المدخلات.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، ص15.

وبهذا يتضح لنا أن الدور الذي قام به المرسل في صياغة الصورة هو الدور الذي يقوم به المستمع بدءا من تفكيك الصورة، فالأول بدأ من الغرض والمقاصد ليصل إلى الصورة والثاني يبدأ من تفكيك الصورة ليصل إلى غرض المتكلم، فإذا حصل التطابق بين المصدر والهدف حصل التأثير، وإذا انحرف المستمع عن فهم غرض المرسل لم يحصل التأثير اللازم.

وتكون هذه الوظائف الثلاثة "شكلا هرميا لتوليد الخطاب في ثلاث مراحل، وتختص كل وظيفة بأداء دورها في مرحلة معينة، فالوظيفة التعاملية هي أعلاها وأهمها، إذ يتشكل الخطاب في صورته النهائية وفقا لما تقتضيه وبناء على مراعاة المرسل لمبدأ التعاون والتأدب وهذه المبادئ هي التي تفرض قيودا معينة على الرسالة من خلال دور الوظيفة التصورية، ولذلك فهي تقع في مرحلة سابقة لها بيد أن الرسالة تتبلور تركيبيا وصوتيا في صورة النص"[1]، ولذلك يصطنع "ليتش" نموذجا يعرض فيه إسهامات عدد من العناصر النحوية والبلاغية في وظيفة اللغة الموجهة لتحقيق هدف المتكلم، ويعيد في هذا النموذج الاعتبار للوظيفة النصية باعتبارها وسيلة تجسيد الرسالة بوصفها الوسيلة الوحيدة التي تتجلى فيها قوة الخطاب الانجازية الموجهة إلى المرسل إليه.

4) الوظيفة عند الفلاسفة:

ميز فلاسفة الوضعية المنطقية بين وظيفتين رئيسيتين للغة وهما:

1. **الوظيفة المعرفية:** استخدام اللغة كأداة رمزية، تشير إلى الوقائع الموجودة في العالم الخارجي أي تصوير العالم الخارجي.
2. **الوظيفة الانفعالية:** إخراج الانفعالات التي تضطرب بها نفس الإنسان.

و في هذا التمييز اختصار وظائف اللغة السابقة، فقد ركز الفلاسفة على تحديد الواقع الخارجي والداخلي للمرسل كما اختزل بعض الفلاسفة وظائف اللغة في وظيفة واحدة إذ "يرى أن وظيفة اللغة تكمن في التسمية... والحق أن وظيفة اللغة على هذا النحو وظيفة قاصرة، إذا أنها تنطوي على جانب واحد من جوانب اللغة المنوعة وهو التسمية، ومن ثم اضطر (فتجنشتاين) (Wittgenstein) إلى حيلة جديدة وهي ما يسميه بألعاب اللغة، ويرتبط

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري :المرجع السابق ، ص 7.

هذا المفهوم المحوري الجديد ارتباطا وثيقا بنظرية الاستعمال للمعنى"[1]، فالمقصود بالتسمية عندهم هو "ما تقوم به الكلمات منفردة وما الكلمات إلا جزء من اللغة، فهي لا تنحصر فيها فحسب، ولكنها تتجسد في نظام متكامل من خلال الخطاب أيضا، وبالتالي فإن اللعبة هي استعمال اللغة وفقا لقواعد معينة تتفق مع طبيعتها ومع ما يستدعيه السياق"[2].

هذا ما أكده (بنفنست Benvenist) الذي يعتبر الوظيفة الرمزية هي الوظيفة الجوهرية للغة، فيها يتمكن الإنسان من تحويل التجارب الإنسانية إلى مفاهيم، هذا التعدد في وجهات النظر بالنسبة لوظائف اللغة نجده أيضا عند (براون ويول، Brown &Yule) اللذين اختارا مصطلحين عامين لتحديد وظائف اللغة وهما: الوظيفة التعاملية والوظيفة التفاعلية وهما تهتمان باللغة في السياق لذا فهما وظيفتان رئيستان للغة مع أنهما لا ينكران الوظائف الأخرى.ويعرفان الوظيفتان كالآتي:

1. الوظيفة التعاملية: هي"اللغة المستعملة لنقل المعلومات المتعلقة بالوقائع والأقوال"[3]، فاللغة هي الوسيلة التي يستعملها الملقي في الرسالة التي يوجهها إلى المرسل إليه ليتمكن من تلقي المعلومات بطريقة صحيحة سليمة.

2.الوظيفة التفاعلية: هي التي تقوم "بإقامة العلاقات الاجتماعية وتثبيتها"[4] وتتجلى هذه الوظيفة في الأحاديث اليومية حتى في حالة انعدام المعرفة المسبقة بين المتخاطبين، وقد تنتهي بتأسيس علاقات متينة بين أفراد المجتمع ومن هنا تصبح اللغة ذات وظيفة اجتماعية تواصلية شرط تحقق الفهم والإفهام.

ومهما واصلنا تتبع الحديث عن وظائف اللغة فإننا نجدها تختلف وتتعدد باختلاف الحقول المعرفية، ويبقى القول بإحدى هذه الوظائف أو بعضها " لا يلغي الوظائف الأخرى،

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: المرجع نفسه، ص 17.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري: المرجع، نفسه، ص 17.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص 17.

[4]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: المرجع نفسه، ص 18.

إذ أن المقاربة هي التي تحدد نوعها وأهميتها... فقد توجد أكثر من وظيفة في الخطاب الواحد، بل قد لا يستطيع المرسل أن يحقق مقصده إلا من خلال تضافر هذه الوظائف مجتمعة"[1].

ونلاحظ أن هذا التعدد في تسمية الوظائف أمر طبيعي ناتج عن اختلاف الانتماءات والاتجاهات.

توصلنا وظائف اللغة المختلفة لا محالة إلى محاولة الربط بين اللغة والاستعمال، وهو ما يخرج الدرس اللغوي من بوتقة الشكل إلى دراسة الاستعمال أو التداول ومن ثمة الآليات التي يمارس من خلالها الملقي التواصل والانجاز والتأثير في سياقات متباينة.

ولهذا لا يكفي أن يكون موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم، والمخاطب، لأن وظيفة اللغات الطبيعية الأساسية هي وظيفة التواصل.

وتعد الأفكار السابقة الذكر من أهم ما جاءت به مدرسة براغ، حاول أعلامها تحديد ملامح الدرس اللغوي وتغيير مساره، وقد كان أهم الآراء منطلقا لكثير من الدراسات الحديثة سواء من طرف أعلام هذه المدرسة أو خارجها، وخاصة ما انبثق عن الاتجاه التواصلي من مناهج كثيرة كالدراسات التداولية والنحو الوظيفي، وتحليل الخطاب ولسانيات النص وخاصة في مراحله الأخيرة المتطورة.

5- تطور النظريات النحوية الوظيفية في الدراسات اللسانية الحديثة:

اقترحت في إطار الدراسات اللسانية الوظيفية نماذج لغوية عدة تسعى إلى رصد خصائص اللغة من وجهة نظر وظيفية،وهي تقوم على فكرتين أساسيتين هما:

أ- الوظيفة الأساسية التي تؤديها اللغة.

ب- الوظيفة التواصلية هي التي تحدد الخصائص البنوية للتراكيب اللغوية.

وتختلف هذه النماذج اللغوية بالنظر إلى انتمائها إما إلى اللسانيات الوظيفية الصورية (أو الشكلية) أو اللسانيات الوظيفية التداولية.

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري :المرجع السابق، ص 20.

وفيما يلي سنعرض بتلخيص للنماذج اللغوية الوظيفية وذلك حسب المراحل الكبرى التي عرفتها اللسانيات الحديثة.

أولا– في المرحلة الأولى: الداليات (البنوية).

1– الوجهة الوظيفية للجملة:

يعود تاريخ الوجهة الوظيفية للجملة إلى القرن الماضي عندما درس لغويون ألمان الجملة من منظور نفسي، وتوبعت هذه الدراسات في تشيكوسلوفاكيا – سابقا– ما بين الحربين على يد لغويين كبار من مثل: "ماثزيوس فيلام" الذي بلور مفهوم هذه النظرية كأحد المفاهيم المتحكمة في ترتيب المكونات أي الترتيب المفرداتي للجمل[1] ،وهو المنهج الذي استعملته مدرسة براغ لتحليل الجمل بالتركيز على مضمونها الإخباري بحيث "يكون لكل عنصر أساسي في الجملة مساهمة دلالية حسب دوره الديناميكي الذي يلعبه في عملية الاتصال"[2].

وبهذا يكون "ماتزيوس" قد ربط الدراسة النحوية بوظيفة التواصل، ذلك لأن كل عنصر يكتسب أهميته داخل الجملة انطلاقا من الوظيفة التي يؤديها، وهذا ما جعله يقسم الجملة تقسيما جديدا ميز فيه بين: العنصر الأساسي أو "موضوع الجملة" الذي يكون معلوما لدى السامع، وبين "نواة الكلام" أو "محمول الجملة" وهو ما يحمل معلومة أو خبرا جديدا[3].

ولقد طور "دانيش" (F.Danes) أفكار أستاذه باقتراحه مقاربة للجملة وفق ثلاثة مستويات هي:[4]

1.1. المستوى الدلالي:

تتضمن الجملة "حدثا" و"مشاركين" في الحدث ومن أهم المشاركين المشارك "المنفذ" والمشارك "المتقبل"، أو الهدف وعلى هذا الأساس تكون بنية الجملة في المستوى الدلالي:

محمد زار عليا

---

[1] أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص 117.

[2] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 140.

[3] يحي بعطيش: نحو وظيفية للنحو العربي، ص 51.

[4] أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية ، ص .ص117 – 118.

منفذ حدث متقبل

2.1.المستوى النحوي:

تعد المكونات (الحدث) و(المنفذ) و (المتقبل)، فعلا وفاعلا ومفعولا به على التوالي، كما يتضح من تمثيل الجملة:

.1.1المستوى الدلالي:

تتضمن الجملة "حدثا" و"مشاركين" في الحدث ومن أهم المشاركين المشارك "المنفذ" والمشارك "المتقبل"، أو الهدف وعلى هذا الأساس تكون بنية الجملة في المستوى الدلالي:

محمد زار عليا

منفذ حدث متقبل

1.2.المستوى النحوي :

تعد المكونات (الحدث) و(المنفذ) و (المتقبل)، فعلا وفاعلا ومفعولا به على التوالي، كما يتضح من تمثيل الجملة:

منفذ حدث متقبل ←المستوى الدلالي.

فاعل فعل مفعول به←المستوى النحوي.

3.1. المستوى الوظيفي:

هو مستوى خاص بتنظيم الجملة على أساس مطابقتها للسياق التواصلي، فتتكون الجملة من عنصرين أساسيين هما: " المحور" الدال على ما يشكل محط الحديث، والمكون "التعليق" الدال على ما يشكل الحديث ذاته أي يتحدث به عن المحور.

على هذا الأساس تكون البنية التامة التحديد للجملة هي البنية:

محمد زار عليا ←مستوى وظيفي

محور التعليق

وفي هذا المستوى أضاف " فيرباس" مفهوم " الحركة التبليغية "أي مدى إسهام مكونات الجملة في تقدم التواصل وتطوره.

وفي تصور "فيرباس" تختلف مكونات الجملة، من حيث درجة حركيتها التبليغية فتأخذ المكونات الحاملة للمعلومات الجديدة (المعلومات التي لا يمكن استمدادها من السياق)أعلى درجات الحركة التبيلغية، أما المكونات الحاملة للمعلومات " المعطاة " تأخذ أدنى درجات الحركية التبليغية[1].فالمكونات التي ترد في أول الجملة ذات حركة ضعيفة مقارنة بالمكونات التي تليها في وسط الجملة وفي آخرها. فالحركة التبليغية حسب "فيرباس" تقوى كلما تأخرت مكونات الجملة.ويمكن أن نوضح اقتراح كل من دانيش وفرباس في الجدول الآتي[2]:

محور	تعليق
1-موضوع الحديث	1-الحديث
2-معلومة متقاسمة	2-معلومة جديدة
3-غير منبور	3-حامل لنبر الجملة
4-أدنى درجات الحركة التبليغية	4-أعلى درجات الحركة التبليغية

جدول رقم 2

تقوم عناصر المستوى الوظيفي بالدور الأساسي في ترتيب عناصر الجملة (المحور والتعليق).

فالمحور حسب تصور "دانيش" هو المكون الذي يشكل موضوع الحديث يحمل المعلومة المتاقسمة بين المتخاطبين أو المعلومة"المربوطة سياقيا" (أي المعلومة الجديدة التي نستمدها من الواقع)، أما التعليق هو المكون الحامل للمعلومة الجديدة والحامل لنبر الجملة – أيضا – وحسب تصور "فيرباس" يكون المحور هو المكون الذي يأخذ أدنى درجات الحركة التبليغية أما التعليق هو المكون الذي يأخذ أعلى درجاتها.

2- النحو النظامي (النسقي):

انبثقت الأسس الفكرية للنحو النسقي من مدرسة لندن، فبعد أن اهتم فيرث بعلم الأصوات وعلم الدلالة اتسع نشاط هذه المدرسة ليمتد إلى الدراسة التركيبية، حيث وضع فيرث مع ألمع تلامذته ملامح نظرية نحوية في نهاية الأربعينات تلقفها الفيرثيون الجدد، وعلى رأسهم هاليدي الذي يرى أن النحو يقوم على مفهوم الاختيار "فالمتكلم بلغة ما،مثله مثل من يقوم بأي نوع من من أنواع السلوك الثقافي أو الاجتماعي، يختار من

[1] أحمد المتوكل : المرجع السابق ، ص 118.

[2] أحمد المتوكل :المرجع نفسه، ص 120.

بين إمكانات كثيرة تتيحها الأعراف اللغوية والاجتماعية والثقافية السائدة في مجتمعه"[1]، وبذلك فكل وصف للتراكيب هو تحديد للاختيارات التي قام بها المتكلم من مجموعة الاختيارات المتاحة له.

ويقوم النحو –أيضا– عند هاليداي، على شبكة من الأنظمة، والنظام "يرتبط في المقام الأول بطبيعة ومضمون الخيارات المختلفة التي يقوم بها الشخص بوعي أو عن غير وعي في تقرير نطق جملة خاصة من بين عدة جمل محدودة تتيحها لغة المتكلم"[2].

فالنظام Systemواحد من الأسس المنهجية المهمة التي تقوم عليها هذه النظرية، حتى إنها تنسب إليه، فالتحليل النحوي عند هاليداي يقوم على مجموعة من الأنظمة المتضافرة وهي تمثل اللغة "فاللغة عنده هي نظام أنظمة« System of Systems »[3]، فالنظام شبكة من العلاقات تتمثل في مجموعة من الاختيارات التي يقوم بها المتكلم عند كل عملية كلامية.

ومن الأسس – أيضا– التي يقوم عليها النحو النسقي لهاليداي العلاقة القائمة بين اللغة والسياق، وهو التأثير الواضح لفيرث على هاليداي وهذه العلاقة تؤدى بنوعين من المعاني المعنى الشكلي Formalوالمعنى السياقيcontextual، فالمعنى الشكلي هو العلاقة بين العنصر والعناصر اللغوية الأخرى.

والمعنى السياقي هو نتاج الربط بين النص والموقف الذي يتجلى فيه، أي بين نظام وظيفي للغة وبيئة اجتماعية وثقافية تحكم استخدامه[4] .

ولأهمية السياق في النظرية النسقية قدم هاليداي ثلاثة جوانب تحدد مجتمعة سياق النص، وهي التي تجعلنا قادرين على التنبؤ بما يقوله الآخرون، و تتمثل في[5]:

- **المجال Field**: ويمثل موضوع النص، أي ما يدور حوله الخطاب.

---

[1] محمود أحمد نحلة: علم اللغة النظامي (مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي) ، ص 45.

[2] جيفري سامبسون: المدارس اللغوية التطور والصراع، ص 238.

[3] محمود أحمد نحلة: علم اللغة النظامي مدخل إلى النظرية اللغوية، ص56.

[4] محمود أحمد نحلة : المرجع نفسه، ص 58.

[5] محمود أحمد نحلة: المرجع نفسه، ص. ص 61 – 62.

- **نوع المشاركة (Tenor)**: وهي العلاقة القائمة بين المشاركين في النص، فقد تكون علاقة رسمية مثل علاقة المدير بالموظف، أو المالك بالمستأجر وقد تكون علاقة حميمية كالعلاقة بين صديقين أو بين الأم وأبنائها.
- **الصيغة (Mode)**: وتمثل قناة الاتصال التي يتحقق من خلالها النص كالصيغة المنطوقة مثل المونولوج أو الحوار والصيغة المكتوبة كالبحث المرجعي، أو المقال في جريدة. وقد حدد هاليداي أنماط المعنى السياقي فحصرها فيما يلي:[1]

أ- المعنى التجريبي: يمدنا بالمعلومات الموقفية الناتجة عن تجربة المتكلم وخبرته، وعن العلاقات بين المشاركين.

ب- المعنى المنطقي: يمدنا بالمعلومات عن الطريقة التي ترتبط بها السياقات الصغرى داخل السياق الأكبر ويتكفل النحو بإعطاء هذه المعلومات.

ت- المعنى التبادلي: يمدنا بالمعلومات عن الموقف مباشرة، خاصة ما يريده المتكلم أو الكاتب من المتلقي.

ث- المعنى النصي: وله وظيفتان:

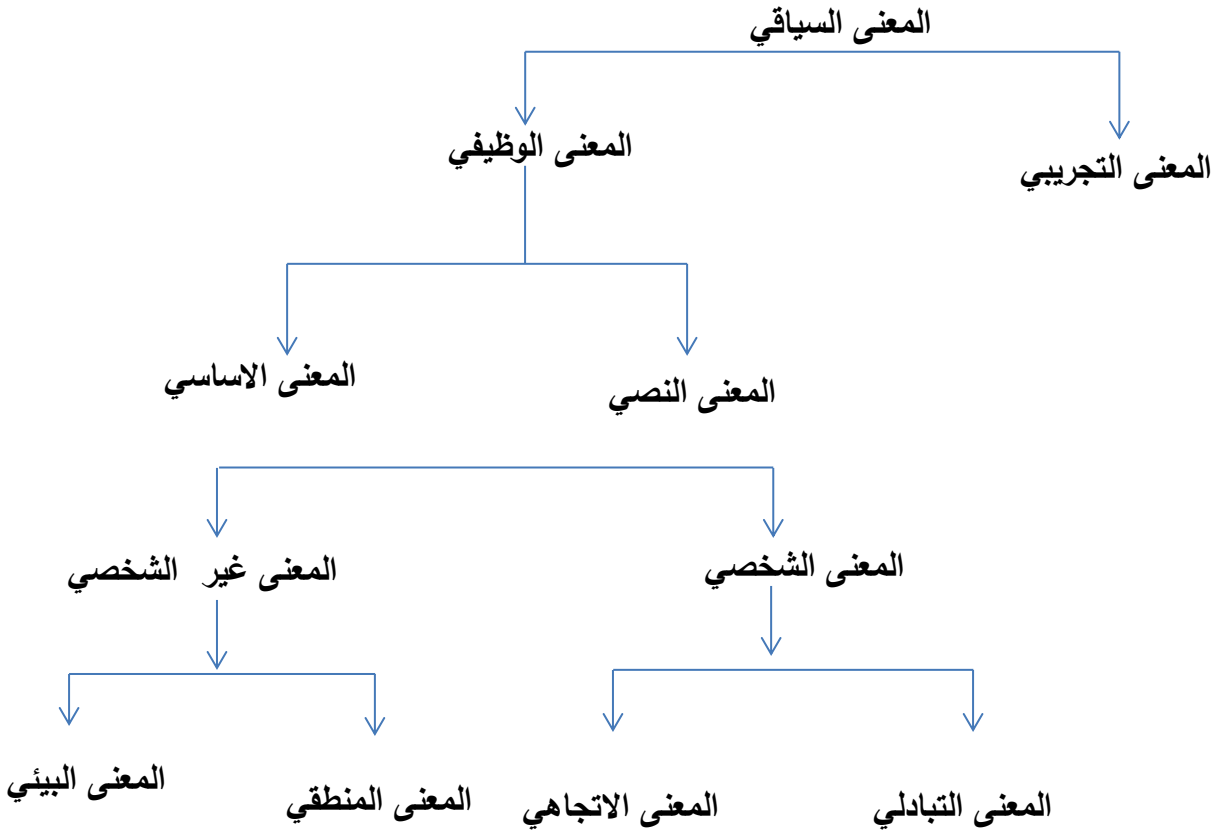
- **التماسك (Cohesion)** تمثل اللغة المكتوبة أو المنطوقة نصا متماسكا، وليس مجرد جمل متراصة، وذلك بوسائل مختلفة كالربط والإضمار والإشارة، وغيرها وقد تختل قواعد التماسك النصي لأسباب أسلوبية أو بلاغية ،وهذا ما تحققه الوظيفة النصية التي حددها هاليداي في تقسيمه لوظائف اللغة.

- **الإبراز (Promenance)**: أي إبراز أجزاء معينة من النص عن طريق اختيار الموضوع الموسوم Theme markedأو باختيار الموقع الموسوم Marked pointعلى غير موسوم، واختيار الموضوع الموسوم نحو: القانون احترم، فقد قدم القانون إبراز له وجعله نقطة الاهتمام الأولى.

---

[1] محمود أحمد نحلة : المرجع السابق، ص 65 – 66 – 67.

وقد أضافت "مارجريت بري"، وهي من أكثر الباحثين استيعابا لهذه النظرية، نمطا آخر أطلقت عليه المعنى البيئي الذي يشير إلى الخلفية الثقافية للمتكلم أو الكاتب ويحدد بيئته الاجتماعية، ثم وضحت المعنى السياقي في هذا المخطط[1]:



أنماط المعنى السياقي

[1] محمود أحمد نحلة : المرجع نفسه، ص 68.

ويمكن أن نشير أيضا إلى التحقيق الذي يعتبر من الأسس المنهجية التي قام عليها النحو النظامي، والتحقيق هو: " العلاقة بين التصور المجرد والشكل المادي فكل تصور مجرد يحققه عنصر لغوي مسموع أو مكتوب"[1].

أما فيما يخص المبادئ العامة لهذه النظرية، فإنها تقوم على ثلاثة مفاهيم أساسية هي: مفهوم الوظيفة ومفهوم النسق ومفهوم البنية.

– **مفهوم الوظيفة**:لقد سبقت الإشارة إلى الوظائف الأساسية والثانوية التي حددها هاليداي في دراسة وظيفة اللغة.

– **مفهوم النسق**:ويتألف النسق العام لكل لغة طبيعية من ثلاثة أنساق تعكس الوظائف الثلاث الأساسية حسب التطابق التالي:

- **نسق التعدية**: تركتز الجملة باعتبارها تعبيرا عن الحدث على المفاهيم الدلالية التالية: الحدث والمشاركين في الحديث وظروف الحدث، كظرف الزمان والمكان والأداة وهي تقسم إلى قسمين :

– المشاركان في الحدث: المنفذ والمتقبل وهو المتحدث، المتقبل وهو الذات محط تأثير الحدث.

– الظروف: وهي الذوات التي تقوم بدور ثانوي بالنسبة للحدث كظرف الزمان، وظرف المكان، والأداة وغيرها[2].

- **نسق الصيغة**: تشتمل الجملة بالنظر إلى نسق الصيغة على: "قضية" و"صيغة" و"جهة"، فالصيغة يمكن أن تكون "التدليل" أو الصيغة الأمر أو الحالتين معا: إثبات ونفي. وتتكون القضية من "محمول" و"فاعل" وفضلة" و"وتوابع" وهي مكونات مطابقة لـ " الحدث" و" والمنفذ" والمتقبل" و"الظروف" على التوالي.
- **نسق المحور**:تشمل الجملة سلسلة من العناصر المنظمة طبقا للموقف التواصلي الذي تنجز فيه، مكونا "محورا" دالا على محط الحديث ومكونا "تعليقا" يدل على الحديث ذاته،

---

[1] محمود أحمد نحلة: المرجع السابق، ص 69.

[2] محمود أحمد نحلة: المرجع السابق، ص 122.

كما تتضمن بالتركيز على حمولتها الإخبارية مكونا "معطى" دالا على المعلومة التي يمكن أن نستمدها من السياق اللغوي أو الموقفي ومكونا "جديدا" دالا على المعلومة التي لا نستمدها من السياق[1].

يتضح تصور "هاليداي" لمفهوم "البنية" من خلال النحو النظامي، وذلك لارتباطه بنظرية عامة للسلوك الاجتماعي أو التفاعل البشري داخل المجتمع فتصبح الوظائف

الأساسية للغة (التمثيلية، التعالقية، النصية) مجموعة من الأنشطة تتحقق في بنية واحدة تحكمها ثلاثة أنساق.

ثانيا– المرحلة الثانية: الدلاليات (المرحلة التوليدية التحويلية)

1– البراغمانتاكس:

عرّف "مكاولي" نظرية البراغمانتاكس بأنها "نظام يربط البنى السطحية بالبنى الدلالية التحتية، وتكون البنية المنطقية لكل جملة في شكل مشجر، متضمن لبعض المصطلحات النحوية كالعنصر الشبيه بالفعل الذي يدعى " المحمول" والعناصر الشبيهة بالأسماء التي تدعى "مواضيع"[2].

ومعنى ذلك أن تركيب المعنى عند أصحاب هذه النظرية يسبق التركيب النحوي، يتجلى ذلك بوضوح بالنظر إلى جهاز نحوها الواصف، والذي يقوم على مبدأين أساسين هما[3]:

- عدم استقلال التركيب بالنسبة للدلالة.
- الطبيعة الدلالية للبنية مصدر الاشتقاق.

فإن كان "تشومسكي"قد جعل اشتقاق الجملة ينطلق من توليد بينة عميقة نحوية، فإن اشتقاقها حسب نظرية البرغمانتاكس يتم بتوليد بنية دلالية مجردة "تعطي التمثيل الدلالي، ومن ثم تخضع هذه البنية إلى عدة تحولات، يتم خلالها إدخال مفردات المعجم إلى أن يتوصل أخيرا

---

[1] محمود أحمد نحلة: المرجع نفسه، ص 124.

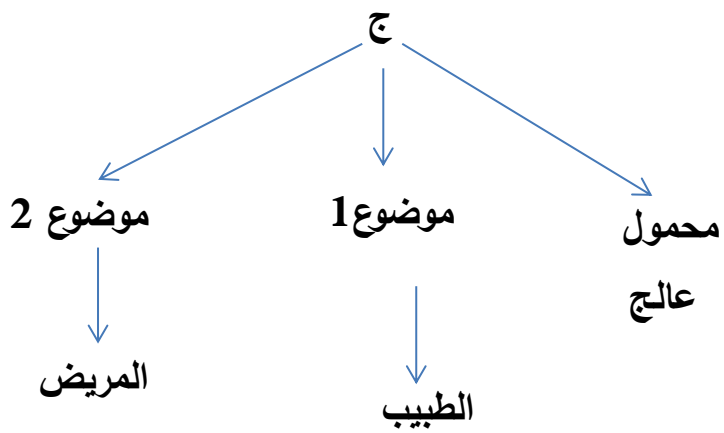
[2] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 252.

[3] أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، ص 101.

إلى البنية السطحية"[1]، فالبنية الدلالية تتكون من محمول فعلي اسمي، صفي... يربط بين عدد معين من الموضوعات موضوع 1 وموضوع2... وموضوع...

ويمكن أن نوضح ذلك بالجملة التالية:

عالج الطبيب المريض

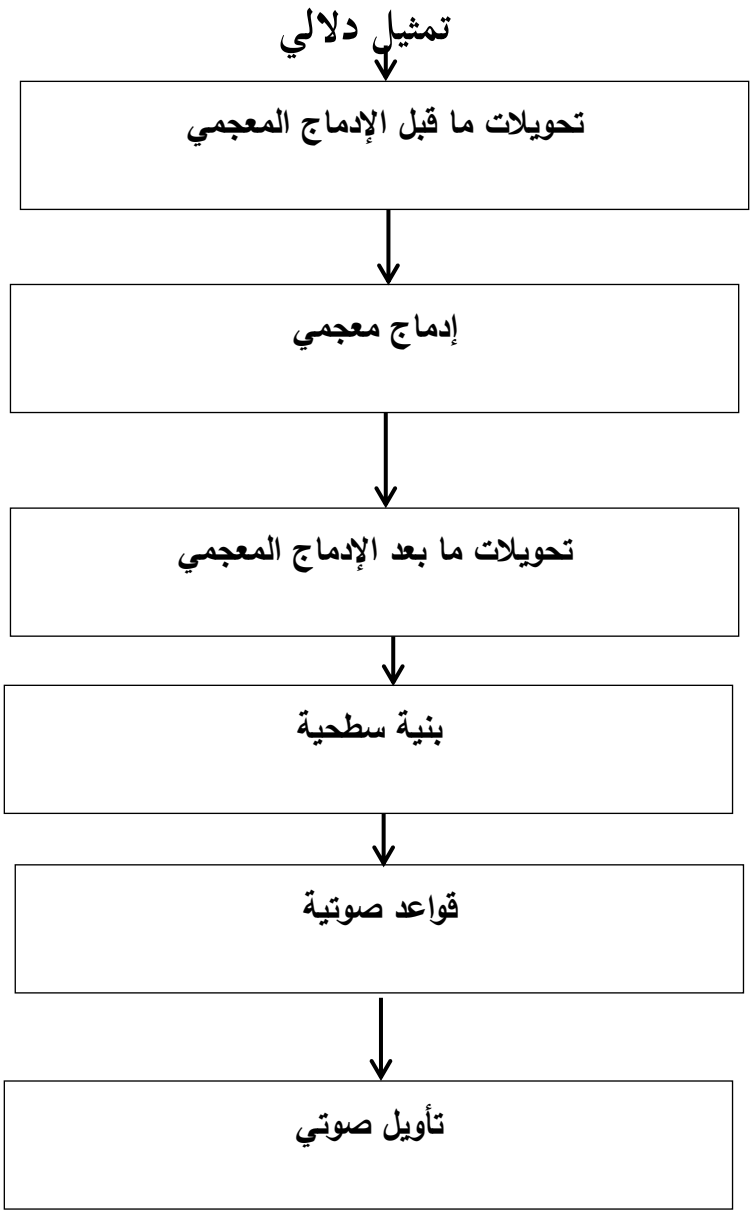


وفي هذا النموذج اللغوي، تعد المحمولات وحدات معجمية مركبة يتعين التمثيل لها في البنية المنطقية الدلالية في شكل وحدات دلالية أولى، فالبنية هي مصدر اشتقاق الجملة وتنتقل البنية المنطقية الدلالية إلى بنية منطقية دلالية أبسط عن طريق تطبيق قاعدة "تصعيد المحمول"التي ينتقل بواسطتها محمول الجملة المدمجة إلى مستوى محمول الجملة المدمجة حيث يمثل المحمولات معا محمولا مركبا، ويمكن توضيح بنية النحو في نموذج "الدلالة التوليدية" كالتالي[2]:

---

[1] أحمد محمد قدور: المبادئ في اللسانيات، دار الفكر ، سوريا ،ط1، 1996، ص 270.

[2] أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، ص 104.



لا يتضمن هذا النموذج التمثيلي الدلالي مكونا دلاليا، بخلاف النماذج التوليدية التحويلية ذات الطابع التأويلي، ويرجع ذلك إلى أن الخصائص الدلالية للجملة مثّل لها في البنية الدلالية مصدر الاشتقاق.

و تعد هذه البنية المستوى الملائم لتمثيل الخصائص التداولية، كمفهوم الفعل اللغوي، والقوة الانجازية المصاحبة للأداء الكلامي ومفهوم الاقتضاء ومفهوم البؤرة.

الفعل اللغوي: يمثل له في البنية مصدر اشتقاق الجملة على أساس أن تكون هذه البنية عبارة عن جملة مركبة من جملتين : جملة عليا وظيفتها التأشير للفعل اللغوي جملة سفلى تقوم بدور الدلالة على المحتوى القضوي.

وتتكون الجملة العليا حسب "روس" من فعل انجازي، ومركبين اسميين يؤشران للمتكلم والمخاطب، ويتم التمثيل له في البنية العميقة للجملة.

وقدمت في هذا السياق اقتراحات عدة أبرزها اقتراح " كوردت" و"لاكوف" و"وصادوك" و" غرين"فيقترح كوردنولاكون تمثيل القوة الانجازية الحرفية في البنية المنطقية للجملة أما القوة الانجازية المستلزمة فتنتج عن طريق تطبيق نوع من القواعد التأويلية التي تتخذ من البنية المنطقية وخلالها ويطلقان على هذا النوع من القواعد " مسلمات الحوار".

وعليه تكون هذه النظرية قد نجحت في إدراج المكون التداولي ضمن نماذجها النحوية.

2-التركيبات الوظيفية:

يشير "كونو " صاحب هذه النظرية في معرض حديثه عن التركيبات الوظيفية إلى تعريف اللسانيات الوظيفية بأنها " مقارنة لتحليل البنية اللغوية تعطي الأهمية للوظيفة التواصلية لعناصر هذه البنية بالإضافة إلى علاقتها البنيوية"[1].

ومن ثم تحدد التركيبات الوظيفية داخل هذا الإطار بأنها "أحد الحقول اللسانية الوظيفية، حيث تحلل البنيات التركيبية على أساسي وظائفها التواصلية"[2] ،بمعنى أن "كونو " يدرج التركيبات الوظيفية ضمن اللسانيات الوظيفية التي ترتكز على تبعية البنية التركيبية للوظيفة ويرى " كونو" ضرورة تزويد نماذج النظرية التوليدية التحويلية بمجموعة من القيود المرتبطة بوظيفة التواصل المفاهيم الأربعة التالية:

المعلومة القديمة: يحمل عنصر ما من عناصر الجملة المعلومة القديمة إذا كان واردا في السياق السابق.

---

[1] أحمد المتوكل: المرجع السابق، ص 113.

[2] أحمد المتوكل: المرجع نفسه، ص 113.

أ–المعلومة الجديدة:يحمل عنصر ما من عناصر الجملة المعلومة الجديدة إذا لم يكن واردا في السياق السابق.

ب–المحور:يمثل المحور في الجملة العنصر محط الحديث في الجملة.

ج–البؤرة: تمثل البؤرة في الجملة العنصر الحامل للمعلومة الجديدة.

وقد استدل كونو على هذه المفاهيم الوظيفية في تحليل الظواهر التركيبية بعدة أمثلة.

ونخلص من هذين النظريتين الوظيفيتين (البراغمانتاكس والتركيبات الوظيفية) أنهما بإدراجهما للمكون التداولي قد اكتسبتا خصائص النظريات الوظيفية ،إلا أن كونهما نحو تحويلي يستخدم جهازا تحليليا يتسم بالتعقيد والثقل للربط بين البنية الدلالية التداولية والبنية السطحية كان من الأسباب التي أدت إلى تخلي بعض اللغويين عن هذه المقترحات خاصة بعد ظهور نظرية التركيب الوظيفي نهاية السبعينيات.

3–نظرية التركيب الوظيفي (أعمال مدرسة هارفرد):

نظرية التركيب الوظيفي نظرية نحوية وظيفية اقترحها كل من" فان فالين" و " فولي" نهاية السبعينيات، وحسب هذه النظرية، فإن إنتاج الجملة يخضع إلى بنيات ثلاث: بنية دلالية، وبنية تداولية وبنية تركيبية صرفية، ويتم تحديد ذلك وفقا لمبدأ المنهج الوظيفي القاضي بأن البنية اللغوية هي انعكاس للوظيفية التواصلية.

أ– البنية الدلالية:

تقوم البنية الدلالية على مفهومين اثنين هما:

مفهوم الأدوار الدلالية، ومفهوم انقسام المحمول إلى مجموعة من المحمولات الأولى.

- **مفهوم الأدوار الدلالية**: يختزل"فان فالين" و "فولي" الأدوار الدلالية لموضوعات المحمول في دورين دلاليين أساسين هما "دور العامل" و" دور المحتمل"، حيث:

" يحمل " دور العامل" الموضوع الدال على المشارك الذي ينجز الواقعة التي يدل عليها المحمول أو يتسبب في انجازاها أو يراقبها .ويحمل دور " المحتمل" الموضوع الدال على المشارك الذي لا ينجز ولا يراقب أية واقعة بل يتحمل (يتأثر) بانجاز واقعة ما"[1].

- **تقسيم مدلولات المحمول إلى محمولات أساسية أولى** :لا تأخذ موضوعات الجملة جميعها نفس الأهمية في البنية الدلالية ولهذا السبب تقترح نظرية التركيب الوظيفي بنية جملية تتمايز فيها ثلاثة مكونات هي النواة الصلب والهامش[2].

حيث يشكل نواة الجملة محمولها سواء أكان المحمول محمولا بسيطا أم كان محمولا مركبا، ويشكل الصلب العناصر التي تنتمي إلى" المحلاتية " الخاصة بالمحمول أي موضوعات المحمول، أما الهامش في الجملة فيتضمن العناصر الدالة على ظروف الحدث (الزمان والمكان) والعناصر التي تدل على المشاركين الثانويين في الحدث،وتكون بنية الجملة العامة كالتالي:

محمول (م س) (م س) (م س) .... (م س)

نواة صلب هامش

جملة

بناء عليه تكون البنية الدلالية للجملة كما يلي:

قدم الأستاذ محاضرة البارحة في المدرج

نواة صلب هامش

جملة

[1] أحمد المتوكل: المرجع السابق، ص 126 – 127.

[2] أحمد المتوكل: المرجع نفسه، ص 129.

حيث يشكل المحمول (قدم) محمول الجملة ،فهو يدل على حدث (عمل)، والموضوع الذي يمثل صلب الجملة هو (الأستاذ) باعتباره العنصر المشارك في انجاز الحدث، أما ظرف الزمان (البارحة) والمكان (المدرج) فيشكلان هامش الجملة.

وقد نبه "فان فالين" و "فولي" إلى أن هذا النموذج في البنية الدلالية لا يعبر عن العلاقات القائمة بين المكونات في البنية الناتجة عن القواعد المركبة المعتمدة في الأنحاء التوليدية التحويلية، وحسب تصور "فان فالين" و "فولي" لبنية الجملة في هذه المرحلة لابد من إضافة ما أسمياه ب (المخصصات) وهي نوع من الروابط تتحكم في عنصر أو سلسلة من العناصر التي تشكل حيزها (كالأدوات النافية)، وهي تنقسم إلى:

1-مخصصات النواة

2-مخصصات الصلب

3-مخصصات الجملة[1].

ب- البنية التداولية:

البنية التداولية هي البنية المنظمة على أساس الأدوار الخطابية التي تحملها مكونات الجملة"[2] ،أي أن المكونات تتحدد بنيتها بالنظر إلى وظيفة الجملة الإخبارية ويتحكم في تنظيمها نوعان من المعلومات: قديمة وجديدة، بالإضافة إلى بروز مكون رئيسي يشكل مركز الاهتمام في هذه النظرية تبنى عليه باقي عناصر الجملة، ويطلق عليه العماد أو القيمة التداولية[3].

ج- البنية التركيبية الصرفية:

سبق وأن أشرنا إلى أن البنية التركيبية الصرفية في الدراسات الوظيفية للغة تتحدد بناء على البنية الدلالية والتداولية ويتجلى ذلك في ترتيب المكونات وفي الوسم الإعرابي، إذ تتموقع

---

[1] أحمد المتوكل: المرجع السابق، ص 129.

[2] أحمد المتوكل :المرجع نفسه ، ص 131.

[3] أحمد المتوكل: المرجع نفسه، ص 131.

المكونات ذات الحمولة الإخبارية الجديدة في حيز المواقع الأخيرة كما في قولنا مثلا:

قدّم محاضرة الأستاذ البارحة في المدرج.

يتقدم المفعول في اللغة العربية على الفاعل وفقا للشرطين التاليين:

أن يكون حاملا للمعلومة المعطاة، المتقاسمة معرفتها بين المتكلم والمخاطب ،و أن يكون دالا على محط الحديث في الجملة[1]، فالمركب (محاضرة)في الجملة حامل للمعلومة المتقاسمة أي التي يعرفها المتكلم والسامع ويأخذ المكون " العماد" في الجملة الأهمية التداولية، فالموقع الأكثر بروزا هو الموقع المتقدم على موقع الفعل أو الموقع الموالي لموقع الفعل طبقا للبنية الرتبية الواردة في اللغة .ويبقى العماد يمثل المكون المركزي في التراكيب . وتجدر الإشارة هنا إلى أن الوسم الإعرابي يشمل " جميع الوسائل التي تستخدمها اللغات للتأشير للوظائف التي تحملها الموضوعات الاسمية الواردة في الجملة كالصرفات الإعرابية والرتيبة"[2].

أما الحركات الإعرابية فهي تلعب دورا بارزا في التمييز بين المكون الصلب والمكون الهامش في مجموعة من اللغات الطبيعية .

وعليه فقد استطاعت نظرية التركيب الوظيفي التخلص من القيود المثقلة بالتحويلات التي فرضتها النظرية التوليدية التحويلية.

كانت هذه نظرة عامة حول أهم النظريات الوظيفية التي سبقت نشأتها ظهور نظرية النحو الوظيفي.والملاحظ أن جل هذه النظريات ما عدا نظرية النحو النظامي التي بلورت تصورا واضحا للنص من خلال الوظيفة النصية تصب في إطار نحو الجملة وهذا ما يظهر محدوديتها لأن الأفراد لا يتواصلون بالجمل المفردة وحسب بل بالنصوص المتكاملة .

وعليه فإن هذه النظريات تبقى قاصرة لأنها لا يمكن أن توفي الظواهر اللغوية حقها في الوصف والتفسير والتعليل.

---

[1] أحمد المتوكل: المرجع السابق، ص 132.

[2] أحمد المتوكل :المرجع نفسه ، ص 134.

غير أن هذا لا يعني عجز الدراسات اللسانية وعدم قدرتها على معالجة الظواهر اللغوية.وفي هذا الإطار نستطيع القول أن نظرية النحو الوظيفي التي أفادت من هذه النظريات الوظيفية جميعا ، قد استطاعت تخطي أهم الثغرات الموجودة.

ثالثا– المرحلة الثالثة: مرحلة الثورة التبليغية (ثورة التداوليات)

ظهرت هذه المرحلة الثالثة الهامة الثورة التبليغية كرد فعل عن المدرسة التوليدية التحويلية، وقد تطورت فكرة دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، حيث اقترح عالم الاجتماع الأمريكي " ديل هايمز" وصف الأحداث اللغوية في سياقها الطبيعي، فقد وجه دراسته إلى أهمية السياق التداولي، وهذا ما أكده بعد1970م[1]، حيث شن هجوما عنيفا على التصور التجريدي الذي انحصر فيه البحث اللساني سواء في ثورة الداليات أو ثورة الدلاليات أين انحصر البحث اللساني في اللغة دون الكلام مع دي سوسر أو التركيز على وصف القدرة اللغوية مع "تشومسكي" دون التركيز على التأدية.

فظهر هذا التوجه الجديد أين يتم التركيز على القدرة التبليغية (competance de communication)، حيث أضحت القدرة اللغوية مكوّن من مكونات القدرة التواصلية للمتكلم السامع وبهذا أعيد الاعتبار للنظريات السياقية كنظريات أفعال الكلام لفلاسفة اللغة العادية،ونظريات التداول والملفوظية، ونظريات النحو الوظيفي وخاصة ما قدمه الهولندي "سيمون ديك"، وهذه النظريات التي ترتكز على المكون التداولي للكلمة أو الجملة أو النص الذي تحكمه مجموعة من الوظائف التداولية المرتبطة بسياقات وطبقات مقامية و بمجموعة من العلاقات الاجتماعية والمنطقية المتحكمة في عملية التواصل.

وسنتناول في مايلي: نظرية النحو الوظيفي، من خلال إيجاز أهم المحطات التي عرفها مسارها وكذا رصد المبادئ و المرتكزات التي قام عليها.

---

[1] عبد الجليل مرتاض : التحليل البنيوي للمعنى والسياق، دار هومة للطباعة ة النشر والتوزيع، الجزائر،2010،ص 203.

قدمت الصياغة الأولية العامة للنحو الوظيفي في كتاب" سيمون ديك" سنة 1978، حيث أرسى أسس النحو الوظيفي الذي يقوم على مجموعة من المبادئ الأساسية.

1-المبادئ العامة لنظرية النحو الوظيفي: وأهمها:

1-1-الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية: هي التواصل ومفاد هذا المبدأ أن بنية اللسان الطبيعي الصورية ترتبط بهذه الوظيفية الأساسية، فنظرية النحو الوظيفي نظرية نحوية وظيفية، لا تفصل مكونات البنية اللغوية (الصوت، الصرف، الدلالة) عن وظائفها التبليغية المختلفة، كما تصف وتفسر وتعلل خصائص البنى من كل جوانبها الصوتية والصرفية والتركيبية بردها إلى خصائصها الدلالية والتداولية ورصد العلائق التي تربط بين الجوانب المختلفة.وتلخص بذلك وظائف جاكسون و هاليداي وغيرهما إلى الوظيفة المركزية للغة وهي التبليغ و ذلك بالربط بين خصائص البنى التركيبية وسياقها الذي تستعمل فيه بالإضافة إلى تفسير هذه الملكة بردها إلى مجموعة من الملكات التحتية كالملكة اللغوية والإدراكية المنطقية.

وكنتيجة لما سبق فإن النحو الوظيفي يسعى دائما إلى تكوين نظريات جديدة تقوم على التواصل كوظيفة أساسية للغة حيث يتم التركيز على القدرة التواصلية.

1-2- موضوع الدرس اللساني هو وصف "القدرة التواصلية" Compétence communicative: للمتكلم المخاطب[1]:

تم الانتقال في هذه النظرية من فكرة " القدرة والانجاز" التي جاء بها تشومسكي باعتبار القدرة معرفة المتكلم السامع للغته ،والانجاز هو استعمال هذه المعرفة الفعلي. ومن المعروف أن مفهوم القدرة في النظرية التوليدية التحويلية قد تطور من التركيز على التركيب والدلالة والصوت إلى إدراج التداولية في دراسة اللغة.[2]

وكان الانتقال في النحو الوظيفي إلى " القدرة التواصلية" لدى مستعمل اللغة الطبيعية" فالقدرة هي :" قدرة عامة تشمل المعرفتين اللغوية وغير اللغوية معا، المعرفة النحوية الصرف

---

[1] أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص 137.

[2] أحمد المتوكل : من التركيبات الوظيفية (قضايا ومقارنات)، مكتبة دار الأمان الرباط، المغرب، ط1، 1426 – 2005، ص 48

والمعرفة التداولية كليهما على أساس أن هاتين المعرفتين تشكلان قدرة واحدة، قدرة المتكلم، السامع على التواصل مع غيره"[1].

وقد تطور هذا المفهوم في نظرية النحو الوظيفي ليصبح التركيز أكثر على الملكات التي تتفاعل في عملية التواصل إنتاجا وفهما ، حيث نضيف إلى الملكة اللغوية ملكات أخرى هي الملكات المعرفية والمنطقية والاجتماعية والإدراكية،وأن العلاقة بين هذه الملكات هي علاقة محددة ذات طابع قالبي يجعلها ملكات مستقلة الكيان، و لكنها مترابطة و متفاعلة.

ويمكن أن نوضح هذه الملكات على النحو التالي[2]:

أ–الملكة اللغوية: ينتج مستعمل اللغة ويؤوّل عبارات لغوية تأويلا صحيحا في المواقف التواصلية.

ب–الملكة المنطقية:يمكن لمستعمل اللغة أن يشتق معارف معينة بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي.

ج–الملكة المعرفية: بإمكان مستعمل اللغة أن يكوّن رصيدا من المعارف المنظمة، ويستطيع أن يشتق معارف من العبارات اللغوية، كما يستطيع أن يختزن هذه المعارف في الشكل المطلوب وأن يستحضرها لاستعمالها في تأويل العبارات اللغوية.

د–الملكة الإدراكية: يستطيع مستعمل اللغة أن يدرك محيطه وأن يشتق من إدراكه ذلك معارف وأن يستعملها في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها.

هـ–الملكة الاجتماعية:لا يعرف مستعمل اللغة الطبيعية ما يقوله فحسب بل يعرف كيف يقول ذلك المخاطب المعين في موقف تواصلي معين قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة.

و بهذا تمت صياغة "نموذج مستعمل اللغة الطبيعية" في شكل جهاز يتكون من خمسة قوالب هي : (القالب النحوي ،القالب المنطقي، القالب الاجتماعي، القالب الإدراكي،

---

[1] أحمد المتوكل: المرجع السابق،ص48.

[2] أحمد المتوكل:آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الرباط،المغرب،1993،ص.ص 8-9.

والقالب المعرفي) ويقوم كل قالب برصد ملكة من الملكات التواصلية السابقة حيث يمثل كل قالب نسقا من القواعد.

فالنحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة منظور إليهما من وجهة نظر تداولية، وبذلك يسعى الوصف اللغوي الطامح إلى الكفاية إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات

أ) **الكفاية التداولية** : حدّد " سيمون ديك "(1997) الكفاية التداولية في النحو الوظيفي الذي " يستكشف خصائص العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات و أن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة تلك الخصائص بالقواعد و المبادئ التي تحكم التواصل اللغوي "[1] و هذا يعني أنه يجب أن نتعامل مع العبارة اللغوية على أساس أنها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ المعنى في أطار سياقه المناسب.

و من هنا يمكن تحديد الكفاية التداولية على أنها[2].

-للعبارة اللغوية بعدا تداوليا قائم بذاته يتميز عن الخصائص الدلالية التركيبية.

- يرتبط البعد التداولي بالسياقين اللغوي و الموقفي الذي تستعمل فيه العبارة.

-على النحو الوظيفي الطامح إلى تحقيق الكفاية أن يأخذ بعين الاعتبار الخصائص التداولية للعبارة اللغوية في ارتباطها بسياقها الذي تستعمل فيه .

ب) **الكفاية النفسية** : عرفها "سيمون ديك " بأنها :" الكفاية التي تحصل حين تكون النظرية اللسانية مؤصلة لرصد إنتاج الخطاب وفهمه، أي حين تكون النظرية اللسانية مؤهلة لرصد إنتاج الخطاب وفهمه، أي حين تكون مطابقة ما أمكن التطابق للنماذج النفسية للقدرة اللغوية و السلوك اللغوي معا "[3] .

وهو ما بينه " سيمون ديك " عندما قسم النماذج النفسية إلى نماذج إنتاج و نماذج فهم ، حيث تحدد نماذج الإنتاج كيف يبني المتكلم العبارات اللغوية و ينطقها، في حين تحدد نماذج

---

[1] أحمد المتوكل: التركيبات الوظيفية(قضايا ومقاربات)،ص 50.

[2] أحمد المتوكل : المرجع نفسه ،ص 52.

[3] أحمد المتوكل: الخطاب المتوسط (مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات)، منشورات الاختلاف،،الجزائر، دار الأمان ،ط1، الرباط،المغرب،1432هـ-2011م،ص62.

الفهم كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية و تأويلها، ولهذا يتوجب على النحو الوظيفي أن يعكس ثنائية (الإنتاج / الفهم).

ج) **الكفاية النمطية** : يروم النحو الوظيفي وصف خصائص أكثر عدد من اللغات وإرجاعها إلى أنماط معينة على أساس مجموعة من المعايير (الرتبة في الجملة و داخل المركب الاسمي)، عكس المنحى الكلي الذي يسعى إلى وضع نحو كلي للكلمة اللسانية تتفرع عنه أنحاء مختلفة[1].

2- وظائف اللغة في أنماط النحو الوظيفي :

ثمة ثلاثة أنواع من الوظائف:" الوظائف الدلالية " و"الوظائف التركيبية " و" الوظائف التداولية " وهي كالآتي:

2-1) **الوظائف الدلالية** : تحدد الأدوار التي يقوم بها المشاركون في الواقعة التي يدل عليها المحمول[2] ، وتتمثل هذه الوظائف في : المنفذ و المستفيد والأداة و الزمان والمكان والحال و العلة و المصاحب و المفعول معه و المفعول لأجله[3] .

2-2) **الوظائف التركيبية**: ينحصر عدد الوظائف التركيبية في النحو الوظيفي في الوظيفتين هما : الفاعل و المفعول .

2-3) **الوظائف التداولية** : هي وظائف تستند إلى مكونات الجملة بالنظر إلى ما يربط بين المكونات في البنية الإخبارية، أي بالنظر إلى المعلومات التي تحملها هذه المكونات في

طبقات مقامية معينة وهي تستند إلى المكونات في الجملة حسب العلاقة القائمة بين المتكلم والسامع (المخاطب) في طبقات مقامية معينة.

وتنقسم هذه الوظائف إلى قسمين: داخلية وخارجية وهي:

---

[1] أحمد المتوكل: التركيبات الوظيفية (قضايا ومقاربات)،ص 51.

[2] أحمد المتوكل:الوظيفة والبنية ،مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، منشورات عكاظ،الرباط،المغرب ،1993،ص.ص15-16.

[3] أحمد المتوكل:من البنية الحملية إلى البنية المكونية،الوظيفة المفعول في اللغة العربية،دار الثقافة للنشر والتوزيع،ط1،الدار البيضاء،1407هـ-1987 ،ص.ص 65-66.

أ) الوظائف الخارجية :

المبتدأ : هو المكون الدال على " مجال الخطاب" الذي يكون الحمل واردا بالنسبة إليه.

الذيل : هو المكون الحامل للمعلومة المقصود بها تعديل أو تصحيح أو توضيح معلومة واردة في الحمل .

المنادى : يحمل المكون الذي يشكل محط النداء وظيفة المنادى، وهي الوظيفة التي أضافها " أحمد المتوكل " للوظيفة التي حدّدها "سيمون ديك " نظرا لخصوصية اللغة العربية (من حيث القواعد و النظام) .

ب) الوظائف الداخلية: هي الوظائف التي تسند داخل الحمل:

البؤرة : تسند الوظيفة البؤرة إلى الحد الحامل للمعلومة التي تشكل الفرق الإخباري بين المتكلم و المخاطب، وهي نوعان بؤرة جديد و بؤرة مقابلة.

المحور: يسند المحور إلى الحد الحامل للمعلومة التي تشكل محط الحديث داخل الحمل[1].

وتجدر الإشارة إلى أن دراسة هذه الوظائف يتم وفق نمط جديد أو تقسيم جديد وضعه "سيمون ديك " ليحقق الكفاية النمطية والذي يمكن أن يطبق على كل اللغات،حيث تتكون الجملة من إطار حملي داخلي ووظائف تداولية خارجية . ولا يمكن أن نتوسعأكثر في هذا الأمر لأنه يحتاج بالفعل إلى البحث الواسع، حتى يتم إعطاءه حقه.

3–مراحل نظرية النحو الوظيفي :

نميز في مسار نظرية النحو الوظيفي بين نموذجين هما : نموذج الجملة أو النموذج النواة (ما قبل المعيار) ، و نموذج النص (المعيار).

3-1) نموذج النحو الوظيفي النواة ما قبل المعيار (1979-1989) :

إن نظرية النحو الوظيفي، بوصفها نظرية تركز على مبدأ تبعية البنية للوظيفة، يجعل منها نظرية للخطاب، ذلك أنها "لم تقارب اللغة فقط، بوصفها معطى مجردا قوامه ألفاظ وتراكيب

[1] أحمد المتوكل:الوظيفة والبنية ،مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، ص.ص 17-18.

معزولة عن سياق إنتاجها "[1] إلا أن الدراسات الوظيفية انحصرت في هذه المرحلة في مجال الجملة، ويقصد بالجملة كل عبارة لغوية تتضمن حملا نوويا أو موسعا ومكونا أو مكونات خارجية.

3-2) نموذج النحو الوظيفي المعيار (1989.1997) :

لقد لاحظ منظّروا النحو الوظيفي قصور النموذج الأول ،مما دعت الضرورة إلى تضافر الجهود لتوسيع النحو وإغنائه، وذلك " بالانتقال من نحو بسيط إلى نموذج متعدد القوالب، يطمح إلى وصف مختلف الملكات التي تشكل قدرة المتكلم التواصلية "[2] . وبهذا لم تعد معرفة المتكلم السامع مقتصرة على المعرفة اللغوية فقط.

3-3) نموذج النحو الوظيفي ما بعد المعيار (1997.....) :

بعد عملتي التوسيع و الإغناء ، لجأ اللسانيون الوظيفيون إلى محاولة توحيد النموذج رغبة في تحصيل أكبر قدر من البساطة و الاقتصاد ، و قد تم ذلك بناء على افتراضين اثنين هما :

1 . إمكانية إسقاط بنية الجملة على النص انطلاقا من مقترح "ديك" الذي يؤكد أن: "ما نجده في الجملة من مكونات وعلاقات، و وظائف نجده تقريبا حين تنتقل من مجال الجملة إلى مجال النص"[3].

2 . الافتراض الثاني يشير إلى أن التماثل البنيوي لا يقوم بين الجملة والنص وحسب بل بين كل أقسام الخطاب .

وفيما يتعلق بالجهاز الواصف للنظرية، فقد تم اختزال قوالب مستعملي اللغة الطبيعية، بضم بعضها إلى بعض و نشير في الأخير إلى أن هذا النموذج لا يزال في طور التعديل والتطور.

---

[1] أحمد المتوكل:التركيبات الوظيفية (قضايا ومقاربات)،ص.ص 54-55.

[2] أحمد المتوكل:المرجع نفسه ، ص 54.

[3] أحمد المتوكل:آفاق جديد في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية،ط 1، الرباط،المغرب، 1993م، ص5.

الفصـل الثانـي

التماسك النصي من منظور لسانيات النص

1- تعريف النص

2- مهمة نحو النص

3- الوظائف النصية

4- التماسك النصي من منظور اللسانيات النصيةالحديثة

5- التماسك النصي من منظور الدراسات اللغوية عند العرب القدامى

6- طبيعة وخصائص النص القرآني.

1-7 – تعريف النص:

1-1- المفهوم اللغوي:

المفهوم اللغوي للنص من شأنه أن يؤسّس لنا فكرة عامة وشاملة عن ملامح هذا المصطلح، والتأصيل له قبل الدخول في تفرعاته وتعقيداته الناجمة عن تعدد المنطلقات الفكرية.

يعرف ابن منظور "النص" في معجمه لسان العرب بأنه :"رفعك الشيء، نصّ الحديث ينصّه نصا: رفعه، وكل ما أظهر فقد نص (....) ونص الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصته إليه ونصت الظبية جيدها : رفعته (....) ونص المتاع نصا: جعل بعضه على بعض، ونص الدابة ينصها نصا: رفعها في السير، وكذلك الناقة (....)، قال أبو عبيد: النص التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها.

وأصل النص أقصى الشيء وغايته، ثم سمي به ضرب من السير سريع، قال ابن الأعرابي: النص الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والنص التوقيف، والنص التعيين على شيء ما، ونص الأمر شدّته ونص الرجل نصّا إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده، ونص كل شيء منتهاه"[1].

ورد مفهوم النص بمعنى الرفع والمنتهى، والاكتمال، والظهور وهو المعنى التقريبي الذي انتقل به مفهوم النص إلى مجال علم الأصول ،فهو يعني في كتب التفسير "ما لا يحتمل إلا معنى واحدا، أو ما لا يحتمل التأويل"[2]، فما اختلف عن ذلك لا يعد نصا.

1-2- المفهوم الاصطلاحي:

اشتقت كلمة نص "Textus" اللاتينية من فعل نص ومعناه نسج في اللغة العربية، لذلك فمعنى النص هو النسيج، ومثلما يتم النسج من خلال مجموعة من العمليات المفضية إلى تشابك الخيوط وتماسكها بما يكوّن قطعة من القماش متينة و متماسكة[3].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ن، ص)، ص280.

[2] محمد الأخضر الصبيحي : مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه،الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1،الجزائر،2008،ص17.

[3] محمد الأخضر الصبيحي : المرجع نفسه ، ص19.

وقد أثار مصطلح "النص" إشكالية نقدية في الدراسات الحديثة، أدت إلى اختلاف مناهج البحث،فتباينت المفاهيم حول النص وهو أمر صعب يتطلب دراسة واسعة للإحاطة بكل جوانبه.

حيث برزت تعريفات متعددة تشرحه، وأخرى تبرز الخواص النوعية الماثلة في بعض أنواعه، غير أن منهجية البحث وطبيعة النص كشفت أن الاتفاق على مفهوم محدد للنص أمر لا يمكن الوصول إليه، ولا يمكن أن تتطابق الرؤى الخاصة بالباحثين في فهمهم له.ويصبح وجود تعريف جامع مانع للنص مسألة غير منطقية من جهة التصور اللغوي، وذلك لاختلاف المدارس اللغوية التي ينتمي إليها علماء اللغة، واختلاف حدود المصطلحات التي ترتكز على بحوثهم[1].

مما أدى إلى ظهور تعريفات كثيرة صنفها الدارسون بحسب الاتجاهات التي أفرزتها، وبحسب صلتها بالبنى والسياقات النصية، وكذلك بحسب صلتها بالجملة.

ويظهر مفهوم النص في النظريات اللسانية الحديثة التي ظهرت بعد العقد السادس من القرن العشرين، وذلك في اللسانيات الغربية بعد ما قدمه "هيلمسلف"(Hylmslev) الذي عد النص قسما أكبر قابلا للتحليل، وقد تجاوز "هاريس" (Haris) الجملة واهتم بتحليل الخطاب[2].

ويمكن تقسيم هذه التعريفات تبعا لمنطلقات أصحابها إلى:

أ- تعريفات بنيوية:

يركز أصحاب هذا الاتجاه على النص في ذاته ولحد ذاته فيبعدون كل من مبدعه وسياقاته التاريخية والاجتماعية والنفسية ويتعاملون معه على أنه بنية مغلقة، ومن بين هؤلاء "تودوروف" (Todorvor) الذي يرى" أن النص قد يتطابق مع الجملة، كما أنه قد يتطابق مع كتاب بأكمله، وهو يعرف باستقلاله وانغلاقه "[3] ، ويتابعه "فاينريش" (H.Weinrich)، ويعرف النص بأنه:"تكوين حتمي أجزاؤه ثابتة بمعنى أنه كلية مترابطة

---

[1] عثمان أبو زنيد: نحو النص،إطار نظري ودراسات تطبيقية،عالم الكتب الحديث،ط1،2010 ،ص 11

[2] عثمان أبو زنيد : المرجع نفسه،ص13.

[3] عثمان أبو زنيد: المرجع السابق،ص13.

الأجزاء، تتابع الجمل فيها وفق نظام، وتسهم في فهم ما تليها، كما تسهم المقدمة في فهم المتأخرة "[1] ،ونجد أيضا محاولات "برينكر" (Brinker) و"ايزنبرج" (Isenber) و"شتاينتر" (Steinitz) و"هارفج" (Herverg) في تعريف النص بأنه: " تتابع مترابط من الجمل"[2] أما "بارت" (Barthes) فيعرف النص بأنه: "هو السطح الظاهري للأثر الأدبي، وأنه نسيج الكلمات المشتبكة والمنظمة بطريقة تفرض معنى متينا وراسخا ووحيدا"[3].

يطلق على علم النص اللغوي مصطلح "علم النص" (Textologie) ويقسم إلى ثلاثة مجالات[4]:

- علم النص النظري (نظرية النص) وهذا هو الموضوع العام للنص، علم بناء النص (تشكيل النص)... الخ.
- علم النص الوصفي (تحليل النص) بوصفه علما عمليا لتحليل النصوص وتصنيف نصوص لغوية .
- علم النص التطبيقي علم استخدام النصوص، و استيعابها، وتعليمها.

ولقد سجل مفهوم "علم لغة النص" (Textlinguistik) نجاحا سريعا في الآونة الأخيرة، وترجع تسميته إلى "هـ.فاينريش" (H.Weeinrich) (1967) وغيره، ومع ذلك فإن له إرهاصا في المصطلح الاسباني "Linguistica deltexto" لدى "أ.كوزريو" (E.Coseriu) (1962)، ويطلق "ر.هارفج" (R.Harweg) (1974) على علم لغة النص "أحدث فروع لعلم اللغة" وموضوعه حسبه هو "بناء النص أي بناء وحدات درجة هرمية في بعد الجوار اللغوي، الذي يقع فوق درجة الجملة"[5].

---

[1] عثمان أبو زنيد: المرجع نفسه، ص13 ص14.

[2] عثمان أبو زنيد: المرجع نفسه، ص14.

[3] عثمان أبو زنيد: المرجع نفسه، ص14.

[4] زتسلاف و اوزنياك : مدخل إلى علم النص(مشكلات بناء النص)،تر:سعيد حسن بحيري،مؤسسة المختار للنشر و التوزيع،ط1،القاهرة،2003،ص35 .

[5] عثمان أبو زنيد: نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية ،ص36 .

يعد "هارفرج" البلاغة والأسلوبية فروعا سابقة مبشرة بعلم لغة النص،ويذكر أن رواد علم لغة النص، هما: "ز.س.هاريس" (1962) و"ك.ل بايك" (1954) بوجه خاص.

يمتد موضوع علم اللغة مجاوزا حد الجمل، فعلم اللغة حسب "هارفج" يقدم في مقابل الأشكال الأخرى لعلم اللغة توسعا كبيرا للمجال ،لأن "مجال موضوعه قد انتهى، وينتهي على أقصى تقدير بالدرجة الهرمية للجملة ، وهي حقيقة دفعت علماء لغة النص إلى إطلاق مصطلح "علم لغة الجملة" مؤخرا على أشكال علم اللغة تلك"[1] ، وبهذا تم تجاوز الجملة التي كانت أكبر وحدة وصف في النحو عند البنيويين والتحويليين (بلومفيلد، تشوسكي..) بخلاف "هيلمسلف" الذي ساوى بين النص والكلام (1943)، أما علماء لغة النص فقرروا أن العلامة اللغوية الأساسية هي النص .و يرى علماء لغة النص أنه أثناء التواصل اللغوي لا ننشئ جملا مفردة منعزلة بل تتابعات مجاورة للجملة متماسكة، ولا تدرك النصوص في ذلك أساسا بوصفها أفعال تواصلية فردية، بل بوصفها نتائج تفاعلات متجاوزة الأفراد (أبنية منطوقة بين الذوات).

ب– تعريفات سيمائية:

ساهمت السيمائية بعد البنيوية في تعريف النص بحيث اقترن مفهوم النص بمصطلح "التناص"، وأصبح النص مجموعة من النصوص المتداخلة.

وجاء تعريف "هارتمان" (Hartmann) للنص بأنه "علامة لغوية آلية، تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي"[2] ،فهو يعتبر النص علامة لغوية تحمل أدوارا ووظائف تحقق الفائدة من الكلام.

ومن هنا نتبين أن دراسة النص لا تقف عند اللسانيات بل تتجاوزها إلى علوم إنسانية أخرى مجاورة ويصبح النص وسيلة من وسائل التواصل،ولا يقف السيمائيون عند انفتاح النص

---

[1] عثمان أبو زنيد: المرجع نفسه، ص36

[2] عثمان أبو زنيد: المرجع نفسه،ص16.

اللغوي وتعدد حقوله الدلالية، واختلاف تأويلاته ، بل يتجاوزونه إلى اعتبارهم مفهوم النص غير مقتصر على الأشياء المكتوبة، وإنما يتعداها إلى الفنون التعبيرية كالرسم والموسيقى[1].

ج- تعريف علماء الاجتماع للنص:

ركز علماء اللغة الاجتماعيون على تفاعل اللغة مع محيطها الخارجي والعوامل التي تؤثر في استعمالها، فدرسوا أثر المعنى والتشكيل الاجتماعي، والتفاوت الفردي بين مستعملي اللغة.

فقد تجددت المحاولات في "علم اللسان الاجتماعي، والعلوم الإنسانية بوجه عام لغاية تعريف العلاقات المطردة بين السياقات المجتمعية والثقافية وبين بنيات اللغات وأشكال وظائفها"[2].

وهو ما يتطلب البحث عن الهدف من النص، وموضوعه و طبيعة المتلقى له ، والعلاقات الاجتماعية بين الملقي والمتلقي، وسياقه الزماني، والمكاني، والأقوال المتضمنة فيه، وعلاقتها بكل ما يرتبط به الملقي والمتلقي وظروف الإلقاء، ويصبح النص "بنية دلالية تنتجها ذات ضمن بنية نصية منتجة في إطار بنية أوسع اجتماعية وتاريخية وثقافية"[3]وهذا ما يتحقق في السياق الاجتماعي للنص فيمكن رصد العلاقة بين النص والسياق إذ أن الوحدات المعجمية والدلالية والتركيبية في النص لا تنفصل عن المصالح الاجتماعية المكونة له فاللغة ليست بنية فقط بل هي أداة لممارسة اجتماعية تكشف عن مواقف منتج النص ومتلقيه.

د-تعريف النص من منظور لسانيات النص وتحليل الخطاب:

تجاوز اللسانيون حدود الجملة في درس قواعد الكلام إلى فضاء لغوي أوسع هو فضاء النص، ففي أواخر الستينيات من القرن العشرين، كشف رواد هذا الاتجاه قصور الدراسات اللسانية التي تعتبر الجملة أكبر وحدة لغوية، فظهرت تعريفاتهم للنص المختلفة باختلاف منطلقاتهم وغاياتهم، ومن بين هذه التعريفات ما يلي:

---

[1] عثمان أبو زنيد: المرجع السابق ،ص17.

[2] فان دايك :النص والسياق،استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي،تر:عبد القادر قنيني،إفريقيا الشرق،المغرب، لبنان،2000،ص13.

[3] عثمان أبو زنيد:نحو النص،إطار نظري ودراسات تطبيقية،ص18.

- **تعريفات اعتمدت تكوُّن النص من بنى سطحية ومنها:**

1- تعريف "هارتمان-ستورك": النص هو: "متتالية من الكلمات تكون ملفوظا منجزا".

2-تعريف "ليونز" (Lyounns): النص هو "ناتج السلوك اللغوي العادي الذي يمكن أن يكتب كتابة فنولوجية".

3-تعريف "تيتزمان" (Tytzman): النص هو "ما يطلق على ملفوظات شديدة التنوع مستعملة في مقامات شديدة التنوع أيضا، و يمكن أن تصدر عن متكلم واحد أو أكثر من متكلم".

4-تعريف "بليش" (Pelish): النصوص هي: "أجزاء الخطاب المختلفة الطول الشفوية، أو المكتوبة، وكل جزء من أجزاء النص يكوّن قولا".

-تعريف "هيلمسليف" (Hyelmslev)النص: هو"ملفوظ لغوي، قد يكون محكيا أو مكتوبا قصيرا أو طويلا، قديما أو حديثا".

-تعريف "روبرت" (Robert): النص هو:"مجموعة من الكلمات والجمل التي تشكل مكتوبا أو منطوقا"[1].

وعند تصفح هذه التعريفات نجد أنها عامة لا نفرق فيها بين النص وغير النص، فهي لا تبيّن ما يحدد النص، فهي تشير إلى أن النص ناتج عن سلوك لغوي فقد يكون منطوقا محكيا، ومكتوبا، قصيرا أو طويلا، قديما أو حديثا، وهذه التعريفات أهملت قائل النص والسياق الذي أنتج فيه .

- **النص الأحادي الجملة:**

اهتمت لسانيات النص بهذا الإطار ، وذلك لما أثاره من إشكاليات كتحديد بنية متميزة للنص ومتى تكون الجملة نصا؟وذلك بربط الجملة المستعملة بالمقام التداولي"فعندما تصبح الجملة قولا منجزا يمثل رسالة تبث لمستقبل فيستقبلها تكون نصا"[2]، فمثلا جملة "اكتبوا

---

[1] عثمان أبو زنيد: المرجع السابق،ص. ص19-20-21.

[2] عثمان أبو زنيد: المرجع السابق،ص21.

الدرس" التي يقولها الأستاذ في القسم مثلا هي نص لأنها تتضمن كل المواصفات المقامية والتداولية المطلوبة:

1. أنها رسالة.
2. تبث من قبل المتكلم (الأستاذ).
3. يتلقاها متلقي (هو الطالب).
4. تم استقبالها.
5. أنها حققت تأثيرا في الملتقى.

ومن ذلك فالجملة تنقسم إلى قسمين:

*__جملة نظام__ (Système Sentense): وهو يمثل شكل الجملة المجرد الذي يولد جميع الجمل الممكنة والمقبولة في نحو لغة ما.

*__جملة نصية__ (Texte Sentense): وهي الجملة المنجزة فعلا في المقام. وهذا يفضي إلى "قيام تقابل بين الجملة باعتبارها وحدة من وحدات النظام، والنص باعتباره إنجازا لتلك الجملة أو لعدد أكبر من الجمل، وبذلك تصبح عندنا ثنائيتان تضافان إلى ثنائيتي: اللغة والكلام، والقدرة والانجاز وهما: النظام والاستعمال، والجملة والنص"[1].

- **النص متعدد الجمل:**

بنى لسانيو النص تعريفاتهم له على أساس الجملة، فقد عرف "بتوفي" (Petofi) النص بأنه: "وحدة لغوية متكونة من أكثر من جملة"[2]وعرفه" فيرر"(Wivver) بأنه: "مجموعة من الجمل المنسجمة"[3]، وعرفه "برينكر" (Brinker) بأنه :"تتابع مترابط من الجمل "[4]،وعرفه "هارفرج"(Harweg) بأنه: "ترابط مستمر للاستبدالات السنتجميمية التي تظهر الترابط النحوي في النص"[5].

---

[1] عثمان أبو زنيد: المرجع نفسه ،ص 22.

[2] عثمان أبو زنيد: المرجع السابق، ص 22.

[3] عثمان أبو زنيد: المرجع نفسه، ص23.

[4] عثمان أبو زنيد: المرجع السابق، ص 23.

[5] عثمان أبو زنيد: المرجع نفسه، ص .23

وهي تعريفات ليست واضحة المعالم، لا تبيّن كيفية تكوين وترابط الجمل التي تعطينا نصا، أي هي لا توضح الخواص النوعية التي تميز النص عن الجملة أو الكيفية التي تكون بها الجمل مترابطة، واختلف الدارسون النصّيون بعد ذلك حول النص فانقسموا إلى قسمين:

1-قسم ركز على الكيفية التي يتولد بها النص من ضم جملة إلى جملة على طريقة النحو التوليدي.

نص = (جملة1+ جملة2+جملة3..... جملةن).

فهم يعرفون النص بأنه متوالية من الجمل المجرات، أي الأقوال المنجزة ،فالنص مجموعة من الجمل التامة التي تكون منجزة في عملية التواصل.

2-قسم ركز على بنية النص التي تقوم على ثلاثية هي: (نص،مجموعة جمل، جملة) بدلا من الثنائية (جملة ، نص) فأكد "لانجليين" (Langleen) بناء على هذا التقابل أن "بنية النص بنية حرة مفتوحة، في حين تكون بنية مجموعة الجمل والجملة بنية مقيدة مغلقة"[1] ،أما "بيرتينتو"(Bertinetoo) فقد وضع مجموعة من الشروط لقيام النص باعتباره مجموعة من الجمل وهي تتمثل في أن تكون الجمل:

-منسجمة من حيث الموضوع.

-ذات وظيفة تواصلية.

-منجزة في عملية تواصلية.

كما نجد تعريفات أخرى تغلّب المضمون والجانب الدلالي على الجانب الصياغي فقسم عرف النص بأنه عبارة عن متتالية من الأقوال وليس من الجمل،لأن الجملة نظام يتكون من وحدات لغوية أما القول فهو استعمال وانجاز لهذا النظام من قبل المتكلم.

[1] عثمان أبو زنيد: المرجع نفسه، ص 24.

وقسم آخر يركز على تعريف النص بعده "متتالية من القضايا ويقتصر على محتواه المستفاد من الأقوال ومقتضياتها ومستلزماتها التي يمكن استخلاصها من المعرفة اللغوية والعوالم الممكنة"[1].

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن مجال النص هو المحتوى القوي فنصية النص تتحقق من خلال الدلالة الكلية له، فتصبح الجمل مجرد بنية سطحية تساهم في اتساقه:

النص = (قضيية1+قضية2+قضية3+...قضية ن).

وبرزت تعريفات أخرى ركزت على الربط بين الجانب الدلالي والجانب الصياغي عند كثير من لسانيي النص، الذين أجمعوا على الشروط التي يكون بها الملفوظ نصا له خواصة المميزة له ،ومنها نجد:

-الربط بين بنية النص المجردة ومقامه (المقالي و المقامي)

النص في مقابل الجملة:

لقد اعتمدت دراسة التراكيب اللغوية على مفهوم الجملة Sentense التي تباينت حولها التعريفات، فالجملة "عبارة عن فكرة تامة" أو "تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة أو هي نمط تركيبي ذو مكونات شكلية خاصة"[2].

وعند النظر إلى السكتات التي في الكلام نجد أن "كثير من القطع التي تراها هذه الدراسة جملا لن تعد من الجمل بمعايير أخرى"[3].

وتعرف اللغة في النحو التوليدي من حيث المبدأ بأنها مجموعة من الجمل ،ولقد درست الجملة أيضا بوصفها قضية منطقية كلما تهيأت الظروف لذلك.

يعد بعض اللسانين الجملة تركيبا توجد به الوحدات الدلالية والتداولية، وبذلك يصبح النص نظاما فعالا (Actual System) و الجمل عناصر من نظام افتراضي (Virtual System).

---

[1] عثمان أبو زنيد: المرجع السابق، ص25.

[2] دي بوجراند روبرت :النص والخطاب والإجراء،تر:تمام حسان،دار عالم الكتب،ط1،القاهرة،1988،ص88.

[3] دي بوجراند روبرت: المرجع نفسه، ص88.

ويميز ديبوجراند بين الجملة والنص بقوله أن:"الجملة كيان قواعدي Gramaticalخاص يتحدد على مستوى النحو فحسب، أما النص فحقه أن يعرّف تبعا للمعايير الكاملة للنصيةTextualaty"[1].

إن قيود القواعد المفروضة على بينة الجملة التجريدية في النص يمكن أن نتغلب عليها إذا تم الاهتمام بالموقف (السياق الخارجي) لأن العناصر التي يمكن فهمها من الموقف الكلامي مثلا من خلال الإدراك الحسي يمكن السكوت عنها أو اقتضابها بواسطة المتكلم دون ضرر يعود على الطاقة الاتصالية للنص.

فالجملة من حيث الصياغة الذهنية "شكل استكشافي Heureusticبجانب أمور أخرى تعين على الغايات الشاسعة للاتصال كالتعبير وتذكر المعلومات أو السعي إلى غاية ما. أما حدود الجملة فيتم تعيينها فيما بعد أثناء إنتاج النص، ثم يستغنى عنها في المراحل الأولى للفهم، وتلتمس نظرية الجمل في مقابل ذلك تبريرا لذاتها في جعل عوامل معينة منفكة عن موضوع النظرية كمحدودية الذاكرة وحالات الانشغال Distraction، وتحويل الانتباه والاهتمام"[2].

إن الفروق الأساسية بين النص والجملة بوصفهما مفهومين لغويين لها دلالة مهمة في تطور لسانيات النص ،ولا يمكن للبحث أن يبنى ولا للنتائج العامة أن تستنبط من الجمل الإياضية فقط إذ يضعها الباحث من أجل دعم رأي بعينه ، فالمجالات الأكثر إقناعا للحصول على الشواهد هي النصوص المستعملة بالفعل Actually occurring texts والتي يؤدى بها الاتصال.[3].

و يعود نجاح نظريات الجملة إلى استبعاد الأمثلة غير المقبولة أما لسانيات النص فهي تعود إلى استخدام الشواهد المتنوعة من كل أجناس النصوص من: القصص، والروايات والإعلانات...

---

[1] دي بوجراند روبرت : المرجع السابق، ص90

[2] دي بوجراند روبرت : المرجع نفسه، ص93.

[3] دي بوجراند روبرت : المرجع السابق، ص94.

وينبغي لمفهوم المقدرة (Compétence) "أن يحظى بنظرة أكثر اتساما بالتكاملية مما يجري في العادة في قواعد الجملة Sentence grammaire ....فعلينا أن نبحث في تحديد القدرات Abilities التي تجعل الناس في العادة من أصحاب المقدرة Compètent على إنتاج النصوص وفهمها بنجاح دائم"[1].

ومن هنا يجب إيجاد تراكيب Formulation وشواهد representation يمكن أن تقبل قبولا حسنا من حيث هي إجراءات Processes، لا من حيث كونها تصميمات متخذة من مصدر غير معلوم (مثلا: الأشكال التفريقية trees، أو الصيغ).

النصية Textualité :

النص نظام فعالActual system أي تجمّع "من الوظائف يوجد من خلال عمليات قوامها الحكم والانتقاء اللذين يكونان بين عناصر النظام الافتراضي"[2]، والنص ليس مجرد منزلة مختلفة عن الجملة،على الرغم من أراء ببعض الباحثين (مثل: بايك 1967، وجونز 1977)،وقد يكون النص أكثر من كلمة واحدة، وقد يتألف من عناصر ليس لها ما للجملة من الشروط (مثلا: علامات الطرق والإعلان والبرقيات ونحوها.

لا يكتفي التواصل الإنساني بالاماكانات اللغوية المتاحة فحسب، بل العملية التواصلية مفتوحة على كل الاحتمالات التي يتحكم فيها الاختيار اللغوي المناسب لاستعمال اللغة في مواقف معينة ولأهداف معينة.

إن ثبات النص بوصفه نظاما يتوقف على تماسك continuity وقائع الأنظمة المشاركة فيه،وهذه الوقائع لا تتضح بحكم الضرورة ،وذلك "أن نظام الأصوات أو الرموز الكتابية لا ينم عن كل العلاقات التي تربط الأنظمة النصية بعضها ببعض، فالنص يتسم على أعظم

---

[1] دي بوجراند روبرت: المرجع نفسه، ص95.

[2] دي بوجراند روبرت :المرجع نفسه، ص97.

تقدير بالترابطات connectivitiesأي بإتاحة Accesللترابط لا تنقطع فيما بين العناصر الواردة من النظم اللغوية المساهمة"[1].

إن الترتيب الداخلي للنص ينبغي أن يكشف عن ترابط كل المكونات فيه،فالنص ذو طبيعة تنظيمية يتحكم فيها صاحب النص حسب الظروف التي أدت إلى إنتاجه ومن الشواهد على ذلك ما يلي:

- يمكن اختزال البنية السطحية في النص بواسطة الألفاظ الكنائية pro-formsوالحذف.
- استعمال المزيد من القرائن للوصول إلى النصية Textuality.
- يساعد النظام النصي المختزن في الذهن في إعادة بناء النص.
- إن التضارب descrepency والتوقف دون الإكمال، لا يسبّبان فشل العملية التواصلية، ولكنهما يستدعيان العمليات التنظيمية للملتقى.
- إن الطبيعة التنظيمية لنظم الاتصال فيما بين الأفراد المشاركين تختلف باختلاف معلومات كل فرد وتجربته، ومع ذلك يتواصل الناس في العادة دون مصاعب.
- وقد يقتضي الموقف الذي قيل فيه النص ويبقى النص يستعمل "فكلما علت قيمة النص ازدادت فرصة مداومة استعماله، لأن الأحكام و الانتقاءات التي كانت عند إنتاجه تتسم بحسن التخطيط وهي سعة الأعمال الخالدة"[2] ويتضح من هنا عوامل بقاء النصوص الأدبية والشعرية أطول مما يدوم غيرها من النصوص.

ومتلقي النص له دور كبيير في فهم النص، "فثبات النص يؤخذ من ثبات الأنظمة الافتراضية للاتصال والمبادئ التنظيمية لتفعيل النص"[3].

فمستعمل اللغة في بحر من بدائل الأحكام والتراكيب التي يبدوا علاجها معجزا في أي وقت، وعاملا لتكوين علاقات دلالية بين جمل نص ما.

---

[1] دي بوجراند روبرت: المرجع السابق،ص99 .

[2] دي بوجراند روبرت: المرجع السابق،ص101.

[3] دي بوجراند روبرت: المرجع نفسه،ص101 .

وقد عرض "فان دايك" (1973) العلاقات الدلالية بين جمل متعاقبة مثل: المطابقة، والاحتواء، والتعبير الكمي، والاستدلال أو الاستلزام.

وبذلك"يقدم وصف العلاقات الدلالية من أنماط شديدة الاختلاف بين جمل النص إسهاما ضروريا لإيضاح التماسك النصي"[1].

و تعد هذه العلاقات الدلالية القائمة بين جمل النص من الظواهر الخاصة التي تظهر بين جمله أو بين أجزاءه ، ومن ثم فهي في رأي" ايزمبرج" لا تقدم أساسا كافيا ذا ركيزة نظرية للتفريق بين الجملة والنص.

ويمكن أن نحدد أهم الفروق الموجودة بين الجملة والنص كما حددها " ايزمبرج "على النحو الآتي[2]:

الجملة	النص
1-يجب أن يعد تحقيق جملة ما فعلا لغويا موحدا.	1-لا يمكن أن يعد تحقيق نص مكونا من أكثر من جملة بوصفه فعلا لغويا موحدا.
2-توجد أفعال لغوية لا يمكن أن تكون أفعالا قولية أي لا يمكن أن ينجز كل فعل لغوي داخل جملة. ملاحظة: يطلق على الفعل اللغوي الموحد المنجز بتحقق جملة ما:"فعلا قوليا".	2-يمكن في نص مكون من أكثر من جملة أن تنجز أفعال لغوية غير قولية.
3-داخل فعل قولي لا يطابق التنظيم المتتابع لعناصر السطح أي توالي زمني لأفعال جزئية ذات أساس شرطي خاص، ويتجلى تحقيق الجمل الجزئية في جملة مركبة بوصفه وحدة داخل فعل هو ذاته.	3-يفهم التنظيم السطحي المتابع داخل نص ما أي تتابع أفعال قولية على أنه توالي زمني لأفعال ذات أساس شرطي خاص، ولا يعد تحقيق نص مكون من أكثر من جملة فعلا موحدا غير مقسم زمنيا.
4-يجب أن يكون الأساس الشرطي لانجاز فعل قولي متماسكا منطقيا: لا يجوز أن ترد داخل	4-يمكن أن ترد بعض الناقضات بين شروط أفعال قولية مختلفة في النص أي حين تقدم شروط تواصلية

[1] هورست ايزنبرج وجراد كليمنوف ،وزيجفريد شميث ديتر فيهيقجر:إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة ،ترجمة:سعيد حسن بحيري،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،ط1،القاهرة ،مصر،2008،ص119.

[2] دي بوجراند روبرت: النص والخطاب والإجراء،ص.ص 201-202.

الشروط التي تحدد التعبير اللفظي أية تناقضات.	معينة كتقديم نقد صريح أو نفي لما سبق، دون أن يصبح النص غير متماسك أو غير مقبول.
5-ليس التّمام التواصلي من شروط الصحة النحوية لأفعال قولية، وهذا يعني أن: الجملة يمكن أن تتضمن مقاصد إبلاغ تحقق بالسياق اللغوي للجملة أو توجد جمل صحيحة نحويا دون تمام تواصلي.	5-لا يمكن أن يتضمن النص مقاصد إبلاغ بالمعنى ذاته الذي يتحقق خارج النص، الذي ليس من الممكن فيه لجملة أن تتضمن مقاصد إبلاغ تحقق في السياق الغوي للجملة، وهذا يعني أن التمام التواصلي من شروط جودة السبك للنصوص.
6-يكون بناء الجمل وفق قواعد نحوية، وترجع (تعالق) هذه القواعد خواص النص التواصلية والبنية الدلالية للجملة إلى بنية سطحية نحوية وفونولوجية بمراعاة قيود الثبات المنطقية.	6-توجد للتابع الزمني لأفعال لغوية داخل نص ما قيد ثبات ليست متطابقة مع قيود الثبات المنطقية السارية داخل جمل مفردة: يقع الربط المتابع لأفعال قولية في نص مكون من أكثر من جملة، وفق مبادئ تختلف عن القواعد النحوية اختلافا جوهريا.

جدول رقم-3-

والتفريق بين الجملة والنص يجب أن يفي بكل المتطلبات التطبيقية والنظرية؛ ويؤكد ايزينبرج على أنه إلى حد الآن لم يقدم نهج واضح للوصول إلى التفريق بين الجملة والنص،لأن النص عبارة عن وحدة ينتظم فيها التواصل اللغوي وذلك بتفاعل عوامل كثيرة اجتماعية وثقافية ونفسية.

يقول "جراد كليمونوف" (Grad Klimnow) في مقالته : (أفكار حول بعض معايير محددة لمفهوم النص) وتنطلق من أن الجملة هي أصغر عنصر في النص،و يجب أن يتكون النص من جملتين على الأقل .ولذا ستظل النصوص القصيرة استثناءا فهي تتكون عادة من جملتين، أي مركبات جميلة كاملة وهي ما عبر عنه في علم اللغة السوفيتي مصطلح (وحدات جميلة عليا) منذ سنة 1968[1].

و يمكن أن توجد النصوص كما يلي:

1) نصوص منطوقة:

[1] دي بوجراند روبرت : المرجع السابق، ص 211.

– في العصور القديمة: الحكايات الخرافية والأساطير التي لم تكن تروى إلا شفويا.

–في الوقت الحاضر: المحاضرات والأحاديث، والمسرحيات (مكتوبة أو منطوقة).

2) نصوص مكتوبة: يجب أن تكون النصوص مثبتة أولا في الصورة المكتوبة حتى يمكن أن تحلل حقا.

تؤدي هذه النصوص وظائف محددة، ويمكن أن تقسم وفقها إلى سلسلة من أنواع النصوص، ويستخدم كل نص الوسائل الأسلوبية المتاحة أو المناسبة.

فنجد مثلا النصوص العلمية تركز على وظيفة إيصال المعلومات المختلفة عن موضوعات البحث ومناهجه ونتائجه للقارئ أو إثارة بحوث جديدة، وهي تستخدم معجما محايدا، وتبنى أساسا بناءا منطقيا.

وقد حاول "ز.س. هاريس" (Z.S. Haris) في تحليل الخطاب Discouse Analysis(1952) أن يقدم تحليلا بنيويا للنصوص المفردة، وقد استعان في ذلك بتقنيات

التجزئة والاستبدال الخاصة به ، والنص بالنسبة لهاريس هو: "تتابع من جمل كثيرة ذات نهاية"[1].

وقد أشار "بيرفيش" (Bierwish) (1965) في دراسته النقدية لأعمال هاريس إلى أن منهجه في التفكيك إلى أقسام متكافئة لا يمكن الفصل فيها بين النصوص الحقيقية و الجمل المتتابعة.

والنص حسب "هلبش" (1975) هو تتابع متماسك من الجمل على نحو أدق: من الوحدات النصية (Texte mer) وهو ما يضمن التماسك الدلالي في النص.

ومن هذا المنطلق تطورت التعريفات المختلفة للنصوص على أساس التماسك النصي، فقد تحدث "بليرت" (Bellert) في مقالته (1972) عن ضرورة توفر التماسك الدلالي في

---

[1] زتسيسلاف و اوزنياك: مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص)، ص 54.

النص، وهو ما يتحقق من خلال ترابط تتابعات الجمل وهذا ما أكده "ايزنبرغ" (1968) عندما اعتبر النص تتابعا من الجمل المترابطة من خلال وسائل التنصيص والتي منها[1]:

1) عدم تغيير الموضوع الرئيسي إلى موضوعات جديدة (مثل تقف السيارة في المرآب).

2) الربط السببي (مثل: المصباح لا يضيء انقطع التيار الكهربائي).

3) الربط الحافزي (مثل: دخل هاتس المرآب، يريد أن يحضر فحما).

4) تفسير شخصي مثلا: (وجد صقيعا، انفجرت أنابيب التدفئة).

5) تخصيص: (مثل: حدث خطب أمس، كُسرت ذراع بيتر).

6) الاتفاق غير الظاهر في الموضوع (مثل: اشترى أخي لنفسه بدلة، سقط بيتر من على السلم، كسرت ذراع عمتي، كل ذلك عرفته صباح أمس).

7) الربط الزمني (مثال: ترك بيتر البيت الساعة الثالثة، ثم دقت الساعة ودخل رجل).

8) ترابطات الشروط (مثال: دخل الشاب السينما، شخص ما أعطاه النقود).

9) تقابل استدراكي: (مثال: بيتر إنسان لطيف، أما أخوه فهو كاذب).

10) انسجام السؤال والجواب: (مثل: ماذا فعلت أمس؟ ذهبت إلى السينما).

11) المقارنة: (مثال: بيتر لديه معطف طويل، يمتلك أخوه معطفا أطول قليلا).

12) تصويت أقوال سبق ذكرها.

ويعرف "هارفج" (1968) النص بأنه : "تتابع مشكل من خلال تسلسل ضميري متصل لوحدات لغوية"[2]، وهو ما يلاحظ عند" أومن".

وقد تحدث هارفج عن الاستبدال النحوي الذي ينقسم إلى:

1) استبدال المطابقة (نحو تكرير الوحدة المعجمية)

2) استبدال المشابهة (نحو الإعادة من خلال المترادفات)

3) استبدال التلاصق (تحقيقات مختلفة للإعادة الضمنية).

---

[1] زتسيسلاف و اوزنياك : المرجع نفسه، ص.ص 54-55.

[2] زتسيسلاف و اوزنياك: المرجع السابق، ص 55.

وقد ظهرت تحديدات كثيرة للنص متعلقة بالتواصل وقبل أن نشير إلى ذلك فقد ظهرت محاولات بناء نحو توليدي للنص وهي بحوث تنطلق من افتراض أساس نصي دلالي موضوعي، ويمثل هذا الاتجاه "فان دايك" (1972) الذي يصر على التفريق بين البنية السطحية والبنية العميقة لأن له أهمية محورية أيضا ويعرف "فان دايك" النص: "بأنه بنية سطحية توجهها وتحفزها بنية عميقة دلالية"[1].

والبنية العميقة للنص هي كم منظم من التتابعات، وتعد البنية العميقة الدلالية للنص نوعا من إعادة صياغة مجردة تتحد في البنية الموضوعية للنص على أنه:"يمكن انه ينظر إلى البنية العميقة على أنها خطة نص ما"[2].

ونجد أن افتراض بنية عميقة للنص يدعم الجوانب التالية[3]:

1) التماسك الدلالي للنصوص، الذي يعد في رأيه ظاهرة تركيبية عميقة.

2) إمكانية اختصار نص ملخص في عنوان...

3) إمكانية تذكر مضمون نص طويل (حتى دون استخدام الوحدات المعجمية للنص ذاته)

4) إمكانية كتابة نصوص مختلفة ذات بنية عميقة دلالية مطابقة (كما في أشكال المحاكاة تقريبا، وفي المعالجة الدرامية أو السينمائية لرواية...الخ).

وهكذا فإن رأي "فان دايك" مخالف لتصور "ايزنبرج" و "هارفرج" اللذين أكدا على التماسك النحوي للنص.

أما "جريماس" (1966) فيركز على دلالة النص بحيث يؤدي مفهوم التناظر (Isotopie) دورا استكشافيا، فتظهر في النصوص مستويات تناظر من خلال الظهور المتكرر للسمات الدلالية وليس إعادة للسمات السياقية فقط.

---

[1] زتسيسلاف و اوزنياك : المرجع نفسه، ص 56.

[2] زتسيسلاف و اوزنياك : المرجع نفسه، ص 56.

[3] زتسيسلاف و اوزنياك : المرجع نفسه، ص 56.

وتتداخل السيمات في عملية التنصيص (بناء النص) وفي حركة الفهم، فالتناظر إذن أداة يمكن استعمالها لوصف البناء الدلالي للنصوص وهو ما أكده مؤلفو "محاضرات في علم لغة النص" (كالماير، كلاين، ماير، هرمان، نتسر، زيبرت) سنة 1974 بأن هذا المفهوم هو المحدد الحقيقي لمصطلح "النص" الذي "يتحدد دلاليا بوصفه تكوينا من مستويات التناظر أ إلى ي، حيث يتبع عدد السمات السائدة في النص"[1].

كما يرتكز "أجريكولا" "Agricola" (1976) على مفهوم التناظر في تحديد مفصّل للنص الذي هو عبارة عن "مركب لغوي من العلامات"[2] تتوفر فيه –على الأقل– السمات التالية:

1) تتابع من الجمل (ورود وحدة النص)
2) مشكّل حسب قواعد النحو
3) أنتجه منتج أو عدة منتجين (مضمونه تام)
4) مقصود، متصل، نهائي، مدمج، ومنظم.

وهذه السمات هي ناتجة عن انجاز أفقي لبسط موضوع نواته المضمونية، فيحدث الدمج المشكّل للنص، ويتمثل من خلال علاقات التناظر الدلالي بأوسع معاينة. (التماسك والتكرار والتكافؤ وإعادة الصياغة بين الوحدات...).

وقد ظهرت تحديدات كثيرة تهدف إلى كمال تعريف وهي قائمة على التواصل بحيث يقابل بين المفهوم الاستاتيكي للنص (النص بوظيفة محصلة لمنطوق، النص بوصفه تتابعا متماسكا من الجمل) والمفهوم العملي للنص.

ومن بين هذه التعريفات ما قدمها (س.ي شميث) سنة (1973) حول مفهوم النص الذي هو :"كل جزء لغوي منطوق من فعل التواصل في حدث التواصل، يحدد من جهة

---

[1] زتسيسلاف و اوزيناك :المرجع السابق، ص 57.

[2] زتسيسلاف و اوزيناك : المرجع نفسه، ص 57.

الموضوع، ويفي بوظيفة تواصلية يمكن تعرُّفها أي يحقق كفاءة إنجازيه يمكن تعرّفها"[1] أي يمكن النظر إلى النص على أنه الكم الكلي للإشارات التواصلية في تفاعل تواصلي وهذا ما يتحقق في العملية التواصلية بين منتج النص ومتلقيه بالتركيز على ضرورة التفريق بين الإشارات التواصلية اللغوية وغير اللغوية لأن النص يمثل الإشارات اللغوية في الفعل التواصلي.

ويعد "شميت" النص كمّا من المنطوقات في وظيفة وهو ما عبر عنه بقوله: "يصير كمّ من المنطوقات اللغوية من خلال الوظيفة الإنجازية (الاجتماعية–التواصلية)التي يقصدها متكلم، والتي يمكن أن يعرفها شركاء التواصل فقط، المتحققة في موقف تواصلي عملية نصية متماسكة مؤدية بنجاح وظيفة اجتماعية –تواصلية مقننة بقواعد أساسية (تحقيق للنصية)"[2].

يرتبط النص ارتباطا وثيقا بالعملية التواصلية في حالة النصوص المشكلة كتابيا أو المشكلة شفهيا لأن النص هو المكون اللغوي لفعل التواصل.

ويبرز عند "جلنس" المفهوم التواصلي للنص في حالة النصوص المكتوبة التي لها بعدها الاجتماعي والتاريخي والتي عرّفت النص بأنه: "تكوين لغوي أنشأه مُنْشِؤُه بالتزام مطابق للمقصد–التزام بغرض ذي تأثير لاحق مساو– في الأغلب ليس في شريك فحسب، بل في عدد أكبر، نعم عدد كبير من الشركاء"[3].

ونخلص من هذه النظرة العامة في التعريفات المختلفة للنص إلى النتائج التالية:

- تعبر هذه التعريفات عن جوانب جزئية متباينة للظاهرة الشاملة "النص".
- لهذه التعريفات إما خاصية متعلقة بتركيب النص (ايزنبرج، وهارفج) وإما بدلالة النص (فان دايك ومؤلف "محاضرات في علم لغة النص") وإما ببراجماتية النص (شميت وجلنس) وإما أخيرا مجسدة لجوانب مختلفة (أجريكولا).

---

[1] زتسيسلاف و اوزنياك :المرجع السابق، ص58.

[2] زتسيسلاف و اوزنياك :المرجع نفسه، ص58.

[3] زتسيسلاف و اوزنياك : المرجع نفسه، ص59.

- تأكّد في ضوء محاولات التعريف السابقة أن نحو النص، ودلالة النص، وبراجماتية النص تعد فروعا لعلم نص لغوي واحد.

ويقدم الدكتور "سعيد حسن بحري" تعريفا موجزا يحمل التعريفات السابقة بقوله: "نفهم تحت "النص" مكونا لغويا أفقيا، نهائيا، مقصودا به التطابق لواقعة التواصل المختصة، ويصير من خلال الدمج الانجازي و أوجه التناظر الدلالية الموضوعية والترابطات النحوية تتابعا متماسكا من الجمل"[1].

و قد تجاوزت هذه المحاولات والأبحاث الجملة وجاءت بمفاهيم وتصورات جديدة، ترتكز على عملية إنتاج النص وفهمه.

2-مهمة نحو النص:

ركز صبحي الفقى في تحديده لوظائف النص على وظيفتين أساسيتين هما:

- ✓ **الوصف النصي**
- ✓ **التحليل النصي**.

إن مهام البحث النصي التي اتفقت حولها آراء الباحثين ممن عالجوا النص من خلال وصف وتحليل مختلف العلاقات الداخلية والخارجية للنص، أنها تشمل الجوانب الآتية:

- شرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة.
- بيان التأثيرات التي تحدثها النصوص على المتلقي.
- وصف كيفية قيام النص بوظائفه[2].
- تؤثر مساهمات نحو النص في دراسات الترجمة لأنها أمر من أمور الأداء التي عجزت اللسانيات التقليدية عن تقديم ما يساعدها في الترجمة لأن الترجمة دائما أمر من أمور الأداء، فالمترجم الذي يمتلك فقط النحو والمعجم سيتعثر أمام الخيارات المتعددة للقراءة وأمام الأنظمة المتشابكة واللغات المختلفة[3].

---

[1] ازتسيسلاف و اوزنياك : المرجع السابق، ص 60.

[2] عثمان أبو زنيد: نحو النص، ص 37.

[3] دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص.ص 576-577.

- تجاوز الوقوف على مستويات اللغة الصوتية والصرفية والدلالية.
- الاهتمام بالاتصال اللغوي باعتماد الوظيفية الأساسية للغة هي الوظيفة التواصلية.
- معالجة الظواهر النصية (التماسك النحوي، حالات الحذف[1]).

ويقترح " روبرت دي بوجرند" معايير النصية وهي: (السبك، الالتحام، القصد،القبول، التناص، رعاية الموقف الإعلامية).

1. السبك: cohésion: "وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية surface على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحقprogressive occurrenceبحيث يتحقق لها الترابط الرصفي" [2].

وتشمل وسائل التضام المركبات والتراكيب والجمل، والتكرار والألفاظ الكنائية والأدوات والإحالة المشتركة والحذف والروابط.

يساهم السبك في كفاءة صياغة النص وتتمثل وسائله في:

- **إعادة اللفظ récurrence**: وهي التكرار الفعلي للعبارات.
- **التعريف Définîtes**: وهو المدى الذي يفترض عنده إمكان التعرف على طبيعة عالم النص.
- **اتحاد المرجع**:**Corefrenc**e: وهو استعمال عبارات سطحية مختلفة للدلالة على أمر واحد في عالم النص.
- **الإضمار بعد الذكر Anophora**: وهو نوع الإحالة المشتركة يأتي فيه الضمير بعد مرجعه في النص السطحي.
- **الإضمار قبل الذكر Cataphora**:وهو نوع من الإحالة المشتركة يأتي فيه الضمير قبل مرجعه في النص السطحي.

---

[1] عثمان أبو زنيد: نحو النص، ص 38.

[2] عثمان أبو زنيد: المرجع نفسه، ص 103.

- **الإضمار لمرجع متصيد exophora** : وهو الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص ، غير أنه يمكن التعرف عليه من سياق الموقف.
- **الحذف ellipsis**: وهو استعباد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات اللغوية الناقصة.
- **الربط junction**: يتضمن الربط وسائل متعددة لربط المتواليات السطحية بعضها ببعض بطريقة تسمح بالإشارة إلى العلاقات بين مجموعات من معرفة العالم المفهومي للنص ،كالجمع بينها واستبدال بعضها ببعض والتقابل والسببية. أما الأنواع الفرعية للربط فهي مطلق الجمع ،والتخيير،و الاستدراك والتبعية.[1]

2. **الالتحام coherence**: وهو يتطلب من الإجراءات ما ترتبط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط ألمفهومي واسترجاعه[2]، وتشمل وسائل الالتحام ما يلي:

- العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص.
- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.
- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية.
- ويتحقق الالتحام في النص بتفاعل المعلومات مع المعرفة السابقة بالعالم.

3. **القصد intentionality**: يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام. ويبقى القصد قائما حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والالتحام.

4.**القبول Acceptabilité**: وهو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام.

---

[1] عثمان أبو زنيد :المرجع السابق، ص.ص 102-103.

[2] عثمان أبو زنيد: المرجع نفسه، ص 103.

5. **رعاية الموقف situationality** : وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه. ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره[1].

وقد لا توجد إلاّ القليل من الوساطة في عناصر الموقف كما في الاتصال بالمواجهة في شأن أمور تخضع للإدراك المباشر، وربما توجد وساطة جوهرية كما في قراءة نص قديم ذي طبيعة أدبية يدور حول أمور تنتمي إلى عالم آخر. ويشير الموقف دائما إلى دور طرفي الاتصال على الأقل وهما الملقي والمتلقي.

6. **التناص intertextuality**: و يتضمن العلاقات الموجودة بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة وقعت في حدود تجربة سابقة بواسطة أم بغير واسطة.

7.**الإعلامية: informatively**: وتمثل العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم uncertaintyفي الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصيtextual في مقابلة البدائل الممكنة، فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال.

ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع.

3- الوظائف النصية:

تعنى نظرية النص بوجه خاص بالوظائف التواصلية، وعلاقتها بالقواعد النحوية، وصيغ الربط وشروط جودة السبك، وقواعد الربط الدلالية. وهي معايير مهمة لدراسة النص، الذي يمثل نظاما متماسكا، يعكس بنية اللغة في علاقتها بالوظيفة التواصلية التي تؤول إليها جميع الوظائف التي تؤديها اللغة في مقاماتها المختلفة.

مفهوم وظيفة النص:

وصف "أو.جروسه" وظيفة النص من خلال قصد التواصل لدى الباث المعبر عنه بوسائل محددة، أي مقررة بشكل ملزم في جماعة التواصل، وهكذا فالأمر يدور حول قصد الباث الذي ينبغي أن يعرفه المتلقي"[2]، فيطابق مفهوم وظيفة النص كيفية التواصل في النص،

---

[1] عثمان أبو زنيد: المرجع السابق، ص104.

[2] كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج) ، ص 122.

وهو المفهوم الخاص بنظرية الفعل الكلامي، إذ يرتبط فيه الجانب القصدي بالأفعال اللغوية فتحدد وظيفة النص كيفية التواصل في النص، ونوع الاحتكاك التواصلي الذي عبرت عنه العلاقة بين الملقي والمتلقي. ويمكن أن نحدد أهم هذه الوظائف كالتالي:

أ. وظيفة التبليغ: ويمكن أن نوضح وظيفة الإبلاغ بالعبارة الآتية:

أنا (الباث)، أبلغك (المتلقي) الحالة الواقعة (مضمون النص)، ويمكن أن يؤشر للوظيفة الإبلاغية للنص من خلال صياغات أدائية صريحة بالأفعال: أبلغ، أخبر، بلّغ، افتتح، كتب تقريرا، أعلم، اطلع، أحاط (علما) ...الخ.

وترتبط هذه الوظيفة كثيرا بمواقف موضوعية،تستند إلى درجة التأكيد أو القيمة الاحتمالية للمعرفة التي يمتلكها الباث عن صدق مضمون النص. ولهذا يمكن أن يعرض الباث الحالة المتخذة موضوعا على أنها موجودة حقا أو أنها محتملة بدرجة أكثر أو أقل أو أنها غير موجودة[1].

ويمكن أن يحصر الملقي تأكيد معرفته بطرق مختلفة ،كبيان المصادر أو باستخدام أفعال الصيغة (ينبغي، يريد..الخ) ومفردات الصيغة (فيما يبدو، من المفترض، من المحتمل، من المؤكد...الخ ، ووسائل لغوية أخرى.

فالوظيفة الإبلاغية مميزة لأنواع النصوص فهي تنسجم مع عرض بالغ الموضوعية وعرض لغوي مبرزا رأيا ما كإبراز الحيز الصحفي أو الإذاعي أو التلفزيوني...

ب. وظيفة الاستشارة: " يفهم الباث المتلقي أنه يحثه على أن يتخذ موقفا محددا اتجاه شيء ما (التأثير في الرأي) أو أن ينجز فعلا معينا (التأثير في السلوك)"[2].

ويمكن أن نوضح هذه الوظيفة بالعبارة الآتية: أنا (الباث) أطلب منك (المتلقي) أن تتخذ موقفا (رأيا) .

فنستنج الإمكانيتين الآتيتين للصياغة الموضحة:

-أنا (المؤلف) أريد أن أقنعكم (القراء العاديين) بأن ...

---

[1] كلاوس برينكر: المرجع السابق، ص 138.

[2] كلاوس برينكر: المرجع نفسه، ص 143.

– أنا(المؤلف) أريد أن أقنعكم (المسؤوليين سياسيا) بأن (س) هو الحل الأكثر عقلانية. و الأنواع النصية التي لها وظيفة استثارة أساسية هي: الإعلان، ونص الدعاية، والتعليق الصحفي، والتلفزيوني، والإذاعي، والإرشاد إلى العمل، والإرشاد إلى الاستعمال، ونص القانون والعريضة، والطلب، والالتماس والخطية...الخ.

ويمكن أن نؤشر إلى الوظيفة الاستثارية للنص مباشرة بصياغات أدائية بالأفعال: دعا إلى، أصدر أمرا، أمر، رجا، نصح، وصى، سأل، اقترح، طالب، كلف، ..الخ، وأكثر المؤشرات النحوية شيوعا لوظيفة الاستثارة فهي على الأرجح:

– جملة الأمر

–التركيب المصدري (أن تعتني بنفسك وأن تدع غيرك يعتني بك)

– جملة الاستفهام.

ت. وظيفة الالتزام: وهي أن "يفهم الباث المتلقي أنه ملزم بانجاز فعل معين"[1].

وتظهر هذه الوظيفة في النصوص الآتية: العقد والاتفاقية (المكتوبة)، وشهادة الضمان، والنذر والعهد، والعرض...الخ. ويمكن بوجه عام أن نوضحها بالعبارة الآتية:

أنا (الباث) ملزم (اتجاه المتلقي) بعمل الفعل (س)

وترتبط وظيفة الالتزام ارتباطا وثيقا بمواقف موضوعية ذات طبيعة إرادية ومقصدية (مثل أقصد، أنوي، أخطط، أصبر، أعتزم...الخ) . ويمكن للملقي أن يعبر عن درجة الاستعداد من خلال تحقيق الحال التي صارت موضوعا،و يمكن أن تنتج وظيفة الالتزام عن سمات نصية معينة على سبيل المثال عن عناوين معينة للنص، مثل شهادة ضمان، قَسَم وظيفي، عقد، أو سياق الفعل وسياق الموقف.

ث. وظيفة الاتصال:"يفهم الباث المتلقي أن الأمر يتعلق بالنسبة له بالعلاقة الشخصية وبخاصة بإقامة اتصال شخصي والحفاظ عليه"[2].

---

[1] كلاوس برينكر : المرجع السابق، ص 153.

[2] كلاوس برينكر :المرجع نفسه، ص155.

ويؤشر إلى وظيفة الاتصال من خلال صيغ معينة (شكرا، رجا الاعتذار، تمنى التوفيق، هنأ، شكا، رحب، واسى...الخ)

ويعبر الباث عن موقفه المحكوم بدوافع اجتماعية، ولذلك فإن وظيفة الاتصال تقترن في الغالب بالمواقف: (حزن، أسف، سُرَّ ،سَعِدَ...الخ).

ج. وظيفة الإعلان: "يفهم الباث المتلقي أن النص يوجد واقعا جديدا وأن المنطوق (الناجح) للنص يعني إدخال عامل معين"[1].

ويمكن أن نوضح ذلك بالجملة الآتية:

أنا (الباث) أجعل بذلك (س) ينظر إليه على أنه (ص).

ومن أنواع النصوص التي تتضح فيها وظيفة الإعلان: مستند التعيين والوصية، والحكم بالإدانة، والتوكل، والشهادة ويتعلق الأمر بالنصوص المرتبطة بالمؤسسات الاجتماعية المعنية.

وتظهر هذه الوظيفة في إطار العلاقة التبادلية بين عدة أشخاص.

4- التماسك النصي من منظور اللسانيات النصية:

4-1- مفهوم التماسك النصي:

أ- لغة:

التماسك من الفعل مسك، فنقول مسك بالشيء، أمسك به وتمسّك وتماسك واستمسك ومسّك كله، احتبس، وأمسكت بالشيء وتمسّكت به ، بمعنى اعتصمت، وكذلك مَسَّكْتُ به تمسيكا.

والتمسّك استمساكك بالشيء وتقول أيضا امتسكت به، قال العباس:

صبحت بها القوم حتى امتسك تُ بالأرض أعدلها أن تميلا[2].

---

[1] كلاوس برينكر: المرجع نفسه، ص 157.

[2] ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) :لسان العرب، مادة (مسك)، مج 3، ص 484 – 485.

ب–اصطلاحا:

التماسك أو الاتساق هو: " عملية متكاملة وأول ما يمكن أن نلحظها في علاقات الوحدة المعجمية ذاتها، ثم في تكوين الصياغة والكلام، وبما أن الوحدة المعجمية هي بؤرة الكلام فإن دورها الاتساقي رئيسي بحكم أن المعاني تظل مدينة لإشعاع الألفاظ بما تحمله من شحنات دلالية تتشابك وتتقاطع على ما بينها من اختلاف في الدرجة، أو تضاد وعلاقات أخرى"[1].

يهتم التماسك بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وأيضا بالعلاقات بين جمل النص، وبين فقراته، و بين النصوص المكونة للكتاب مثل السور المكونة للقرآن الكريم، كما أنه يهتم بالعلاقات بين النص وما يحيط به[2].

والتماسك مصطلح مترجم عن الكلمة الانجليزية (cohesion)، وقد وقع في ترجمته بعض الاختلاف كالعادة في عملية انتقال المصطلحات العلمية إلى اللغة العربية، فقد ترجمه محمد خطابي إلى " الاتساق" في حين ترجمه تمام حسان إلى " السبك" و ترجمه إلهام أبو غزالة وعلي خليل أحمد إلى " التضام" ،أما عمار عطاري فترجمه إلى " الترابط" وترجمه عبد القادر قنيني إلى "الالتئام"،و ترجمه أحمد عفيفي إلى"السبك"،أو"الربط"،أو"التضام".

فالتماسك النصي أو الترابط النصي أو الاتساق يعني (cohesion) و معناه ترابط الجمل في النص مع بعضها بعض بواسطة وسائل لغوية وهي تمثل الآليات اللغوية ،وهي بذلك تمثل الشكل الخطابي الذي يختاره المرسل لينتج خطابه من خلاله، وتتجلى هذه الآليات من خلال أدوات لغوية تمثل عماد الخطاب.

وقد عرف هاليداي ورقية حسن التماسك بأنه: " مفهوم دلالي يشير إلى العلاقات الدلالية التي توجد ضمن النص وتعرّفه بأنه نص"[1]، فهو مفهوم دلالي يقوم على العلاقات المعنوية الموجودة في النص، والتي تجعل من النص نصا مترابطا.

---

[1] عثمان أبو زنيد: نحو النص، ص153.

[2] صبحي إبراهيم الفقى: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،دراسة تطبيقية على السور المكية،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،ط1،القاهرة،2000،ص97.

ويعتبر هاليداي ورقية حسن الاتساق جزءا من نظام اللغة، كما أشارا إلى أن الظواهر المحققة للتماسك النصي هي نفسها التي تعمل داخل الجملة الواحدة.

ويجعل هاليداي ورقية حسن الترابط النصي متضمنا علاقات المعنى العام لكل طبقات النص والتي تميز النص من اللانص، فالتماسك إذا لا يركز على ماذا يعني النصي بقدر ما يركز على كيفية تركيب النص باعتباره صرحا دلاليا.

ويعني التماسك العلاقات النحوية أو المعجمية بين العناصر المختلفة في النص، وهذه العلاقات تكون بين جمل مختلفة أو أجزاء مختلفة في الجملة ولا يخفى هنا أن معنى (cohesion)يرتبط بالروابط الشكلية عكس مصطلح(coherence) ، الذي يهتم بالروابط الدلالية[2].

أما فان دايك فيعرفه بأنه " مجموعة الشروط التي تحدد العلاقات أزواجا أي ضروب التعلق والتبعية بين الأحداث كما تعبر عنها الجمل المؤلفة وما تركب منها ولها صلة بعالم ممكن وبموضوع تحاور ممكن"[3].

ومن هنا أصبح للتماسك دور أساسي في أي نص، ذلك أن كل جملة تمتلك بعض أشكال التماسك مع الجملة السابقة والجملة اللاحقة لها، ومن جهة أخرى كل جملة تحتوي على الأقل على رابطة واحدة تربطها بما قبلها وما بعدها، وإذا خلا النص من هذه الآليات، فإنه يصبح جملا متراصة لا يربط بينها رابط ويصبح النص جسدا بلا روح[4].

فالتماسك النصي من أهم الوسائل التي تساعد على فهم النص انطلاقا من توظيفه لمختلف الآليات (الأدوات) التي تساهم في ربط الكلمات مع بعضها بعض، إضافة إلى تركيزه على الجانب الدلالي المعنوي، وعلى هذا الأساس قسم التماسك إلى قسمين هما:

- **التماسك الشكلي (cohesion)**

---

[1]- جمعان بن عبد الكريم: إشكالات النص، دراسة لسانية نصية، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2009، ص 224.

[2]- صبحي إبراهيم الفقى: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية ، ص 95.

[3] جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص دراسة لسانية نصية، ص. ص 223 – 224.

[4] عزة شبل محمد: علم النص النظرية والتطبيق، ص 119.

- **التماسك المعنوي (coherence)**

1. التماسك الشكلي: وهو " ترابط الجمل في النص مع بعضها بعضا، بوسائل لغوية معينة"[1]، وهو ترابط يركز على الروابط التي تجري في سطح النص أكثر من اهتمامه بالشكل الدلالي أو المعنوي انطلاقا من توظيفه لأدوات الربط بمختلف أنواعها، والتي تسهم في تماسك وتآلف النص من جهة وتسهيل تلقيه من جهة أخرى لأن المتلقي يشعر بوحدة واتصال النص.

2. التماسك المعنوي: وهو الذي يهتم بالمضمون الدلالي في النص، وطرق الترابط الدلالية بين أفكار النص من جهة، وبينها وبين معرفة العالم من جهة أخرى، والتي لها أهمية قصوى إلى الدرجة التي تجعل بعض اللغويين يحددون التماسك الدلالي بأنه " شيء موجود في الناس لا في اللغة، فالناس هم الذين يحددون معنى ما يقرؤون وما يسمعون"[2] . وهذا يعني أن التماسك المعنوي يظهر في البنية العميقة للنص، أي في المعنى، فكل عبارة تفهم على سياق معين انطلاقا من خلفيات ومكتسبات كل قارئ، فهو الذي يحدد الفكرة العامة التي يدور حولها أي قول أو جملة بغض النظر عما تحمله من مظاهر شكلية.

وعليه فالتماسك الشكلي وحده لا يحقق للنص نصيته إلا إذا حدث التفاعل بينه وبين (التماسك المعنوي الدلالي) فلا يمكن الفصل بينهما لأنهما في علاقة تداخل وتكامل.

4-2- آليات التماسك النصي:

4-2-1 آليات التماسك على المستوى النحوي:

تتماسك أجزاء النص انطلاقا من علاقاته الأفقية على مستوى سطح النص، حيث تتدخل مجموعة من الأدوات التركيبية في انتظام كلماته ومركباته، وجمله، مشكلة بذلك سلاسل جملية أو بنيات نصية كبرى تتعالق فيما بينها وتتآلف بروابط نحوية ومعنوية مختلفة تشكل مجال نحو النص. ومن أهم أدواته:

---

[1] جمعان بن عبد الكريم: إشكالات النص ، دراسة لسانية نصية، ص 224

[2] جمعان بن عبد الكريم: المرجع السابق، ص 223.

أ–الإحالة: تناول علماء النص الإحالة كوسيلة من وسائل الربط اللفظي (cohesion) تحت مجموعة من المصطلحات منها: مصطلح الإحالة (reference) الذي ظهر عند هاليداي ورقية حسن سنة 1976،وقد قدم " دي بوجرائد" و" دريسلر (1971) مصطلح الصيغ الكنائية (proforms) وهو مصطلح عام يندرج تحت إضمار الاسم (Pronoun) وإضمار الفعل (proverb) وإضمار المكمل (Pro–complement)واستخدم براون (G.BROWN) و يول (C. YULE) (1983) مصطلحا آخر و هو "الإحالة المتبادلة" (CO. REFERENCE) و "الإحالة النصية"،وهو الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص مطلقا ،غير أنه يمكن التعرف عليه من سياق الموقف، ويطلق عليه (الإضمار لمرجع متصيد) أو (الإحالة لغير مذكور)[1] .

فالإحالة هي: "علاقات ربط تساهم في تشكيل وحدة النص ونظام العناصر المكونة لعالم النص"[2]. ويعرف دي بوجراند الإحالة بقوله :" إذا كانت الإحالة هي العلاقة بين العبارات والأشياء والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلية نفس عالم النص، أمكن أن يقال عن هذه العبارات أنها ذات إحالة مشتركة "[3].

على أية حال فما يطلق عليه (الإحالة) يعبر عنه بشكل عام في اللغة الفرنسية ب(Reference) وكذلك في الانجليزية، وهناك مجموعة ترجمات عربية لهذا المصطلح منها، الإرجاع، الإرجاعية ،و المرجعية شبه إلى المرجع (Referent) ولكن الترجمة الأكثر استخداما هي الإحالة[4].

وتنقسم الإحالة إلى قسمين هما:

---

[1] أحمد محمد عبد الراضي: نحو النص بين الأصالة والحداثة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 1429 هـ – 2008م، ص 129.

[2] عثمان أبو زنيد: نحو النص، ص 106

[3] جمعان بن عبد الكريم: إشكالات النص، دراسة لسانية نصية، ص 347 – 348.

[4] عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص 119.

1.إحالة مقاليه أو داخلية (نصية) (Endophora) :وهي مستوى داخلي يختص بالنص المدروس، ويمثلها تركيب لغوي يشير إلى جزء من عناصر النص التي ذكرت فيه صراحة أو ضمنا وهي قسمان:

- **إحالة سابقة(Anaphora)** : وفيه تستخدم كلمة ما بديلا لكلمة أو مجموعة من الكلمات السابقة لها في النص.

إحالة لاحقة أو بعدية (Cataphora): وتكون فيها كلمة ما بديلا لكلمة أو مجموعة من الكلمات اللاحقة لها في النص، وهو ما يحقق لنا نصية النص من خلال الربط الداخلي والربط الخارجي.

فالأدوات التي تحيل داخل النص هي الأدوات التي نعتمد في فهمنا لها على معناها الخاص، بل إسنادها إلى شيء آخر، فهي تجبر القارئ على البحث في مكان آخر عن معناها أو هي كلمات ليست لها معنى تام في ذاتها، ولتحديد معناها المقصود من طرف الملقي يجب أن تحيل إلى كلمات أخرى.

2. إحالة مقامية أو خارجية (Exophora): هي الإحالة خارج النص أو خارج اللغة، وتسمى المقامية .

وتتحقق الإحالة في النص بواسطة:

- **الضمائر**: وتنقسم إلى:

منفصلة: مثل أنا، نحن، أنت، أنتما...

متصلة: المتصلة بالفعل مثل: (كتب، كتبت، كتبنا...) ،ومنها ما هو متصل بالاسم، مثل كتابكَ، كتابكِ، كتابكم...

ومنها ما هو متصل بالحروف مثل:إني، إنك، إنكم...[1]

[1] جمعان بن عبد الكريم : المرجع السابق، ص 107.

-**ألفاظ الإشارة**: هي أسماء الإشارة المكانية و الزمانية والظروف الدالة على الاتجاه، والعناصر المعجمية التي تقوم بالإشارة هي: هذا، هذه، هذان... ذلك، تلك أمس، الآن، غدا، هنا، هناك، شرقا، غربا،..أمام، قدام، خلف.

-**أدوات المقارنة**: وردت المقارنة أول مرة عند هاليداي ورقية حسن حيث، "اعتبر المقارنة ضربا من الإحالة بنوعيها المقالية القبلية والمقالية البعدية، وأنها تقوم بدورها الاتساقي عندما يكون متعلقهما متحد الهوية (نفسه) أو مشابها لمثله أو مخالفا له"[1].

وهذا حسب ما جاء به هاليداي ورقية حسين، فالمقارنة أقرب إلى الدلالية منها إلى العناصر الإحالية والمبهمة، وهذا راجع إلى خصوصية اللغة الانجليزية، فالتعامل مع طرح هاليداي ورقية حسن لا يستقيم في اللغة العربية، لأن المقارنة تظهر عند استعمالها في المماثزة والتفضيل في البنية الدلالية للألفاظ والصيغ.

وما جاء على صيغة التفضيل يقتضي دلاليا بنية ثنائية، وبالتالي لا يجري استعمالها إلا في بنية تركيبية تتوفر فيها تلك الثنائية بوجه من الوجوه[2].

" وإذا أطلقنا لهذه الظاهرة الدلالية التركيبية أن تكون دائما إحالة فقد فتح باب يصعب غلقه إذ سيدخل فيه جميع البنى الدلالية التركيبية التي تقتضي عنصرين اثنين بما في ذلك الصيغ الدالة على المشاركة[3].

ولذلك فالإطار الأنسب لتناول مظاهر التماسك ليست عملية المقارنة في حد ذاتها وإنما ما يصحبها من عمليات تعود إلى الاستبدال والحذف.

ب-الاستبدال:

الاستبدال هو "عملية تتم داخل النص يتم فيها تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، وهو علاقة اتساق تتم في المستوى النحوي المعجمي بين الكلمات والعبارات، وتخضع هذه العلاقة لقواعد دلالية ومعنوية تحكمها؛ إذ أن وجود العنصر المستبدل رهين بموقعه في التركيب

---

[1] جمعان بن عبد الكريم : المرجع نفسه، ص 108.

[2] جمعان بن عبد الكريم: المرجع السابق، ص 108.

[3] جمعان بن عبد الكريم: المرجع نفسه، ص 108.

الداخلي للخطاب، وتقابله مع ما يسبقه وما يليه من عناصر معجمية، أو تركيبية تستدعي عناصر أخرى من خارج الخطاب في الذاكرة"[1].

يساهم الاستبدال في تماسك النص من خلال العلاقة بين المستبدل و المستبدل منه وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق وعنصر لاحق في النص، وهو نوع من الإحالة اللفظية لأنه إشارة بعنصر لغوي إلى عنصر لغوي آخر يتفق معه في الدلالة.

إن الوظيفة الأساسية للغة هي الاتصال، وهو اتفاق بين المرسل والمرسل إليه على نظام رمزي مكون من علامات لغوية، وهذه العلامات تتمثل في الكلام الذي وضع للفائدة ،والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة، وإنما من الجمل ككل المناسبة للمعاني المقصودة . والاستبدال مجاله الاستخدام لا التقدير لا يسمح بالجمع بين المستبدل والمستبدل منه معا في موقع واحد، كما لا يسمح بحذفهما معا، والغاية منه إما الإيجاز والاختصار، والاتساع والتجوز أو التفصيل زيادة في البيان"[2].ولقد قسمه هاليداي ورقية حسن بحسب وظائفه التركيبية إلى ثلاثة أقسام وهي:

1. **الاستبدال الاسمي**: وهو مجموعة المقولات الاسمية التي يمكن أن تحل محل الاسم مؤدية وظيفته التركيبية. ومن تلك المقولات الاسمية: واحد، واحدة، أخرى، آخر...
2. **الاستبدال الفعلي**: وهو مجموعة المقولات الفعلية التي يمكن أن تحل محل الفعل مؤدية وظيفته التركيبية، ومن تلك المقولات (فعل، وعمل).
3. **الاستبدال القولي**: " وهو مجموعة المقولات التي يمكن أن تحل محل قول ما مؤدية وظيفته التركيبية"[3].

---

[1] جمعان بن عبد الكريم : المرجع نفسه، ص 122.

[2] جمعان بن عبد الكريم: المرجع السابق، ص 123.

[3] جمعان بن عبد الكريم: المرجع نفسه، ص123.

وإذا أطلقنا لهذه الظاهرة الدلالية التركيبية أن تكون دائما إحالة فقد فتح باب يصعب غلقه إذ سيدخل فيه جميع البنى الدلالية التركيبية التي تقتضي عنصرين اثنين بما في ذلك الصيغ الدالة على المشاركة.

ج–الحذف:

"الحذف إحدى الظواهر التي يميل الناطقون إلى إتباعها في الكلام، فيعتمدون على قرائن تغني عن المحذوفات التي تطال المقال ويغني عنها السياق، فيعتري الحذف مكونات النص من جملة ومفردة وحرف وحركة، ويبقى لذلك دليل يدل عليه"[1].

وهذا يعني أن الحذف علاقة من علاقات التماسك النصي يرد في المستوى النحوي والمستوى المعجمي،فيقدر المتلقي العناصر غير الظاهرة بالاعتماد على السياقين اللغوي والمقامي للنص من أجل فهم العبارة اللغوية بوضوح والوصول إلى المعنى المقصود للمكون اللغوي. وقد تنبه النحاة العرب الأوائل لهذه الظاهرة (الحذف).

واللجوء إلى الحذف "ينبع من دواع جمالية وبلاغية تزيد النص رصانة، وتؤدي به إلى التماسك وتفعيل المشاركة بين القائل والمتلقي في إنتاج المعنى وتشكيله، والإفادة من التراكم المعرفي الماثل لدى كل منهما، وبذلك يكون الحذف باستبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة"[2].

ومن المعلوم أن جميع اللغات تشترك في ظاهرة الحذف إلا أنها تختلف من حيث أسباب الحذف وأغراضه وشروطه وأنواعه حسب طبيعة كل لغة وقواعدها، ولذلك فإن دراسة الحذف في اللغة العربية ستختلف عن المعالجات الغربية التي ظهرت عند براون ويول وهاليداي و رقية حسن، وغيرهم، خاصة إذا تعلق الأمر بالنص القرآني الكريم.

---

[1] جمعان بن عبد الكريم: المرجع نفسه، ص 126.

[2] جمعان بن عبد الكريم: المرجع السابق، 127.

ويعني الحذف الاستغناء عن عنصر لغوي في التركيب بالمذكور لوجود قرائن لفظية، أو معنوية، أو سياقية تدل على هذا المحذوف، والحذف باعتباره وسيلة من وسائل التماسك النصي لا يختلف دلالة عن الاستبدال[1].

ويمكن أن يعرف الحذف بأنه :" عدول المتكلم عن ذكر عنصر أو أكثر من الكلام اختصارا"[2] أي: لا ينبغي لنا أن نفهم الحذف على معنى أن عنصرا كان موجودا في الكلام ثم حذف بعد وجوده، ولكن المعنى الذي يفهم من كلمة الحذف ينبغي أن يكون الفارق بين عناصر النظام اللغوي وبين مطالب السياق الكلامي الاستعمالي ،وقد جعل هاليداي ورقية حسن الحذف استبدالا لعنصر معجمي سابق لما يغني عن تكراره بالصفر (لاشيء)، فهو عبارة عن علاقة قبلية، يختلف عن الاستبدال الذي يحصل بالتعويض عن العنصر المستبدل بالمستبدل به في إطار العلاقة القبلية حيث يمكن الحديث عن الاستمرارية ،ولذلك فإن"الحذف يقوم بدور معين في اتساق النص، وإن كان هذا الدور مختلفا من حيث الكيف عن الاتساق بالاستبدال أو الإحالة[3]. و يبقى الحذف مختلفا عنهما لعدم وجود أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص.

و يقسم الحذف إلى ثلاثة أقسام هي:

1.الحذف الاسمي:ويكون ذلك بحذف مركب اسمي في جملة لاحقة لتماثله مع اسم في جملة سابقة.

2.الحذف الفعلي:ويتم بحذف مركب فعلي من جملة لاحقة لأنه يماثل فعلا في جملة سابقة لها.

3.الحذف الجملي:ويتم ذلك بحذف قول أو جملة كاملة من بين الجمل اللاحقة لوجود جملة دالة عليها في الجمل السابقة.

د-الربــط:

---

[1] أحمد محمد عبد الراضي: نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص 130.

[2] نعمان بوقرة: مدخل إلى التحليل اللساني للنظام الشعري، عالم الكتب الحديث، ط1 الأردن، 2008، ص 44

[3] محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط2 2006، ص 22

و هو من أهم وسائل التماسك النصي التي تقوم بعلاقة الربط بين أجزاء النص، وقد أطلق عليه الدارسون مصطلح (الوصل).

ويشير " سيلمان" (Silman) (1974) إلى أن الجمل المتحققة من خلال الرابط وألفاظ الربط والظروف الضميرية يمكن أن تدرك تحت المفهوم العام للتكرار أو الاستئناف[1].

الاستئناف وسيلة لربط الجمل:

يركز الاستئناف على إعادة ذكر موضوع ما أورد في وحدة نصية في تتابع جعلي من خلال التكرير الخاص للذكر الأول أو تكرير الذكر الأول متعلقا بمتطلبات السياق من خلال عناصر متكافئة دلاليا، وكذلك من خلال مستبدلات ضميرية ،وتعني "الإعادة الكلية أو الجزئية على أي نحو، شكّلت أيضا لمضمون جملة سابقة داخل الجملة اللاحقة تقوية وتأكيدا لتضافر هاتين الجملتين "[2].

أدوات الربط:

قسم " فان دايك" الروابط إلى فئتين هما:

– **الفئة الأولى:** روابط أصلها راجع إلى تركيب أنواع الوصل التشريكي (العطف) مثلا: الواو، أو، أداة التعليل " لأن" وكذلك " من أجل أن" ووظيفتها هي تكوين جمل مركبة من جمل بسيطة.

– **الفئة الثانية:** وهي "فئة تؤخذ من أبواب الظروف الاسمية والحرفية وما تركب منها من شبه الجمل من مثل: مع أن ، وكذلك وبالرغم من أن، ونتيجة لذلك"[3] ،فهي روابط تعبر عن العلاقة بين القضايا، فقد تكون الجمل الظرفية بدورها مكونة من قضايا اسمية مسبوقة بحروف ظرفية مركبة تحمل خاصية الربط مثل: بموجب كذا، وبالرغم من أن، وكنتيجة كذلك. وتوجد زمرة أخرى من أدوات الربط قريبة الشبه أو منحرفة عن باب الظروف، فهي زمرة متنوعة من صيغ التعجب، ومن بعض ما يدخل تحت أبواب الحروف الزائدة الملحقة في أول اللفظ أو

---

[1] هورست ايزنبرج و جراد كليمنوف و زيجفريد سميث وديتر فيهقجر: إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، ص 269.

[2] هورست ايزنبرج و جراد كليمنوف و زيجفريد سميث و ديتر فيهقجر: المرجع نفسه، ص 270.

[3] فان دايك: النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب، بيروت لبنان، 2000، ص 83.

آخره، والظروف المنفية وبعض أداوت (التشريك) مما يغلب وجودها في اللغات الألمانية، والهولندية، والإغريقية.

وأيضا يعبر عنها في اللغة الانجليزية بتنغيم الصوت وتمديد طبقته ويجعل من نحو: أنت تعلم، و أليس كذلك وغيرها .

تدل على الربط مختلف الأبواب كالأسماء، والأفعال والصفات، والجمل الأصلية والفرعية من مثل، (كإذن) ونتيجة، وقد يعبر عن الربط بأفعال من نحو : عارض، أنتج وترتب عن، ويمكن أن نستنتج بأن وغيرها .

وتصنف روابط اللغة الطبيعية في النحو التقليدي أصناف مختلفة أهمها:[1]

- الوصل التشريكي (العطف)
- الفصل (والتخيير البدلي)
- المعارضة (بتقابل)
- التعارض (بالاستدراك)
- الشرط
- العلة والسب.
- الغاية
- الظروف (الزمانية والمكانية)

وتبقى المهمة الأساسية للروابط هي التعبير عن العلاقات بين الأحداث، فقد تكون هذه العلاقات مفككة الربط كالحال في الوصل والفصل، ويجوز أن تكون ذات قوة متينة ويمكن أن نصف الروابط كالآتي:

أ- التشارط المتحقق: الروابط من نحو: الآن، من أجل أن، وإذن، وكذلك، وبما أن، وبينما، ومثلما أن ،ونتيجة لذلك.

---

[1] فان دايك: المرجع السابق، ص 84.

ب- التشارط الافتراضي والمتعاند التحقق:

مثلا: إذا لم تجتهد لا تنجح

فالعلاقة هنا قائمة على الشرط والجزاء.

ت- التشارط بالتعارض (الاستدراك): فإن بيان التغيير الاستدراكي المتعارض لا يدل على مجرى الأحداث الاستثنائية فحسب، بل قد يشير أيضا إلى الأحداث أو الأحوال التي لم تكن متوقعة ولا مرغوبا فيها[1].

فالربط وسيلة من وسائل التماسك النصي، و هو الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق، ومعنى هذا أن النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة ومتماسكة.

ووسائل الربط كثيرة ومتنوعة، يمكن أن نصنفها حسب ما ذهب إليه هاليداي ورقية حسن كما يلي[2]:

- **الربط الإضافي أو مطلق الجمع**:ويتم بأداة العطف الواو، وببعض ألفاظ التماثل الدلالي كلفظ (بالمثل، علاوة على هذا بالإضافة إلي...)
- **الربط التفسيري**: ويتم بأداوت مثل: أي ، إنه، لأنه ،وببعض الألفاظ مثل: أعني، بعبارة أخرى ويلحق بالربط التفسيري، الربط التمثيلي مثل: نحو على سبيل المثال، والربط الترتيبي مثل: أولا، ثانيا ،في البداية، في النهاية...
- **الربط الاستدراكي**: ويربط بين جملتين أو جمل ذوات حمولة دلالية متعارضة حيث يتم بواسطة أدوات مثل (لكن، بل، مع ذلك) ويلحق به الربط الضدي أو العكسي مثل: (لكن ،بالمقابل ،على العكس).
- **الربط السببي**: ويتحقق من خلاله العلاقات المنطقية بين جملتين أو أكثر ضمن علاقات خاصة كالسبب والنتيجة والتفريع والشرط، ومن أدواته: (لأن، بما أن، لهذا، من حيث، بناءا على هذا، ومن ثم، وهكذا، وبالتالي إذا، إن..) . ويلحق بالربط السببي ربط التعدية

---

[1] فان دايك: المرجع نفسه، ص 122.

[2] يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص.ص450 – 451.

الذي يماثله في إلحاق جملة أو عدة جمل أساسية في النص تكون تابعة لها، بالاعتماد على بعض الروابط اللفظية مثل: فضلا عن، في المقابل، من جهة أخرى...

- **الربط الزمني**: ويربط بين جملتين أو جملا متتابعة ومتآلفة زمنيا ويتحقق بألفاظ مثل: قبل أن، بعد أن، أثناء ذلك ،في الوقت ذاته، حيث تساعد على تماسك النص من خلال ترابط الجمل الفعلية الخبرية أو المضارعة أو جمل الاستفهام والأمر...

4-2-2 أدوات التماسك على المستوى المعجمي:

ويتحقق من خلال اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر، ويكون على مستوى المعجم.

ويتحقق الاتساق المعجمي داخل النص من خلال وسيلتين هما: التكرار والتضام ،اللذين يحققان الربط دون حاجة للأدوات وذلك من خلال تفسير العناصر المعجمية بعضها بعض[1].

1- التكرار:

التكرير هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي، يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف له، و هي إشارة إلى أنواع التكرار، فهو يقوم على تكرار الألفاظ ومعانيها على امتداد الخطاب وما يحدثه من وقع في النص، مما يصنع من النص لحمة واحدة .

و للتكرار أنواع هي[2]:

أ- **إعادة العنصر المعجمي نفسه**: وهو تكرار الكلمة من دون أن يحدث فيها أيّ تغيّر جزئي في الصيغة مع الاحتفاظ بالجذر اللغوي.

ب- **التكرار بالترادف أو شبهه**: ويقصد بالترادف اتفاق اللفظتين في المعنى واختلاف في الشكل ويكتفي هنا بالترادف الجزئي الذي يتضح من خلال الإحلال العمودي والتلازم الأفقي للفظين في معناهما، وحينئذ يتضح أنهما من المترادف إذا استعملا في كثير من

---

[1] عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص105.

[2] أحمد مداس: لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري ،جدار للكتاب العالمي، ط1، 2008، ص 80.

السياقات المختلفة بالمعنى نفسه، أو بعبارة أخرى، بالمعنى نفسه ولكن باختلافات طفيفة في تفاصيل المعنى الدقيقة وفي تلويناته المكتسبة من السياق.

ث- التكرار بالاسم الشامل: الاسم الشامل مجموعة محدودة من الأسماء تشمتل على عدة أسماء. ويكون الاسم الشامل أساسا مشتركا لها، وتشمل أسماء الجنس البشرى

وأسماء الأماكن العامة وأسماء الحقائق،وما يشبهها،ومن أمثلة ذلك:الناس، الشخص،الرجل،المرأة،الولد ،الطفل،فهي أسماء يشملها جميعا اسم (إنسان)، ويدخل في الاسم الشامل ما يمسى في اللغة العربية باسم الجنس واسم الجمع واسم الجنس الجمعي.

ج- التكرار بالاسم العام: هي كلمات مثل: الفكرة والعمل والمكان، و...الخ.

ويمكن زيادة على ما سبق إضافة نوعين من أنواع التكرار الذي يمتاز بهما الكلام الشفاهي كثيرا،و هما:

التكرار الإيقاعي: وهو تكرار في صيغة الكلمة ووزنها أو في نظم الجملة أو حتى حرف تنتهي به الكلمات، ويؤدي هذا التكرار نوعا من الترابط بالاستدعاء.

تكرار اللازمات: وهي نوع من العبارات التي تتكرر بصفة خاصة في الكلام الشفاهي، ولهذه العبارات وظائف متعددة منها القيام بالربط بين المتكلم والمستمع والتأكد أن عملية الاتصال مستمرة، وتلك العبارات كثيرا ما تفتقد قيمتها الدلالية وتصبح في معظم الأحيان لازمة متكررة عند المتكلمين ويؤتي ببعض تلك العبارات للربط بين المفردات وبعضها للربط بين الجمل،ولكن الربط بها في الجمل يكون في الغالب متأثرا بسياق النص[1].

2-التضام: هو نوع من أنواع الربط المعجمي، حيث يرتبط عنصر بعنصر آخر من خلال الظهور المشترك المتكرر في سياقات متشابهة. مثل الكلمات : (الحرب، الأعداء، الصراع، الجنرال) و(المجتمع، الاقتصاد، الطبقة) و(ومحاولة، نجاح) و(نحلة، عسل) و(باب، نافذة)

[1] جمعان بن عبد الكريم: إشكالات النص، النظرية والتطبيق، ص.ص363 – 364.

و(ملك، سلطة) و(مركب، نجاح) و(نحلة، عسل) و(باب، نافذة) و(ملك، وسلطة) و(مركب، تجديف).

وهذا النوع من الربط المعجمي هو الأكثر صعوبة في التحليل لأنه يعتمد على المعرفة المسبقة للقارئ بالكلمات في سياقات متشابهة بالإضافة إلى تلك الكلمات في سياق فالنص المترابط وتنقسم وسائل التضام إلى[1].

أ- الارتباط بموضوع معين: وفيه يتم الربط بين العناصر المعجمية نتيجة ظهورها في سياقات متشابهة، مثل (ماركس، التغيير الاجتماعي، صراع الطبقة الاقتصادية)، وهو ما يسمى بعلاقة التلازم الذكري مثل: (المرض، الطبيب)، (النكتة، الضحك).

ب- التقابل أو التضاد: تترابط الكلمات مع بعضها بعض من خلال أشكال التقابل بأنواعها المختلفة، المكملات مثل: (ولد، بنت)، (يقف، يجلس)، والمتعارض مثل: (يحب، يكره)، (يبرد، يسخن)، والمقلوبات مثل:(يأمر، يطبع)، فالربط يتم من خلال التوقع لدى القارئ للكلمة المقابلة.

ت- علاقة الجزء بالكل: مثل (صندوق، غطاء الصندوق) و(الحجرة ، المنزل).

ث- علاقة الجزء بالجزء: مثل (فم، ذقن) و(أنف، عين).

ج- **الاشتمال المشترك:** مثل (كرسي، منضدة)، (يمشي، يعود)، حيث ينتمي العنصرين إلى كلمة شاملة لهما، فنجد الكرسي والمنضدة تشملها كلمة أثاث.

ح- **الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة منتظمة:** وتشمل أزواج من الكلمات مثل: الكلمات الدالة على الاتجاهات (الشمال، الجنوب الشرق، الغرب)، وأيام الأسبوع (السبت، الأحد، الاثنين...الخ) وشهور السنة (يناير، فبراير...الخ)

خ-الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة غير منتظمة: مثل مجموعة الكلمات الدالة على الألوان (أحمر، أخضر...الخ).

---

[1] عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص.ص 109 – 110.

لقد قدم هاليداي ورقية حسن هذا النوع من الربط المعجمي الذي يمثل الربط بين أزواج الألفاظ التي تظهر مع بعضها بعض وتربطها علاقات دلالية تدرك بسهولة.

وتطابق هذه السمات النصية من جهة الموقف الاجتماعي بين الملقي والمتلقي، الذي يمكن أن يتسم بعلاقة متناسقة تؤدي إلى بروز الآليات التداولية للنص.

ومن هنا يمكننا القول بأن كل تكوين لغوي هو نص يحتوي على مجموعة من الشروط (الآليات) التي تؤدي إلى تماسكه نحويا ومعجميا وتداوليا ،وذلك في إطار تحقيق الوظيفة الأساسية للنص وهي الوظيفة التبليغية.

5-التماسك النصي من منظور الدراسات اللغوية عند العرب القدامى:

عندما نزل القرآن الكريم تحدى العرب ببيانه و إعجازهِ حاملا بين طياته ثورة كبيرة في كل مجالات الحياة (الاجتماعية ،الأدبية ، والأخلاقية ،و المعرفية، واللغوية ،....)، فقد تحداهم بكل ما يملكون ويعرفون، فقامت الدراسات حوله تبحث في معانيه وألفاظه وتنوعت بتنوع الحقول المعرفية ، وتعددت بتعدد الأفكار والتوجهات الكثيرة لعلماء اللغة المسلمين الذين اهتموا بالتأليف في مختلف العلوم التي تدرس القرآن الكريم، فكانت دراساتهم غنية بالأفكار والقواعد الكثيرة التي تؤول في مجملها إلى ما وصلت إليه العلوم اللغوية الحديثة كاللسانيات الوظيفية و لسانيات النص وتحليل الخطاب، والتداولية التي تهتم بالنص والسياق اللغوي وغير اللغوي. وفي هذا الإطار يتجلى لنا التماسك النصي عند القدماء من خلال ما قدمه علماء البلاغة والمصنفون في علوم القرآن وغيرهم.

5-1- التماسك النصي عند علماء البلاغة:

ركز البلاغيون على دراسة الحقيقة والمجاز ودراسة الأساليب من حيث علاقة التراكيب بالمعنى و المقام، فأدركوا أهمية السياق عندما تحدثوا عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، لأن المعنى يتحقق من خلال الربط بين السياق اللغوي وسياق الحال.

وقد ظهرت على اثر ذلك مجموعة من المؤلفات حول نظم القران الكريم مثل:

- نظم القرآن للجاحظ (ت 255 هـ)
- نظم القران لأبي بكر بن أبي داود السجستاني (ت 403 هـ)

– الرسالة الشافية في إعجاز القرآني للجرجاني (ت 471 هـ)[1] ...

ويحيلنا الحديث عن التماسك النصي عند علماء البلاغة القدماء إلى ما قدمه الباقلاني في كتابه (إعجاز القران)، وما قدمه أيضا عبد القاهر الجرجاني .

أ . التماسك النصي عند الباقلاني :

أكد الباقلاني في كتابه " إعجاز القران " على ما تميز به النص القرآني من تآلف وتلاحم بين أجزائه ، فبنية النص القرآني منتظمة و متماسكة ، وهي تختلف عن جميع أنواع كلام العرب وذلك أن :"نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم و مباين للمألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد "[2].

فقد تحدث الباقلاني عن نظم القرآن المحكم ، وإتلاف ألفاظه و معانيه التي تتماسك بشكل معجز. وذلك أن القرآن الكريم له " طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه و اختيار ألفاظه ". [3]

لم يخرج القرآن الكريم عن معهود العرب في لغتهم العربية من حيث المفردات والجمل وقوانينها العامة ، حيث جاء كتابا عربيا جاريا على مألوف العرب من هذه الناحية ، ومع ذلك أعجزهم بأسلوبه و بيانه وبلاغته ..

تحدث الباقلاني عن آليات هذا النظم ، كالتقديم والتأخير إلا أنه لم يفسر هذا الإعجاز تفسيرا مفصلا دقيقا على الرغم من إطنابه [4]. ويرجع السبب في ذلك إلى أنه تحدث عن هذه النظرية بشكل عام فلم يبرز أهم آلياتها ، على نحو ما نجده في تحليليه لقوله تعالى في سورة النمل : " إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو أتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ، فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها

---

[1] محمد خان:القرآن الكريم ونظريات الإعجاز، مجلة التواصل،العدد2 ،جانفي،1977،ص 7.

[2] الباقلاني(أبو بكر):إعجاز القرآن،دار الكتب،ط1،بيروت،لبنان،2001،ص. ص 30.

[3] الزرقاني(محمد عبد العظيم):مناهل العرفان في علوم القرآن،دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي وشركاه، ج1،د ت،ص199.

[4] شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف،ط2،القاهرة ،مصر،ص 108.

وسبحان الله رب العالمين " النمل(الآيتان: 7 و8) ، إذ يقول الباقلاني : " أنظر إلى ما أجرى له الكلام من علو أمر هذا النداء و عظم شأن هذا الثناء وكيف انتظم مع الكلام الأول وكيف اتصل بتلك المقدمة ... و انظر إلى الكلمات المفردة القائمة بأنفسها في الحسن و فيما تتضمنه من المعاني الشريفة ثم ما شفع به هذه الآية و قرن به الدلالة من اليد البيضاء –على نور البرهان – من غير سوء ثم انظر فيها آية آية وكلمة كلمة هل تجدها كما وصفها من عجيب النظم و بديع الرصف فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية و في الدلالة آية فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها مما تجري في الحسن مجراها وتأخذ في معناها ".[1]

فنلاحظ أن الباقلاني يثبت عجيب نظم النص القرآني و بديع تأليفه ، دون أن يبين الآليات الشكلية التي ساعدت في هذا التأليف، ولعل هذا السبب الذي جعل بعده عبد القاهر الجرجاني ليؤسس لنظرية النظم و تشهتر باسمه وتكتمل على يديه. وعلى الرغم من هذا فإن الباقلاني له فضل السبق عليه.

ب.التماسك النصي عند عبد القاهر الجرجاني :

يعد الجرجاني من كبار علماء البلاغة العربية في القرن الرابع الهجري، فقد ركز اهتمامه على أسرار البلاغة في النص القرآني وأسس لنظرية النظم البلاغي حيث أكمل جهود سابقيه و خاصة الباقلاني كما أسلفنا القول.

وقد طبق الجرجاني نظريته على النص القرآني المعجز ببيانه ،وحسن تأليفه من أوله إلى أخره ، وهو ما يتجلى بين ألفاظه و آيه و فواصله.

وقد أكد الجرجاني في كتبه:" دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" و" الرسالة الشافية في الإعجاز" على أن النص القرآني لا يضاهيه نظم ولا يرقى إليه فكر ، كما أن النظم القرآني عنده لا يرجع إلى ألفاظه منفردة عن تركيبها وذلك لأن أهل العربية هم العرب، ومفرداتها في متناولهم، لكن المزية تكمن في تراصف هذه المفردات مع بعضها بعض تحت غطاء معنى

---

[1] الباقلاني(أبو بكر) :إعجاز القرآن، ص .ص 123-124.

مقصود تتحد فيه أجزاء الجملة ، وبين الجملة في مجموعة من العلاقات المنظمة والمتناسقة بين أطراف الكلام[1].

وقد ربط الجرجاني النظم بالنحو إذ أكد على ضرورة توخي معاني النحو فيما بين الكلم في قوله: " ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيها "[2].

وبذلك يكون الجرجاني من البلاغين الأوائل الذين ساهموا في الكشف عن تعلق معاني الكلم بمعاني النحو والكشف عن القواعد التي تؤدي إلى تماسك النص وتعلق الجمل بعضها ببعض.

وفي سياق تحديد الجرجاني لنظرية النظم يؤكد على مجموعة من الآليات الإجرائية التي يستلزمها النص كي يكون متناسقا و متماسكا ، و هي الآليات التي ترتكز عليها لسانيات النص الحديثة ومنها : الوصل، الحذف، التكرار، التقديم ، التأخير، الإضمار.

أكد الجرجاني على الوصل والفصل حيث ينظر في الجمل التي تُسرد فيعرف موضوع الوصل فيها من موضوع الفصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع" الواو" من موضع "الفاء "، وموضع الفاء من موضع " ثم " وموضع " أو " من موضع " أم " وموضع " لكن " من موضع " بل " .وقد جعل للنص القرآني نظما منفردا و تأليفا خاصا .

– وسع دائرة العطف من الألفاظ إلى التراكيب الجملية، وبين أهمية العطف في جعل الجمل متماسكة.

– ركز على التقديم والتأخير وجعل الرتبة من أهم عناصر الربط النصي فإذا قدم المتكلم عنصرا على عنصر آخر يجعل الكلام المتقدم و المتأخر قطعة متماسكة.

5-2- التماسك النصي عند المصنفين في علوم القرآن:

التماسك النصي عند الزركشي:

---

[1] عبد القادر حسن: شرح و تفسير الشافية في الإعجاز،دار الفكر العربي،ط1،القاهرة ،ص 24.

[2] الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز،موفم للنشر،ط1،الجزائر،1991،ص 32.

تشكل دراسة الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القران " للتماسك بين الآيات والسور فكرة تامة واضحة المعالم و الحدود ، حيث استطاع فيها أن يلتمس وجها أخر للإعجاز عن طريق التماسك بين الآيات والسور.

و قد قدم مجموعة من العلاقات التي يتحقق من خلالها تماسك النص القرآني و التي تتمثل في :

أولا: معرفة أسباب النزول:

اعتنى المفسرون بأسباب نزول الآيات القرآنية الكريمة في كتبهم فأفردوا فيه تصانيف كثيرة منهم "علي بن المديني" شيخ البخاري ، ومن أشهرها تصنيف الواحدي [1].

وقد بين فوائد معرفة أسباب النزول في كتابه" البرهان في علوم القران "، والتي تتمثل في ما يلي:

1. تمثل أسباب النزول وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .
2. تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب .
3. الوقوف على فهم المعنى من خلال الاهتمام بسبب نزول القرآن الكريم، وذاك لأن اللفظ قد يكون عاما، و يحتاج المفسر إلى معرفة السبب.

ثانيا : معرفة المناسبات بين الآيات:

ذكر الزركشي بأن علم المناسبات بين الآيات هو علم شريف أفرده بالتصنيف الأستاذ أبو جعفر بن الزبير في كتابه: " البرهان في مناسبة ترتيب سورة القرآن "و برهان الدين البقاعي في كتابه الموسوم ب :" نظم الدرر في تناسب الآيات و السور"[2].

تعريف المناسبة : عرّف الزركشي المناسبة بأنها "علم شريف، تحرز به بالعقول ويعرف به قدر القائل"[3] .

---

[1] الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله):البرهان في علوم القرآن،تحقيق أبو الفضل الدمياطي،دار الحديث ،القاهرة،2006م،ص 28.

[2] الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله):البرهان في علوم القرآن ،ص36.

[3] الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله):المصدر نفسه، ص 26.

- **المناسبة في اللغة** : المقاربة ، وفلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالآخرين و ابن العم ونحوه ،و إذ كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة. ومنه المناسبة في باب القياس ؛ الوصف المقارب للحكم ، لأنه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ، ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول و كذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها و مرجعها والله أعلم إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي و غير ذلك من أنواع العلاقات ، أو التلازم الذهني كالسبب و المسبب و العلة و المعلول و النظيرين والضدين ، ونحوه (أو) التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر[1].

بيّن الزركشي بأن علم المناسبة علم شريف لأنه يختص بالقرآن الكريم وسبب نزول الآيات الكريمة، ليوضح لنا معناه اللغوي كما ذكره ابن منظور في معجمه لسان العرب وهو يعني القرب و القريب المتصل بمعنى وجود الرابط بين الأمرين وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها، و قد يكون هذا الرابط عاما أو خاصا، عقليا أو حسيا و غير ذلك من العلاقات التي تربط بينها، وهو ما ركزت عليه لسانيات النص الحديثة في دراسة النصوص بصفة عامة ، و خاصة فيما يتعلق بتماسك النصوص وترابطها .

وهو ما عبر عنه الزركشي في فائدة علم المناسبات الذي يجعل : " أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوي بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء "[2]،حيث جعل علم المناسبة علما مهما في بناء الكلام الذي يصبح آخذا بأعناق بعضه بعض ويترابط كترابط البناء المحكم المتماسك والمتضافر.

كما عرّف الشيخ عز الدين بن عبد السّلام المناسبة بقوله: " المناسبة علم حسن ولكن اشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره "[3]، وذلك لأن القرآن الكريم نزل في نيف و عشرين سنة في أحكام مختلفة لأسباب مختلفة .

---

[1] الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله):المصدر السابق، ص 26.

[2] الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله):المصدر نفسه، ص 26.

[3] الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله):المصدر السابق، ص 37.

ومن أوجه الترابط و التماسك بين الآيات ذكر الزركشي بابا سماه ب (أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض) فأكد أن هذا الارتباط بين الآيات ناتج عن تعلق الكلام على جهة التأكيد و التفسير أو الاعتراض و التشديد .

ليؤكد بعد ذلك على فوائد العطف في الترابط والتماسك بين الآيات، فقد جعل الآيتين المعطوفتين كالنظيرين والشريكين ، وقد تكون العلاقة بينهما علاقة المضادة كمناسبة ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب و الرغبة بعد الرهبة .

ومن أنواع ارتباط الآي التي ذكرها الزركشي أنه إذا كانت الآيات غير معطوفة فلا بد من وجود دعامة تؤذن باتصال الكلام ، وهي قرائن معنوية ، و من أمثلها :

1. **التنظير** : من أمثلة إلحاق النظير بالنظير قوله تعالى : " كما **أخرجك ربك من بيتك بالحق** " الأنفال (الآية :5) عقب قوله " **أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم و مغفرة ورزق كريم** " الأنفال (الآية :4) ،أمر الله سبحانه و تعالى رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون [1]،لأنهم اختلفوا في القتال يوم بدر في الأنفال ، و حاجوا النبي صلى الله عليه وسلم و جادلوه ، فكره كثير منهم ما كان من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في النفل فأنزل الله هذه الآية الكريمة ، و أمرهم أن يتقوا الله و يطيعوه و لا يعترضوا عليه فيما يفعله من شيء ما بعد أن كانوا مؤمنين ووصف المؤمنين ، ثم قال:" **كما أخرجك ربّك من بيتك بالحق و إن فريقا من المؤمنين لكارهون**" الأنفال(الآية :4).

2. **المضادة** : كقوله تعالى : "**إن الذين كفروا سواء عليهم** ..." البقرة (الآية:6) تتحدث سورة البقرة في بدايتها من(الآية: 1) إلى(الآية: 3) عن القرآن الكريم ثم تنتقل إلى الحديث عن المؤمنين في(الآيتين: 4و5)، ثم عقّب الله تعالى بما هو حديث عن الكفار في (الآية: 6) ، حيث تجمع بين الآيات علاقة التضاد ،وحكمته في ذلك هي التشويق و الثبوت

---

[1] الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله):المصدر نفسه، ص44.

على الأول فبضدها تتبين الأشياء، ووجه الربط هنا هو تأكيد أمر القرآن الكريم و العمل به و الحث على الأيمان به.

3 . **الاستطراد**:كقوله تعالى:" **يا بني آدمِ قد أنزلنا عليكم لباسا يُوارِي سوءاتِكم وريشا ولِبَاسُ التَّقْوَى وذلك خَيْرٌ ذلك من آيات الله لعلهم يَذَّكَّرون** "الأعراف(الآية: 26)

جاء الاستطراد في إطار النداء الذي وجهه الله تعالى لبني آدم الذين يخبرهم بأنه جعل لهم لباسا يستر عوراتهم،وهو لباس الضرورة،كما جعل لهم لباسا للزينة والتجمل،ولباس تقوى الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي هو خير لباس للمؤمن، ذلك الذي منّ الله به على عباده لكي يتذكّروا هذه النعم فيشكروه تعالى عليها.

ونظرا لخصوصية النص القرآني المدروس في هذه الأطروحة والذي يختلف تماما عن كل النصوص الأخرى، يتوجب علينا الإشارة إلى طبيعته وخصائصه، باعتبار أن النص القرآني نظام كامل محكوم بوسائل وآليات لغوية تضمن تماسكه والتحامه في كل المستويات: التركيبية والمعجمية (الدلالية)، والتداولية، وهو ما سيتضح أكثر في الفصل الموالي: الوظيفة النصية وآليات التماسك النص في القرآن الكريم سورتي طه والرحمان نموذجا.

6- طبيعة وخصائص النص القرآني:

6-1- مفهوم النص القرآني:

أ-لغة: هو"مصدر مرادف للقراءة، ... ثم نقل هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزّل على النبي صلى الله عليه وسلم،من باب إطلاق المصدر على مفعوله".[1]

ويقال للقرآن (فرقانا) أيضا وأصله مصدر كذلك، ثم سمي به النظم الكريم تسمية للمفعول أو الفاعل بالمصدر، باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل، أو مفروق بعضه عن بعض في النزول أو في السور والآيات.

[1]-الزرقاني(محمد عبد العظيم):مناهل العرفان في علوم القرآن ،ص7.

ومنها(الكتاب والذكر والتنزيل)، وقد"جاوز صاحب البرهان حدود التسمية، فبلغ بعدتها خمسة وخمسين، وأسرف غيره في ذلك حتى بلغ بها نيفا وتسعين"[1]، و منها: الكتاب،القرآن ،كلام الله،النور،الهدى،الرحمة،الشفاء،الذكر،التنزيل،المجيد،البلاغ،الموعظة،..

ب-اصطلاحا:

من المعلوم أن القران الكريم هو كلام الله، و أن كلام الله غير كلام البشر،ومعلوم أيضا أن الإنسان له كلام قد يراد به المعنى المصدري ،أي التكلم ،وقد يراد به المعنى الحاصل بالمصدر أي المتكلم به، وكل من هذين المعنيين لفظي ونفسي.

✓ **الكلام البشري اللفظي بالمعنى المصدري**:هو تحريك الإنسان للسانه وما يساعده في إخراج الحروف من المخارج.

✓ **الكلام اللفظي بالمعنى الحاصل بالمصدر**: هو تلك الكلمات المنطوقة التي هي كيفية في الصوت الحسي،و كلاهما ظاهر لا يحتاج إلى توضيح، أما الكلام النفسي بالمعنى المصدري، فهو تحضير الإنسان في نفسه بقوته المتكلمة الباطنة للكلمات التي لم تبرز للجوارح ، فيتكلم بكلمات متخيلة يرتبها في الذهن بحيث إذا تلفظ بها بصوت حسي كانت طبق كلمته اللفظية.

✓ **الكلام النفسي بالمعنى الحاصل بالمصدر**: هو تلك الكلمات النفسية والألفاظ الذهنية المترتبة ترتيبا ذهنيا منطبقا على الترتيب الخارجي.

كذلك القران الكريم هو كلام الله-والله المثل الأعلى- قد يطلق ويراد به الكلام النفسي، وقد يطلق ويراد به الكلام اللفظي، والذين يطلقونه إطلاق الكلام النفسي هم المتكلمون فحسب [2].

القران الكريم هو الكلام المعجز المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته ، فالقران الكريم هو كتاب الله المنزل على الرسول محمد صلى الله عليه و سلم في بضع وعشرين سنة ، حيث نزل أغلبه في مكة (خمسة وثمانون

---

[1] الزرقاني(محمد عبد العظيم): المصدر السابق، ص 8.

[2] الزرقاني(محمد عبد العظيم):المصدر نفسه، ص.ص 8-9 .

سورة) وسمي مكيا ،ونزل الباقي في المدينة بعد الهجرة (تسعة وعشرون سورة) وسمي مدنيا. ويتألف القرآن الكريم من ثلاثين جزءا و مئة وأربع عشرة سورة، وتتألف كل سورة من عدد من الآيات،أطول السور هي سورة البقرة وفيها(286) آية،وأقصرها سورة الكوثر وفيها ثلاث آيات.

وقد رتبت السور في القرآن الكريم بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء معجزا بكل ما فيه من لغة وأساليب ونظم ومعان وبيان، حيث فاقت بلاغته كل بيان وأخرست كل لسان.

يتكون القران الكريم من سبع وسبعين ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة،و أجمع العلماء على أن عدد حروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفا وخمسة عشر حرفا.

ولا شك أن القرآن يطلق على الكل وعلى أبعاضه ، فيقال لمن قرأ اللفظ المنزل كله :أنه قرأ قرآنا،وكذلك يقال لمن قرأ ولو آية منه:أنه قرأ قرآنا.

6-2-مفهوم السورة:

السورة قطعة من القرآن معينة، أقلها ثلاث آيات في غرض واحد أو عدة أغراض مشتقة من السور وهو الجدار الذي يحيط بالقرية أو الحظيرة أو لأنها محتوية على فنون من العلم، وأجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على ما فيها، وإما أن تسمى بالسؤر الذي هو الرتبة لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي في أنفسها مترتبة في الطول والقصر والتوسط أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين.

أ-السورة في اللغة : تهمز ولا تهمز،فمن همزها جعلها من أسارت أي أفضلت من السؤر، وهي ما بقي من الشراب في الإناء،كأنها قطعة من القرآن، ومن لم يهمزها جعلها بمعنى

المنزلة من منازل الارتفاع، ومن ذلك سور المدينة للحائط الذي يحوط بها وذلك لارتفاعه على غيره. ومنه قول النابغة الذبياني يمدح النعمان:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب [1].

[1] محمد الأمين:جمال المضمون والأسلوب في سورة يس،مطبعة آنفو، فاس ،المغرب،2009 ،ص 20.

أي منزلة من منازل الشرف التي قصرت عنها منازل الملوك ،وقيل:لارتفاعها لأنها كلام الله وعليه فالسورة المنزلة الرفيعة، وقيل:لتركيب بعضها على بعض من التسوّر بمعنى التصاعد والتركب.

فالسورة هي قطعة من القرآن الكريم لها أول وآخر، وهي في اللغة مأخوذة من سورة الأسد وسورة الشباب بمعنى القوة. ولا شك في أنها قوية في ذاتها وأقوى من الآية أو هي مأخوذة من السور بمعنى الجماعة لأنها تجمع بين آيات متعددة، ومعان كثيرة أو هي مأخوذة من السور المحيط بالأبنية لأنها تحيط بآياتها ومعانيها[1].

ب – السورة في الاصطلاح:

قال الجعبري: حد السورة قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة ، وأقلها ثلاث آيات،فإن قيل: فما الحكمة في تقطيع القرآن سورا ؟ قلت: هي الحكمة في تقطيع السور آيات معدودات لكل آية حد ومطلع.

تتكون السورة الواحدة من مجموعة من الآيات أقلها ثلاث آيات، وهي وحدة كاملة لها هدف واحد قد يستتبع أغراضا مختلفة.وهي لها طابع خاص في اللفظ والسياق والفواصل وختام الآيات، ولها في الوصول إلى هدفها طرقا خاصة[2].

والسورة في حد ذاتها معجزة وآية من آيات الله تعالى تنفرد بنظمها المعجز وبيانها.

أكد الزمخشري أن الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سورا كثيرة هي أن القارئ إذا ختم سورة كان أنشط له وأبعث على التحصيل منه،لو استمر على الكتاب بطوله،فضرب لنا مثلا،بالمسافر إذا قطع ميلا أو فرسخا وانتهى إلى رأس برية نفس ذلك منه ونشطه للمسير، وفي ذلك حكمة كبيرة خاصة في تعليم الأطفال السور القصار فنجد الطفل يفرح فرحا شديدا بإتمام السورة، وكذلك الذي يتلو السور الطوال فهو يرتاح عند إنهائه السورة ويفرح فرحا لا نظير له[3].

---

[1] محمد محمود حجازي : الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ،دار الكتاب الحديثة ،مطبعة المدني ،القاهرة،مصر ، 1970،ص 40.

[2] محمد محمود حجازي :الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ،ص 52.

[3] الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله):البرهان في علوم القرآن ،ص 176.

ج- اسم السورة: يشمل القرآن الكريم على مائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به وقيل وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة.

لكل سورة اسم واحد وهو كثير، وقد يكون لبعض السور اسمان فأكثر،ومن ذلك سورة الفاتحة فقد عدد لها العلامة القرطبي اثني عشرة اسما[1].

6-3-مفهوم الآية:

أ- لغة : للآية في اللغة ثلاثة معان هي:

-جماعة حروف: قال أبو عمر الشيباني: تقول العرب: خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم.

-الآية : العجب، تقول العرب: فلان آية في العلم وفي الجمال، قال الشاعر:

آية في الجمال ليس له في ال حسن شبه وماله من نظير

فكأن كل آية عجب في نظمها، والمعاني المودعة فيها.

-العلامة: تقول العرب:خربت دار فلان، وما بقي فيها آية، أي علامة، فكل آية في القرآن الكريم علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد اختلف في وزنها فقال سيبويه: "فعلة" بفتح العين وأصلها "آيية"على وزن (فاعلة) حذفت الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها من الإدغام ما لزم في دابة[2].

ت- اصطلاحا:

قال الجعبري في كتاب "المفرد في معرفة العدد": "حد الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديرا، ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة وأصلها العلامة"[3]. والآية هي الطائفة من القرآن يتصل بعضها ببعض إلى انقطاعها طويلة كانت أو قصيرة[4].

---

[1] السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان):الإتقان في علوم القرآن،و الباقلاني (القاضي أبي بكر) :إعجاز القرآن ،المكتبة الثقافية ،بيروت،لبنان،ص .ص 64.-65.

[2] الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله):البرهان في علوم القرآن ،ص 187-188 .

[3] الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله: المرجع السابق ،ص 188.

[4] الجرجاني(علي بن محمد السيد الشريف):التعريفات،معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي ،تحقيق عبد المنعم الحفني، دار الرشاد القاهرة،ص 49.

وقيل هي الواحدة من المعدودات في السور، سميت به لأنها علامة على صدق من أتى بها وعلى عجز المتحدي بها. وقيل هي علامة انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعها عما بعدها.
يجمع العلماء على أن الآية هي طائفة من القرآن الكريم ، وهي علم توقيفي لا مجال فيه للقياس حيث نجد أن: (ألم) آية في ست سور وردت فيها،و(المص) آية وكذلك (المر) ،و(طس) ليست آية ،و(حم) آية في كل السور التي وردت فيها،و(حم عسق) آيتان،و(كهيعص) آية واحدة،و(ص) ليست آية و كذلك(ق) و(ن).
هذا ما ذهب إليه الكوفيون، وقال بعضهم إنما(يس) آية و(طس) ليست آية،وقال القاضي أبو بكر العربي:ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية.

أما الكلمة فهي على حرفين مثل(ما) و(لي) و(لك) وقد تكون أكثر تصل إلى عشرة أحرف مثل(يستخلفنكم) و(أنلزمكموها) و (فأسقيناكموه)، وقد تكون الكلمة آية مثل :(والفجر) (والضحى) (والعصر) وكذلك (الم)، و(طه)، (ويس)، و(حم)، وبعضهم يسمى فواتح السور ولا يقول آيات[1].

6-4- القرآن الكريم كتاب هداية و إعجاز:

القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز، من أجل هذين المطمحين نزل، وفيهما تحدث وعليهما دل، فكل علم يتصل به من ناحية قرآنية ، أو يتصل به من ناحية هدايته أو إعجازه فذلك من علوم القرآن.

ونجد أن القرآن الكريم في عرضه للهداية والإعجاز على الخلق قد حاكم الناس على قدر عقولهم وفتح عيونهم على الكون وما فيه من سماء وأرض، وبر، وبحر،وحيوان ونبات،وخصائص وظواهر،ونواميس، وسنن...
فكان معجزا أبهر الإعجاز بحديثه عن تلك الكوينات كان حديث العليم بأسرارها،الخبير بدقائقها،المحيط بعلومها ومعارفها، على أن الذي بلّغ هذه الرسالة هو رجل أمي نشأ في أمة جاهلة ،لا صلة لها بتلك العلوم وتدوينها، ولا إلمام لها بكتبها ومباحثها ،بل إن تلك العلوم لم

[1] الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله: المرجع نفسه، ص 188.

تنشأ إلا بعد النبوة ومهبط الوحي بقرون وأجيال فأنّى يكون لمحمد ذلك السجل الجامع لتلك المعارف كلها إن لم يكن تلقاه من لدن حكيم عليم ؟[1].

لقد قال القاضي عياض في كتابه "الشفا" أن إعجاز القرآن الكريم ينطوي على أوجه عديدة يمكن حصرها في أربعة وجوه هي:

1.حسن تأليفه و التئام كلمه وبلاغته الخارقة لعادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن.

2.نظمه العجيب،وأسلوبه المخالف لأساليب كلام العرب ومنها نظمها ونثرها.

3.ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات.

4.ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة و الشرائع الدائرة[2].

ويبقى إعجاز القرآن الكريم لا ينتهي، فقد فاقت بلاغته كل بيان، وأخرست كل لسان وأسكتت كل معارض ومكابر، حتى قام ولا يزال يقوم في الدنيا معجزة من الله وآية لتأييد رسوله الذي كان أفصح الناس وأبلغهم.

6-5- معرفة المكي والمدني:

تحتاج معرفة المكي والمدني إلى البحث طويلا فيما كتبه علماء القرآن الذين ذكروا ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة ،وما نزل بمكة وحكمه مدني ،وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة ،وما نزل بالمدينة في أهل مكة وما نزل بالجحفة و بيت المقدس وبالطائف وبالحديبية، وما نزل ليلا وما نزل نهارا، وما نزل مشيعا وما نزل مفردا، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما نزل مفسرا وما اختلف فيه فقال بعضهم مدني وبعضهم مكي.

وعليه فلا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما أورده الصحابة والتابعين في ذلك لأنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم بيان للمكي والمدني،وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان ،لأنهم كانوا يشاهدون الوحي والتنزيل و يشهدون مكانه

---

[1] الزرقاني(محمد عبد العظيم):مناهل العرفان في علوم القرآن ، ص 19.

[2] السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان):الإتقان في علوم القرآن، و الباقلاني (القاضي أبي بكر) :إعجاز القرآن ،ص 22.

وزمانه وأسباب نزوله عيانا.وفي هذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:"والله الذي لا اله غيره،ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت؟ ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما نزلت؟ولو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه "[1].

وعن عثمان بن سعيد الرازي بسنده إلى يحيى بن سلام قال:" ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فهو مكي، وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره بعدما قدم المدينة فهو من المدني"[2]، أي أن المكي ما نزل بمكة حتى ولو بعد الهجرة، و المدني ما نزل بالمدينة، يقول السيوطي:" وعلى هذا نثبت الواسطة فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني"[3].

وقد أخرج الطبراني في "الكبير" أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :" أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة مكة والمدينة والشام "[4]، قال الوليد يعني بيت المقدس، وقال الشيخ عماد الدين بن كثير بل تفسيره بتبوك أحسن[5].

وللعلماء في معنى المكي والمدني ثلاثة اصطلاحات هي:

الأول: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، ويدخل في مكة وضواحيها كالمنزّل على الرسول صلى الله عليه وسلم بمنى وعرفات والحديبية، ويدخل في المدينة ضواحيها أيضا كالمنزّل عليه صلى الله عليه وسلم في بدر وأحد.

الثاني: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة، وعليه فإن ما صدر في القرآن بلفظ (يا أيها الناس) فهو مكي،وما صدر فيه بلفظ (يا أيها الذين آمنوا) فهو مدني لأن الكفر كان غالبا على أهل مكة فخوطبوا ب:"ياأيها الناس" ــوإن كان غيرهم داخلا فيهم–ولأن الإيمان كان غالبا على أهل المدينة خوطبوا ب "يا أيها الذين آمنوا "–وإن كان غيرهم داخلا فيهم أيضا —وألحق بعضهم صيغة "يا بني آدم "بصيغة "يا أيها الناس".

---

[1] الزرقاني(محمد عبد العظيم):مناهل العرفان في علوم القرآن ، ص 189.

[2] السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان):الإتقان في علوم القرآن ، والباقلاني (القاضي أبي بكر) :إعجاز القرآن ،ص9.

[3] السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان):الإتقان في علوم القرآن ، والباقلاني (القاضي أبي بكر) :إعجاز القرآن ،ص9.

[4] المصدر نفسه،ص 9

[5] المصدر نفسه،ص 9.

وقد أخرج أبو عبيد في فضائل القرآن عن ميمون ابن مهران قال:"ما كان في القرآن يا أيها الناس ،أو يا بني آدم فإنه مكي،و ما كان يا أيها الذين آمنوا فإنه مدني"[1].

ونلاحظ أن هذا التقسيم أيضا روعي فيه المخاطبون ولهذا قال ابن مسعود: "لأن الغالب على أهل مكة الكفر ،فخوطبوا بيا أيها الناس وإن كان غيرهم داخلا فيها ،وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخوطبوا بأيها الذين آمنوا،وإن كان غيرهم داخلا فيهم"[2].

ومع هذا نجد في القرآن الكريم ما نزل غير مصدر بأحدهما نحو قوله تعالى في فاتحة سورة الأحزاب :"يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين ..." الأحزاب (الآية: 1)، كما نجد أن هناك آيات مدنية صدرت بصيغة "يا أيها الناس" كقوله تعالى في سورة النساء:"يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا "النساء (الآية :1).

الثالث: وهو الاصطلاح المشهور: أن المكي ما نزل قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة[3]. فقوله تعالى في سورة المائدة: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا..."المائدة (الآية:3) مدنية مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع بمكة

وقد روعي زمن النزول في هذا التقسيم ،وهو تقسيم ضابط وحاصر لذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم.

أ- ذكر ما نزل من القرآن بمكة:

أول ما نزل من القرآن بمكة "اقرأ باسم ربك"،ثم "ن والقلم"،ثم "يا أيها المزمل" ثم "يا أيها المدثر"،ثم "تبت يدا أبي لهب" ثم "إذا الشمس كورت" ثم "سبح اسم ربك الأعلى"،ثم "والليل إذا يغشى"ثم"والفجر"،ثم "والضحى" ثم "ألم نشرح"،ثم" والعصر" ثم"والعاديات" ثم"إنا أعطيناك الكوثر"،ثم"ألهاكم التكاثر"ثم"أرأيت الذي"ثم"قل يا أيها الكافرون"ثم"سورة الفيل"ثم"

---

[1] السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان):الإتقان في علوم القرآن،والباقلاني (القاضي أبي بكر) : إعجاز القرآن، المصدر نفسه، ص 186.

[2] الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله):البرهان في علوم القرآن ،ص 132 .

[3] السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان):الإتقان في علوم القرآن،والباقلاني (القاضي أبي بكر) : إعجاز القرآن،المصدر نفسه ،ص 187.

الفلق" ثم"الناس" ثم "قل هو الله أحد"ثم"والنجم إذا هوى" ثم"عبس وتولى"ثم إنا أنزلناه"ثم "والشمس وضحاها"ثم"والسماء ذات البروج"ثم"والتين
والزيتون"ثم"لإيلاف قريش" ثم"القارعة" ثم"لا أقسم بيوم القيامة" ثم"الهمزة" ثم "المرسلات"ثم"ق والقرآن" ثم" لا أقسم بهذا البلد"ثم"الطارق" ثم"اقتربت الساعة" ثم"ص والقرآن"ثم "الأعراف" ثم"الجن" ثم"يس"ثم"الفرقان"ثم"مريم" ثم "طه" ثم "الواقعة" ثم "الشعراء "ثم "النمل" ثم "القصص" ثم "بني إسرائيل" ثم "يونس" ثم "هود" ثم "يوسف" ثم "الحجر" ثم "الأنعام" ثم" الصافات" ثم "لقمان "ثم "سبأ" ثم" الزمر" ثم "حم المؤمن" ثم" حم السجدة" ثم "حم عسق" ثم "حم الزخرف" ثم "حم الدخان "ثم "حم الجاثية" ثم "حم الأحقاق" ثم "الذاريات" ثم" الغاشية" ثم" الكهف" ثم "النحل" ثم" نوح "ثم "إبراهيم" ثم "الأنبياء" ثم "المؤمنون" ثم"ألم تنزيل" ثم "والطور" ثم" الملك" ثم" الحاقة" ثم "سأل سائل" ثم "عم يتساءلون" ثم "والنازعات" ثم"إذا السماء انفطرت"ثم "إذا السماء انشقت"ثم "الروم".

وقد اختلف في آخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس: "العنكبوت"، وقال الضحاك وعطاء "المؤمنون" وقال مجاهد "ويل للمطففين"[1].

هذا هو ترتيب ما نزل من القرآن بمكة،وعليه استقرت الرواية من الثقات ،حيث بلغ عدد السور المكية خمس وثمانين سورة.

ب- ذكر ما نزل من القرآن بالمدينة:

إن أول ما نزل في المدينة :سورة "البقرة "ثم "الأنفال" ثم "آل عمران" ثم" الأحزاب" ثم "الممتحنة" ثم" النساء" ثم "إذا زلزلت" ثم" الحديد" ثم" محمد "ثم "الرعد" ثم" الرحمان" ثم "هل أتى" ثم "الطلاق" ثم" لم يكن" ثم "الحشر" ثم "إذا جاء نصر الله "ثم "الحج" ثم "المنافقون" ثم "المجادلة" ثم "الحجرات" ثم "يا أيها النبي م تحرم "ثم "الصف" ثم" الجمعة" ثم "التغابن "ثم" الفتح" ثم" التوبة"، ثم" المائدة".

ومنهم من يقدم سورة المائدة على التوبة ،وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم المائدة في خطبته حجة الوداع ،قال :"يا أيها الناس إن آخر القرآن نزولا سورة المائدة فأحلوا حلالها

---

[1] الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله):البرهان في علوم القرآن ،ص 136.

وحرموا حرامها"[1] . أما ما اختلف فيه ففاتحة الكتاب ،حيث قال ابن عباس والضحاك ومقاتل وعطاء :أنها مكية وقال مجاهد :مدنية واختلفوا في ويل للمطففين ،فقال ابن عباس :مدنية وقال عطاء : هي آخر ما نزل بمكة فجميع ما نزل بمكة خمس وثمانون سورة وجميع ما نزل بالمدينة تسع وعشرون سورة على اختلاف الروايات[2].

ت- المكي والمدني وأحوال نزول القرآن:

أحوال نزول القرآن	السورة	الآية
ما نزل بمكة وحكمه مدني	الحجرات	13
	المائدة	3
الآيات المدنيات في السور المكية	الأنعام	91،21،93
	الأعراف	163،171
	إبراهيم	28
	النحل	41
	الإسراء	73
	الكهف	28
	القصص	52
	الزمر	53
	الأحقاف	10
الآيات المكية في السور المدنية	الأنفال	33
	التوبة	128،129

[1] الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله):المصدر السابق،ص 137.

[2] الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله):المصدر نفسه،ص 137 .

ما نزل بالمدينة وحكمه مدني	النحل الرعد التوبة	41 السورة 28
ما يشبه تنزيل المدينة في السور المكية	النجم هود	32 114
ما يشبه تنزيل مكة في السور المدنية	الأنبياء الأنفال	17 32
ما نزل بالجحفة	القصص	85
ما نزل ببيت المقدس ما حمل من مكة إلى المدينة ما حمل من المدينة إلى مكة ما حمل من المدينة إلى الحبشة	الزخرف يوسف الإخلاص الأعراف البقرة ق آل عمران	45 السورة السورة 158 217،218 26 64،67،68
ما نزل بالطائف ما نزل بالحديبية ما نزل ليلا ما نزل مشيعا	الفرقان الانشقاق الرعد الحج المائدة القصص الأنعام:نزلت مرة واحدة	45 24... 22 30 1 27 56

	شيعها سبعون ألف ملك. الفاتحة:نزلت ومعها ثمانون ألف ملك. آية الكرسي:نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك. يس: نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك. الزخرف: نزلت ومعها عشرون ألف ملك.	

جدول رقم –4–

ث– ضوابط السور المكية وعلاماتها:

–كل سورة فيها " كلاّ " ،وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم ثلاثا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة ،وردت كلها في النصف الأخير من القرآن الكريم ،من سورة مريم إلى سورة الهمزة لأن التهديد والوعيد أكثر ما نزل نزل بمكة، و في هذا قال العماني:" وحكمة ذلك أن نصف القرآن الأخير نزل أكثره بمكة، وأكثرها جبابرة، فتكررت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم ،بخلاف النصف الأول.وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيهم لذلّتهم وضعفهم"[1].

ومن معاني "كلا " أنها تكون:

–بمعنى "لا" ومعناها الزجر والإنكار فيوقف عليها.

–بمعنى حقا فيبتدأ بها لتأكيد ما بعدها.

– بمعنى "ألا" فيبتدأ بها لاستفتاح الكلام.

[1] الزرقاني(محمد عبد العظيم):مناهل العرفان في علوم القرآن،ص 190.

-كل سورة وردت فيها عبارة" وما أدراك" وهي صيغة استفهامية تفيد التهويل،والتفخيم لما يذكر بعدها، وقد وردت في القرآن الكريم كله ثلاثة عشرة مرة في عشر سور من الحاقة إلى الهمزة.

-كل سورة مفتتحة بالحروف المقطعة فهي مكية ماعدا سورة البقرة وآل عمران، والسور المفتتحة بالحروف المقطعة في القرآن الكريم تسع وعشرون سورة.

-السور التي تفتح بالحمد، وعددها في القرآن الكريم كله خمسة وهي: الفاتحة، الأنعام، الكهف،سبأ، فاطر.

-كل سورة فيها "يا أيها الناس" ،أما إذا اجتمعت في السورة " يا أيها الناس" و"يا أيها الذين آمنوا" أو انفردت فيها " أيها الذين آمنوا" فهي مدنية.

-كل سورة فيها لفظ "يا بني آدم" بصيغة النداء ،وقد وردت في القرآن الكريم خمس مرات،أربع مرات في سورة الأعراف ومرة واحدة في سورة يس.

كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية عدا سورة البقرة.

-كل سورة ورد فيها لفظ "الوصف" بصيغه المختلفة حيث ورد في القرآن الكريم (14) مرة.

-كل سورة ورد فيها لفظ "الخرص" بصيغه المختلفة حيث وردت في القرآن الكريم خمس مرات ،الأنعام ويونس والزخرف و الذاريات.

-كل سورة ورد فيها ذكر" مجنون" وقد ورد هذا اللفظ (11) مرة وجاء لفظ "جنة" بمعنى الجنون لا بمعنى "الجن" خمس مرات[1].

-كل سورة وردت فيها كلمة "زخرف" بصيغها،حيث وردت أربع مرات في أربع سور ،وتسمت بها إحداها،وكلها مكية وهي: الأنعام ،ويونس،والإسراء والزخرف.

-كل سورة ورد فيها الزجر، وقد ورد هذا اللفظ ست مرات في ثلاث سور مكية: الصافات،و القمر،والنازعات.

---

[1] محمد بن عبد الرحمان بن صالح الشايع: المكي والمدني في القرآن الكريم،طبع قسم القرآن الكريم وعلومه،كلية أصول الدين،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ط1، الرياض،1997، ص.ص 33-34-35.

كل سورة ذكر فيها التضرع فهي مكية، وقد جاءت في سبعة مواضع في ثلاث سور كلها مكية وهي: الأنعام، و الأعراف، و المؤمنون.

-كل سورة فيها لفظ"الصور"،وقد وردت بصيغة واحدة في عشر سور وهي:الأنعام،الكهف،طه،المؤمنون،النمل،يس،الزمر،ق،الحاقة،النبأ.

-كل سورة ورد فيها لفظ"الصيحة" بالتعريف أو التنكير، فوردت في اثني عشر موضعا في ثمان سور.

-كل سورة ورد فيها ذكر (الوزر والأوزار) بمعنى الإثم و الأحمال فهي مكية، وقد جاءت في (22) مرة بهذا المعنى.

-كل سورة ورد فيها اسم "شعيب"،وقد ورد إحدى عشر مرة في أربع سور،وهي :الأعراف ،وهود،والشعراء،والعنكبوت.

-كل سورة ورد فيها اسم"صالح" فهي مكية، وقد ورد في القرآن الكريم تسع مرات في أربع سور هي:الأعراف و هود، والشعراء، و النمل.

-كل سورة ورد فيها اسم"هود"، وقد ورد في القرآن الكريم سبع مرات في ثلاث سور هي: الأعراف، هود،و الشعراء.

-كل سورة ورد فيها اسم"يوسف"، وقد ورد في القرآن الكريم سبع وعشرين مرة، في ثلاث سور وهي:الأنعام، و يوسف، و غافر.

-كل سورة ورد فيها اسم "فرعون" مجردا دون أن ينسب إليه آله، فهي مكية عدا سورة التحريم.و قد ورد لفظ فرعون في القرآن الكريم أربعا وسبعين مرة في سبع وعشرين سورة، منها ست مرات في ثلاث سور مدنية كلها منسوب إليه (آله، وآل فرعون) مرتان في سورة البقرة، وثلاث مرات في سورة الأنفال.و أما سورة التحريم فقد ذكر فيها مرتين، مرة باسمه ومرة منسوبا إليه امرأته.

-وتتسم السور المكية بالقصر في السور والآيات، كما يظهر فيها أسلوب التأكيد، وتكرار بعض الجمل والكلمات، ويميزها شيوع الأسلوب الإنشائي من أمر ونهي واستفهام وتمن و تقرير[1].

ج- الخصائص الموضوعية للسور المكية:

-معالجة القضايا المتعلقة بالعقيدة، وذلك بدعوة الإنسان إلى الإيمان بالله وقدرته وإقراره بالوحدانية، و صرف أنواع العبادة لله وحده لا شريك له،و هدم الشرك وعبادة الأصنام والوثنية.

-تدعوا السور المكية إلى الإيمان باليوم الآخر ،والبعث والنشور بعد الموت،وذلك بتصوير الجنة وتبيين مشاهد النعيم فيها،وتصوير النار وتبيين صور العذاب فيها ،كما تدعوا إلى الاستعداد إلى اليوم الآخر يوم يقوم الناس لرب العالمين.

-تلفت السور المكية انتباه المتلقي إلى آيات الله وبديع خلقه للكون وعظم قدرته،والدعوة إلى الاستفادة من كل ذلك، والاستدلال به على كمال القدرة ووحدانية الله الخالق،وتفرده سبحانه وتعالى بالربوبية[2].

وبذلك تتميز السور المكية بقوة الأسلوب وشدة الخطاب لأن غالب المخاطبين معرضون مستكبرون،ولا يليق بهم إلا ذلك،فخوطبوا بما تقتضيه حالهم.

ح- ضوابط السور المدنية وعلاماتها:

-كل سورة مدنية فيها فريضة أو حد كالقصاص والسرقة والزنا والقذف، وقسم الميراث كما في سورة البقرة والنساء و النور.

-يذكر في السور المدنية المنافقون، عدا سورة العنكبوت فإنها سورة مكية إلا عشر آيات من أولها فهي مدنية، والتي ذكر فيها المنافقون —وقد رجح بعض الدارسين أن هذه الآيات

---

[1] محمد بن عبد الرحمان بن صالح الشايع: المكي والمدني في القرآن الكريم ، ص.ص 36-37-38.

[2] الصابوني (محمد علي): صفوة التفاسير ، دار الضياء،البليدة ، وقصر الكتاب المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،المجلد الثالث ، الجزائر،1990، ص 271.

مكية أيضا- وذلك لأن النفاق نشأ في المدينة عندما صار للمسلمين دولة وقوة، أصبحت تلك العاطفة تظهر ما لا تبطن،حيث لا يمكن المجاهرة بالرأي والمجابهة بالقوة فأصبحت تعمل بخبث وخيفة ففضحهم الله بأوصافهم الجسمية والنفسية.وتتمثل السور التي ذكر فيها المنافقون هي:البقرة،والنساء،والمائدة،والتوبة،والأحزاب،والحديد،والحشر،و المنافقون.

-كل سورة مدنية يذكر فيها "يا أيها الذين آمنوا".

-كل سورة مدنية يذكر فيها الجهاد والحث عليه،وبيان أحكامه، و قد ورد هذا في السور: آل عمران، النساء،والأنفال ،والأحزاب،والحديد،والحشر.

-في السور المدنية مجادلة أهل الكتاب.

-كل سورة ورد فيها اسم "عيس بن مريم"،وهو رد واضح على ضلال النصارى في تأليهه، أما ذكره باسم "عيسى" فقط ورد تسع مرات في القرآن المدني وثلاث مرات القرآن المكي.

- السور المدنيّة ذكر فيها لفظ"اليهود" بهذه الصيغة.و ذكروا بأربعة أسماء هي:

اليهود ، الذين هادوا،وقد ورد في عشرة مواضع ثمان منها في السور المدنية، و وردت لفظة "هودا" ثلاث مرات في سورة البقرة المدنية.و وردت لفظة "بني إسرائيل" (17) مرة في السور المدنية و(24) مرة في السور المكية.

- يذكر في السور المدنية لفظ "النصارى"، و قد ورد في أربع سور: البقرة (سبع مرات) و المائدة (خمس مرات)، و التوبة (مرة واحدة)، و الحج (مرة واحدة).

-كل سورة ذكر فيها الربا بالتعريف فهي مدنية.

-يذكر في السور المدنية الزنا ،حيث ذكر في أربع سور هي: النور(ست مرات)،الإسراء (مرة واحدة)،والفرقان (مرة واحدة) ، و الممتحنة (مرة واحدة).

-كل سورة نجد فيها لفظ الطلاق هي سورة مدنية، وقد ورد في القرآن الكريم أربع عشرة مرة في أربع سور وهي: البقرة، والأحزاب، و الطلاق، و التحريم.

-طول السور المدنية ،وذلك مراعاة لموضوعات النص القرآني وحاجة المخاطبين إلى التفصيلات (آيات الرضاع،الميراث،الصيام،الحج،الجهاد...).

-اختصاص السور المدنية بالنداء (يا أيها الذين آمنوا، يا أهل الكتاب،يا بني إسرائيل...)[1].

خ- الخصائص الموضوعية للسور والآيات المدنية:

- ذكر القضايا العقدية إجمالا تذكيرا بها وتأكيدا عليها لعظيم أثرها.

- التأكيد على الجهاد والترغيب فيه لمواجهة عناد الكفار، و تفصيل أحكامه، و ما يتعلق به من معاهدات وغنائم وأسرى وصلاة، وذكر آثاره في الدنيا والآخرة.

- فضح المنافقين وتصرفاتهم وبيان أصنافهم، وذكر أوصافهم النفسية والجسمية.

- إقامة الحجة على أهل الكتاب، وبيان كتمهم لما عندهم من العلم وتحريفهم لكتبهم، وبيان كذبهم وافترائهم على الله، وادعائهم بأنهم أبناء الله، وبأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، وأنهم هم من يدخل الجنة.

- العناية الكبيرة بالأحكام والتوجيهات المنظمة لجميع جوانب الحياة المختلفة [2].

و بذلك فقد اهتمت السور المدنية بتفصيل العبادات والمعاملات لأن المخاطبين بها قد تقرر في نفوسهم التوحيد وتثبت العقيدة، فهم بحاجة إلى تفصيل العبادات والمعاملات.

د- فائدة العلم بالمكي والمدني:

من فوائد العلم بالمكي والمدني تمييز الناسخ والمنسوخ فيما وردت آيتان أو آيات من القرآن الكريم في موضوع واحد ، وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفا للحكم في غيرهما، و إذا عرف أن بعضها مدني، فيتم الحكم بأن المدني منها ناسخ للمكي نظرا إلى تأخر المدني عن المكي.

ومن فوائد العلم بهما أيضا معرفة تاريخ التشريع و تدرجه الحكيم بوجه عام ،وذلك يؤدي إلى الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد، و كذلك الثقة بوصول القرآن إلينا سالما من التغيير والتحريف، و يدل على ذلك اهتمام المسلمين به كل الاهتمام ليدركوا ما نزل منه قبل الهجرة وما نزل بعدها، وما نزل بالحضر ،وما نزل بالسفر ،وما نزل ليلا وما نزل نهارا،وما نزل بالشتاء وما نزل بالصيف، وما نزل بالأرض وما نزل بالسماء.

---

[1] محمد بن عبد الرحمان بن صالح الشايع : المكي والمدني في القرآن الكريم ،ص .ص.ص 44-45-46.

[2] محمد بن عبد الرحمان بن صالح الشايع :المكي والمدني في القرآن الكريم،ص .ص. 52-53 .

ومم سبق نجد أن القرآن الكريم قام على رعاية حال المخاطبين ، فتارة يشتد وتارة يلين فيتجلى ما هو وعد و وعيد وما هو تسامح وتشديد ...

وقد ارتبط كثير من القرآن الكريم بوقائع وحوادث وأسئلة من شأنها أن تثير الانتباه إلى ما فيهامن إجابة ،وبذلك يتمكن الوحي الإلهي في النفوس والأذهان على مر الزمان وتغير المكان.

فقد كان القرآن الكريم ثورة كبيرة على الشرك والوثنية وعلى الشبهات التي تذرع بها أهل مكة وإصرارهم على الكفر والشرك بالله فأتاهم الله بكل دليل حتى يؤمنوا به وحده لا شريك له وفتح عيونهم على ما في أنفسهم من شواهد الحق، وعلى ما في الكون من أدلة ظاهرة تقودهم إلى الاعتراف بوحدانية الله وربوبيته، والإيمان بالبعث والجزاء العادل، فتحدث القرآن الكريم عن عاداتهم القبيحة كالقتل وسفك الدماء، ووأد البنات، وأكل أموال اليتامى ،فنبهّهم إلى ما في ذلك من أضرار حتى طهّرهم منها،وحبّب إليهم الإيمان والطاعة والعلم والرحمة واحترام الغير وبر الوالدين، وطهارة القلب إلى غير ذلك من أصول الأخلاق.

كما قص القرآن الكريم قصص الأنبياء والرسل والأمم التي سبقت لما في ذلك من مواعظ وعبر وإهلاك كل من يكفر بالله ورسله، ونصر كل من يؤمن بالله ويصدق رسله في كل مكان وزمان.

ومن خلال كل ما سبق سنحاول في الفصلين التطبيقيين المواليين دراسة أهم الآليات النحوية والمعجمية والتداولية ، و التي تبرز من خلالها وظيفة النص القرآني التي تضمن نصية النص القرآني المكي والمدني،وذلك بالتركيز على سورتي (طه والرحمان).

الفصـل الثالث

الوظيفة النصية وآليات التماسك النصي في سورة طه المكية

1- المستوى النحــوي.
2- المستـوى المعجـمي.
3- المستوى التــداولي.

الوظيفة النصية وآليات التماسك النصي في سورة طه:

بعد أن أنهينا الحديث عن أهم القضايا اللسانية التي قامت عليها اللسانيات الوظيفية واللسانيات النصية والتداولية عند الغربيين في أوروبا وأمريكا، وما قدمه اللغويون العرب من إسهامات كبيرة في مجال دراسة اللغة، سنحاول في هذين الفصلين التطبيقيين المتتابعين أن نركز على أهم الأفكار التي برزت في هذا الإطار المعرفي الواسع الذي يجمع بين الدراسات الغربية الحديثة والدراسات اللغوية العربية القديمة والحديثة التي تهتم بدراسة النص القرآني وتفسيره، وذلك من خلال ما قدمه علماء البلاغة العربية وعلماء التفسير..، وهذا سيتضح من خلال البحث عن الوظيفة النصية التي تضمن نصية النص، ودورها في تماسك النص القرآني المكي والمدني (سورتي طه والرحمان) وذلك باعتماد أهم الآليات التي تحقق ذلك داخل النص القرآني الذي تربطه شبكة من العلاقات الداخلية، كالعلاقات التركيبية والمعجمية، كما تربطه شبكة من العلاقات الخارجية كالنص والمرسل إليه والمرسل، وعلاقة كل ذلك بالسياق والنصوص الأخرى.

ويتطلب الوقوف على دور الوظيفة النصية في تماسك النص القرآني تجاوز حدود الجملة إلى بنية النص ككل والتي ترتبط بمرسل الفعل اللغوي ومتلقيه وقناة الاتصال بينهما وهدف النص (الرسالة)، وتحقيق الوظيفة التبليغية التواصلية التي تؤديها اللغة من خلال تفاعل كل هذه العناصر، وعلى هذا الأساس تم توزيع الدراسة التطبيقية على المستويات التالية: (المستوى النحوي،و المستوى المعجمي، والمستوى التداولي).

1- المستوى النحوي:

1-1- الإحالة:

الإحالة هي رابط مهم في النص يربط بين أجزائه المختلفة كما أسلفنا الذكر، وهي تخضع لقيود دلالية أكبر من القيود النحوية التركيبية لأنها تتطلب التطابق الدلالي بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه ليصبح النص عبارة عن نسيج متلاحم، وبناء محكم

متماسك، خاصة إذا تعلق الأمر بالنص القرآني.وهذا ما تعكسه حركة الإحالة في سورة طه المكية بأنواعها المختلفة.

ومن خلال العملية الإحصائية التي تم إجراؤها على سورة طه بالنسبة للإحالة الضميرية والموصولية والإشارية وجدنا أن: الإحالة الضميرية بأنواعها المختلفة القبلية والبعدية والمقامية، جاءت في المرتبة الأولى بنسبة 92.75% بتواترها (717) مرة، واحتلت الإحالة الموصولية المرتبة الثانية بنسبة 5.56% بتواترها (43)مرة ، وجاءت الإحالة الإشارية في المرتبة الثالثة والأخيرة بنسبة 1.68% بتواترها (13) مرة، لذلك سنركز على تحليل الإحالات حسب نسبة ورودها في السورة الكريمة.

1- 1-1 الإحالة الضميرية:

اختلفت حركية الضمائر بأنواعها المختلفة الظاهرة والمستترة والمتصلة والمنفصلة باختلاف الإحالات الداخلية والخارجية في السورة، وقد تعدد دور الضمير في الإحالة وذلك بإحالته إلى الكلمة المفردة (الاسم) وإحالته إلى الجملة، وإحالته إلى سلسلة من الجمل داخل السورة، كما يحيل إلى السياق الخارجي (غير اللغوي) للنص القرآني، ويمكن أن نوضح توزيع هذه الإحالات الضميرية وفق الجدول التالي:

رقم الآية	العنصر الإحالي	نوع الإحالة			العنصر المفترض أن يكون قابلا للتطابق مع العنصر الإحالي
		نصية		خارجية	
		قبلية	بعدية	مقامية	
01	طه			+	الرسول محمد صلى الله عيه وسلم
02	أنزلنا (نحن)			+	الله
02	عليك	+			الرسول صلى الله عليه وسلم طه
02	تشقى	+			الرسول صلى الله عليه وسلم
03	يخشى			+	هو (الناس)
04	خلق			+	الله(هو)
05	استوى	+			الرحمان (هو)

06	له	+			هو (الرحمن)
06	بينهما	+			السماوات والأرض
07	تجهر	+			الرسول صلى الله عليه وسلم (أنت)
07	إنه	+			الرحمان (هو)
07	يعلم	+			الرحمان (هو)
08	هو	+			الله
08	له	+			الله
09	أتاك	+			طه محمد صلى الله عليه وسلم
10	رأى	+			موسى (هو)
10	قال	+			موسى (هو)
10	أهله	+			موسى
10	أمكثوا	+			أهل موسى (أنتم)
10	إنى	+			موسى أنا
10		+			موسى أنا
10	لعلي	+			موسى أنا
10	آتيكم	+			أهل موسى (ثم)
10	منها	+			النار(هي)
10	أجد	+			موسى (أنا)
11	أتها	+			موسى (هو)
12	يؤدي	+		+	الله + موسى)
12	إنى			+	الله (أنا)
12	أنا			+	الله
12	ربك	+			موسى (الكاف)
12	اخلع	+			موسى أنت)
12	نعليك	+			موسى (الكاف)
12	إنك	+			موسى
13	أنا	+			الله

13	اخترتك	++			الله، موسى
13	استمع	+			موسى (أنت)
13	يوحى			+	الله الوحي (هو)
14	إنني		+		الله (أنا)
14	أنا		+		الله
14	أنا	+			الله
14	اعبدني	+			موسى (أنت)
14	أقم	+			موسى (أنت)
15	أكاد	+			
15	أخفيها	+			
15	تجزى		+		
15	تسعى	+			
16	يصدك	+			موسى
16	عنها	+			الساعة
16	يؤمن			+	الناس
16	بها	+			الساعة
16	اتبع	+			الناس
16	هواه	+			من الناس (هو)
16	تردى	+			من الناس (هو)
17	تلك			+	العصا
17	بيمينك			+	موسى الكاف
18	قال	+			موسى (هو)
18	هي		+		عصاي
18	أتوكأ	+			موسى (أنا)
18	عليها	+			العصا
18	أهش	+			موسى (أنا)
18	بها	+			العصا

18	غنمي	+			موسى (أنا)
18	لي	+			موسى أنا
18	فيها	+			العصا
19	قال	+			الله
19	ألقها	++			موسى + العصا (أنت)
20	ألقاها	++			موسى (هو) + العصا، حية
20	هي		+		حية
20	تسعى	+			حية
21	قال	+			الله
21	خذها	++			موسى + العصا (أنت)
21	تخف	+			موسى (أنت)
21	سنعيدها	+			الله – الحية (العصا)
21	سيرتها	+			العصا
22	اضمم	+			موسى (أنت)
22	يدك	+			موسى الكاف)
22	جناحك	+			موسى (الكاف)
22	تخرج	+			اليد (موسى)
23	لنريك	++			الله ،موسى
23	آياتنا	+			الله
24	اذهب	+			موسى
24	أنه	+			فرعون (الهاء)
24	طغى	+			فرعون (هو)
25	قال	+			موسى
25	اشرح	+			الله (أنت)
25	لي	+			موسى (أنا)
25	صدري	+			موسى
26	يسر	+			الله (أنت)

26	لي	+			موسى (أنا)
27	احلل	+			الله (أنت)
27	لساني	+			موسى (أنا)
28	يفقهوا	+			موسى
28	قولي	+			موسى
29	اجعل	+			الله (أنت)
29	لي	+			موسى
29	أهلي	+			موسى
30	/	/	/	/	/
31	أشدد	+			(أنت) الله
31	به	+			هارون (هو)
31	أزري	+			موسى (أنا)
32	أشركه	+ +			الله ، هارون
32	أمري	+			موسى
33	نسبحك	+			(موسى وهارون) – الله
34	نذكرك	+			(موسى وهارون) – الله
35	إنك	+			الله
35	كنت	+			الله
35	بنا	+			موسى وهارون
36	قال	++			الله
36	أوتيت	+			الله (موسى)
36	سؤالك	+			موسى
37	مننا	+			الله (نا)
37	عليك	+			موسى (الكاف)
38	أوحينا	+			الله
38	أمك			+	أم موسى
38	يوحي	+			الوحي (هو)

39	أقذفيه	+ +			أم موسى وموسى
39	يلقه	++			التابوت
39	يأخذه	+			التابوت
39	لي	+			الله
39	له	+			موسى
39	ألقيت	+			الله (أنا)
39	عليك	+			موسى
39	مني	+			الله (أنا)
39	تصنع	+			موسى (أنت)
39	عيني	+			الله (أنا)
40	تمشي		+		أخت موسى
40	أختك	+			موسى (أنت)
40	تقول	+			هي أخته موسى)
40	أدلكم	+		+	أنا (أخت موسى) قومه فرعون
40	يكلفه	+		+	موسى – قومه (ك)
40	رجعناك	+ +			الله (نحن ،موسى)
40	أمك	+			موسى
40	تقر	+			أم موسى
40	عينها	+			أم موسى
40	تحزن	+			أم موسى
40	قتلت	+			موسى
40	نجيناك	++			الله،موسى
40	فتناك	++			الله،موسى
40	لبثت	+			موسى
40	جئت		+		موسى
41	اصطنعتك	++			الله،موسى
41	نفسي		+		الله

42	اذهب	+			موسى(أنت)
42	أنت	+			موسى
42	أخوك	+			موسى (ك)
42	آياتي	+			الله
42	تنيا	+			موسى وهارون
42	ذكري	+			موسى وهارون
43	اذهبا	+			موسى وهارون
43	إنه	+			فرعون
43	طغى	+			هو فرعون
44	قولا	+			موسى وهارون (أنتما)
44	له	+			فرعون
44	لعله	+			فرعون
44	يتذكر	+			فرعون
44	يخشى	+			فرعون
45	قالا	+			موسى وهارون (هما)
45	ربنا	+			موسى وهارون (نا)
45	إننا	+			موسى وهارون (نا)
45	نخاف	+			موسى وهارون (نحن)
45	يفرط	+			فرعون (هو)
45	علينا	+			موسى وهارون
45	يطغى	+			فرعون (هو)
46	قال	+			الله
46	لا تخافا	+			موسى وهارون
46	إنني	+			الله
45	معكما	+			موسى وهارون
45	أسمع	+			الله (أنا)
46	أرى	+			الله

47	فأتياه	++			موسى وهارون – فرعون
47	قولا	+			موسى وهارون
47	إنا	+			موسى وهارون
47	ربك	+			فرعون (الكاف)
47	فأرسل	+			فرعون
47	معنا	+			موسى وهارون
47	بهم	++			فرعون –بنو إسرائيل
47	جئناك	++			موسى وهارون – فرعون (ك)
47	ربك	+			فرعون (ك)
47	اتبع			+	قوم موسى وكل الناس بعد ذلك
48	أنا	+			موسى وهارون
48	أوحي	+			الوحي
48	إلينا	+			موسى وهارون
48	كذب	+			قوم موسى وفرعون وجنوده
48	تولى	+			قوم موسى وفرعون وجنوده
49	قال	+			فرعون
49	ربكما	+			موسى وهارون
50	قال	+			موسى
50	ربنا	+			موسى وهارون (نا)
50	أعطى	+			الله (هو)
50	خلقه	+			الله
50	هدى	+			الله
51	قال	+			فرعون
52	قال	+			موسى
52	علمها	+			القرون الأولى
52	ربي	+			موسى (الياء)
52	لا ينسى	+			الله (هو)

53	جعل	+			الله (هو)
53	لكم	+			فرعون وقومه (خطاب عام)
53	سلك	+			الله
53	لكم	+			فرعون وجنوده
53	فيها	+			الأرض
53	أنزل	+			الله
53	أخرجنا	+			الله
53	به	+			الماء
54	كلوا	+			فرعون وقومه
54	ارعوا	+			فرعون وقومه
54	أنعامكم	+			فرعون وقومه
54	أولي			+	الناس أصحاب العقول السليمة من الناس
55	منها	+			الأرض
55	خلقناكم	++		+	الله – موسى وفرعون وكل الناس
55	فيها	+			الأرض
55	نعيدكم	++			الله – موسى وفرعون وكل الناس
55	منها	+			الأرض
55	نخرجكم	++			الله – موسى وفرعون وكل الناس
56	أريناه	++			الله (نا) – فرعون (الهاء)
56	آياتنا	+			الله
56	كلها	+			الآيات
56	كذب	+			فرعون (هو)
56	أبى	+			فرعون (هو)
56	قال	+			فرعون
56	أجئتنا	+			موسى – فرعون
56	تخرجنا	+			موسى – فرعون

57	أرضنا	+			مصر (أرض فرعون)
57	سحرك			+	موسى
58	فليأتيك	+ +			فرعون – موسى (ك)
58	مثله	+			السحر
58	اجعل	+			موسى (أنت)
58	بيننا	+			فرعون
58	بينك	+			موسى (ك)
58	نخلفه	+	+		فرعون + موعدا
58	نحن	+			فرعون
58	أنت	+			موسى
59	قال	+			موسى (هو)
59	موعدكم	+			قوم فرعون (كم)
59	يحشر		+		الناس
60	تولى	+			فرعون (هو)
60	جمع	+			فرعون
60	كيده	+			فرعون (الهاء)
60	أتى				موسى
61	قال		+		موسى (هو)
61	لهم	+			فرعون والسحرة
61	ويلكم	+			فرعون والسحرة
61	تفتروا	+			فرعون والسحرة
61	يس	++			الله – السحرة
61	خاب		+		من افترى
61	افترى	+			أهل السحر
62	فتنازعوا	+			السحرة
62	أمرهم	+			السحرة
62	بينهم	+			السحرة

62	أسروا	+			السحرة
63	قالوا	+			السحرة
63	يريدان	+			موسى وهارون
63	يخرجاكم	++			موسى وهارون، السحرة
63	أرضكم	+			فرعون وجنوده
63	سحرهما	+			موسى وهارون
63	يذهبا	+			موسى وهارون
63	طريقتكم	+			القوم ككل
64	أجمعوا	+			السحرة (أنتم)
64	كبيركم	+			السحرة (أنتم)
64	ائتوا	+			السحرة
64	أفلح		+		من استعلى
64	استعلى	+			من قهر صاحبه في هذه المواجهة
65	قالوا	+			السحرة
65	تلقى	+			موسى
65	نكون	+			السحرة
65	ألقى	+			السحرة
66	قال	+			موسى
66	ألقوا	+			السحرة
66	حبالهم				السحرة
66	عصيهم	+			السحرة
66	يخيل		+		من سحرهم
66	إليه	+			موسى
66	سحرهم	+			السحرة
66	أنها	+			عصيهم
66	تسعى	+			عصيهم (هي)
67	فأوجس		+		موسى (هو)

67	نفسه		+		موسى (الهاء)
68	قلنا	+			الله (التاء)
68	تخف	+			موسى (أنت)
68	إنك	+			موسى (ك)
68	أنت	+			موسى
69	ألقي	+			موسى (أنت)
69	يمينك	+			موسى (ك)
69	تلقف	+			العصا (هي)
69	صنعوا	+			السحرة
69	يفلح	+			السحرة
69	أتى	+			الساحر (هو)
70	فألقى		+		السحر (أنفسهم)
70	قالوا	+			السحرة
70	آمنا	+			السحرة (نحن)
71	قال	+			فرعون (هو)
71	آمنتم	+			السحرة
71	آذان	+			موسى
71	له	+			فرعون (أنا)
71	لكم	+			السحرة
71	إنه	+			موسى
71	كبيركم	+			السحرة
71	علمكم	+			السحرة
71	أقطعن	+			فرعون (أنا)
71	أيديكم	+			السحرة (كم)
71	أرجلكم	+			السحرة (كم)
71	أصلبنكم	++			فرعون – السحرة
71	تعلمن	+			السحرة

71	أينا	+			فرعون
72	قالوا	+			السحرة الذين آمنوا
72	لن نؤثرك	+			السحرة الذين آمنوا
72	جاءنا	+	+		السحرة (نا) البينات
72	فطرنا	++			الله (هو) – السحرة (نا)
72	اقض	+			فرعون (أنت)
72	أنت	+			فرعون
72	تقضي		+		الحياة الدنيا
73	إنا	+			السحرة الذين آمنوا
73	آمنا	+			السحرة الذين آمنوا
73	يغفر	+			ربنا
73	لنا	+			السحرة الذين آمنوا
73	خطايانا	+			السحرة الذين آمنوا
73	أكرهتنا	++			فرعون –السحرة (نا)
73	عليه		+		السحر (به)
74	إنه		+		من يأت ربه مجرما
74	يأت		+		الكافر، الخبيث، المجرم
74	ربه		+		الكافر
74	له	+			الكافر
74	لا يموت	+			الكافر
74	فيها	+			جهنم (الهاء)
74	لا يحى	+			الكافر
75	يأته	++			الذي يأتي ربه مؤمنا
75	عمل	+			المؤمن
75	لهم	+			المؤمنون
76	تجري		+		الأنهار
76	تحتها	+			الأنهار

76	تحتها	+			جنات عدن
76	فيها	+			جنات عدن
76	تزكى			+	المؤمن
77	أوحينا			+	الله
77	أسر	+			موسى يأمره الله
77	اضرب	+			موسى
77	لهم	+			عباد الله (بنو إسرائيل)
77	لا تخاف	+			موسى
77	لا تخشى	+			موسى
78	أتبعهم	+			موسى وقومه (هم)
78	جنوده	+			فرعون (الهاء)
78	غشيهم	+ +			فرعون وجنوده
79	أضل		+		فرعون
79	قومه	+			فرعون
79	ما هدى	+			فرعون
80	أنجيناكم	++			الله (نا) – بني إسرائيل (كم)
80	عدوكم	+			بنو إسرائيل في زمن الرسول (ص)
80	وعدناكم	++			الله يذكر بن إسرائيل بنعمته عليهم في زمن الرسول (ص)
80	نزلنا	+			الله (نا)
80	عليكم	+			بنو إسرائيل
81	كلوا	+			بنو إسرائيل (أنتم)
81	رزقناكم	+			الله –بنو إسرائيل (كم)
81	لا تطغوا	+			بنو إسرائيل
81	فيه	+			الطيبات
81	يحل		+		غضب الله
81	عليكم	+			بنو إسرائيل

81	يحلل		+		غضب الله
81	عليه	+			الذي حل عليه غضب الله
81	هوى				الذي حل عليه غضب الله
82	إني	+			الله
82	تاب	+		+	بنو إسرائيل وكل الناس
82	آمن	+		+	الذين يؤمنون بالله
82	عمل	+		+	الذين يؤمنون ويتوبون
82	اهتدى	+			الذين يؤمنون ويتوبون
83	أعجلك		+		موسى
83	قومك	+			موسى (ك)
84	قال	+			موسى
84	هم	+			قوم موسى
84	أثري	+			موسى
84	عجلت	+			موسى
84	إليك		+		الله
84	لترضى	+			الله
85	قال	+			الله
85	فإنا	+			الله
85	فتنا	+			الله
85	قومك	+			موسى
85	بعدك	+			موسى
85	أضلكم	+	+		السامري (هو) – بنو إسرائيل (هم)
86	فرجع		+		موسى
86	قومه	+			موسى (الهاء)
86	قال	+			موسى
86	يعدكم	+	+		الله – قوم موسى (كم)
86	ربكم	+			قوم موسى

86	أفطال		+		العهد
86	عليكم	+			قوم موسى
86	أردتم	+			قوم موسى
86	يحل		+		غضب
86	عليكم	+			قوم موسى
86	ربكم	+			قوم موسى
86	أخلفتم	+			قوم موسى
86	موعدي	+			موسى (أنا)
87	قالوا	+			قوم موسى
87	أخلفنا	+			قوم موسى
87	موعدك	+			موسى
87	ملكنا	+			قوم موسى
87	لكنا	+			قوم موسى
87	جعلنا	+			قوم موسى
87	قذفناها	++			قوم موسى – زينة القوم (ها)
87	ألقى		+		السّامري
88	أخرج	+			السّامري
88	لهم	+			قوم موسى
88	له	+			العجل
88	قالوا	+			القوم
88	إلهكم	+			(كم) قوم موسى
88	نسي	+			موسى
89	يرون	+			قوم موسى (كبراء القوم)
89	يرجع		+		يرد عليهم العجل وهو فاقد العقل
89	إليهم	+			قوم موسى
89	يملك	+			العجل
89	لهم	+			قوم موسى

90	قال	+			هارون
90	لهم	+			قوم موسى
90	فتنتم	+			قوم موسى
90	به	+			العجل
90	ربكم	+			قوم موسى
90	اتبعون	+			هارون
90	أطيعوا	+			القوم
90	أمري	+			هارون (أنا)
91	قالوا	+			قوم هارون وموسى
91	نبرح	+			قوم هارون وموسى
91	عليه	+			العجل
91	يرجع	+			موسى
91	إلينا	+			قومه
92	قال	+			موسى
92	منعك	+			هارون (ك)
92	رأيتهم	++			هارون – القوم
92	ضلوا	+			القوم
93	تتبعن	+			موسى
93	أفعصيت	+			هارون
93	أمري	+			موسى
94	قال	+			هارون
94	تأخذ	+			موسى (أنت)
94	لحيتي	+			هارون
94	رأسي	+			هارون
94	إني	+			هارون
94	خشيت	+			هارون
94	تقول	+			موسى

94	فرقت	+			هارون
94	ترقب	+			هارون
94	قولي	+			موسى
95	قال	+			موسى
95	خطبك		+		السامري
96	قال	+			السامري
96	بصرت	+			موسى
96	يبصروا	+			القوم
96	به	+			أثر الرسول
96	قبضت	+			السامري
96	فنبذتها	++			السامري –القبضة
96	سولت		+		نفسي
96	لي		+		نفسي
96	نفسي	+			السامري
97	قال	+			موسى
97	اذهب	+			السامري
97	لك	+			السامري
97	تقول	+			السامري
97	لك	+			السامري
97	تخلف	++			السامري – الموعد
97	وانظر	+			السامري
97	إلهك	+			السامري (ك)
97	ظلت	+			السامري
97	عليه	+			العجل (به)
97	نحرقنّه	+			موسى وهارون – العجل
97	ننسفنّه	++			موسى وهارون – العجل
98	إلهكم	++			قوم موسى

98	هو	+			الله
98	وسع	+			الله
99	نقص	+			الله (نحن)
99	عليك			+	محمد صلى الله عليه وسلم
99	سبق	+			الأنباء
99	آتيناك	++			الله – محمد
99	لدنا	+			الله
100	أعرض	+			الذي لم يؤمن
100	عنه	+			الذكر
100	إنه	+			الذي لم يؤمن
100	يحمل	+			الذي لم ؤمن
101	فيه	+			في اب الوزر
101	وساء	+			الذي لم يؤمن
101	لهم	+			الذين لم يؤمنوا
102	ينفخ	+			يأمر الله اسرافيل بالنفخ في الصور
102	نحشر	+			الله (نحن)
103	يتخافتون	+			المجرمين
103	بينهم	+			المجرمين
103	لبثتم	+			المجرمين
104	نحن	+			الله
104	يقولون	+			المجرمين
104	يقول		+		أعد لهم طريقة
104	أمثلهم	+			أعد لهم
104	لبثتم	+			أعد لهم
105	يسألونك	+		+	المنكرون يوم البعث يسألون رسول الله محمد (ص)
105	قل	+			محمد صلى الله عليه وسلم

105	ينسفها	++			الله الجبال
106	يذرها	++			الله الجبال
107	ترى			+	لغير معين يخاطب به الرسول صلى الله عليه وسلم
107	فيها	+			الجبال
108	يتبعون			+	الناس بعد القيام من القبول
108	له	+			الداعي إلى المحشر بصوته إسرافيل
108	خشعت	+			الأصوات
108	تسمع		+		أقدام كل الناس في نقلها إلى المحشر
109	تنفع			+	الشفاعة
109	أذن		+		الرحمان
109	له		+		الناس
109	رضي	+			من أذن له الشافع الرحمان وهو
109	له	+			الناس
110	يعلم	+			الرحمان
110	أيديهم	+			الناس
110	خلفهم	+			الناس
110	يحيطون	+			الناس
110	به	+			الله
111	عنت		+	+	الوجوه (المجرمين والخلائق)
111	خاب		+		من حمل ظلما
111	حمل		+		حمل ظلما
112	يعمل			+	المتقين
112	هو		+		مؤمن
112	لا يخاف	+			هو المؤمن
113	أنزلناه	+	+		الله أنزل القرآن
113	صرفنا	+			الله

113	فيه	+			القرآن
113	لعلهم			+	من تقدمهم من الأمم
113	يتقون	+			من تقدمهم من الأمم
113	يحدث	+			لقرآن
113	لهم	+			الأمم السابقة
114	تعالى		+		الله
114	تعجل		+		الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
114	يقضي		+		وحي القرآن
114	إليك			+	الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
114	وحيه	+			القرآن
114	قل			+	محمد صلى الله عليه وسلم
114	زدني	+			محمد صلى الله عليه وسلم
115	عهدنا	+			الله
115	نسي	+			آدم عليه السلام
115	نجد	+			الله
115	له	+			آدم
116	قلنا	+			الله
116	اسجدوا	+			الملائكة
116	سجدوا	+			الملائكة
116	أبى	+			إبليس
117	قلنا	+			الله
117	لك	+			آدم
117	زوجك				(ك) حواء زوجة آدم
117	يخرجنكما	++			إبليس – آدم وحواء
117	تشقى	+			آدم
118	لك	+			آدم
119	تجوع	+			آدم

119	فيها	+			الجنة
119	تعرى	+			آدم
119	أنك	+			آدم
119	تضمؤ	+			آدم
119	فيها	+			الجنة
119	تضحى	+			آدم
119	وسوس		+		الشيطان
120	إليه	+			آدم
120	قال	+			الشيطان
120	أدلك	++			الشيطان – آدم
120	يبلي	+			الملك
121	أكلا	+			آدم وحواء
121	منها	+			شجرة الخلد
121	بدت		+		سوءاتهما
121	لهما	+			آدم وحواء
121	سوءاتهما	+			آدم وحواء
121	طفقا	+			آدم وحواء
121	يخصفان	+			آدم وحواء ينزعان ورق التين ويستران به أنفسهما
121	عليهما	+			آدم وحواء
121	وعصى	+			آدم
121	ربه	+			آدم
121	غوى	+			آدم
122	اجتباه	+	+		الله – آدم
122	ربه	+			آدم (به)
122	تاب	+			الله (ربه)
122	عليه	+			آدم

122	هدى	+			الله
123	قال	+			الله
123	اهبطا	+			آدم وحواء
123	منها	+			الجنة
123	بعضكم	+		+	آدم وذريته وإبليس وذريته
123	يأتينكم	+			آدم وذريته وإبليس وذريته
123	مني	+			الله
123	اتبع	+			آدم وذريته
123	هداتي	+			الله (ي)
123	لا يضل	+		+	آدم وذريته
123	لا يسعى	+		+	آدم وذريته
124	أعرض	+		+	آدم وذريته
124	ذكري	+			الله
124	له	+		+	آدم وحواء
124	نحشره	++		+	الله (نحن) – ذريته آدم (هـ)
125	قال			+	الذي أعرض عن ذكر الله
125	حشرتني	+			الذي أعرض عن ذكر الله
125	كنت	+			الذي أعرض عن ذكر الله
126	قال	+			الله
126	أتتك	+	+		آياتنا –الذي أعرض عن ذكر الله
126	آياتنا	+			الله (نا)
126	نسيتها	++			الذي أعرض عن ذكر الله ، والآيات
126	تنسى	+			الذي أعرض
127	نجزي	+			الله
127	أسرف	+			الذي كذب بآيات الله في الدنيا
127	لم يؤمن	+			الذي كذب بآيات الله في الدنيا
127	ربه	+			الذي أسرف ولم يؤمن

128	يهد	+			الله
128	لهم	+			المكذبين
128	أهلكنا	++			الله
128	قبلهم	+			الأمم التي سبقت والتي كذبت بالرسل
128	يمسحون	++			بنو إسرائيل وأهل مكة في زمن الرسول (ص)
128	مساكنهم			+	ديار الأمم السابقة الخالية على عروشها
128	سبقت	++			كلمة
129	ربك	+			محمد صلى الله عليه وسلم (ك)
130	اصبر		+		محمد صلى الله عليه وسلم
130	يقولون	+			المكذبين من أهل مكة
130	سبح	++			الله يأمر محمد صلى الله عليه وسلم بالتسبيح
130	ربك	+			محمد صلى الله عليه وسلم
130	سبح	+			محمد صلى الله عليه وسلم
130	لعلك	+			محمد صلى الله عليه وسلم
130	ترضى	+			محمد صلى الله عليه وسلم
131	لا تمدن	+			محمد صلى الله عليه وسلم
131	عينيك	+			محمد صلى الله عليه وسلم
131	متعنا	+			الله
131	به	+			النعم
131	منهم	+			الأغنياء
131	تفتنهم	+			الله – الأغنياء
131	يه	+			النعم
131	ربك	+			محمد صلى الله عليه وسلم
132	أمر	+			محمد صلى الله عليه وسلم

132	أهلك	+			محمد صلى الله عليه وسلم
132	اصطبر				محمد صلى الله عليه وسلم
132	عليها				الصلاة
132	نسألك	+ +			الله – محمد
132	نحن	+			الله
132	نرزقك	+ +			الله محمد
133	قالوا			+	الكفار
133	يأتينا	+ +			محمد – الكفار (به)
133	ربه	+			محمد صلى الله عليه وسلم
133	تأتيكم		+		بينة الكفار
134	أنا	+			الله
134	أهلكناهم	+ +			الله – الكفار
134	قيمة	+			الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
134	قالوا	+			الكفار
134	ربنا	+			الكفار
134	أرسلت	+			ربنا
134	إلينا	+			الكفار
134	نتبع	+			الكفار
134	آياتك	+			الله
134	نذل	+			الكفار
134	تجزي	+			الكفار
135	قل			+	محمد صلى الله عليه وسلم
135	تربصوا			+	كل الناس
135	ستعلمون	+			الناس كافة
135	اهتدى	+			نحن الناس

جدول رقم –5–

نلاحظ من خلال الجدول سيطرة الإحالة الضميرية النصية القبلية على الإحالة النصية البعدية والإحالة المقامية (الخارجية)، حيث جاءت الإحالة القبلية في المرتبة الأولى بتواترها (612)مرة بنسبة 79.17% وذلك بالنسبة إلى مجموع كل الإحالات (الضميرية – الموصولة – الإشارية) ، وجاءت الإحالة النصية البعيدة في المرتبة الثانية بتواترها (56) مرة بنسبة 7.24 %، وجاءت الإحالة المقامية الخارجية في المترتبة الثالثة والأخيرة بتواترها (49) مرة بنسبة 6.33% وهي بنسبة تتقارب مع نسبة الإحالة البعدية.

ارتبطت الإحالات الضميرية القبلية والعبدية بالإحالة المقامية في كثير من الأحيان مما زاد في تماسك السورة داخليا وخارجيا وجعلها منسجمة مع مقامها الخارجي.

تتجه مرجعية كل الإحالات نحو تثبيت عقيدة التوحيد في النفوس في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم و في كل عصر.

تساهم الضمائر بكل أنواعها في الربط بين أجزاء سورة طه، التي تعالج موضوع العقيدة، وهي الرسالة التي كلف بها الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، فالله وحده المعبود لا شريك له. وهذا يرتبط بكشف ما تخفيه النفس البشرية وأخبار الغيب والقيامة عن طريق إرسال الرسل في الأزمنة المختلفة.

و هذا ما يستدعي نظرة كلية تشمل أبعاد السورة المختلفة وهو أمر يحتاج إلى كثير من التأني في القراءة والتأمل والفهم، وذلك من أهم عناصر التحليل النصي.

وبناء على هذا فإن الإحالات التي تم رصدها تتوزع في السورة على أربعة محاور دلالية كبرى و هي:

-الإحالة إلى الله سبحانه وتعالى

-الإحالة إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

-الإحالة إلى قصة موسى عليه السّلام

-الإحالة إلى قصة آدم عليه السّلام.

أ- الإحالة إلى الله سبحانه وتعالى:

تعالج سورة طه موضوع العقيدة الأول وهو الربوبية، فالله سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة. و قد ساهمت الإحالة الضميرية في إبراز ذلك، حيث شكلت الضمائر تماسكا دلاليا وتركيبيا في السورة الكريمة، فجاءت الآيات متماسكة ومتلاحقة تشد بعضها بعضا.

وتبدأ الإحالات من البسملة فهي جزء لا يتجزأ من سورة طه،إذ تحتوي "بسم الله الرحمان الرحيم" على الإحالات الضميرية بواسطة الضمير المقدر (هو الرحمان الرحيم)، ثم برز دور الضمائر الظاهرة المتصلة والضمائر المستترة في الكلمات التالية : (أنزلنا (نا)،خلقنا (هو) –الرحمان- هو – هو – إنه- هو – له - فيسحتكم – نودي – أنا – أنا – ربك – أنا – اخترتك –يوحي- إنني – أنا – أنا – أنا –أكاد – قلنا- قال – قال- سنعيدها – نريك – آياتنا – فطرنا – يغفر – أبقى – اشرح – أحلل – أجعل – إنك - كنت – قال أوحينا – أنجيناكم – وعدناكم –نزلنا – رزقناكم – إني- مننا – أوحينا – لي – ألقيت – مني – عيني – رجعناك – نجيناك – فتناك – اصطنعتك – نفسي - يتأتى - ذكري – إنني – أسمع – أرى – أوحي – أعطى – هدى - لا ينسى – سلك – أنزل – أخرجنا – خلقناكم – نعيدكم – نخرجكم – أريناه – آياتنا- يسحتكم – يغفر – يأته- أوحينا – بعبادي – أنجيناكم – واعدنا كم – نزلنا –رزقناكم – غضبي – غضبي – إني – ترضى – قال – إنا – فتنا – الرحمان – هو – وسع – نقص – آتيناك – لدنا – ينفخ – نحشر – نحن – يدرها – أذن – له – رضي – يعلم – أنزلناه – صرفنا – يقضي – عهدنا – نجد – قلنا – قلنا- اجتباه – تاب – هدى – قال – مني – هداي – ذكري – نحشره – قال –آياتنا – نجزي – أهلكنا – متعنا – نفتنهم – نسألك – نحن – نرزقك – أنا – أهلكناهم).

تحيل كل الضمائر في هذه الكلمات إلى الله سبحانه وتعالى، الذي أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم القرآن رحمة للعالمين، وهو معجزة تختلف عن معجزات الرسل

السابقين التي خرقت قوانين الكون، وأثبتت أن الذي جاءت على يديه رسول صادق من الله تعالى.

ومن خلال ذلك تتطور فكرة النص من البداية إلى النهاية محققة التماسك الشكلي والدلالي.

ولنتأمل هذه الضمائر على مستوى السورة، ومرجعيتها إلى الله، والتي تبرز في الآيات التالية:

– قال الله تعالى: " مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) ".

يحمل الفعل (أنزلنا) في بنيته الضمير المتصل (نا) الذي يعود على المتكلم وهو الله سبحانه وتعالى، وهي إحالة ضميرية مقامية لأن لفظ الجلالة لم يذكر في السياق اللغوي للسورة صراحة، فهي تحيل إلى السياق الخارجي للنص القرآني لأن الله يوجه خطابه للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ويقول له يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب من طول قيامك بصلاة الليل أي خفق عن نفسك.

فلما أنزل الله القرآن الكريم على رسوله، قام به هو وأصحابه فقال المشركون من قريش: ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشقى فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة في سورة طه.[1]

وقيل أن أبا جهل والنظر بن الحرث قالا له: إنك شقي لأنك تركت دين آبائك، بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز، والسبب في درك السعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها.[2]

ووقوع الفعل " أنزلنا" في سياق النفي يقتضي عموم مدلوله، لأن الفعل في سياق النفي بمنزلة النكرة في سياقه وعموم الفعل يستلزم عموم متعلقاته من مفعول ومجرور، فيعم نفي جميع كل إنزال للقرآن الكريم فيه شقاء له، ونفى كل شقاء يتعلق بذلك الإنزال أي لا يكون إنزال القرآن سببا في شيء من الشقاء للرسول صلى الله عليه وسلم.[3]

---

[1] ابن كثير: تفسير القران العظيم،دار البصائر،الجزائر،ودار الحديث القاهرة،المجلد الثالث(الإسراء – يس)،ص 167.

2 الزمخشري (محمود بن عمر):الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،دار الكتاب العربي،ط3، ج3،لبنان،1407هـ ،1987 ، ص50.

[3] ابن عاشور(محمد الطاهر): تفسير التحرير و التنوير،دار سحنون للنشر والتوزيع،الجزء16،تونس،ص ص185،184.

–قال تعالي: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8) ".

يتواصل الربط الضميري الإحالي المتصل والمنفصل، فنجد الضمير المفصل (هو) على تقدير (هو الرحمان) يحيل إحالة نصية بعدية إلى لفظ (الرحمان)، وكذلك الضمير المستتر في الفعل (استوى) يحيل إلى الرحمان إحالة قبلية، والاستواء هو الاستقرار، والعرش عالم عظيم من العوالم العليا فقيل هو أعلى سماء من السماوات وأعظمها، فذكر الاستواء لتصوير عظمة الله تعالى وسعة سلطانة[1].

وتستمر الإحالة الضميرية إلى الله تعالى بواسطة الضمير المتصل الهاء في (له) في قوله تعالى: (له ما في السماوات) وهي إحالة قبلية نصية" للرحمان"في الآية السابقة (الآية:5)، أي الجميع ملكه تعالى وفي قبضته، وتحت تصريفه ومشيئته وإرادته وحكمه، وهو خالق السماوات والأرض، وما تحت الثرى. وكذلك يشير الضمير في (فإنه) في قوله تعالى:
"**وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى**" إلى "الرحمان" إحالة قبلية، فالضمائر واضحة المرجع، حيث تحيل إلى الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى من السر في الأحوال التي يجهر فيها القائل بالقول لإسماع مخاطبة، أي فهو لا يحتاج إلى الجهر لأنه يعلم السر وأخفى[2].
وقال ابن عباس: السر ما حدّث به الإنسان غيره في خفاء، وأخفى منه ما أضمر في نفسه مما يحدث به غيره[3].

ويتكامل المعنى مع قوله تعالى في (الآية: 110) من سورة طه " **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما**" أي أن الله تعالى يعلم أسرار العباد وأخفى ما يعلمه سبحانه عنهم[4]، مما يجعل هذه الآيات تتماسك دلاليا وشكليا من بداية السورة إلى نهايتها.

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر) : المصدر السابق، ص187.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر) : المصدر نفسه، ص189.

[3] القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):التفسير الجامع لأحكام القران،المجلد11،ص170.

[4] الألوسي البغدادي(أبو الفضل شهاب الدين محمود):روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية، المجلد 8،دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، لبنان،1415هـ،1994، ص478 .

وإذا نظرنا إلى (الآية :08): "**الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى**" وجدنا الضمير المنفصل (هو) يحيل إلى لفظ الجلالة (الله) في الآية نفسها إحالة نصية قبلية، وكذلك هي إحالة قبلية إلى لفظ (الرحمان) في (الآية :5) مما يساهم في تماسك الآيات الكريمة والتحامها وتضافرها.

ويعود الضمير المتصل في (له) على (الله) في الآية نفسها، وهو يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى مختص بالألوهية ، فإن ما أسند إليه عز شأنه من خلق جميع الموجودات، والعلو اللائق بشأنه على جميع المخلوقات بيان واضح لكون ما ذكر من الخالقية وغيرها من أسماءه تعالى وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى[1].

-قال تعالى: " إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) ".

يحيل الضمير المتصل في (إني) إحالة نصية بعدية إلى الضمير المنفصل (أنا) وإلى (ربك)، وهذا يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى يخبر موسى عليه السلام بالواد المقدس طوى بأن الذي يكلمه ويخاطبه هو الله الذي اختاره، وهو ما يتضح في قوله (أنا، اخترتك) عن طريق الإحالة بواسطة الضمير المنفصل (أنا) والضمير المتصل (ت) بالفعل .ويتواصل التماسك النصي عن طريق الضمائر في هذه الآيات، بحيث يحيل الضمير المتصل في (إنني) والمنفصل في (أنا) إحالة بعدية إلى لفظ الجلالة (الله) المذكور بعدها مباشرة، كما يحيل

[1] *الألوسي البغدادي (أبو الفضل شهاب الدين محمود):المصدر نفسه،ص479*

الضمير المنفصل الثاني (أنا) إحالة قبلة إلى لفظ الجلالة (الله) فقد اختار سبحانه وتعالى رسوله موسى عليه السلام من جميع الناس من الموجودين في زمانه فقيل أن الله تعالى قال، يا موسى أتدري لما خصصتك بالتكليم من بين الناس؟ قال: لا ،قال: لأني لم يتواضع لي أحد تواضعك. وقوله: " فاستمع لما يوحي" أي: استمع الآن ما أقول لك وأوحي إليك " إنني أنا الله لا إله إلا أنا" فهذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وقوله " فاعبدني" أي وحدني وقم بعبادتي " وأقم الصلاة لذكري" وقيل : صل لتذكرني وقيل معناه أقم الصلاة عند ذكرك لي[1].

ويحيل الضمير المستتر في (أكاد) إلى الله سبحانه وتعالى حيث يشير قوله تعالى " إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى"(الآية :15) إلى أن الله لا يطلع أحدا غيره على وقت الساعة، حيث قال السدي: ليس أحد من أهل السماوات والأرض إلا قد أخفى الله تعالى عنه علم الساعة[2]، فالله سيقيمها لا محالة لتجزي كل نفس بما قدمت.

-قال تعالى: "قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) ...قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) ... لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23) ... قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) ...وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35)".

يحيل الضمير المستتر في الكلمات (قال – قال سنعيدها -نريك (نحن) – اشرح(أنت)– يسر(أنت) – أحلل (أنت) –اجعل (أنت) – أشركه (أنت) –كنت (أنت)) إلى الله سبحانه وتعالى إحالة قبلية مما يزيد في ربط أجزاء السورة وآياتها حتى وإن لم تكن

---

[1] ابن كثير: تفسير القران العظيم،المجلد الثالث، ص179.

[2] ابن كثير: المصدر نفسه،ص 180.

متجاورة كما يساهم الضمير المتصل في (آياتنا –نسبحك (ك) نذكرك (ك)) في تماسك الآيات الكريمة وترابطها.

وتشير هذه الضمائر بأنواعها المختلفة إلى طلب الله سبحانه وتعالى من موسى عليه السلام أن يلقي عصاه التي صارت حية تسعى، فإذا هي تهتز كأنها جان، كما جاء في قوله تعالى في سورة الأعراف: " فإذا هي ثعبان مبين " الأعراف(الآية :107) وقوله تعالى في سورة النمل والقصص: " فلما رآها تهتز كأنها جان " (النمل الآية :10 – القصص الآية :31).

وهذا الأمر الذي صدر من الله عز وجل في تحويل العصا حية تسعى،جعل موسى عليه السلام يخاف، فقال تعالى:" سنعيدها " أي :العصا إلى حالتها الأولى، وهو استئناف مسوق لتعليل الامتثال بالأمر والنهي، فإن إعادتها إلى ما كانت عليه من موجبات أخذها وعدم الخوف منها فهي إظهار لمعجزة أخرى على يده عليه السلام وإيذانا بكونها معجزة إلى فرعون الذي طغى في البلاد[1].

ولقد دعّم الله تعالى موسى بآية أخرى تتجلى من خلال قوله تعالى: "واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى" (الآية : 22) أي ألصق يدك اليمنى التي كنت ممسكا بها العصا؛ وذلك بأن يدخلها في جيب قميصه حتى تصل بشرة جنبه ، ثم دعا موسى عليه السلام الله سبحانه وتعالى وهو يحاوره أن يشرح صدره، لأن الله وحده هو القادر على إزالة ما في نفسه من خواطر تجعله يتردد في القيام بمهمته، فطلب منه أن ييسر أمره أي شأنه وأن يرزقه فصاحة التعبير بأن يحلل عقدة من لسانه وأن يجعل له هارون وزيرا له يشدد به أزره وهو ظهره ورمز قوته ليساعده على دعوته التي تشمل التعريف بالله وصفاته وإدخال الأمة في حضرة الإيمان بالله وحده لا شريك له.

-قال تعالى: " إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ

[1] الألوسي البغدادي(أبو الفضل شهاب الدين محمود): روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، ص492 .

مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41) اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) ".

ترتبط هذه الآيات المتجاورة ارتباطا وثيقا شكلا ودلالة، فقد ساهمت الضمائر التي تحيل إلى الله سبحانه وتعالى في تحقيق التماسك النصي الداخلي بين الآيات، فوردت الضمائر المحلية في الكلمات الآتية: (قال – مننا – أوحينا – يوحى – لي – ألقيت – مني – لتصنع – عيني – رجعناك – فتناك– اصطنعتك – نفسي – آيتي – ذكرى) وهي إحالات مستمرة مرتبطة باستمرار المحاورة مع موسى عليه السلام، حيث بين الله له منّته عليه، ورعايته قبل سؤاله.

فقد اصطفاه الله تعالى بهذه الرسالة، وهو سيكون مؤيدا في كل أحواله منذ أن كان رضيعا إذ أوحى الله لأمه أن تضعه في صندوق (تابوت) ثم تقذفه في البحر، و قد سخر الله اليم لأن يلقيه بالساحل، ولا يبتعد به إلى مكان بعيد، وهذا الساحل معهود يقصده آل فرعون للسباحة[1].

فأخذه عدو الله فرعون، وهو ما دل عليه الضمير المتصل بحرف الجر (لي)، وذلك لأن فرعون انتحل الألوهية لنفسه، وهو عدو موسى عليه السلام أيضا في المستقبل.فبعد أن أوحى الله لأمه ما يضمن سلامته من القتل لأن فرعون عزم أن يقتل أبناء بني إسرائيل، وألقى الله عليه محبته وهي محبة خارقة للعادة إذ تقول امرأة فرعون: " عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا"، مع قولها " قرة عيني لي ولك"[2].

ويشير الضمير المتصل في (**عيني**) إلى أن أخت موسى مريم بنت عمران تمشي بمرأى من الله إلى آل فرعون فتقول هل أدلكم على من يكفله أي يضمه إليه فردّه الله إلى أمه بعد

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر) : تفسير التحرير و التنوير،ص216.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر): المصدر نفسه،ص217.

أن رفض كل المراضع: " فرجعناك إلى أمك" ولم يقبل موسى إلا ثدي أمه لما دلتهم عليه أخته، لكي تقر عينها برؤيته ولا تحزن، ويحيل الضمير المتصل بالفعل (نجيّناك) إلى الله في قوله تعالى: "وقتلت نفسا فنجيناك" إلى أنّ الله خلّصه من الغم.

وكذلك يحيل الضمير المتصل (نا) في قوله تعالى " وفتناك فتونا" إلى الله سبحانه وتعالى، الذي اختبر موسى عليه السلام اختبارا. وعن ابن عباس تعني : بلاء على بلاء وعن مجاهد أخلصناك إخلاصا[1].

وتستمر الإحالة إلى الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات المتجاورة المترابطة بواسطة الإحالات النصية الضميرية والتي تتوسع من حيث الانتشار في السورة الكريمة من بدايتها إلى نهايتها وهي تساعد في الانتقال من معنى إلى معنى آخر، فنجد الله سبحانه وتعالى يشير بقوله: " واصطنعتك لنفسي" (طه: 41) إلى أنه اصطفى موسى عليه السلام لوحيه ورسالته، وقيل قويتك وعلمتك لتبلّغ عبادي أمري ونهي، وقوله: " ولا تنيا في ذكري"،قال ابن عباس: المراد أنهما لا يفتران في ذكر الله، بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون، ليكون ذكره تعالى عونا لهما عليه وقوة لهما وسلطانا كاسرا له، وهو الرجوع إلى الهدف والمقصد بعد هذه المحاورة.

-قال الله تعالى: " قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46)... إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48)... قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)... قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53)... مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55)".

---

[1] الخطيب التبريزي (أبو زكريا يحي بن علي بن محمد بن الحسن):الملخص في إعراب القران،تحقيق يحي مراد،دار الحديث، القاهرة ،مصر،ص236.

نجد في هذه الآيات الكريمة سلسلة من الإحالات النصية القبلية التي تعود إلى مرجع واحد وهو الله سبحانه وتعالى ،الذي يخاطب موسى عليه السلام رسوله إلى فرعون الذي طغى وتجبر، فتكرار هذه المرجعية الضميرية الداخلية يجعل الآيات تترابط وتتلاءم شكلا ودلالة حتى وإن لم تكن الآيات متجاورة فالأحداث فيها مترابطة ومتعاقبة، وهو ما يحقق التماسك النصي للنص القرآني (طه) الذي يركز على هدف واحد وهو تثبيت عقيدة توحيد الله في النفوس.

وتتمثل الكلمات المحلية بواسطة الضمائر في هذه الآيات في: (قال (هو) – إنني (أنا)– أسمع (أنا) أوحى (الله) – أعطى (هو) – خلقه (هو) – لا يضل (ربي)، لا ينسى (هو) – جعل (هو) – سلك (هو) – أنزل (هو) – أخرجنا (نحن) خلقناكم (نحن) – نعيدكم (نحن) – نخرجكم (نحن)).

فكل هذه الإحالات هي تفصيل لما أخبرنا الله به عن موسى وهارون عليهما السلام، لأنهما قالا مستجيرين بالله تعالى شاكين إليه:" إننا نخاف أن يفرط علينا أو يطغى" (الآية: 45).

فقال الله لهما لا تخافا منه فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، وقد أخبر الله موسى وهارون فيما أوحاه إليهما من الوحي المعصوم أن العذاب متمخض لمن كذّب بآيات الله وتولّى عن طاعته، ويخبرنا الله تعالى عن فرعون بأنه قال لموسى منكرا وجود الخالق إله كل شيء وربه ومليكه، فأجابه موسى بأن الله أعطى كل شيء صورته، جعل الإنسان إنسانا، والحمار حمارا والشاة شاة... فقد أعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه؛ ولهذا بدأ يحتج بالقرون الأولى أي الذين لم يعبدوا الله، فأخبره موسى بأن عملهم مضبوط عند الله تعالى و سيجزيهم بعملهم في كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ: " **لا يضل ربي ولا ينسى**" أي لا يشذ عنه شيء ولا ينسى شيئا فهو بكل شيء محيط. فالله هو الذي جعل الأرض مهادا وأسْلك فيها سبلا أي جعل سبلا سالكة في الأرض أي داخلة فيها وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرج به النبات؛ ومعنى (أزواجا) ضروبا

وأشباها أي: أصنافا من النبات المختلفة الأزواج والألوان وقال الأخفش: التقدير أزواجا شتى من نبات[1].

---

[1] القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):التفسير الجامع لأحكام القران،المجلد11،ص209.

ويشير الضمير (نحن) في" خلقناكم" إلى الله الذي خلق آدم عليه السلام من تراب الأرض، التي سيعيدنا إليها مرة أخرى " وفيها نعيدكم" ثم " منها نخرجكم تارة أخرى" لأن الأرواح ترد مرة أخرى للحساب يوم تقوم الساعة وهذا دليل على قدرته تعالى وهيمنته وامتلاكه كل شيء ،وهو ما يساهم في تثبيت عقيدة المسلم، القضية الأساسية التي تناقشها السورة شأنها شأن القرآن المكي، فقد شاركت كل الضمائر في تحقيق التماسك النصي وإبراز هذه القضية.

–قال تعالى: " وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56)... قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61)... قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68)... قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73)... وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77)... يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (81) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (82)... قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) ... إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98)".

تعود كل الضمائر المتصلة والمنفصلة والمستترة في هذه الآيات الكريمة إلى الله سبحانه وتعالى، وهي كلها إحالات نصية داخلية قبلية، وتتجلى في الكلمات التالية: (أريناه (نحن – آياتنا (نحن) – يسحتكم (هو) – قلن (نحن) – يغفر (هو) أوحينا (نحن) – عبادي (أنا) – أنجيناكم (نحن)، واعدنا كم (نحن) – نزلنا (نحن) – رزقناكم (نحن) –غضبي (أنا) – غضبي (أنا) – إني (أنا) – ترضى (أنت) – قال (هو) – فإنا (نحن) فتنا 'نحن) – هو – وسع (هو)).

تتجه مرجعية الضمائر (المتكلم – المخاطب – الغائب) إلى اتجاه واحد، إذ تعود إلى الله سبحانه وتعالى، إذ تمثل الإحالة الكبرى في سورة طه المكية، وهي تمثل أيضا النواة الأساسية التي يدور حولها النص القرآني (سورة طه).

وقد ساهمت كلها في الانتقال من حدث إلى حدث آخر ،كما ساهمت في الربط بين الأحداث المتتالية في السورة مما يؤدي إلى تماسك أجزائها والتحامها.

ومع استمرار الحديث عن موسى عليه السلام، يتبين لنا ما حدث لفرعون بعد أن قامت عليه كل الحجج والدلالات فكذّب وأبى.

وقد أوحى الله لموسى عليه السلام أن يسري بعباده، فضرب لهم طريقا يابسا في البحر لا طين فيه ولا ماء لينجيهم من قبضة فرعون، وأغرق الله فرعون ومن معه.

ونلاحظ بعد ذلك غموضا في مرجعية الضمائر التي وردت في الكلمات (أنجيناكم – واعدناكم – نزلنا – رزقناكم–غضبي)، فمن الواجب الرجوع إلى البيئة المحيطة بالنص القرآني (طه) ونزوله، أي العودة إلى المقام الخارجي للنص، فنجد أن هذه الإحالات الضميرية التي تحيل إلى الله سبحانه وتعالى تبين لنا أنه يخاطب بني إسرائيل في زمن نزول السورة أي زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يذكّر الله بني إسرائيل بالنعم التي أنعم بها عليهم فقدم ذكر النعمة العظيمة التي تتمثل في خلاصهم من استعباد الكفرة.

ويشير الضمير المتصل في (نزلنا) في قوله تعالى : "نزلنا عليكم المن والسلوى" إلى أن الله يخاطبهم بأن نزّل عليهم الترنجبين والسماني حيث كان ينزل عليهم المنّ وهو في التيه

مثل الثلج من الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع وبعث الجنوب عليهم السماني فيأخذ الواحد منهم ما يكفيه[1]. ويظهر الضمير المستتر في الفعل (ترضى) وتقديره (أنت) ويعود إلى الله سبحانه وتعالى في سياق حديث موسى عليه السلام مع الله سبحانه وتعالى لأن موسى تعجل مفارقة قومه ليحضر إلى المناجاة رغبة في تلقي الشريعة حسبما وعده الله قبل أن يحيط بنو إسرائيل بجبل الطور، فلامه الله على أن غفل عن مراعاة ما يحف بذلك من ابتعاده عن قومه قبل أن يوصيهم الله بالمحافظة على العهد ويحذرهم مكر من يتوسم فيه مكرا.

وتتماسك المعاني والدلالات بواسطة كل هذه الضمائر المحلية، التي تعكس لنا الأحداث التي وقعت بعد ذهاب موسى إلى مناجاة ربه – أيضا –، والتي تتمثل في عبادة بني إسرائيل للعجل الذي صنعه السامري.

-قال تعالى: " كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99) "...يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (102)... نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104) ...فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106...يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110) ... مِنَ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)".

تتوزع الضمائر على الآيات المتقاربة المسافة، فمنها ما ذكر فيها اسم الله صراحة (طه: 114)، ومنها ما كانت الإحالة فيها نصية قبلية.

ووجود هذه الإحالات الضميرية يحقق التماسك النصي من خلال الربط الشكلي والدلالي داخل الآية وخارجها، ففي قوله تعالى: " كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا " (الآية : 99)، ترتبط الإحالة فيها مباشرة بالآية التي قبلها: "

---

[1] الالوسي البغدادي(أبو الفضل شهاب الدين محمود):روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني،ص550.

إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما" (الآية : 98)، حيث يحيل الضمير المستتر في (نحن) في الفعل (نقصّ) إلى الله تعالى وبذلك تلعب الإحالة الضميرية النصية دورا كبيرا في ارتباط الآيتين المتجاورتين (98 و99)، وبالإضافة إلى هذا يتحقق التماسك الداخلي داخل (الآية :99) نفسها حيث يرتبط الضمير المتصل (نا) في الفعل (آتيناك) بالضمير المستتر في الفعل (نقصّ) مما يزيد في كثافة التماسك النصي الداخلي في التراكيب، والدلالة التي تؤكد على أن الله الواحد الأحد العالم بكل شيء الملك الحق هو الذي يستحق العبادة في كل زمان وفي كل مكان، فقد أخبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما جرى لموسى عليه السلام مع فرعون وجنوده .وقد أتاه صلى الله عليه وسلم من عنده القرآن الكريم الذي لم يعطه لنبي قلبه.

ترتبط الإحالة في قوله تعالى: "يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا" (الآية : 102) ب(الآية :98) وهي إحالة ضميرية نصية قبلية من خلال الضمير المستتر (نحن) في الفعل (نحشر) إلى الله تعالى ،فهو وحده القادر على بعث الناس ليوم لا ريب فيه؛ ينفخ في الصور. وقد جاء في حديث الصور من رواية أبي هريرة: أنه قرن عظيم، الدارة منه بقدر السماوات والأرض، ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، فيحشر الله سبحانه وتعالى المجرمين رزقا، وقيل زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال[1].

تنتقل الإحالة من داخل النص إلى خارجه في قوله تعالى: " نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما" (الآية : 104)، وذلك من خلال توظيف الآية للضمير المنفصل (نحن) ،الذي يحيل إلى الله المتكلم عندما أخبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكل من يتلقى القرآن الكريم في زمنه وكل الأزمنة التي تأتي بعده بيوم القيامة وأحوال المجرمين ،خاصة الوارد ذكرهم في الآية السابقة (102)، فهم يتخافتون بينهم إذ يقول العاقل الكامل فيهم " إن لبثتم إلا يوما" أي لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد، لأن الدنيا كلها وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت لياليها وأيامها كأنها يوم واحد.

---

[1] ابن كثير: تفسير القران العظيم،المجلد الثالث،ص205.

ويظهر الضمير المستتر (هو) في الفعل (يذرها) في (الآية :10) ليحيل إحالة قبلية إلى الله سبحانه وتعالى الذي ذكر صراحة في قوله تعالى : "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا " (الآية : 105)، وهذا يجعل بين الآيتين ارتباطا شديدا من حيث الشكل والمضمون حيث يخبر الله سبحانه وتعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم عن الجبال التي سأله عنها أهل قريش لما قالو: يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت " ويسألونك عن الجبال" أي كيف يكون حالها يوم القيامة؟ " فقل ينفسها ربي" أي يجعلها بمنزله الرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كتذرية الطعام، وتصير كالهباء[1].

ويتحقق التماسك بين الآيتين المتجاورتين (109 – 110) عن طريق مرجعية الضمائر في قوله تعالى:" يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110) "،يحيل الضمير المستتر (هو) في الفعل (يعلم) إلى لفظ الرحمان في الآية التي قبلها إحالة قبلية وكذلك الضمير المتصل (الهاء) كما يحيل الضمير المستتر (هو) في الفعل (رضى) إحالة داخلية إلى لفظ (الرحمان) الذي ذكر في الآية نفسها لتتوسع دائرة الإحالات الضميرية النصية الداخلية والتي يبينها السياق اللغوي للآيات.

فيوم يقوم الناس لرب العالمين لا تنفع الشفاعة من الشفعاء أحدا، إلا من أذن له الرحمان في هذه الشفاعة ورضي له قولا وقيل: إنما تنفع الشفاعة لمن أذن له الرحمان في أن يشفع، وكان له قول يرضى، قال ابن عباس: هو قول لا إله إلا الله[2].

ويدل قوله تعالى:" يعلم ما بين أيديهم..." أي من أمر الساعة "وما خلفهم" من أمر الدنيا قاله قادة، وقيل: يعلم ما يصيرون إليه من ثواب أو عقاب "و ما خلفهم، ما خلفوه وراءهم في الدنيا ثم قيل الآية عامة في جميع الخلق. وتتماسك (الآية: 112) داخليا: " وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا" بحيث

---

[1] الخطيب التبريزي (أبو زكريا يحي بن علي بن محمد بن الحسن) : الملخص في إعراب القران،ص 279.

[2] الزمخشري (محمود بن عمر) : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،ص89.

يعود الضمير المتصل (نا) في الفعلين (أنزلناه –صرفنا) على الله في كل الآيات السابقة التي ذكر فيها لفظ الجلالة صراحة وخاصة الآية (109) القريبة منها في المسافة مما يجعل المعنى يتواصل بشكل مترابط ومنسجم، لأن الله يبين لنا أنه لما كان يوم الميعاد واقعا لا محالة أنزل القرآن الكريم بشيرا ونذيرا، بلسان عربي مبين.

ويعود الضمير المستتر (أنت) في الفعل (زدني) على رب في قوله تعالى: " وقل رب زدني علما" (الآية : 114).

أي زدني منك علما قال ابن عيينة رحمه الله: ولم يزل صلى الله عليه وسلم في زيادة من العلم حتى توفاه الله عز وجل، ولهذا جاء في الحديث: " إن الله تابع الوحي على رسوله، حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم"[1].

فقد استجاب الله لدعائه صلى الله عليه وسلم، إذن فالعبودية لله وحده، وملك يوم الدين له وحده سبحانه والاستعانة به و الهداية والضلال بيده، فهو وحده المستحق للعبادة، وهذا ما تؤكده الآيات الكريمة في سورة طه المكية، والتي جاءت من أجل تثبيت عقيدة التوحيد في النفوس في زمن نزول القرآن الكريم، وهي رسالة يتواصل فيها التبليغ إلى يوم الدين يوم يرث الله الأرض ومن عليها.

-قال تعالى:" وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117)... ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آَيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآَيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ

[1] ابن كثير: تفسير القران العظيم، المجلد الثالث،ص208.

الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (128) ...وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) ...وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (134) ".

فعلى الرغم من تعدد مقاطع السورة (توجيه الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم – قصة موسى عليه السلام – قصة آدم عليه السلام) فالموضوع الرئيس فيها هو تثبيت العقيدة الذي يستمر من بداية السورة إلى نهايتها، وذلك من خلال استمرار الإحالات إلى الله سبحانه وتعالى، ومن خلال ذلك تتطور فكرة النص، ففي هذا الجزء الأخير تنتقل الأحداث إلى الزمن البعيد جدا وهو قصة آدم وحواء وهبوطهم من الجنة وهي الوحدة الدلالية الأخيرة في السورة .

ونحاول فيما يلي بيان حركة الضمائر التي تعود على الله تعالى في هذا الجزء الأخير من سورة طه المكية؛ والتي تتجلى من خلال الكلمات التالية : (عهدنا – نجد – قلنا – فقلنا –فتاب – هدى – قال – مني – هداي – ذكري –نحشره – حشرتني – قال – آيتنا – نجزي – أهلكنا – متعنا – لنفتنهم – لا نسألك – نحن – نرزقك أهلكناهم) فنجد أن الضمائر هي (نحن – نحن – نحن – نحن –هو – هو – أنا – أنا –أنا نحن – نحن – أنت – نحن – نحن – نحن) وكلها تعود إلى الله تعالى السابق ذكره في النص والذي يتكرر ذكره فيه بلفظ صريح في الآيات (ربه، 121، 122، رب 125، ربك 129، ربك 130، ربك 131، ربه 132، ربنا 134)، ومن ثم فإن مرجعية هذه الضمائر هي مرجعية سابقة، تعود كلها إلى مرجع واحد،إذن فهي مرتبطة به شكلا ومضمونا محققة بذلك التماسك النصي الشكلي من خلال اتفاق هذه الضمائر في المرجع،كما حققت التماسك المعنوي بين الآيات لأن الله سبحانه وتعالى يذكر تشريفه لآدم عليه السلام، وما فضّله به على كثير ممن خلق حيث أمر الملائكة بالسجود له تشريفا و تكريما فسجدوا ،كما بين لنا

الله تعالى عداوة إبليس لبني آدم ولأبيهم قديما، فقد أبى السجود لآدم وعصى ربه وكان من الخاسرين.

ب- الإحالة إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:

إن الخطاب الموجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخرج عن كونه تكليفا بالرسالة المقدسة التي أمره الله بتبليغها إلى الناس كافة.

ويتبين لنا من خلال سورة طه المكية أن الله يرد على المشركين ،ويُسَلِّي نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بإخباره أن ما يحدث له في زمن نزول القرآن عليه وتكليفه بهذه الرسالة العظيمة قد حدث للرسل من قبله.

وهنا نلاحظ تغيّر حركية الضمائر المحلية التي تتوزع على الوحدات الدلالية الكبرى في سورة طه (الله – الرسول محمد صلى الله عليه وسلم – موسى عليه السلام – آدم عليه السلام) والتي تنطوي تحتها إحالات أخرى ثانوية تظهر من خلال تحليل العلاقات القائمة بين الشكل والدلالة، والتي تتكامل فيما بينها لتصب في بوتقة واحدة وهي القصدية الكبرى التي تحملها السورة المكية.

جاءت الإحالة إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم واضحة المرجع من بداية السورة إلى نهايتها، فبرزت الإحالة المقامية التي تشير إلى السياق غير اللغوي أي خارج النص القرآني، وكذلك شيوع الإحالات الضميرية النصية الداخلية القبلية والبعدية.

ويمكن أن نوضح هذه الإحالات في الجدول التالي:

الرقم	الآية التي تتضمن الإحالة	المحال إليه	العائد
2	" ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى"	الرسول محمد صلى الله عليه وسلم	– الكاف ضمير متصل مبني في محل جر –الضمير المستتر في الفعل تشقى تقديره أنت
7	" وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى"		– الضمير المستتر في الفعل تجهر

			تقديره أنت
9	" وهل آتاك حديث موسى"		الكاف: ضمير متصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به
99	" كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا"		– الكاف: ضمير متصل مبني في محل جر (عليك). – الكاف: ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به في (آتيناك)
105	"ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا"		الكاف: ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به في (يسألونك). الضمير المستتر ((أنت) في فعل الأمر (قل).
114	" فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وقل رب زدني علما"		– الضمير المستتر في الفعل (تعجل) تقديره أنت. – الكاف في إليك ضمير متصل في محل جر – الضمير المتصل (الياء) في زدني – الضمير المستتر (أنت في فعل الأمر (قل)
129	" ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى"		– الكاف المتصل (بربك) ضمير متصل مبني في محل جر
130	" فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى"		-الضمير المستتر (أنت) في فعل الأمر (اصبر) و(سبح) و(سبح) -الكاف ضمير متصل في محل جر في (ربك) -الكاف ضمير متصل مبني في محل نصب اسم لعل.

			-الضمير المستتر (أنت) في محل رفع فاعل في 'ترضى)
131	" ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى"		-الضمير المستتر (أنت) في الفعل 'تمدن" -الكاف ضمير متصل في محل جر مضاف إليه في (عينيك). -الكاف ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه (ربك).
132	" وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى"		الكاف في (أهلك) ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه الضمير المستتر (أنت) في فعل الأمر (اصطبر) مبني في محل نصب مفعول به في الفعل (نرزقك) والفعل (نسألك)
133	" وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتيهم بينة ما في الصحف الأولى"		-الضمير المستتر (هو) في الفعل (يأتينا). -الهاء ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه في (ربه)
134	" وقالوا لولا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى		-الهاء ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه في قبله)
135	**" قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدي**		-الضمير المستتر تقدير (أ،ت) في فعل الأمر (قل)

جدول رقم –6–

يتبين لنا من الجدول انتشار الإحالة الضميرية النصية القبلية والبعيدة إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في بداية السورة (الآيات: 2-7-9) ثم تنقطع الإحالة إليه صلى الله عليه وسلم من (الآية: 10) إلى غاية (الآية :98) لتظهر من جديد في (الآيات: 99 -105- 114 – 129 – 130 – 131 – 132 – 133 – 134 -135)، وهي بذلك تنتشر في الجزء الأخير من سورة طه بكثرة.

يؤكد سياق السورة على مرجعية الضمائر بكل أنواعها والتي تساهم في الربط بين الوحدات الدلالية الكبرى في السورة، لأن تقرير العبودية والألوهية لله وحده سبحانه وتعالى .وكل ما يتعلق بموضوع التوحيد يجعل هذه الضمائر تتضافر مع باقي الضمائر لتحيل أيضا إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي كلف بتبليغ الرسالة المقدسة رسالة القرآن الكريم ليبشّر المؤمنين ويذكّر الكافرين، فلا يمكن تصور كل هذه الآيات المتجاورة دون رابط دلالي يجمعها أو دون رابط تركيبي (نحوي) ينظمها.

وصل عدد الضمائر المحلية إليه صلى الله عليه وسلم، إلى ستة ضمائر في (الآية :13) وخمسة ضمائر في (الآية: 132) وأربعة ضمائر في (الآية :114) وثلاثة ضمائر في (الآية: 131)، وضميرين في الآيات :(133 و99 و 105 و 02) وضميرا واحدا في الآيات: (7 -9 – 129- 134 – 135) .

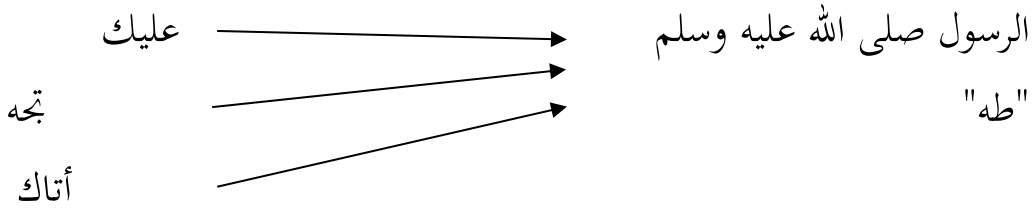
فقد ذُكر الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية سورة طه في لفظ (طه)، لترد الضمائر المحلية إليه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في الآيات (2-7 -9 – 99 – 114- 129 – 130 – 131 132 – 133- 134 – 135).

ويمكن أن نوضح البعد الدلالي لهذه الإحالات الضميرية كما يلي:

-قال الله تعالى: مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) ".

وردت الضمائر المتصلة والمستترة التي تحيل إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في الكلمات: (عليك (الكاف)- تشقى (أنت) – تجهر (أنت) – أتاك (الكاف)).

فإذا اعتبرنا أن لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم (طه) مذكور في بداية السورة في الآية الأولى فإن المرجعية نصية قبلية داخلية، وقد ذكرت الضمائر متأخرة عن المرجع.



مرجعية داخلية سابقة

إن لفظ (طه) هو اللفظ المفتاح في هذه السورة الكريمة لأنه ذكر مرة واحدة فقط مصرحا به ،فلم يذكر بعد ذلك اسم الرسول صلى الله عليه وسلم، إلا من خلال الضمائر المحلية والتي بيناها في الجدول السابق، وهذا ما يعكس فوائد الضمائر التي تساهم في تفخيم ما يعود إليه الضمير، فالإضمار ناتج عن شهرة المضمر وعدم حاجته لأن يذكر مظهرا، فهو يدل على نفسه.

وتنتشر الضمائر الإحالية في أركان السورة (البداية –الوسط – النهاية) في (29) موضع، وهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالإحالات الكبرى التي تحيل إلى الله سبحانه وتعالى وموسى عليه السلام وآدم عليه السلام كما ترتبط بالإحالة الثانوية التي تشير إلى المؤمنين والكافرين في السورة، مما يحقق التماسك والانسجام بين أجزاء السورة على مستوى الشكل والمضمون.

هذا وقد اختلف العلماء في قوله تعالى "طه" فقال الصديق رضي الله تعالى عنه: هو من الأسرار، ذكره الغزنوي ابن عباس: معناه يا رجل.وذكره البهيقي: إنها لغة معروفة في عكل، وقيل في عك، قال الكلبي: لو قلت في عك لرجل يا رجل لم يجب حتى تقول طه، وأنشد الطبري في ذلك فقال:

دعوت بطه في القتال فلم يجب فخفت عليه أن يكون موائلا

وقال عبد الله بن عمر: يا حبيبي بلغة عك، وقال قطرب هو بلغة طئ وأنشد ليزيد بن المهلهل:

إن السفاهة طه من شمائلكم لا بارك الله في القوم الملاعين

وقال عكرمة أيضا: هو كقولك يا رجل بلسان الحبشة، والصحيح أنها وإن وجدت في لغة أخرى فإنها من لغة العرب، وأنها لغة يمنية في عك وطئ وككل أيضا.

وقيل أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يطأ الأرض بقدميه فإنه عليه الصلاة والسلام كما روي عن الربيع بن أنس كان إذا صلى قام على رجل واحدة فأنزل الله تعالى :" طه" وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحمل مشقة الصلاة حتى كادت أن تتورم قدماه فقيل له طء الأرض، أي لا تتعب حتى تحتاج إلى الترويح لذا فسّرت " طه" بأنه أمر بالوطء وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه فأمر أن يطأ الأرض بقدميه معا، وأن الأصل طأ فقلبت همزته هاء كما قبلت (ألفا) في "يطأ"[1].

فقد خص الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بعلمه " فطه" هي سر من أسرار فواتح السور الذي اختلف فيه المفسرون والعلماء وهذا طبيعي لأن السورة كلها مناسبة لسبب نزولها. قال جوبير عن الضحاك: لما أنزل الله القرآن على رسوله، قام به هو وأصحابه فقال المشركون من قريش ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشقى، فأنزل الله تعالى" طه" ما أنزلنا عليك لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى" ،فليس الأمر كما زعمه المبطلون، بل من آتاه الله العلم فقد أراد به الله خيرا كثيرا.

وعليه فهذه الإحالات النصية في (عليك- تشقى- تجهز- آتاك) تحيل إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنزل الله عليه القرآن رحمة ونورا، وما جعله شقاء.وفي قوله تعالى: "وإن تجهر هي إحالة نصية مقامية أن تكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو يعم غيره ويجوز أن يكون لغير معين ليعم كل مخاطب، وهو بيان لإحاطة علمه تعالى بجميع

[1] الالوسي البغدادي(أبو الفضل شهاب الدين محمود):روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني،ص ص464-465.

الأشياء إثر بيان شمول قدرته تعالى لجميع الكائنات. والكلام الموجه للنبي محمد صلى الله عليه وسلم فيه التبليغ مباشر لأمته فإذا ترفع صوتك أيها الإنسان بالقول فإن الله يعلم ما أسررته إلى غيرك، ولم ترفع صوتك به أي ما أطرته ببالك من غير أن تتفوه به، وتمتد هذه الإحالة وترتبط ارتباطا كبيرا مع قوله تعالى في سورة طه:"يعلم ما بين أيديهم وما خلف لهم ولا يحيطون به علما" (الآية: 110)، فنجد هذا التماسك الشديد بين معاني الآيات من بداية السورة إلى نهايتها، وهو أيضا امتداد للمعنى، فالله تعالى يعلم أسرار العباد وأخفى ما يعلمه سبحانه وتعالى عنهم.

ويقول الألوسي في كتابه" روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" في الجهر :"... وهذا ما قيل إرشاد للعباد إلى التحري والاحتياط حين الجهر فإن من علم أن الله تعالى يعلم جهره لم يجهر بسوء، وخص الجهر بذلك لأن أكثر المحاورات ومخاطبات الناس به، وقيل إرشاد للعباد إلى أن الجهر بذكر الله تعالى ودعائه ليس لا سماعه سبحانه بل لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة وغير ذلك، وقيل: نهى عن الجهر بالذكر والدعاء تقوله تعالى: " واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول" (الأعراف: 205)"[1].

وتدل هذه اللفظة المحيلة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم (لا تجهر) على سعة علمه تعالى وعظيم سلطانه وقدرته، فهو الذي يخاطب نبيه بهذا القرآن العظيم عظمة خالقة، فالله يثبّت رسوله على تبليغ الرسالة السماوية.

وقد بين لنا الله سبحانه وتعالى عن طريق الاستفهام في قوله:

" هل آتاك حديث موسى" (الآية: 07)، وهو استفهام مستعمل في التشويق إلى الخبر، فقد أخبر الله نبيه بقصة موسى ليتأسى به في الصبر على تحمل المصاعب، وتسلية له بأن الذين كذبوه سيكون جزاؤهم جزاء اللذين سبقوهم من المكذبين الكافرين.

---

[1] الالوسي البغدادي(أبو الفضل شهاب الدين محمود): المصدر السابق،ص478.

-قال الله تعالى: " كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99) ".

تنقطع الإحالة الضميرية إلى الرسول الله عليه وسلم من (الآية: 10) إلى غاية (الآية :98) لتظهر من جديد في(الآية: 99) حيث يحيل الضمير المتصل الكاف في (عليك – آتيناك) إحالة نصية قبلية إلى بداية سورة (طه) مما يجعلها كلها تتماسك وتترابط، وهي تدل على الخطاب الذي وجهه الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم إذ يقول له: كما قصصنا عليك خبر موسى، وما جرى له مع فرعون وجنوده، كذلك نقص عليك أخبار ما مضى من غير زيادة ولا نقص.

فقد أنزل الله تعالى القرآن العظيم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلم يعطه لنبي قبله فلا يوجد أكمل منه، ولا أجمع لخبر مما سبق وخبر ما هو كائن، وحكم الفصل بين الناس منه، فمن أعرض عنه وكذب به سينال عقابه يوم القيامة.

-قال تعالى: " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) "

يحيل الكاف في قوله تعالى " يسألونك " إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (طه) في بداية السورة، وهي مرجعية نصية داخلية قبلية تشد كل الإحالات إليها ، فتجعل النص القرآني يتماسك بشكل معجز من خلال توجيه الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مرة، لأنه يحمل تبليغ رسالة القرآن الكريم إلى كافة الناس، وتثبيت عقيدة التوحيد في النفوس،فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن مصير الجبال يوم البعث، وهو سؤال تعنّت لا استهداء كما قال ابن كثير– روي أن رجلا من تثقيف سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– عن ذلك– فقد أنبأهم الله بمصير الجبال وإبطال لشبهتهم وتعليما للمؤمنين.

-قال تعالى: " فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)".

تعود الضمائر المستترة والمنفصلة في الكلمات (تعجل (أنت) – إليك (الكاف) – قل (أنت)، زدني (الياء: أنا)، إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي إحالات قبلية ترجع إلى بداية السورة مما تجعل الآيات السابقة كلها تتماسك مع بعضها بعض، ونلاحظ أن الإحالة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ترتبط دائما بالإحالة إلى الله سبحانه وتعالى، وهما الركيزة الأساسية التي بنيت عليها جميع الإحالات الكبرى والصغرى في سورة طه.

يخاطب الله تعالى في هذه الآية الكريمة رسوله الكريم الذي كان حريصا على صلاح الأمة شديد الاهتمام بنجاتهم، وكانت رغبته صلى الله عليه وسلم في الإكثار من نزول القرآن وفي التعجيل به إسراعا بعظة الناس وصلاحهم فطلب منه الله سبحانه وتعالى أن لا يعجل بالقرآن لأنه هو العالم بما يناسب حال الأمة.

و تحيل الآية أيضا إلى ما ذهب إليه المفسرون؛ فعن مجاهد وقتادة أن معناه: " لا تعجل بقراءة ما أنزل إليك لأصحابك ولا تُمله عليهم حتى تتبين لك معاينة"[1].

ويحيل الضمير المستتر (أنت) في الفعل (قل) والضمير المستتر (أنا) في(زدني) إلى الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يسأل الله سبحانه وتعالى الزيادة في العلم، سواء كانت هذه الزيادة بإنزال القرآن الكريم أم بغيره من الوحي والإلهام إلى الاجتهاد تشريعا وفهما، وهي إشارة إلى أن رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في التعجيل هي رغبة صالحة.

-قال تعالى: " وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (129) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) ...وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ

[1] ابن كثير: تفسير القران العظيم، المجلد الثالث ،ص317.

أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (134) قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (135)".

تتواصل الإحالة الضميرية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال الكلمات: (ربك (الكاف) – فاصبر (أنت) سبح (أنت) – لعلك (الكاف) – ترضى (أنت) – تمدن (أنت)- عينيك (الكاف) – ربك (للكاف) – وأمر (أنت) – أهلك (الكاف) – اصطبر (أنت) – نسألك (الكاف) – نرزقك (الكاف)).

ونلاحظ بروز الإحالات الضميرية في هذه الآيات المتجاورة من (الآية : 129 إلى غاية الآية :135)، وهي ذات مرجعية نصية داخلية سابقة، تجعل كل الإحالات ترتبط ببداية السورة (طه)، مما يؤدي إلى تماسك التراكيب نحويا ودلاليا لأن مرجعها واحد، فتقوى الدلالات وتتكاثف من أجل تحقيق الهدف وهو تثبيت العقيدة، عقيدة التوحيد، ونجد أنه كلما ازداد دور العنصر المحيل إليه في السورة ازدادت الضمائر التي تعود إليه كثافة، كما حدث في الإحالة الأولى إلى الله سبحانه وتعالى، فهذه الضمائر التي ترجع إلى الرسول صلى الله سبحانه لا تتوزع بصورة عشوائية في السورة، بل هي تتوزع بصورة منظمة على مراكز السورة الكبرى: (البداية – الوسط- النهاية)، لأنها ترتبط بالدلالة المقصودة، فتجعل الآيات كلها تتضافر وتتكامل وتقوى في إيصال المعنى. وبذلك تصبح الإحالة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عنصرا مشتركا بين كل الإحالات.

ويخاطب الله سبحانه وتعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات الأخيرة من السورة دون انقطاع في الإحالة النصية القبلية، وذلك لما كان يتحدث عن أهل مكة الذين أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بخبر من أهلك الله قبلهم من الأمم المكذبين بالرسل ،فلولا كلمة سبقت من الله وأجل مسمى لكان العذاب لازما لهم، فأمره الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على أقوالهم: إنه ساحر، إنه كاهن، إنه كذاب...الخ. ولهذا قال الله تعالى مسليا له صلى الله عليه وسلم: " فاصبر على ما يقولون" أي من تكذيبهم لك.

ويأمر الله نبيه ومن خلاله كل من آمن به، أن يسبح" قبل طلوع الشمس" يعني صلاة الفجر، "وقبل غروبها" يعني: صلاة العصر كما جاء في الصحيحين ، و "من آناء الليل فسبح"

أي من ساعاته فتهجد به أي وقت العتمة ،"وأطراف النهار" المغرب والظهر، لأن الظهر في آخر طرفين منه، والطرف الثالث غروب الشمس وهو وقت المغرب.

وقوله تعالى: "لعلك ترضى" أي لعلك تثاب على هذه الأعمال بما ترضى به.

ويحيل قوله تعالى: " ولا تمدن عينك..." إلى أن الله تعالى يقول لنبيه محمد صلوات الله عليه وسلم لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم وما هم فيه من نعم، فهذه نعم زائلة، لنختبرهم بذلك فقط . ويشير قوله تعالى: "ورزق ربك خير وأبقى" إلى ما ادخره له ربه من ثواب الآخرة الذي هو خير منه، أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة.

ويطلب الله من نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يأمر أهله بالصلاة " وأمر أهلك بالصلاة" أي: وأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة واستعينوا بها ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة فإن رزقك مكفي من عندنا.

واقترح كفار مكة على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم آية تدل على نبوته صلى الله عليه وسلم فقيل لهم: أو لم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن[1].

فالقرآن هو معجزته صلى الله عليه وسلم –وهي ليست كالمعجزات السابقة له–أنزله الله على نبيه الأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة، وقد جاء فيه أخبار الأولين وأخبار كل شيء كما هو مودع في كتبه، ومقرر في مواضعه. ثم قال الله تعالى: " ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا" أي: أنا أهلكناهم قبل أن نرسل إليهم هذا الرسول الكريم، وتنزّل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا: " ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا، قبل أن تهلكنا، حتى نؤمن به ونتبعه، ثم قال تعالى :" قل" أي يا محمد لمن كذبك وخالفك واستمر على كفره وعناده، كل متربص، أي كل المؤمنين والكافرين منتظر دوائر

الزمان ولمن يكون النصر: " فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى" يريد الدين المستقيم والهدى والمعنى هو: فستعلمون بالنص من اهتدى إلى دين الحق، وقيل

---

[1] االزمخشري (محمود بن عمر):الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ص 99.

فستعلمون يوم القيامة من اهتدى إلى طريق الجنة فقد ختمت السورة بهذا التهديد والتخويف والوعيد[1].

ج-الإحالة إلى موسى عليه السلام:

تختلف حركية الضمائر المحيلة في سورة طه باختلاف الموضوعات التي تتضمنها، إذ ظهرت فيها قصتين من قصص الأنبياء وهما قصة موسى عليه السلام وقصة آدم عليه السلام، وذلك بعد الخطاب الموجه إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في بداية السورة، لتبدأ قصة موسى عليه السلام مع فرعون : من خلال قوله تعالى: " هل أتاك حديث موسى" (الآية : 9)، والتي ذكر فيها اسم موسى صراحة، وعلى أساسه تتحدد مرجعية الضمائر في الآيات الموالية على مدار (65) آية، مشكلة أكبر نسبة للإحالات في السورة وهي المرتبة الأولى بتواتر الضمائر التي تعود على موسى عليه السلام (149) مرة بالإضافة إلى ذكره صراحة في ثمانية عشرة موضعا، مما يجعل الإحالات الضميرية تتعلق بهذه المواضع.

وردت الضمائر التي تحيل إلى موسى عليه السلام في الكلمات :(رأى – قال – إني – آنست – لعلي – آتيكم – أحد –أتاها – ربك – فاخلع – نعليك – إنك – اخترت- فاستمتع –فاعبدني – أقم – يصدنك –بيمينك – قال –عصاي – أتوكأ – وأهش – غنمي – ولي – ألقها – ألقاها – خذها – تخف- واضمم – يدك – جناحك – لنريك – اذهب – قال – لي –صدري – لي - أمري – لساني – قولي – لي – أخي – أشدد – أزري – أمري – نسبحك – نذكرك – بنا – أتيت – سؤالك – عليك – أمك – اقذفيه – فاقذفيه – فليلقه – يأخذه – له – عليك – لتصنع – أختك – يكفله – فرجعناك – أمك – وقتلت – فنجيناك – فتناك – فلبثت – جئت – واصطنعتك – أنت – أخوك – تنيا – اذهبا – فقولا –قالا – ربنا – إننا نخاف – تخافا – معكما

– فأتياه – فقولا – إنا جئناك – إنا – أوحى – إلينا – ربكما – قال – ربنا قال –ربي – سحرك جئتنا – تخرجنا – نأتينك –اجعل بينك – أنت – قال – قال – يريدان – يخرجاكم – بسحرهما – ويذهبا – تلقي – قال – قال – يريدان – يخرجاكم – سحرهما – ويذهبا –

---

[1] **ابن كثير: تفسير القران العظيم المجلد الثالث ، ص213.**

تلقي – قال – إليه – أوجس – نفسه – تخف – إنك – أنت – والق – بعينيك – له – أسر – فاضرب – لا تخاف – لا تخشى – فاتبعهم – أعجلك – إنه- قومك – قال – أثري – عجلت – قومك – بعدك – قومه – قال – موعدي – موعدك – فتنسى – يرجع – قال – تتبعني – أمري – تأخذ – تقول – قولي – قال – قال – تخلفه – لنحرقنه – لننسفنه).

نلاحظ تحول الإحالات الضميرية من مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية السورة (الآيات 2، 7، 9) إلى مخاطبة موسى عليه السلام في الآيات: (10 -11 – 12 – 13 – 14) و (16 – 17 – 18 – 19 – 20 -21 -22 – 23 – 24 – 25 – 26 – 27 – 28 – 29 – 30 – 31 – 32- 33- 34 – 35 – 36 – 37 – 38 – 39 – 40 – 41 – 42 – 43- 44 – 45 – 46- 47 – 48 – 49 – 50) و (61) –(63) –(65 – 66 – 67 – 68 – 69) و (71) –(77 – 78) و(83 – 84 – 85 – 86 – 87 – 88 – 89) و(91 – 92 – 93 – 94 -95) و(97).

وهي إحالات مكثفة تتوزع على إحالتين أساسيتين هما : الإحالة القبلية والبعدية والإحالة النصية البعدية ،حيث تنتشر الإحالة القبلية النصية في معظم الآيات وتنتشر الإحالات النصية البعدية في الآيات التي ذكر فيها لفظ موسى عليه السلام صراحة بعد الإشارة الضميرية إليه وذلك في الآيات: (17 – 19 – 36 – 40 49 – 57 – 61 – 67 – 83 – 91).

وهذا يبرز لنا التماسك النصي الشكلي في السورة من خلال وحدة المرجع وهو موسى عليه السلام، كما يبرز لنا التماسك الدلالي القوي بين كل هذه الآيات المتجاورة.

ويؤكد السياق اللغوي والاجتماعي لهذه الآيات على أن موضوع السورة هو موضوعواحد

تدور كل الأحداث المذكورة حوله ألا وهو موضوع العقيدة والإيمان بوحدانية الله، فقد أراد الله أن يبين لنا عاقبة فرعون بعد أن كذب بدين الله، لأن الله يذكّر نبيه وكل من آمن لعل الذكرى تنفع المؤمنين.

ويمكن توضيح وظيفة الضمائر الشكلية في هذه الآيات كما يلي:

–قال تعالى : "إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) ".

إذا كان الخطاب في بداية السورة موجها إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :" طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى" (طه:1 –2) فإن التعقيب على قصة موسى مع فرعون يبدأ أيضا من مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في (الآية :9) " وهل أتاك حديث موسى" ، لأن الخطاب القرآني كله موجه إليه صلى الله عليه وسلم وهذا ما لحظناه في الإحالات السابقة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية ووسط ونهاية السورة مما يجعل كل الآيات تترابط وتتلاحم عن طريق هذه الإحالات التي تكمّل بعضها بعضا فقد قفاه بقصة موسى ليتأسى به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على الشدائد.

وتظهر الإحالة في هذه الآيات الأولى إلى قصة موسى عليه السلام وهي إحالة نصية داخلية قبلية إلى موسى عليه السلام الذي ذكر لفظه صراحة في (الآية :9)، ومن هنا تبدأ قصته عليه السلام أو كيف كان ابتداء الوحي من الله تعالى إليه وتكليمه إياه، وذلك بعدما قضى موسى الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم سار بأهله ليلا من مدين قاصدا مصر بعد أن غاب عنها أكثر من عشرين سنة، ومعه زوجته، فأضل الطريق وكانت ليلة شتائية باردة، وقال مقاتل كانت ليلة الجمعة في الشتاء، وقال وهب بن منبه: استأذن موسى شعيبا عليه السلام في الرجوع إلى والدته فأذن له وخرج بأهله وغنمه، وولد
له في الطريق غلام في هذه الليلة الباردة المثلجة ،وقد حاد عن الطريق وتفرقت ماشيته ونزل منزلا بين شعاب وجبال، وجعل يقدح بزند معه ليوري نارا، كما جرت له العادة به، فلم يخرج منه شيئا إذ بصر بنار من بعيد على يسار الطريق فطلب من أهله أن يقيموا مكانهم " فقال لأهله أمكثوا إني آنست نارا.." أي أبصرت نارا أي ظهرت له نارا من جانب الجبل الذي عن يمينه، قال ابن عباس: فلما توجه نحو النار فإذا النار في شجرة عناب، فوقف متعجبا من حسن ذلك الضوء، وشدة خضرة تلك الشجرة، فلا شدة حر النار تغير حسن خضرة الشجرة

ولا كثرة ماء الشجرة ولا نعمة الخضرة تغير أن حسن الضوء .وذكر المهدوي: فرأى النار وهي في شجرة من العليق، فقصدها فتأخرت عنه، فرجع وأوجس في نفسه خيفة، ثم دنت منه وكلمة الله عز وجل من الشجرة[1].

ولما أتى موسى النار أي اقترب منها " نودي يا موسى" وقال الله تعالى: " إني أنا ربك فاخلع نعليك" أي الذي يكلمك ويخاطبك، وقال علي ابن أبي طالب، وأبو ذر، وأبو أيوب وكانتا من جلد حمار غير ذكي وقيل إنما أمره الله بخلع نعليه تعظيما للبقعة المقدسة[2].

وقيل غير ذلك – والله أعلم–، ويحيل الكاف في قوله تعالى (اخترتك) إلى أن الله اصطفاه على جميع الناس في زمانه، ليأمره لأن يستمع إلى ما يوحى إليه، لترتبط الإحالات إلى موسى بالإحالة إلى الله سبحانه وتعالى، وهو ما تعكسه العلاقة بالله والرسول المكلف بتبليغ رسالة التوحيد، فقال الله تعالى: " إنني أنا الله لا إله إلا أنا" هذا أول واجب على المكلفين: أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهي رسالة إلى كل الناس في كل زمان وكل مكان. وقوله تعالى: " فاعبدني" هي إشارة إلى أن الله يأمر موسى عليه السلام بعبادته وتوحيده من غير شريك، وقوله تعالى: " أقيم الصلاة لذكري" هي إحالة إلى أمر موسى بإقامة الصلاة لذكره تعالى، وفي هذا قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمان بن مهدي، حدثنا المثنى بن سعيد عن قتادة، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذ رقد أحدكم عن الصلاة، أو أغفل عنها، فليصلها إذا ذكرها، فإن الله تعالى قال: " وأقم الصلاة لذكري"[3]، لأن الساعة آتية لا محالة.

-قال تعالى :"فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآَرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ

---

[1] القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):التفسير الجامع لأحكام القران،المجلد11،ص. ص171-172.

[2] ابن كثير:تفسير القران العظيم، المجلد الثالث، ص179.

[3] ابن كثير:تفسير القران العظيم،المجلد الثالث،ص179 .

مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41) اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ

كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) ".

لقد اشتملت هذه الآيات على أكبر عدد من الإحالات الداخلية القبلية والبعدية إلى موسى عليه السلام ، وتشير هذه الضمائر إلى ما حدث في محاورته مع الله تعالى،وهي ترتكز على ستة محاور هي:

1. **الله تعالى**
2. **موسى عليه السلام**
3. **فرعون**

4. هارون أخ موسى

5. أم موسى

6. **أخت موسى.**

تتماسك كل هذه الإحالات وتترابط عن طريق الإحالة الضميرية التي تلعب دورا في تجلي المعنى المقصود.

فقد أعطى الله لموسى معجزة عظيمة، وهو برهان منه تعالى ومعجزة خارقة، تدل على أن الله وحده القادر على هذا، فقوله تعالى: " وما تلك بيمينك يا موسى" يشير إلى ما قاله بعض المفسرين: إنما قال له ذلك على سبيل الإيناس له، وقيل إنما قال له ذلك على وجه التقرير، وكان هذا الخطاب من الله تعالى لموسى وحيا، لأنه قال: " فاستمع لما يوحى" ولا بد للنبي في نفسه من معجزة يعلم بها صحة النبؤة نفسه، فأراه في العصا وفي نفسه ما أراه لذلك، ويجوز ما أراه في الشجرة آية كافية له في نفسه، ثم تكون اليد والعصا زيادة توكيد وبرهانا يلقى به قومه، فالعصا يتوكأ موسى عليها في المشي والوقوف، ويهش بها على غنمه فيخبط بها الورق في أغصان الأشجار لتتناوله غنمه، وله فيها حوائج أخرى، وهي إشارة إلى فوائد العصا، فقد روى عنه ميمون بن مهران قال: إمساك العصا سنة للأنبياء، وعلامة للمؤمن، وقال الحسن البصري: فيها ست خصال، سنة للأنبياء، وزينة الصلحاء، وسلاح على الأعداء، وعون للضعفاء، وغم المنافقين، وزيادة في الطاعات، ويقال: إذا كان مع المؤمن العصا يهرب منه الشيطان ،ويخشع منه المنافق والفاجر، وتكون قبلته إذا صلى، وقوة إذا أعيا[1].

أمر الله تعالى موسى أن يلقي عصاه فألقاها فصارت حية تسعى ثعبانا طويلا كما ورد في التفاسير، يتحرك بحركة سريعة، فإذا هي تهتز كأنها جان، فمرت بشجرة فأكلتها، ومرت بصخرة فابتلعها، فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها، فولى مدبرا، فنودي أن: يا

[1] القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):التفسير الجامع لأحكام القران، المجلد11، ص188.

موسى خذها فلم يأخذها، فنودي مرة ثانية أن خذها ولا تخف، فقيل له في الثالثة إنك من الآمنين، فأخذها.

وأعطى الله لموسى برهانا ثانيا وهو أن أمره أن يدخل يده في جيبه، وذلك أن موسى، عليه السلام، كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها، تخرج تتلألأ كأنها فلقة قمر.

أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون ملك مصر ليدعوه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فسأل موسى عليه السلام ربه أن يشرح صدره فيما بعثه به، فإنه قد أمره بأمر عظيم ؛بعثته إلى أعظم ملك على وجه الأرض في ذلك الزمان، وأشدهم كفرا وأكثرهم جنودا، وأطغاهم وأبلغهم تمردا ادعى الألوهية.

كما طلب موسى من ربه أن يحلل عقدة من لسانه، ليفقه قوله وذلك لأنه مكث في دار فرعون مدة وليدا وذلك لما أصابه من اللثغ حين عرضت عليه التمرة والجمرة فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه، ثم قتل منهم نفسا فخافهم أن يقتلوه فهرب منهم إلى مدين، ثم بعثه ربه إليهم نذيرا يدعوهم إلى الله عز وجل.

وسأل موسى عليه السلام ربه أن يجعل هارون وزيرا له يشد به أزره أي ظهره ويشركه في مشاوراته وحتى يذكرا الله ذكرا كثيرا.

وتحيل الضمائر في قوله تعالى: " وقال قد أوتيت سؤالك يا موسى"(الآية :36) إلى إجابة الله لرسوله موسى عليه السلام ثم ذكّره الله بنعمه السالفة عليه، فيما كان ألهم أمه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه لأنه قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان من بني إسرائيل، فوضعته في التابوت ثم اليم (البحر) كما تشير إليه الآية الكريمة (الآية : 39).

فقد قدر الله له أن يربى على فراش فرعون، ويغذى بطعامه وشرابه مع محبته ومحبة زوجته ولهذا قال الله تعالى: " يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني"، قال ابن عباس يريد إن ذلك بعيني حيث جعل في التابوت، وحيث ألقي في البحر، والتقطته جواري امرأة فرعون، فأردن أن يفتحن التابوت لينظرن ما فيه فقالت منهن واحدة، لا تفتحنه

حتى تأتين به سيدتكن فهو أحظى لكن عندها، فذهبن بالتابوت إليها مغلقا، فلما فتحته رأت صبيا لم ير مثله قط، وألقى عليها الله محبته فأخذته إلى فرعون فقالت له، " قرة عيني لي ولك" قال لها فرعون أما لك فنعم، وأما لي فلا، وفي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو أن فرعون قال نعم هو قرة عين لي ولك لآمن وصدق"[1].

ولما استقر موسى عليه السلام عند فرعون عرضت عليه المراضع فرفضها، فجاءت أخته وقالت: " هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون"، تعني هل أدلكم على من ترضعه لكم بالأجرة؟ فذهبت به إلى أمه فرضعها، ففرحوا بذلك فرحا شديدا، واستأجروها على إرضاعه.

بقوله في الآية نفسها: (وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى" (الآية : 40) وهي إشارة إلى ما حدث له بسبب عزم آل فرعون لما قتل قبطيا كافرا خطأ، قتله فهرب إلى مدين، وكان ابن اثنتي عشرة سنة. فنجاه الله من الخوف و القتل والحبس. " وفتناك فتونا" تشير إلى أن الله اختبر موسى عليه السلام حتى صلح للرسالة ،ويحيل الضمير المتصل الكاف بالفعل (اصطنعك) في قوله تعالى: " واصطنعتك لنفسي" إلى أن الله اختاره رسولا لنفسه، وأمره أن يذهب هو وأخوه هارون بحجج الله وبراهينه ومعجزاته إلى فرعون الذي طغى في البلاد وأكثر فيها الفساد، وتمرد على الله وعصاه.

وتحيل ألف الاثنين في (فقولا – اذهبا) إلى موسى وهارون لتنتقل الإحالة من المفرد (موس) إلى المثنى (موسى وهارون) فتتغير حركية الضمائر من الإشارة إلى مرجع واحد إلى الإشارة إلى مرجعين وذلك في الآيات الكريمة:(3 – 34 – 35 – 42 -43 – 45 -46 – 47 – 48 – 49 – 50).

وفي هذه الآيات عبرة عظيمة وهي أمر الله لموسى وهارون بأن يخاطب فرعون باللين والرفق والتحبب إلى من يعاديه لعله يتذكر.

---

[1] القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري): التفسير الجامع لأحكام القران، المجلد11، ص 197.

ومرجعية الضمائر هي مرجعة نصية داخلية تعتمد أساسا على السياق اللغوي للنص القرآني، فالضمائر واضحة لا تحتاج إلى عودة المتلقي إلى خارج النص حتى يفهمها، بل هي ترتبط بكل الإحالات السابقة في السورة التي صرح فيها بذكر لفظ (موسى) و(هارون) مما يجعل الآيات كلها تتماسك وتتلاحم، ويتضح معناها بارتكازها على ما قبلها وما بعدها، فقد اشتكى موسى وهارون إلى الله من فرعون خوفا من أن يعتدي عليهما ويعاقبهما، فقال الله: لا تخافا منه، فإنني أسمع وأرى، تبارك الله رب العرش العظيم.

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار: أن موسى وأخاه هارون خرجا فوقفا بباب فرعون يلتمسان الإذن عليه وهما يقولان :إنا رسولا رب العالمين، فمكثا سنتين يغدوان ويروحان، لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه، فقال له: أيها الملك إن على بابك رجلا يقول عجبا، يزعم أن له ربا غيرك أرسله إليك، قال فرعون: ببابي؟ قال: نعم، قال أدخلوه، فدخل موسى ومعه هارون، فلما وقف على فرعون قال: إني رسول رب العالمين، فعرفه فرعون، وقال له موسى: " قد جئناك بآية من ربك" أي بدلالة ومعجزة من ربك والسلام على من اتبع الهدى" أي: والسلام عليك إن اتبعت الهدى[1].

وأن الله قد أخبرنا فيما أوحاه إلينا أن العذاب لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته، فقال فرعون منكرا وجود الله: " قال فمن ربكما يا موسى" (الآية : 49)،فأجابه موسى عليه السلام بأن الله هو الذي أعطى خلقه ما يصلح لكل ذي خلق فجعل الإنسان إنسانا، والشاة شاة، والحمار حمارا...، فأعطى لكل شيء صورته ثم هدى أي أعطى كل شيء زوجه من جنسه، ثم هداه إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه[2].

-قال تعالى: " قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52)".

---

[1] ابن كثير: تفسير القران العظيم،المجلد الثالث ،ص192.

[2] القرطبي: التفسير الجامع لأحكام القران الكريم، المجلد11 ،ص251.

تمت الإحالة القبلية النصية إلى موسى عليه السلام الذي ذكر صراحة في (الآية: 49): " قال فمن ربكما يا موسى" بواسطة الضمير المستتر (هو) في الفعل (قال) وعن (الياء) ضمير متصل ب(ربي) وهو ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه، مما يجعل هذه الآية تتماسك مع ما قبلها شكلا عن طريق وظيفة الضمائر النحوية، ويجعلها تتماسك معها دلاليا لأن أحداث قصة موسى عليه السلام مع فرعون مازالت مستمرة، فلما أخبر موسى فرعون بأن الله الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى شرع فرعون يحتج بالقرون الأولى بالذين لم يعبدوا الله، فأخبره موسى بأن علمها عند الله تعالى، ليخبره أن هذا من علم الغيب الذي سأل عنه، وعلم أحوال القرون الأولى مكتوبة عند الله في اللوح المحفوظ.

-قال تعالى:" قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59) ".

ترتبط الضمائر المحلية في هذه الآيات من خلال الإحالة إلى موسى عليه السلام فتتنقل حركة الضمائر من الإحالة إلى المثنى (موسى وهارون) في الآيات السابقة إلى الإحالة إلى موسى فقط بصيغة المفرد في:(أجئتنا – تخرجنا – سحرك- نأتيك- اجعل – بينك – أنت – قال.

ونلاحظ أنه مهما اختلفت حركة الضمائر، فإنها تصب في الاتجاه نفسه الذي تدور فيه أحداث قصة موسى مع فرعون الذي رأى المعجزة التي جاء بها موسى فقال بأنها سحر جاء به ليسحرهم ويستولي به على الناس، فأخبر موسى بأنه لديه من السحرة ما يكفي لتكذيبه، فطلب من موسى أن يجعل بينه وبينهم موعدا يجتمعون فيه فقال لهم موسى: " موعدكم يوم الزينة" وهو يوم عيدهم ونورزهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماعهم جميعهم، ليشاهد الناس قدرة الله تعالى على ما يشاء، ولهذا قال تعالى: " وأن يحشر الناس ضحى" أي ضحوة من النهار ليكون أظهر وأبين وأوضح.

-قال تعالى: "قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61)".

ظهرت الإحالة النصية البعدية إلى موسى عليه السلام الذي صرح بذكره في الآية الكريمة، وذلك بواسطة الضمير المستتر (هو) في الفعل (قال) ومع هذا فالآية تترابط مع ما قبلها فتستمر المحاورة التي دارت بين موسى والسحرة حيث طلب منهم أن لا يخيّلوا للناس بأعمالهم الكاذبة فيهلكهم الله.

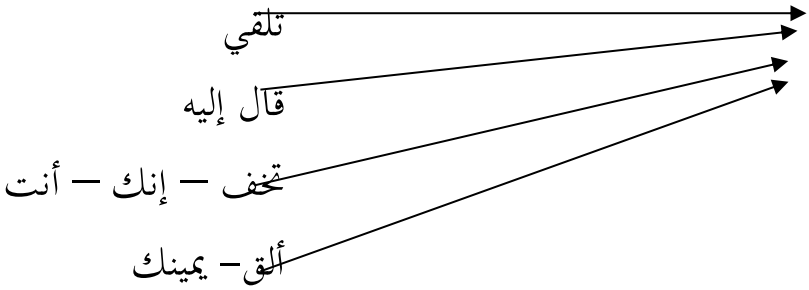
-قال تعالى: " قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (63) ".

تتغير حركة الضمائر مرة أخرى وتظهر الإحالة إلى المثنى المذكر (موسى وهارون) في ست كلمات في آية واحدة هي: (هذان – ساحران – يريدان- يخرجاكم – سحرهما – يذهبا)، وهي إحالة قبلية داخلية تحقق التماسك الداخلي للآية كما تحقق التماسك النصي خارجها لأنها جزء لا يتجزأ من المعاني المستمرة؛ فسحرة فرعون يتهمون موسى وهارون ويصفانهما بأنهما ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر، يريدان أن يخرجاكم من أرضكم وخيركم.

-قال تعالى :" قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69)".

وتتغير حركة الضمائر مرة أخرى من مخاطبة المثنى المذكر في (الآية :63)إلى مخاطبة المفرد في هذه الآيات، فجاءت الإحالة قبلية داخلية في الآيتين :(65 – 66) لأن لفظ موسى عليه السلام ذكر في (الآية: 65) : " قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى"، كما جاءت الإحالة قبلية داخلية في الآيتين :(68 – 69)، وهي تعود على لفظ موسى الذي

ذكر في (الآية: 67)، أما الإحالة في(الآية :67) فجاءت بعدية لأن لفظ موسى ذكر متأخر عن موقعه (موقع الفاعل) في قوله تعالى: " فأوجس في نفسه خيفة موسى" .



مرجعية قبلية

موسى عليه السلام ←أوجس – نفسه

مرجعية بعدية

تناقش سورة طه قضية هامة من قضايا السور المكية وهي عقيدة التوحيد وتثبيتها في النفوس، ومن ثم فدلالتها متماسكة من البداية إلى النهاية، فقد بين الله لرسوله ولكل الناس في كل عصر ما حدث بين موسى والسحرة ؛ فلما طلب السحرة من موسى أن يلقي هو

الأول بعصاه أعرض وطلب منهم أن يلقوا أولا ليرى ماذا يصنعون من السحر، وليظهر للناس أمرهم: " فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى" ، وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب، حيث يخيل للناظرين أنها تسعى باختيارها وإنما هي حيلة، فألقى كل منهم عصا وحبلا، حتى صار الوادي ملآن حيات يركب بعضها بعضا، فخاف موسى على الناس أن يفتتنوا بسحرهم قبل أن يلقي ما في يمينه، فأوحى الله إليه أن يلقي عصاه، فصارت تنينا عظيما ذا عيون وقوائم وعنق ورأس وأضراس، فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم يبق منها شيئا إلا ابتلعته والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك، فقامت المعجزة واتضح البرهان، وبطل من كانوا يصنعون، وآمن السحرة برب موسى.

–قال تعالى: " قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71)".

تحمل الآية الكريمة مرجعيتين قبلتين (له – إنه) إلى موسى عليه السلام الذي ذكر في قوله تعالى: " فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى" (الآية : 70)،وهي بذلك تحقق التماسك الشكلي مع الآيات السابقة وكذلك التماسك المعنوي الدلالي لأن فرعون يقول للسحرة بأنهم صدقوا موسى عليه السلام قبل أن يأذن لهم ويتهم ويكذب أمام الملأ ويدعي أن موسى عليه السلام هو الذي علمهم السحر وبأنهم اتفقوا مع موسى عليه السلام على فرعون ثم أخذ يتهددهم بقطع أيديهم وأرجلهم، ولكن مهما كانت هذه التهديدات، بين له السحرة أنهم لن يختاروه على فاطرهم وخالقهم المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

–قال تعالى: " وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78) ".

تحيل الضمائر في الكلمات (أسر –اضرب – تخاف – تخشى – أتبعهم) إلى موسى عليه السلام، وهي إحالة قبلية، تبين لنا ما حدث لموسى عندما أمره الله سبحانه وتعالى، فحين أبى فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل أن يسري بهم في الليل، ويذهب بهم من قبضة فرعون فأوحى الله إليه أن يضرب بعصاه البحر، وقال: " انفلق بإذن الله، فانفلق بإذنه تعالى، فكان كالجبل العظيم، وأرسل الله الريح على أرض البحر فلفحته حتى صار يابسا كوجه الأرض، وطلب منه أن لا يخاف من فرعون ولا يخشى من البحر أن يغرق قومه.

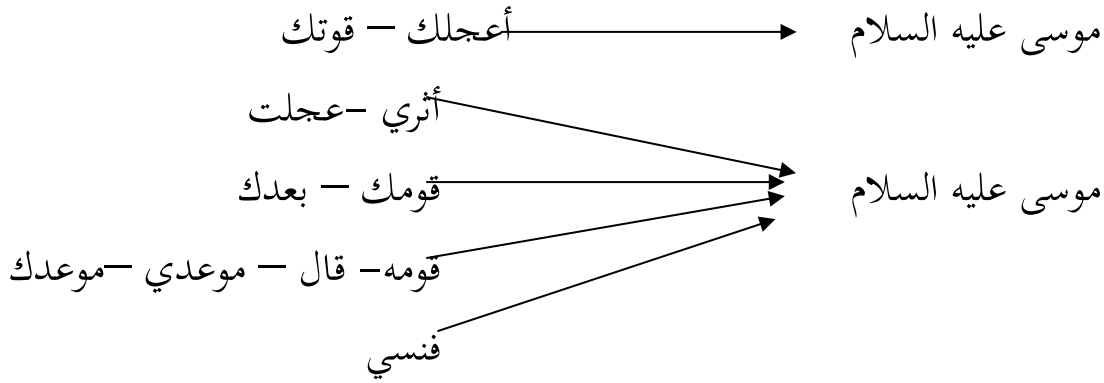
ويحيل ضمير الجماعة (هم) المتصل بالفعل (أتبعهم) إلى موسى وقومه الذين أراد فرعون وجنوده اللحاق بهم فأغرقهم الله في البحر بكفرهم لأن فرعون أضلهم وما هداهم.

–قال تعالى:" وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86) قَالُوا مَا

أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88) ".

تتواصل الإحالة إلى موسى عليه السلام في ست آيات متتالية ومتجاورة، بحيث تتم الإحالة داخل الآية الواحدة كما تتم بين الآيات المتجاورة.

مرجعية بعدية



مرجعية قبلية

فبعد أن هلك فرعون سار موسى عليه السلام ببني إسرائيل، و واعده ربه ثلاثين ليلة ثم أتبعها له بعشر، فتمت أربعين ليلة، أي يصومها ليلا ونهارا، فسارع موسى عليه السلام، مبادرا إلى الطور، واستخلف أخاه هارون على بني إسرائيل، فخاطبه الله سبحانه وتعالى بقوله: " وما أعجلك عن قومه يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى" (الآية : 74) أي لتزداد عني رضا.

وقد أخبر الله نبيه موسى نا حدث لبني إسرائيل بعده وعبادتهم العجل الذي صنعه السامري .الذي كان من قوم يعبدون البقر، فوقع بأرض مصر فدخل في دين بني إسرائيل بظاهره، وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر، وقيل كان رجلا من القبط، وكان جارا لموسى آمن به وخرج معه وقيل كان عظيما من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة وهم معروفون بالشام.

رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا بعدما أخبره الله تعالى بذلك، وهو فيما هو فيه من الاعتناء بأمرهم (بني إسرائيل) وتسلم التوراة التي فيها تشريعهم، وفيها شرف لهم، فقال لهم: " قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا" (الآية: 86).

فالله وعدهم على لسان موسى كل خير في الدنيا والآخرة لكنهم أخلفوا ما وعدوا به لأنهم وعدوه بأن يقيموا على طاعة الله عز وجل إلى أن يرجع إليهم من الطور، وقد اعترفوا بخطئهم، يخبرون عما كان بأيديهم من حلي القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من مصر، وقيل هو ما أخذوه من آل فرعون، لما قذفهم البحر إلى الساحل، وسميت أوزار بسبب أنها كانت آثاما، أي لم يحل لهم أخذها ولم تحل لهم الغنائم " فقذفناها" وتشير الآية الكريمة إلى أنهم قذفوا في النار ما كان معهم من الحلي لتذوب. وقال قتادة: إن السامري قال حين استبطأ قوم موسى إنما احتبس عليكم من أحلى ما عندكم من الحلي، فجمعوه ودفعوه إلى السامري فرمى به في النار، وصاغ لهم منه عجلا، ثم ألقي عليه قبضته من أثر فرس الرسول وهو جبريل عليه السلام، وقال معمر: الفرس الذي كان عليه جبريل هو الحياة، فلما ألقى عليه

القبضة صار عجلا جسدا له خوار أي صوتا، وقيل ابن عباس: لما اشتبكت الحلي في النار، جاء السامري وقيل خواره وصوته كان بالريح، لأنه كان عمل فيه خروقا فإذا ادخل الريح في جوفه خار ولم تكن فيه حياة[1].

وقال تعالى: " هذا إلهكم وإله موسى فنسى"، يشير الضمير المستتر (هو) في الفعل الماضي (نسي) إشارة قبلية إلى موسى الذي يرد عليهم ليبين فضيحتهم وسخافة عقولهم في ما ذهبوا إليه بقوله تعالى: " أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا" (الآية: 89)، أي العجل لا يجيبهم إذا سألوه.

– قال تعالى: "قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ

[1] القرطبي: التفسير الجامع لأحكام القران الكريم، المجلد11 ،ص243.

تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97)".

ذكر لفظ موسى صراحة في (الآية :91): " قالوا لن برح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى" ،فيحيل الضمير المستتر (هو) في الفعل المضارع (يرجع) إحالة نصية بعدية إلى موسى الذي ورد ذكره في آخر الآية، لتعود عليه كل الإحالات الواردة في الآيات المتجاورة (92 – 93 – 94 – 95) وكذلك (الآية :97).

ونلاحظ أن كل الضمائر المستترة والمتصلة تحيل إحالة داخلية في النص من خلال هذه المرجعيات:(قال–تتبعني–أمري–تأخذ–تقول–قولي–فال–قال–نخلفه–نحرقنذه–نسفنّه)، فترتبط المعاني داخل الآية الواحدة كما ترتبط الآيات ببعضها بعض.

أخبر الله تعالى بأن هارون كان قد نهى بني إسرائيل عن عباده العجل وهو ما تدل عليه(الآية :90) ،لأن الله هو الذي خلق كل شيء وهو المعبود وحده لا شريك له، لكن قوم موسى خالفوا هارون وحاربوه وكادوا أن يقتلوه.

وحين رجع موسى إلى قومه رأى ما حدث لهم فامتلأ غيظا، وألقى ما كان في يده من الألواح الإلهية وأخذ برأس أخيه يجره إليه، وشرع يلومه، فقال: " ما منعك إذ رأيتهم ضلوا... " (طه: 92 – 93)، أي فتخبرني بهذا لأمر عندما وقع، فترفق هارون لموسى بذكر أمه ، لأن ذكر الأم هنا أبلغ.

وقال موسى للسامري: " قال فما خطبك يا سامري" (الآية : 95)، ما حملك على ما صنعت؟ فقال ما ورد في قوله تعالى: " قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي" (الآية : 96) فقد ورد في كثير من كتب التفسير أن جبريل عليه السلام، لما نزل فصعد بموسى إلى السماء، بصر به السامري من بين الناس، فقبض قبضة من أثر الفرس، قال: وحمل جبريل عليه السلام، لما نزل فصعد بموسى إلى السماء، بصر به السامري من بين الناس، فقبض قبضته من أثر الفرس، قال: وحمل جبريل

موسى خلفه، حتى إذا دنا من باب السماء، صعد وكتب الله الألواح وهو يسمع صرير الأقلام في الألواح[1].

وترتبط (الآية :97) بالآيات التي قبلها عن طريق الإحالة القبلية على الرغم من انقطاع الإحالة إلى موسى في (الآية : 96) فقد بقي المعنى مستمرا، ما يحقق الارتباط الدلالي بين الآيات، فقد أمر موسى السامري بالذهاب، ونفاه عن قومه وأمرهم ألا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلمونه عقوبة له، وقال الحسن :جعل الله عقوبة السامري " لا مساس" أي لا يماس الناس ولا يمسوه إلى يوم القيامة[2].

وقد أحرق موسى العجل الذي استحال لحما ودما ثم ألقاه في البحر ليقول لهم هذا ليس إلهكم، بل إلهكم هو الله الذي لا إله إلا هو وبذلك تكون الإحالات الضميرية بكل، أنواعها قد ساهمت في تماسك الآيات التي تتحدث عن موسى عليه السلام وقصته مع فرعون ومع السامري ، فكلما ازداد دور الضمائر التي تحيل إليه (موسى) في التماسك النصي ازداد ارتباطها وتضافرها مع الإحالات الأخرى الكبرى والثانوية، كما ازداد ارتباطاها والتحامها بالإحالات الاخرى التي تشكل عناصر قصة موسى عليه السلام (موسى – الله تعالى – فرعون – أم موسى – أخته – أخاه – هارون- بنو إسرائيل – السحرة – الذين – آمنوا – الذين كفروا- السامري).

وهذا ما يؤدي في الأخير إلى تماسك وحدات السورة من خلال موضوعها الأول وهو عقيدة التوحيد والألوهية لله وحده لا شريك له، المعبود وحدة في كل زمان وفي كل مكان.

د- الإحالة إلى آدم عليه السلام:

قال تعالى: " وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ

---

[1] ابن كثير: تفسير القران العظيم، المجلد الثالث، ص203.

[2] ابن كثير: المصدر السابق، ص. ص240-241

أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)".

تختلف حركة الضمائر في سورة طه تبعا لاختلاف الموضوعات التي تضمنتها، وخاصة القصص الواردة فيها إذ أنها اشتملت على قصة موسى عليه السلام مع فرعون وبني إسرائيل والسامري، كما اشتملت على قصة السجود لآدم عليه السلام. ونجد أن الربط الدلالي المشترك بين هذه الموضوعات هو تأكيد النصر والنجاة للمؤمنين على المكذبين والكافرين وهذا تثبيت وتسلية للرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي يخاطبه الله سبحانه وتعالى في هذه السورة الكريمة كما أسلفنا.

ولا شك في أن كل الوحدات الدلالية التي تناولتها السورة تتماسك شكلا عن طريق التراكيب الإحالية المختلفة، وتتماسك دلاليا لأنها تتحدث عن موضوع مقصود وهدف واحد وهو تثبيت العقيدة.

ويلاحظ المتتبع للضمائر في السورة أنها تتغير بتغير الدلالات الكبرى حيث ثم الانتقال في الجزء المحدد بالآيات: (115 – 117 – 118 – 119- 120 – 121 – 122) إلى الحديث عن آدم عليه السلام، الذي ذكر اسمه في خمسة مواضع محددة في الآيات (115- 116- 117 - 120 -121) لتصبح الإحالات الضميرية داخلية تحيل داخل الآية نفسها كما تحيل بين الآيات المتجاورة.

وتتحقق الإحالات الضميرية في هذه الآيات من خلال الكلمات التالية: (تشقى – لك – تجوع – تعرى – أنك – تضمأ – تضحى – إليه – أدلك – أكلا –لهما –سوءتهما – طفقا –يخصفان- عليهما – ربه – غوى – اجتباه – ربه – عليه – اهبطا – جميعا – بعضكم – يأتيكم – اتبع – يضل – يشقى).

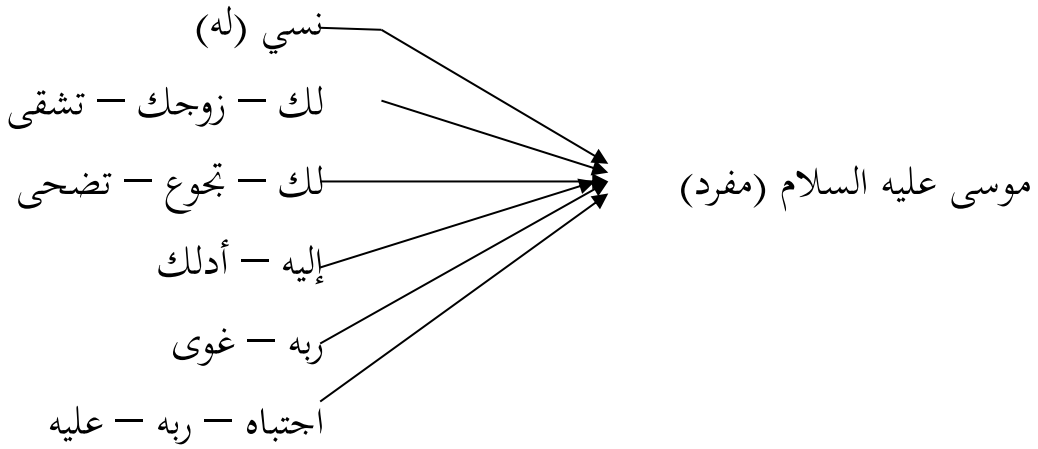
تتوزع مرجعية هذه الضمائر على ثلاث مرجعيات أساسية:

- (أدام (مفرد)

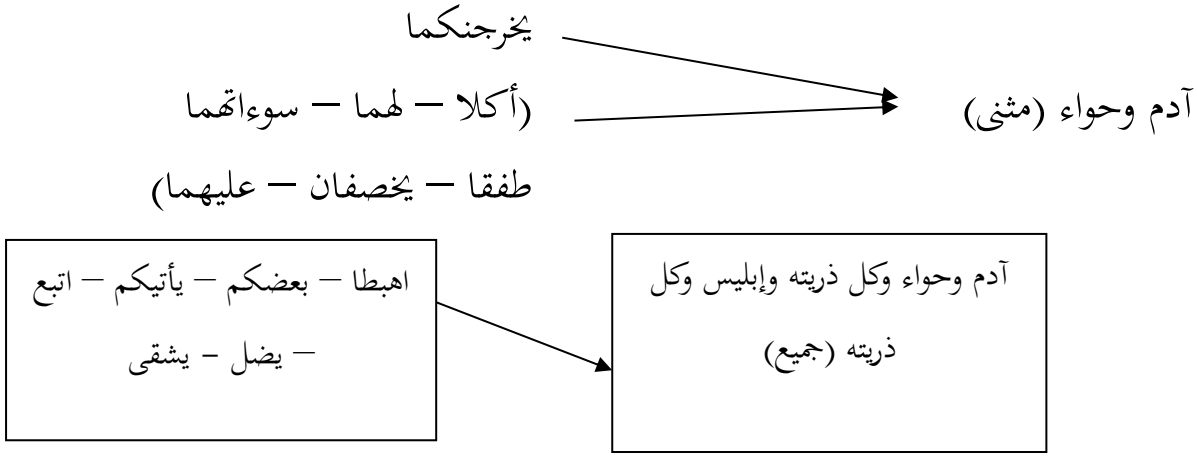
– آدم وحواء (مثنى)

– آدم وحواء، وجميع الناس) .

وهي مرجعيات نصية داخلية تحيل إلى متقدم بالنسبة لآدم وحواء ومرجعيات خارجية مقامية بالنسبة إلى ذرية آدم في كل زمان وفي كل مكان.



مرجعية نصية داخلية قبلية



مرجعية خارجية مقامية

تنتشر الضمائر المحيلة في هذا الجزء من السورة الكريمة في الآية المبنية سابقا، وهي تميل إلى آدم عليه السلام الذي يمثل نواة القصة الثانية في السورة، والتي تجعل كل الأحداث تتضافر وتتلاحم فيها.

فلقد كرّم الله تعالى آدم عليه السلام وشرّفه بأن جعله خليفة في الأرض، وقد تقدم ذكر خلقه وقصته مع سجود الملائكة وعداوة إبليس في سور قرآنية كثيرة منها: (البقرة – الأعراف – الحجر – الكهف –..) فهي كلها تتكامل مع ما ذكر في سورة طه وتتماسك

معها، مما يجعلها متماسكة دلاليا، وهذا التماسك يجعل النص القرآني كله متماسك فما ذكر مجملا في سورة يذكر مفصلا في سورة أخرى، وما ذكر مفصلا في موضع يذكر مجملا في موضع آخر.

–قال تعالى: " وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115)"

بين الله لنا في هذه الآية الكريمة ما حدث لآدم مباشرة من أمر النسيان حيث يحيل الضمير المستتر في الفعل الماضي (نسي) إحالة قبلية إلى لفظ آدم الذي ذكر في الآية نفسها (115)، والنسيان هنا بمعنى السهو.

ومعنى (من قبل) أي من قبل أن يأكل من الشجرة لأنه نهي عنها، والهدف هنا هو تسلية النبي محمد صلى الله عليه وسلم أي أن طاعة بني آدم للشيطان أمر قديم، أي أن نقض هؤلاء العهد فإن آدم أيضا عهدنا إليه فنسي، أي وإن يعرض يا محمد هؤلاء الكفرة عن آياتي، ويخالفوا رسلي ويطيعوا إبليس، فَقِدَما فعل ذلك أبوهم آدم.

وقال ابن عطية هذا التأويل ضعيف، وذلك كون آدم مثالا للكفار الجاحدين بالله ليس بشيء، وإنما الظاهر في الآية إما أن يكون ابتداء قصص لا تعلق بما قبله، وإما أن يجعل تعلقه أنه لما عهد إلى محمد صلى الله ألا يعجل بالقرآن مثل له الله تعالى بنبي قبله عهد إليه فنسي فعوقب، ليكون أشد في التحذير وأبلغ في العهد إلى محمد صلى الله عليه وسلم، والعهد هنا في معنى الوصية، و(نسي) معناه ترك، ونسيان الذهول لا يمكن هنا، لأنه لا يتعلق بالناس عقاب، فآدم عليه السلام كان يعتقد ألا يأكل من الشجرة لكن لما وسوس إليه إبليس لم يعزم على معتقده، والشيء الذي عهد إلى آدم هو الامتناع عن الأكل من الشجرة.واختلف المفسرون في قوله تعالى: " ولم نجد له عزما"، فقال ابن عباس وقتادة: لم نجد له صبرا عن الأكل الشجرة[1].

[1] القرطبي: التفسير الجامع لأحكام القران الكريم، المجلد11،ص251.

– قال تعالى: " فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117)".

يعود الضمير المتصل(الكاف) في (لك) على آدم الذي ذكر قبله وكذلك الكاف في (زوجك). ثم تتغير الإحالة من المفرد إلى المثنى داخل الآية بواسطة الضمير المتصل بالفعل (يخرجنكما) للإحالة إلى آدم وحواء –عليهما السلام– وهي مرجعية نصية قبلية، فقد تمت الإشارة إلى حواء من خلال لفظ (زوجك).

وتتغير حركية الضمائر مرة أخرى إلى صيغة المفرد المذكر في الفعل (تشقى) الذي يوجه فيه الخطاب إلى آدم عليه السلام فأسند إليه الشقاء وحده.

– قال تعالى: "إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119)".

تستمر الإحالات الضميرية القبلية بين الآيات المتجاورة فتعود على آدم عليه السلام، وذلك بواسطة الضمير المتصل الكاف في (لك – أنك)، وكذلك بواسطة الضمائر المستترة في (تجوع (أنت)، – تعرى (أنت) – تظمأ (أنت) – تضحى (أنت))، وهي كلها تتلاحم بشكل جميل جمال التراكيب القرآنية المعجزة بتماسكها الشكلي والدلالي، فبعد أن أخبر الله آدم وحواء بأن إبليس عدو لهما سيخرجنهما من الجنة التي لا يجوع فيها ولا يعرى ولا يعطش ولا يضحى فيها (أي يبرز للشمس فيجد حرها)، إذ ليس في الجنة شمس، إنما هو ظل ممدود كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وهذا ذكر لما يحتاج الإنسان من أهل الدنيا، فذكرها الله له في الجنة، وأنه مكفي لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا.

– قال تعالى: " فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) ".

يرجع الضمير المتصل (الكاف) بالفعل (أدلّك) على آدم الذي ذكر لفظه في (الآية: 120) وهي بذلك إحالة سابقة داخل الآية نفسها حيث فصل بين الضمير ومرجعه حرف الاستفهام فقط (هل).وعليه فإن هذا التماسك الشكلي داخل الآية يجعلها متماسكة دلاليا

أيضا، فالضمير ومرجعه شيء واحد، حيث تتضح تفاصيل قصة آدم عليه السلام مع إبليس الذي وسوس لآدم، وسأله أن يدله على شجرة الخلد ؛فكل من أكل منها خلد بزعمه، وهذا ما ذكره سبحانه وتعالى في سورة الأعراف أيضا في قوله: "فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سؤتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكن أو تكون من الخالدين" الأعراف(الآية : 20)، وبذلك يتم التماسك على مستوى السورة الواحدة ويمتد إلى باقي السور القرآنية التي تتحدث عن الموضوع نفسه أو تكمّله وتوضحه.

وهذه الشجرة هي التي نهى الله آدم أن يأكل منها في الجنة كما ذكر في سورة البقرة كذلك في قوله تعالى :"**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين (34) وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (35)**". وهنا يتجلي لنا التماسك النصي القرآني عن طريق القصص القرآني حيث يتجاوز التماسك السورة الواحدة.

– قال تعالى: "فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122)".

إن مرجعية الضمائر في الآيتين الكريمتين تختلف من حيث مخاطبة المفرد (آدم) ومخاطبة المثنى (آدم وحواء).

آدم (مفرد) ⟵ ربه– غوى–اجتباه–ربه–عليه.

مرجعية قبلية

آدم وحواء ⟵ أكلا–لهما–سؤتهما–طفقا– يخصفان–عليهما.

مرجعية سابقة

قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن إشكاب، حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن عن أبي كعب قال: قال رسول الله صلى الله **عليه وسلم :"إن الله خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس، كأنه نخلة سحوق. فلما ذاق**

الشجرة سقط عنه لباسه، فأول ما بدا منه عورته، فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة، فأخذت شعره شجرة، فنازعها، فنادى الرحمان، يا آدم مني تفر؟ فلما سمع كلام الرحمان قال: يا رب لا، ولكن استحياء، أرأيت إن تبت ورجعت ، أعائدي إلى الجنة؟ قال نعم ، فذلك قوله تعالى: "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه"[1]. ويشير الضمير المنفصل في الفعل (أكلا) إلى أن آدم لما أكل من الشجرة أكلت معه حواء أيضا ، ولكن تم إثبات العصيان لآدم دون زوجته، وهذا يدل على أن آدم كان قدوة لزوجته لأنها تتبعه، وعصى آدم ربه فغوى أي شد عليه عيشته بنزوله إلى الدنيا .كما جاء في تفسير القرطبي[2].

ويحيل قوله تعالى"فاجتباه" إلى الاجتباء على آدم بعد أن عوقب هو وزوجته بالخروج من الجنة كما ذكر في سورة البقرة.

-قال الله تعالى: " قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) ".

خاطب الله تعالى آدم وإبليس بقوله "اهبطا"، وهو ما يحيل عليه الضمير المستتر (أنتما)، وقد ذكر في الآيات السابقة (الآية: 120):"فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى".

أمر الله آدم والشيطان بالخروج من الجنة، فمخاطبة المثنى "اهبطا" ليس خطابا لآدم وحواء -لأنهما ما كانا متعاديين- فتضمّن هبوط آدم هبوط حواء.

تنتقل المرجعية الضميرية من داخل النص القرآني (السياق اللغوي) إلى السياق الخارجي للنص من خلال مخاطبة الجماعة والمفرد: آدم وذريته وإبليس وذريته عن طريق الكلمات التالية : (بعضكم-يأتينّكم - اتبع – يضل – يشقى)، وهي إشارة إلى أن الله

تعالى أنزل الهدى أي الرشاد وقول الحق لهداية الناس، وهو ما جاء به الرسل من معجزات وكتب سماوية.

---

[1] ابن كثير: تفسير القران العظيم،المجلد الثالث، ص208.

[2] القرطبي: التفسير الجامع لأحكام القران الكريم، المجلد11، ص357.

ويشير قوله تعالى:"فلا يضل ولا يشقى" إلى المقام الخارجي المنفتح على المستقبل، لأن الله تعالى ضمن لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

نجد أن هذه الإحالات الداخلية والخارجية قد ساهمت في إماطة اللثام عن كثير من المعاني، كما منحت النص القرآني تماسكا داخليا من خلال السياق اللغوي للنص، وانسجاما كبيرا مع واقعه الخارجي من خلال الإحالات المقامية التي تشمل كل الناس في كل مكان وزمان،وهو ما يجعل وظيفة التبليغ والتواصل في النص القرآني مستمرة لا تنقطع. وهو ما يجعل النص القرآني المقدس يسموا على كل النصوص التي يكتبها البشر.

1-1-2 الإحالة الموصولية:

توزعت الإحالة الموصولية بجميع أنواعها في سورة طه على النحو الآتي :

الاسم الموصول	تواتره	نسبته المئوية بالنسبة إلى كل الإحالات	رتبته
ما	21	%2,71	01
من	16	%2,06	02
الذي	06	%0,77	03
المجموع	43	%5,56	/

جدول رقم -7-

يتبين لنا من خلال الجدول ما يلي:

-جاءت الأسماء الموصولة في سورة طه في المرتبة الثانية بنسبة 5,56% من مجموع كل الإحالات (الضميرية- الموصولية – الإشارية) وذلك بتواترها (43) مرة، وقد جاءت الإحالة الضميرية في المرتبة الأولى بنسبة 92,76%كما أسلفنا.

-جاء الاسم الموصول"ما" في المرتبة الأولى بتواتره(21) مرة بنسبة 2,71% من مجموع الإحالات، وجاء الاسم الموصول "من" في المرتبة الثانية بتواتره(16) مرة بنسبة2,06% وهي نسبة متقاربة مع النسبة الأولى، أما الاسم الموصول"الذي" فقد احتل المرتبة الثالثة والأخيرة بنسبة ضعيفة وهي 0,77% بتواتره(06) مرات فقط.

برزت الأسماء الموصولة التي وردت في السورة من خلال وظيفتها في تحقيق التماسك النصي، وربط الإحالات الموصولية على مستوى التركيب والمعنى.

أ-الإحالة الموصولية بـ"ما":

-قال تعالى:" لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6) ".

تكرر الاسم الموصول"ما" في الآية الكريمة أربع مرات، في إطار ارتباط الإحالة الضميرية في"له" بالإحالات الموصولية داخل الآية، والتي تتحدث عن الله سبحانه وتعالى، فالجميع ملكه وفي قبضته وتحت تصريفه ومشيئته وتحت إرادته وحكمه، فالله هو الذي خلق كل شئ ومالكه، لا إله سواه وهو ما تحيل إليه الكلمات الواقعة صلة الموصول لأن الاسم الموصول لا يمتلك دلالة مستقلة بل يعود إلى عنصر مذكور في أجزاء النص، وقد تكرر في هذه الآية الكريمة في مقام إثبات ألوهية ووحدانية الله سبحانه وتعالى. فقد ارتبط الاسم الموصول "ما" بالسماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى (الثرى هو التراب وما تحته هو باطن الأرض كله).

ولقد رد الله في هذه الآية الكريمة على مزاعم المشركين ؛ أن لآلهتهم التصرف في الأرض، وأن الجن تطّلع على الغيب، ولتقرير هذا الرد ذكرت أنحاء الكائنات وهي السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

-قال تعالى:" وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13)"

تشير الإحالة الموصولية البعدية "ما" إلى (الوحي) في الآية الكريمة والذي تفسره الآية التي بعدها من خلال قوله تعالى: "إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)"، لتدل الآيتين الكريمتين على التماسك الشديد بين الإحالات الكبرى في السورة بحيث ترتبط الإحالة الضميرية إلى الله سبحانه وتعالى وموسى عليه السلام بالإحالة الموصولية، وهو ما يحقق التماسك النصي في سورة طه، لأن الله سبحانه وتعالى يأمر موسى
عليه السلام أن يستمع لما يوحى، وهو إقرار لألوهيته تعالى، وهذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده ولا شريك له المعبود وحده وهي عقيدة التوحيد التي ترتكز عليها سورة طه المكية.

-قال تعالى: " إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15)".

إن مرجعية الاسم الموصول "ما" في هذه الآية الكريمة هي مرجعية سابقة، لأنه يعود على"كل نفس" في الآية نفسها، فقد أخفى الله موعد الساعة من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين، وذلك حتى يثاب أو يعاقب كل واحد على ما قدمت يداه.

-قال تعالى: "إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38)".

يحيل الاسم الموصول "ما" إحالة بعدية على صلة الموصول "يوحى" في الآية نفسها وهو ما تفسره الآية التي بعدها في قوله تعالى:" أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)" ،وهذا ما يجعل سلاسل الجمل والآيات تترابط فيما بينها محققة نصية النص القرآني.

- قال تعالى:" وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) ".

وردت الإحالة الموصولية "ما" مرتين في الآية الكريمة فكانت مرجعية "ما" الأولى في "ما في يمينك" مرجعية بعدية تعود على "يمينك" في الآية نفسها ، كما تحيل إلى العصا التي ذكرت صراحة في (لآية :18) إحالة قبلية ،و ترتبط أيضا بالإحالات الضميرية التي تدل عليها الضمائر في الآيات: (18-19- 20- 21-42- 56) ،مما يجعل كل أجزاء السورة تترابط نحويا ودلاليا.

ويعود الاسم الموصول "ما" الثاني في "ما صنعوا" على ما بعده إحالة بعدية لاحقة إلى "كيد ساحر" في الآية نفسها.

فقد ساهمت الإحالة الموصولية في الربط بين الآيات السابقة واللاحقة ربطا قويا يجعل المعاني كلها تشد بعضا بعضا.

- قال الله تعالى:" قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) ".

يعود الاسم الموصول في "ما جاءنا" على "البينات " بعده مباشرة في الآية نفسها، ولكن "ما" الثانية في "ما أنت قاضي" ترجع على فرعون الذي ذكر اسمه في (الآية :60).

– قال تعالى:"إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73) ".

تعود "ما" على ما ذكر بعدها داخل الآية أي على "السحرة"، وهو ما تفسره صلة الموصول "أكرهتنا"، أي ما أكرهه فرعون عليهم ، وفي هذا قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي سعيد ، عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: "وما أكرهتنا عليه من السحر " قال: "أخد فرعون أربعين غلاما من بني إسرائيل، فأمر أن يعلموا السحر بالفرمان وقال: علموهم تعليما لا يعلمه أحد في الأرض"[1].

وهذا ما أكده ابن خلدون في مقدمته عندما قال: "و أما وجود السحر في أهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسريانيين، نطق به القرآن الكريم وجاءت به الأخبار، وكان للسحر في بابل ومصر أزمان بعثة موسى من جنس ما يدعون ويتناغون فيه"[2].

فقد نطق القرآن الكريم بوجود السحر وتعليمه في زمن موسى عليه السلام، وهو ما ورد ذكره في سورة طه، وغيرها من السور كسورة البقرة مثلا (الآية :102).

– قال تعالى : " فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78) .

يحيل الاسم الموصول "ما" في الآية الكريمة في قوله تعالى: "ما غشيهم" إحالة داخلية قبلية إلى "فغشيهم من اليم" ،وغشيان البحر لفرعون وجنوده هو تغطيته جثثهم وغرقهم، "فما غشيهم" تفيد ما أفاده قوله تعالى:" فغشيهم من اليم".

– قال تعالى:" كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (81)".

يشير الاسم الموصول "ما" في قوله تعالى:"ما رزقناكم" إلى صلته التي وردت بعده مباشرة، حيث يذكر الله نعمه على بني إسرائيل الذين نجاهم من عدوهم فرعون، وأمرهم أن يأكلوا من ما رزقهم "المن والسلوى"الذي ذكر في (الآية :80)، وهنا تمتد الإحالة إلى ما ذكره

---

[1] ابن كثير: تفسير القران العظيم،المجلد الثالث، ص. ص197-198.

ابن خلدون(عبد الرحمان بت محمد):مقدمة ابن خلدون،ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني، دار الكتاب [2]العربي،بيروت،لبنان،1425هـ،2005م،ص460.

الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة: "و ظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون" (الآية: 57).

والمن هو حلوى كانت تتنزل عليهم من السماء، والسلوى هو طائر يسقط عليهم فيأخذون من كل قدر حاجته إلى الغد، لطفا من الله ورحمة بهم.

فتربط الإحالة الموصولية بين سورة مكية (طه) وسورة مدنية (البقرة) ربطا واضحا، وهذا ما يحقق التماسك النصي في القرآن الكريم ككل.

– قال تعالى:" قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96)".

يحيل الاسم الموصول في قوله تعالى:"ما لم يبصروا " وهي إشارة إلى قوله تعالى:"أثر الرسول". وحتى نفهم الإحالة هنا نحتاج إلى العودة إلى المقام الخارجي، حيث قال السامري بأنه رأى جبريل عليه السلام على فرس الحياة، فألقى في نفسه أن يقبض من أثره قبضه، فما ألقاها على شيء إلا صار له روحا ولحما ودما.

– قال تعالى: " كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99)".

يعود الاسم الموصول "ما" في قوله تعالى:"ما قد سبق" إحالة قبلية إلى قصة موسى عليه السلام، وذلك من (الآية:09 إلى غاية الآية:98) وإحالة بعدية إلى قصة آدم عليه السلام من (الآية: 115 إلى غاية الآية :122).

نلاحظ أن هذا الارتباط الشكلي والدلالي على مستوى كل هذه الآيات يجعل السورة تتماسك وتتلاحم بشكل عجيب، كما ترتبط الإحالة الموصولية في الآية الكريمة باسم الإشارة "كذلك"في بدايتها.

ومن ثم يتأثر المعنى بكل الآليات اللغوية التى وردت في السورة، و يصبح المعنى مبنيا على كل العلاقات الإحالية التي تكمل بعضها بعض،والتي يتواصل المعنى من خلالها لأن الله تعالى يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم المقصود الأول بالخطاب في هذه السورة الكريمة : كما قصصنا عليك خبر موسى و ما جرى له مع فرعون و جنوده كذلك نقص عليك الأخبار التي

وقعت في الزمن البعيد جدا مع آدم عليه السلام وقصة سجود الملائكة و رفض إبليس السجود...

– قال تعالى: "نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104)".

جاء الاسم الموصول وصلته (ما يقولون)جملة اعتراضية بين الآيتين:(103) و (104) الواردة فيها، و بذلك جاءت الإحالة في اتجاهين :قبلية تحيل إلى قوله تعالى :" يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (103) "، وبعدية تحيل إلى قوله تعالى في الآية نفسها:" إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104) " أي أنهم يقولون ذلك سرا و الله أعلم به.

– قال تعالى:" يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110)".

تكرر الاسم الموصول "ما"مرتين في الآية الكريمة، فقد أحالت "ما" الأولى إحالة بعدية إلى صلة الموصول (بين أيديهم)، و تحيل "ما"الثانية كذلك إلى صلة الموصول (خلفهم)، وهي إشارة إلى أن الله يحيط علما بالخلائق كلهم.

– قال تعالى:" فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130)".

يعود الاسم الموصول (ما) في الآية الكريمة على تكذيب كفار مكة للرسول صلى الله عليه وسلم،و هي إحالة مقامية خارجية لأن لفظ كفار مكة لم يذكر صراحة في الآية و إنما

تدل عليها الإحالات الضميرية في قوله تعالى :" أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (128)"،و ذلك في الكلمات التالية:(لهم–قبلهم–يمشون)،فهؤلاء المكذبين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم سيجيئهم العذاب في أجل مسمى . و لهذا قال الله تعالى مسليا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: **"فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ".**

–قال تعالى:" وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131)".

يشير الاسم الموصول "ما" إلى السياق الخارجي، ويدل مع صلة الموصول (متّعنا) على النعم الزائفة التي يتمتع بها هؤلاء المترفين من زخارف الدنيا كالبنين والأموال والمنازل والملابس والمطاعم[1]. وهذا ما يضمن تماسك الآيات داخل السورة و انسجامها مع مقامها الخارجي.

-قال الله تعالى:" وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (133)".

يحيل الاسم الموصول إحالة قبلية إلى (بيّنة) التي تشير إلى محمد صلى الله عليه وسلم و القرآن الذي أنزله الله عليه رسالة للعالمين، وذلك لأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم موعود به في الكتب السماوية السابقة.

وقد صرّح بذكر لفظ القرآن الكريم في الكلمات التالية: (القران(الأية2)، الذكر (الأية99)، ذكري (الأية124)، آياتنا (الآيتان (126-127)).

ونخلص هنا إلى أن الإحالة الموصولية من أهم الآليات التي تربط بين العناصر اللغوية وتعمل على تماسكها في النص القرآني (سورة طه)، فللإحالة الموصولية دور كبير في بروز الوظيفة النصية للسورة.

ب-الإحالة الموصولية ب"من":

سبقت الإشارة على أن الإحالة الموصولية في سورة طه ترتكز على ثلاثة أسماء (ما،من،الذي)، و قد تكرر الاسم الموصول "من" (16) مرة بنسبة 2,17 % ليحتل المرتبة الثانية بعد الاسم الموصول "ما"، و هي تتجلى كما يلي:

-قال الله تعالى: " إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3) ".

يعود الاسم الموصول"من" على صلته (يخشى)، و هي إحالة بعدية تحيل إلى أن الله أنزل كتابه وبعث رسله رحمة للناس وذلك للذي يخاف الله ويتذكر ما أمره به وما نهاه عنه.

-قال تعالى: "تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى (4)".

---

[1] الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ص591.

يحيل الاسم الموصول "من" إحالة بعدية إلى كلمة (الرحمان) التي ورد ذكرها في الآية السابقة : "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ استوي (5) ".

فتتماسك الآيتان المتجاورتان (04و05) عن طريق الإحالة الموصولية البعدية، بالإضافة إلى الإحالات الأخرى الضميرية و الإشارية التي تجتمع كلها من أجل توضيح المعنى المقصود. فالعدول عن ذكر اسم الجلالة في (الآية: 04) وذكره في (الآية :05) أو العدول إلى الموصولية عن الضمير الذي ذكر في (الآية : 02): " مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2)" لما تؤذن به الصلة من تحتم إفرداه تعالى بالعبادة لأنه خالق المخاطبين بالقرآن وغيرهم مما هو أعظم منهم خلقا لذلك وصف السماوات بالعلى[1].

–قال تعالى:" فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16) ".

ورد الاسم الموصول"من" في محل رفع فاعل، و هو يحيل إحالة نصية داخلية بعدية على(من لا يؤمن) التي ذكرت في الآية نفسها، وتحيل إلى الذي لا يؤمن بيوم القيامة وهو من اتبع هواه و أقبل على ملاذ الدنيا وعصى خالقه.

–قال تعالى: "إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40) ".

يرجع الاسم الموصول (من) في قوله تعالى: (من يكفله) على من ترضعه و هي أم موسى نفسها، وذلك أنه لما استقر موسى عليه السلام رضيعا عند فرعون عرضوا عليه المراضع، فرفضها، فجاءت أخته وقالت: "هل أدلكم على من ترضعه لكم بالأجرة؟ فذهبت به و هم معها إلى أمه، فعرضت عليه ثديها،فقبله،ففرحوا بذلك فرحا شديدا"[2].

–قال تعالى:" فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47)".

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير،ج16، ص345.

[2] ابن كثير:تفسير القرآن العظيم، المجلد الثالث،ص 184.

ذكر الاسم الموصول في قوله تعالى: "من اتبع الهدى" ،ويعود على صلته (الهدى) ، و هي إحالة موصولية تمتدد إلى المقام الخارجي للسورة ، و هي بذلك تشمل كل من اتبع الهدى و سلم من سخط الله عز و جل وعذابه.

– قال الله تعالى: "إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48)".

يحيل الاسم الموصول في قوله تعالى: "من كذب وتولى" إحالة مقامية أيضا وهي إحالة مستمرة تشمل كل الناس في كل عصر؛ فقد أخبرنا الله تعالى فيما أوحاه إلى موسى عليه السلام أن العذاب للذي يكذّب بآيات الله و تولى عن طاعته ،إذن فالتبليغ هنا يستمر لا يتوقف على عصر موسى عليه السلام أو زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بل يشمل كل الناس في كل زمان ومكان.

– قال الله تعالى:" قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61)".

ورد الاسم الموصول "من" في محل رفع فاعل في قوله تعالى: "من افترى" و هو يحيل إحالة قبلية إلى (الآية :58):" **فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58)**".

هذا بالإضافة إلى الضمائر المحلية إلى السحرة في السورة، وهو ما يجعل دور الاسم الموصول كبيرا في ربط الآيات الكريمة المتجاورة وكذلك البعيدة المسافة على مستوى الشكل والدلالة.

– قال تعالى:" فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64)".

يتضح الاسم الموصول "من" من خلال قوله تعالى: " من استعلى" وهو في محل رفع فاعل، يحيل إلى السحرة الذين قالوا هذا لبعضهم بعض، و قيل من قول فرعون لهم.

–قال تعالى: "قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65).

وردت "من " الموصولية في قوله تعالى: "من ألقى" و هي اسم موصول مبني في محل رفع فاعل، تعود على السحرة في الآيات السابقة، و بذلك فهي آلية من آليات التماسك النصي تربط بين سلاسل الآيات دون أن ينقطع المعنى.

–قال تعالى:" إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76) ".

جاء الاسم الموصول"من" في هذه الآيات المتجاورة في محل رفع فاعل، فجاءت "من " في قوله تعالى: "إنه من يأت ربه" جملة اعتراضية بين حكاية قصة السحرة و بين ذكر قصة خروج بني إسرائيل، فأحال الاسم الموصول على فرعون الذي صرح بذكره في (الآية: 60) كما أشارت إليه الإحالات الضميرية في الآيات: (71-72-73)، ويدل السياق اللغوي للآيات على أن ما وعظ به السحرة فرعون هو تحذيره من غضب الله تعالى وعذابه الدائم.

وتحيل "من " في قوله تعالى: "ومن يأته" إحالة مقامية خارجية تشمل كل المؤمنين في كل عصر، فمن لقي ربه يوم القيامة مؤمنا فله الجنة ذات الدرجات العاليات. فعن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض. والفردوس أعلاها درجة، و منها تخرج الأنهار الربعة، و العرش فوقها، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس"[1].

ويستمر الترابط الشكلي و الدلالي في (الآية: 76) حيث وردت الإحالة الموصولية في قوله تعال: "من تزكى "و هي إحالة مقامية أيضا تشمل كل من طهر نفسه من الدنس والشرك بالله و عبد الله وحده لا شريك له، وصدق الرسل و الأنبياء فيما جاؤوا به.

– قال تعالى: " وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (82) ".

وردت الإحالة الموصولية في قوله تعالى : "لمن تاب و آمن "و هي إحالة إلى بني إسرائيل الذين ذكروا في قوله تعالى: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80)"، ونحتاج في هذه الإحالة إلى العودة إلى السياق الخارجي لأن الله سبحانه و تعالى يخبر بني إسرائيل في زمن الرسول صلى الله عليه

[1] ابن كثير: تفسير القران العظيم،المجلد الثالث، ص198 .

و سلم بأنه توّاب على كل من أناب من أي ذنب كان حتى أنه تعالى قد تاب على من عبد العجل من بني إسرائيل و رجع على ما كان فيه من كفر أو شرك أو معصية .

-قال تعالى:" يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109)".

جاءت الإحالة الموصولية ب (من) في قوله تعالى: "من أذن له الرحمان" إحالة مقامية خارجية أي لا تنفع الشفاعة أحدا يوم القيامة إلا من أذن له الرحمان.

-قال تعالى: " وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111)".

وجاءت الإحالة في هذه الآية الكريمة إحالة مقامية كذلك في قوله تعالى:"من حمل ظلما" لأن الله سيعطي لكل ذي حق حقه يوم القيامة، وقد خاب من أشرك بالله وكفر به.

-قال تعالى: "وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127)".

ظهرت الإحالة الموصولية في قوله تعالى:"من أسرف" وهي إحالة مقامية أيضا إلى الكافرين المكذبين بآيات الله.

وبهذا فقد ساهم الاسم الموصول"من" في تماسك الآيات القرآنية بما قبلها وما بعدها، تماسكا يتلاحم مع أنواع الإحالات الأخرى(الضميرية و الإشارية) مما يجعل انتشار كل هذه الإحالات منظما داخل السورة وموزعا من البداية إلى النهاية، كما تضمن هذه الإحالات الموصولية انسجام النص القرآني (سورة طه) مع مقامه الخارجي الذي يتواصل فيه التبليغ، أي ما يحقق الوظيفة التواصلية للنص القرآني الذي خاطب الناس على قدر عقولهم ، فهو رسالة معجزة و خالدة بما أودعه الله من أسرار .

ج- الإحالة الموصلية ب "الذي":

ظهرت الإحالة بالاسم الموصول "الذي" بنسبة قليلة في سورة طه حيث بلغت 0,68% بتواتره خمس مرات فقط، وعلى الرغم من قلته فإنه قد ساهم إلى جانب الأسماء الموصولة الأخرى في تماسك الآيات تماسكا داخليا و خارجيا، و ذلك في المواضع الآتية:

- قال تعالى:" قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)".

يحيل الاسم الموصول "الذي" إحالة قبلية على (ربنا) المذكورة في الآية نفسها، كما يحيل الضمير المستتر في (أعطى) و (هدى) على الاسم الموصول (الذي) مما يزيد في تماسك المعاني التي تؤكد أن الله هو الذي أعطى كل شيء صورته.

– قال تعالى:" الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53)".

يحيل الاسم الموصول "الذي" في الآية الكريمة إحالة قبلية إلى (ربنا) في قوله تعالى:" قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)"و بذلك يربط الاسم الموصول "الذي" بين الآيتين حتى وإن كان بينهما فاصل.

وإذا تأملنا الآية الكريمة نجد أن الاسم الموصول "الذي" مبني في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو" يرجع على مرجع واحد هو (ربنا) الذي جعل الأرض مستقرا للمخلوقات وجعل فيها طرقا يمشون في مناكبها وأنزل من السماء ماء فأخرج به من كل أنواع النباتات.

–قال تعالى:" قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71)".

يحيل الاسم الموصول في قوله تعالى:"إنه لكبيركم الذي علمكم السحر" إلى (كبيركم) إحالة قبلية، وهو يشير إلى موسى عليه السلام الذي يدعي عليه فرعون كذبا وبهتانا، لأنه قال لرعيته لما آمنوا بالله ورسوله: إنما أخذتم السحر عن موسى واتفقتم وإياه علي وعلى رعيتي.

ونلاحظ أن الإحالة الموصولية تتحد مع الإحالة الضميرية حيث يحيل الضمير المستتر(هو) في (علّمكم) إلى الاسم الموصول (الذي) مما يجعل الآية تتضافر وتتماسك داخليا شكلا ودلالة.

–قال الله تعالى:" قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72)".

ورد ذكر الاسم الموصول"الذي" في الآية الكريمة مع الاسم الموصول "ما" الذي تكرر مرتين مما يجعل الإحالة الموصولية تعمل بشكل قوي على الربط الداخلي للآية والربط الخارجي

لها، حيث يعود "الذي" على (فطرنا) إحالة بعدية نصية كما يعود الضمير المتصل في (فطرنا) على(الذي).

ويدعم هذا التماسك الشكلي التماسك المعنوي الناتج عن تضافر الإشارات الموصولية لأن السحرة الذين آمنوا برب هارون وموسى بعد أن رأوا الآيات أخبروا فرعون الذي يتوعدهم بقطع أيديهم و أرجلهم و صلبهم بأنهم لن يختاروه على فاطرهم و خالقهم الذي أنشأهم من العدم.

-قال الله تعالى: " قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97)إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98)".

جاء ذكر الاسم الموصول "الذي" في الآيتين: (97-98) المتجاورتين و الواردتين في سياق حديث موسى عليه السلام مع السامري ، فرجع الاسم الموصول الأول (الذي ظلت...) مرجعية داخلية سابقة على (إلهك) الواردة في الآية نفسها،حيث أخبر موسى عليه السلام السامري بأنه سيحرق إلهه (أي العجل) الذي أقام على عبادته.

أما الاسم الموصول (الذي) في قوله تعالى : (الذي لا إله إلا هو) يعود على الله و هي مرجعية نصية قبلية في الآية نفسها، يدل على أن موسى عليه السلام يبين لقومه حقيقة العجل فيقول لهم : ليس إلهكم، إنما إلهكم هو الله الذي لا إله إلا هو.

1-1-3 الإحالة الإشارية:

تتوزع الإحالة بأسماء الإشارة في سورة طه المكية وفق الجدول التالي:

اسم الإشارة	تواتره	نسبته المئوية
ذلك(كذلك)	08	%1,03
تلك	01	% 0,12
أولئك	01	%0,12
هذه	01	%0,12
أولاء	01	%0,12
هذا	01	%0,12
المجموع	13	%1,68

جدول رقم –8–

يتبين من الجدول أن الإحالة بأسماء الإشارة في سورة طه ضعيفة مقارنة بالإحالة الضميرية والإحالة الموصلية،و هي بذلك تحتل المرتبة الثالثة بتواترها (13) مرة بنسبة1,68%من مجموع كل الإحالات.

تتفرع هذه الإحالات الإشارية بنسب متقاربة، احتل فيها اسم الإشارة (ذلك) المرتبة الأولى بتكراره (08) مرات بنسبة 1,03% واحتلت فيها باقي الأسماء المرتبة الثانية حيث ذكرت بنسب متساوية، و ذلك بتواترها مرة واحدة بنسبة 0,12% لكل اسم من الأسماء التالية: (تلك–هذه–أولئك–أولاء–هذا).

وعلى الرغم من قلة ورود الأسماء الإشارية في سورة طه إلا أنها أدت إلى تماسك الآيات و التحامها.

أ– الإحالة باسم الإشارة (ذلك) :

–قال الله تعالى:"جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76) ".

يحيل اسم الإشارة "ذلك"إحالة قبلية على(جنات عدن) في الآية نفسها، التي وردت جملة معترضة بين حكاية قصة السحرة وبين ذكر قصة خروج بني إسرائيل؛ ساقها الله موعظة و تأييدا لمقالة المؤمنين من قوم فرعون، و قيل: هي من كلام هؤلاء المؤمنين.

-قال الله تعالى: "قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87)".

اقترن اسم الإشارة (ذلك) بالفاء التفريعية، فما صدر بعدها هو من قائل الكلام المفرّع عليه، فهو يحيل إلى قوم بني إسرائيل (قوم موسى) إحالة قبلية في الآية السابقة :" **فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86)**،أي: فمثل قذفنا زينة القوم في النار، ألقى السامري شيئا من زينة القوم فأخرج لهم عجلا، والمقصود من هذا التشبيه هو التخلص إلى قصة صوغ العجل الذي عبده بنو إسرائيل.

-قال تعالى: "كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99)".

يشير اسم الإشارة (ذلك) المقترن ب(الكاف) إلى قصة موسى عليه السلام كاملة وذلك من (الآية09 إلى غاية الآية98)، حيث جاءت هذه الإحالة الإشارية في إطار مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلعبت دورا كبيرا في تماسك (الآية :99) مع كل الآيات التي وردت قبلها مما يحقق التماسك النصي في سورة طه حيث تترابط كل هذه الآيات على الرغم من البعد البنيوي .

-قال تعالى: "وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113)".

يحيل اسم الإشارة (ذلك) إلى قوله تعالى في (الآية :99) ، فقد تم عطف (وكذلك) على(كذلك نقص) أي: ومثل ذلك الإنزال، وكما أنزلنا عليك الآيات المتضمنة للوعيد أنزلنا

القرآن كله على هذه الوتيرة. فقد اجتمع العطف مع التشبيه مع اسم الإشارة لتحقيق هذا النوع من التماسك النصي المعجز بلغته ومعانيه.

– قال تعالى: "قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126)".

تكرر اسم الإشارة (ذلك) مرتين مقترنا بكاف التشبيه و هو اسم إشارة مبني في محل جر اسم مجرور. والإشارة هنا راجعة إلى(العمى) الوارد في الآية السابقة ،و يشير اسم الإشارة الثاني(كذلك اليوم تنسى) على (العمى) دائما أي: مثل ذلك الحال التي سألت عن سببها كنت ناسيا آياتنا حين أتتك، وكنت تعرض عن النظر في الآيات حين تدعى إليها فكذلك الحال كان عقابك عليه.

– قال الله تعالى: "وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127)".

يشير اسم لإشارة (كذلك) إلى قوله تعالى:" وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)"، وهي إشارة قبلية تحيل على أن الله تعالى يجازي المسرفين المكذبين بآيات الله في الدنيا و الآخرة مثل ذلك الجزاء السابق لمن كفر ولم يؤمن بآيات ربه لأن الإسراف هو عدم الإيمان بالآيات و تكذيبها،و المشار إليه بقوله تعالى:"وكذلك "هو مضمون قوله تعالى :" وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)" أي وكذلك نجزي في الدنيا الذين أسرفوا و لم يؤمنوا.

– قال تعالى: "أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (128)".

يحيل اسم الإشارة (ذلك) إشارة قبلية إلى قوله تعالى: " أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم" في الآية نفسها، وهي الإشارة إلى غفلة المخاطبين المشركين عم حل بالأمم السابقة لهم لما أعرضوا عن كتب الله و آيات الرسل.

ب–الإحالة بأسما ء الإشارة الأخرى:تلك–هذه–أولئك–أولاء–هذا):

–قال تعالى: " وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17)".

يعود اسم الإشارة (تلك) على (عصاي)الواردة في قوله تعالى: " قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18)"، و هو يحيل إحالة بعدية داخلية يبين لنا الله من خلالها المعجزة العظيمة و البرهان الكبير لموسى عليه السلام الذي بعثه إلى فرعون.

– قال تعالى:" قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72)".

يرتبط اسم الإشارة "هذه" بالإحالات الضميرية و الموصولية التي وردت في الآية الكريمة، والتي تساهم في تحقيق الترابط النصي داخل الآية و خارجها، حيث يرجع اسم الإشارة "هذه" مرجعية بعدية على (الحياة الدنيا) الواردة بعدها ، لتدل على ما قاله السحرة لفرعون بعد إيمانهم بالله، فإن عذابه الذي توعدهم به –كما سبق و أن ذكرنا– لا يتجاوز هذه الحياة و هم يرجون من الله الجزاء يوم القيامة.

– قال تعالى:" وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (75) ".

يعود الاسم الموصول (أولئك) على (مؤمن) داخل الآية نفسها، ليحيل إحالة نصية قبلية سابقة، والإتيان باسم الإشارة في قوله تعالى: " فأولئك لهم الدرجات العلى" للتنبيه على ما ذكر بعده، وهو ما توضحه صلة الموصول، فمن قام بالأعمال الصالحات، وما أمر به الله ونهى عنه فله الدرجة الرفيعة.

–قال تعالى:" قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84)".

يحيل اسم الإشارة "أولاء" إحالة قبلية للضمير (هم) في الآية نفسها، و يعود على بني إسرائيل قوم موسى عليه السلام الذي ذكر في الآية السابقة، فلما خرج موسى عليه السلام لميقات ربه، استخلف هارون على بني إسرائيل؛ فتعجل موسى مفارقة قومه ليحضر المناجاة اجتهادا منه و رغبة في تلقي الشريعة حسبما و عده الله قبل أن يحيط بنو إسرائيل بجبل الطور، فلامه الله تعالى على عدم مراعاة ما يحف بذلك من ابتعاده عن قومه قبل أن يوصيهم الله

بالمحافظة على العهد و يحذرّهم من مكر الماكرين. و يدل قوله تعالى:" هم أولاء على أثري "على أنهم كانوا يسيرون خلفه و أنه سبقهم.

– قال تعالى: " فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88) .

يرجع اسم الإشارة "هذا" مرجعية بعدية نصية على (إلهكم) الذي يفسره، فدل على شرك بني إسرائيل الذين اتبعوا السامري فقالوا: هذا إله موسى نسيه هاهنا و ذهب يتطلبه.
وبذلك تحقق أسماء الإشارة ما قيل في الضمائر و الأسماء الموصولة من إحالة قبلية وبعدية نصية أو مقامية.

وقد ساعدت في اتساق النص وتماسكه فهي تحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، و هي علاقات تميز النص باعتباره وحدة دلالية.

ومما سبق نجد أن الإحالة بكل أنواعها (الإحالة الضميرية–الإحالة الموصولية – الإحالة الإشارية) قد ساهمت في بيان موضوع سورة طه المكية و هو تثبيت عقيدة التوحيد، كما تعددت آلياتها التي كشفت لنا عن تفاعل النص القرآني مع سياقه الخارجي وهو ما يضمن نقله إلى المتلقي، وبذلك تصبح الآليات الإحالية روابط نحوية وتداولية للنص القرآني المتماسك نحويا ودلاليا وتداوليا، وهي وسائل إقناع للمخاطب بالفكرة التي يلح عليها النص.

2–1 الاستبدال:

الاستبدال آلية من آليات التماسك النصي الذي يتم في المستوى النحوي المعجمي، على أن معظم حالات الاستبدال تكون قبلية داخلية تشمل العلاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم.

ومن خلال دراستنا لسورة طه و آليات التماسك النحوي فيها لاحظنا أن الاستبدال يتداخل مع الإحالة الضميرية لأنه في الإحالات الاسمية يتم استبدال الاسم بضمير ظاهر أو متصل أو مستتر، كما يتداخل الاستبدال مع الإحالات الموصولية التي تعبر عن الاستبدال

الاسمي والجملي. ويتداخل أيضا مع الإحالة الإشارية مما يعكس لنا دور الوظيفة النصية التي تجعل النص متماسكا.

فقد ظهر الاستبدال الاسمي، بالنسبة للفظ الجلالة(الرحمان) في (الآية :05) "الرحمان على العرش استوي"، كما استبدل بأسماء ظاهرة دالة على ذاته تعالى و صفاته الجامعة العظيمة وهي: (الله) في قوله تعالى: "الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى " (الآية :08)، فالرحمان هو اسم من أسماء الله الحسنى، ذكر في سورة طه قبل الأسماء الجليلة الأخرى و ذلك لتعليم الناس به، لأن المشركين أنكروا تسميته تعالى بالرحمان و من هنا كثر ذكره في القرآن الكريم، والتذكير به يبعث على إفراده بالعبادة شكرا على إحسانه بالرحمة البالغة[1].

– وأستبدل لفظ الجلالة(الله) في قوله تعالى: " اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8) ب(ربك) في قوله تعالى :" إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12)" .

– استبدل لفظ الجلالة (الله) في قوله تعالى: "إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)" ب: (ربك)في قوله تعالى:" قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25)" وب(ربك) في قوله تعالى: "فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47)" وبـ (ربك) في قوله تعالى: "قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49)" و ب (ربنا) في قوله تعالى:" قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)" و ب(ربي) في قوله تعالى:" قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) ".

– وتم استبدال لفظ الجلالة (الله) في قوله تعالى:" قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61) " ب (رب) في قوله تعالى:" فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70)" و ب: (ربنا) في قوله تعالى :" إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73)" .

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير،الجزء16،ص 186.

– كما أستبدل (لفظ الجلالة الله) في قوله تعالى:" إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73) "ب(ربه) في قوله تعالى:" قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84)" و ب(ربكم) في قوله تعالى: " فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86)" و ب (ربكم الرحمان) في قوله تعالى: "وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90)"

– استبدل (لفظ الجلالة الله) في قوله تعالى:" إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98)" بالضمير المنفصل (نحن) في قوله تعالى:" نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104) "،كما استبدل ب(ربي) في قوله تعالى:" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) ".

– استبدل لفظ(الرحمان) في قوله تعالى:" يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109)" ب: (الحي القيوم) في قوله تعالى:" وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111) ".

– استبدل لفظ الجلالة (الله الملك الحق) في قوله تعالى:" فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآَنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)" ب: (رب) في الآية نفسها ، و ب (ربه) في قوله تعالى: " فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) .

مما سبق نجد أن الاستبدال الاسمي بالنسبة للفظ الجلالة يرتكز على: (الرحمان–الله– الرب– الحي القيوم–الله الملك الحق) و هي كلها أسماء من أسماء الله الحسنى التي إذا دعي بها استجاب، والتي تشمل صيفات الألوهية و الربوبية ،وهي القضية الأساسية التي تحملها السورة، فالله هو الواحد الأحد المعبود وحده لا شريك له، الرحمان الذي شملت رحمته عباده، و هو الملك الذي بيده ملكوت السماوات والأرض رب العرش العظيم، وهو الحق الذي وضع الميزان وعلم الإنسان ما لم يعلم، فسبحان الله العظيم.

ويتواصل الاستبدال الاسمي في سورة طه من خلال استبدال كلمة (موسى) التي وردت في الآيات: (09 - 11- 17-26 -40 - 49- 57- 61 - 65 - 67- 70- 77-83 - 86- 88- 91) بـــ: (ابنؤم) التي وردت في قوله تعالى: "قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94)" .

جاء هذا الاستبدال الاسمي في إطار المحاورة التي انتقل فيها موسى عليه السلام من محاورة قومه إلى محاورة أخيه هارون بعد أن سأله:" أفعصيت أمري" (الآية :93) فأجاب هارون: (يابنؤم) (الآية: 94)، و هو نداء لقصد الترقيق والاستشفاع ،وذلك حين لام موسى على أخيه ووبخه بشدّ لحيته فشعر بأنه يجذبه إليه ليلطمه ،وقد صرح بذلك في سورة الأعراف في قوله تعالى: "و أخذ برأس أخيه يجره إليه..."الأعراف (الآية:150)، واستبدل لفظ (موسى) في قوله تعالى: "فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70) " بـ (كبيركم) في قوله تعالى: "قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71)" .

-و تم استبدال اسم (موسى) في قوله تعالى:" إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40)"بالضمير المنفصل(أنت) في قوله تعالى: "اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآَيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42)". ويدل هذا الاستبدال على أن لله تعالى لما اصطفى موسى عليه السلام رسولا إلى فرعون بحججه وبراهينه و معجزاته أمره أن يذهب هو و أخوه هارون.

وعلى الرغم من هذا التفاعل بين الإحالات والاستبدال في المستوى النحوي تمكنا من حصر الألفاظ التي وقع استبدالها في الجدول التالي:

العنصر المستبدل	الآية	المستبدل به	الآية	نوع الاستبدال
الساعة	15	يوم القيامة	100 101 124	شبه جملي
عصاي	18	هي	20	ضميري
عصاي	18	ما في يمينك	69	شبه جملي
فرعون	24	عدو(لي)	39	اسمي
هارون	30	أخي أخوك	30 42	اسمي
بني إسرائيل	47	عبادي	77	اسمي
بني إسرائيل	80	قومك قومه قوم	83 85 86 90	اسمي
المن و السلوى	80	طيبات	81	إسمي
القرآن	114	آيتنا	126	إسمي
القرآن	114	ذكري	124	إسمي
لإبليس	116	عدو الشيطان	120	إسمي

جدول رقم –9–

1–2–1 استبدال "الساعة" ب"يوم القيامة":

استبدل لفظ (الساعة) الدالة على يوم الحساب الذي يعاقب فيه الكافر و يجازى فيه المؤمن في قوله: "إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15)" بـ (يوم القيامة) في قوله تعالى: "مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (100)" وخَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (101) و"وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)"،فقد أوصى الله تعالى آدم عليه السلام و ذريته بإتباع رسله و

الوحي الإلهي، فكل من أعرض عن ذلك و لم يؤمن به و لم يعمل بما فيه فإنه يحمل يوم القيامة إثما عظيما و حملا ثقيلا.

1-2-2 استبدال"عصاي"ب "هي" و بـ "ما في يمينك":

ورد استبدال لفظ(عصاي) في قوله تعالى:" قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18)" بـ (هي) في قوله تعالى:" فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20)". و ب "ما في يمينك" في قوله تعالى: وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69)".

1-2-3 استبدال فرعون ب"عدو":

ظهر استبدال لفظ (فرعون) الذي طغى في البلاد و أكثر فيها الفساد بلفظ يدل عليه في الآيات القرآنية، حيث سماه الله فيها(بالعدو) لأنه عدو الله و عدو رسوله.

حيث استبدل لفظ (فرعون) في قوله تعالى: "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24)"ب (العدو)في قوله تعالى:" أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)".

و استبدل لفظ (فرعون)الوارد في قوله تعالى: "وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79)" ب (عدوكم)في قوله تعالى:" يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80)".

1-2-4 استبدال "هارون" ب "أخيك":

استبدل لفظ(هارون) بلفظ(أخي) و(أخوك) في الآيتين الكريمتين: "هَارُونَ أَخِي (30)" و "اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42)".

1-2-5 استبدال "بني إسرائيل" ب "عبادي "و"قوم":

استبدل لفظ (بني إسرائيل) و هم قوم موسى عليه السلام حيث ذكرهم الله تعالى في قوله: "فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47)" ب:(عبادي) في قوله تعالى: "وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77)"

كما أستبدل لفظ (بني إسرائيل) الوارد ذكرهم في قوله تعالى:" يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80)" ب(قومك) في قوله تعالى:" وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83)" و" قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86)".

واستبدل أيضا لفظ (بني إسرائيل) ب(قوم) في قوله تعالى: "وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90)" ،فهؤلاء هم بنو إسرائيل قوم موسى عليه السلام،الذين بعث لهم الله رسولا منهم طلب إطلاقهم من عند فرعون وما كان يسخره لهم من عذاب ومن أعمال شاقة كالعبيد جزاء لهم لإحلالهم بأرضه.

وبعد أن تغلب موسى على فرعون و جنوده سار بهم هربا منه، فأمره الله تعالى أن يضرب لهم بعصاه طريقا في البحر يبسا فنجاهم بإذنه تعالى .و بعد أن نجاهم الله من قبضة فرعون و خرج موسى لمناجاة ربه رجعوا إلى كفرهم و عبادة الأصنام فحل عليهم غضب من الله لأنهم أخلفوا وعده.

1-2-6 استبدال "المنّ و السّلوى" ب"طيّبات":

جاء استبدال لفظ(المن والسلوى) في قوله تعالى:" يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80)" ب(طيبات) في قوله تعالى:"كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (81)".

1-2-7 استبدال لفظ "القرآن" ب "التنزيل" و "الذكر" و "آياتنا":

استبدل لفظ (القرآن) في قوله تعالى:" مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2)" ب (التنزيل) في قوله تعالى:" تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى (4)"، (فتنزيلا) هي مصدر أي نزلناه تنزيلا، و قيل بدل من قوله (تذكرة) فيقوله تعالى:" إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3)"، و قرأ

أبو حيوة الشامي (تنزيل) بالرفع على معنى هذا تنزيل[1]. أي سمي القرآن بالتنزيل لأنه منزل من عند الله.

كما استبدل لفظ "القرآن" الوارد في (الآية :02) ب(ذكر) في قوله تعالى: "كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99)". وقد وردت كلمة"ذكر"و في سياق إخبار الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قصة موسى عليه السلام، و ما حدث له مع فرعون وجنوده.

واستبدل لفظ (قرآنا) في قوله تعالى:" وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113)"،و في قوله أيضا: "فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا(**114**)" ب: (ذكري) في قوله تعالى:"وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)". فمن خالف أمر الله وما أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فإن له معيشة ضنكا في الدنيا، و يحشر في الآخرة أعمى.

واستبدل أيضا لفظ "القرآن" الوارد ذكره في (الآية:114) ب(آياتنا –آيات) في قوله تعالى: "قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127)" .

1-2-8 استبدال "إبليس" ب "عدو" و "شيطان":

استبدل لفظ (إبليس) في قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116)" ب (عدو) في قوله تعالى:" فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117)" ،كما استبدل ب(الشيطان) في قوله تعالى:" فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) ".

لقد شرّف الله تعالى آدم عليه السلام و كرّمه و أمر الملائكة بالسجود له تشريفا وتكريما له فسجدوا.

---

[1] القرطبي:التفسير الجامع لأحكام القرآن،المجلد11،ص139.

وبذلك يكون الاستبدال آلية من الآليات اللغوية التي تؤدي إلى تماسك النص القرآني، فقد ساهم في ترابط الآيات على مستوى التراكيب النحوية و على مستوى الدلالة، حيث يتم التعبير عن المعنى الواحد بمفردات مختلفة لها المعنى نفسه مما يثري الرصيد اللغوي لسورة طه ويزيد في كثافة المعاني و تماسكها.

1-3 الحذف:

أجازت اللغة العربية كغيرها من اللغات حذف أحد عناصر التركيب عند استخدامه ،وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة كافيا في أداء المعنى ،وقد يحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره.

ولا يختلف الحذف كثيرا عن الاستبدال، غير أن الحذف لا يترك أثرا من العنصر المحذوف على خلاف الاستبدال الذي يترك دائما أحد عناصر المستبدل.

والحذف هو أن يحذف "صوتا أو مقطعا أو كلمة أو عبارة من تركيب ما، وذلك وفقا لما يسمح به نظام اللغة كحذف الفعل أو الفاعل أو المفعول به إذا دلت عليه قرينة ما"[1].

ويقع الحذف في سورة طه المكية بين جملتين متجاورتين أو متباعدتين أو داخل الجملة نفسها، حيث يسبق الحذف قرينة في الجملة الأولى تبين للمتلقي وجود الحذف ومكانه في الجملة الثانية.

تختلف أنواع الحذف في سورة طه باختلاف الوظيفة النحوية التي تؤديها العناصر اللغوية، ما يضفي تنوعا على البناء النحوي في النص القرآني، وهو ما يعبر عنه الجدول التالي:

رقم الآية	المحذوف	دليل الحذف	نوع الحذف
03	جملة فعلية تقديرها:و ما أنزلناه في حال من الأحوال إلا تذكرة.. .	قال تعالى: "ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى" "إلا تذكرة لمن يخشى".	جملي
03	مفعول به (الله)	"إلا تذكرة لمن يخشى"	اسمي

[1] تمام حمد عيد المنيزل :الحذف في النحو العربي،مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع،ط2،اربد، الأردن،2012،ص76.

		يخشى:فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة. والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والمفعول به تقديره الله المحذوف لدلالة السياق اللغوي عليه.	
04	مركب فعلي (نزلناه) نزلناه: فعل + فاعل+مفعول به	"تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى". تنزيلا: مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره (نزلناه) ويمكن أن تكون حالا من القرآن.	جملة فعلية
05	المبتدأ وتقديره هو	قال تعالى:" الرحمان على العرش استوى" الرحمان: خبر المبتدأ محذوف تقديره هو ويمكن أن نعتبر الرحمان خبر أول وعلى العرش خبر ثان أو يمكن أن نعتبر الرحمان مبتدأ وعلى العرش خبر ولا يحدث (الحذف).	اسمي
07	شبه الجمل وتقديرها وأخفى (من السر)	قال تعالى: "و إن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى"	شبه الجملة
07	جواب الشرط وتقديره: فلا تشق على نفسك	"و إن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى" أي: وإن تجهر بالقول فلا تشق على نفسك فإن الله يعلم السر وأخفى	جملي
08	حذف الخبر وتقديره موجود	قال تعالى: "الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى" الله: لفظ جلالة مبتدأ مرفوع. لا نافية للجنس إله :اسم لا النافية للجنس مبني عل الفتح في محل نصب، والخبر محذوف تقديره موجود.	اسمي
08	حذف المبتدأ جريا على قراءة هو الرحمان أي هو الله	الله: اسم جلالة خبر المبتدأ محذوف والتقدير هو الله.	اسمي
11	الفاعل	"فلما أتاها نودي يا موسى" نودي: فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو.	اسمي
13	الفاعل	"و أنا اخترتك فاستمع لما يوحى" يوحى: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بالضمة المقدرة، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو.	اسمي
14	حذف الخبر وتقديره موجود	"إنني أنا الله لا إله إلا أنا.." لا: النافية للجنس اله :اسم مبني في محل نصب والخبر محذوف تقديره موجود.	اسمي
25	حرف النداء(يا)	"قال رب اشرح لي صدري" رب:منادي بحرف النداء المحذوفة منصوب بالفتحة المقدرة	حرفي

		على الياء المحذوفة وهو مضاف والياء مضاف إليه.	
28	جملة جواب شرط والتقدير: إن تحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي.	قال تعال: "و احلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي".	جملي
38	حذف الفاعل	قال تعالى:"إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى" يوحى: فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو.	اسمي
45	حرف النداء "يا"	قال تعالى:"قال ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو يطغى" ربنا: منادي بحرف النداء المحذوف منصوب فهو مضاف والناء مضاف إليه.	حرفي
47	حذف النون من"إنا"	قال تعالى:"فأتياه فقولا إنا رسولا ربك.."	حرفي
48	حذف النون من"إنا"	قال تعالى:"إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى".	حرفي
48	حذف الفاعل	أوحي:فعل مضارع مبني للمجهول مبني على الفتح، ونائب الفاعل(إلينا).	اسمي
52	الفاعل(ربي)	قال تعالى:"قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى" و التقدير:لا ينسى.	اسمي
53	الفعل(قال)	"الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء..".	فعلي
59	الفاعل	قال "موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى" يحشر:فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن وعلامة نصبه الفتحة لمصدر المؤول من أن والفعل في محل رفع معطوف على يوم. و الناس: نائب فاعل.	اسمي
61	الفعل الزموا أو احذروا و إما على إظهار حرف النداء يا ولينا ويا ويلتنا	"قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا علم الله كذبا فيسحتكم.." ويلكم: نائب عن المفعول المطلق لفعل محذوف منصوب بالفتحة وهو مضاف، مضاف إليه.	فعلي
64	المفعول به علا صاحبه وقهره	قال تعالى:"فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى". استعلى:فعل ماض مبني على الفتح المقدر. الفاعل:ضمير مستتر تقديره هو ،ف(استعلى) مبالغة في علا والسين والتاء للتأكيد.	إسمي
69	جملة:و ألق ما في يمينك إن تلق ما في	"و ألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا	جملي

	يمينك تلقف ما صنعوا.	يفلح الساحر حيث أتى".	
71	همزة الاستفهام	"آمنتم له قبل أن آذن لكم.."	حرفي
72	حرف الياء في "قاض"	"قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقضي ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا".	حرفي
73	حذف النون في "إنا"	"إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى".	حرفي
73	جملة وهو أبقى منك	"..و الله خير وأبقى".	جملي
79	المفعول به (قومه)	"و أضل فرعون قومه وما هدى" عطف ما هدى على أضل. هدى: فعل ماض مبني على الفتح المقدر والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والمفعول به محذوف تقديره(قومه) من السياق.	اسمي
84	حرف النداء	"...و عجلت إليك رب لترضى" رب: منادي بحرف النداء المحذوف.	حرفي
88	جملة (فاعل +مفعول به) فنسي موسى إلهكم وإلهه فاعل مفع به	"فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي" نسي:فعل يحتاج إلى فاعل معلوم من السياق اللغوي يفسره لفظ(موسى) المذكور قبله،و يحتاج إلى مفعول به.	جملي
91 92	جملة: لما رجع موسى رآهم ضلوا وعبدوا العجل. أي: لن يبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى. لما رجع موسى رآهم ضلوا و عبدوا العجل قال يا هارون...	قال تعالى:"لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى(91) قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا(92)".	جملي
93	حذف حرف الياء من تتبعن	"ألا تتبعني أفعصيت أمري".	حرفي
94	حذف الياء من الكلمة يا بنؤم	"قال يا بنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي".	حرفي
97	حذف اللام من ظلت:أي ظللت	"...و انظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا...".	حرفي
99	فعل القول : قال	"كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا".	فعلي

102	الفاعل	"يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا" ينفخ:فعل مضارع مبني للمجهول. و شبه الجملة(في الصور) في محل رفع نائب الفاعل.	فعلي
114	حذف حرف النداء(يا)	"..و قل رب زدني علما".	حرفي
114	حذف الفاعل	"فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما" يقضى: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بالضمة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر.	اسمي
118	و التقدير : حذف شبه جملة تعرى فيها لدلالة السياق اللغوي عليه، فقد تم عطف ولا تعرى عل ما قبلها	"إن لك ألا تجوع فيها و لا تعرى" لدلالة السياق اللغوي عليه، فقد تم عطف ولا تعرى على لا تجوع فيها، فهي تأخذ الوظيفة الإعرابية نفسها.	شبه الجملة
119	حذف شبه الجملة لا تضحى فيها	"و أنك لا تظمأ فيها ولا تضحى" فقد تم عطف ولا تضحى على لا تظمأ.	شبه الجملة
121	حذف جملة فعمل آدم بوسوسة الشيطان فأكلا منها....	"فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (120) فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليها من ورق الجنة(121)".	جملي
122	حذف المفعول به هداه(الضمير المتصل بالفعل الهاء).	"فتاب عليه وهدى" تقدير الجملة و"(هداه) هدى:فعل ماض مبني على الفتحة المقدرة منع من ظهورها التعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو. و المفعول به محذوف(الهاء المقدرة في الفعل).	اسمي
126	حذف الفاعل	"قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى" تنسى: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بالضمة المقدرة ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره أنت.	اسمي
134	الفعل (ثبت)	" ولو أهلكناهم بعذاب من قبله.." المصدر المؤول من أن وما بعدها في محل رفع فاعل لفعل محذوف تقديره "ثبت".	فعلي
134	حرف النداء (يا)	"لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا " ربنا: منادى بحرف النداء محذوف منصوب بالفتحة ، نا: ضمير متصل مبني على السكون في محل جر مضاف إليه.	حرفي

جدول رقم –10–

نتبين من الجدول السابق ما يلي:

– ورد الحذف بكثرة في سورة طه، فظهر حذف الحرف والاسم والفعل والعبارة أو الجملة.

– أكثر أنواع الحذف ورودا في سورة طه هو حذف الاسم (الفاعل، المفعول به، المبتدأ ، الخبر) يليه حذف الحرف، ثم حذف الجملة، ثم حذف الفعل، ثم حذف شبه الجملة.

ومن هنا ترتفع دلالة حذف العناصر اللغوية، والتي تدل عليها العناصر الموجودة في النص وخارجه.ويمكن أن نوضحه كما بلي:

1-3-1 الحذف الاسمي:

جاء الحذف الاسمي في (16) موضع، يتوزع على حذف الفاعل والمفعول به والمبتدأ والخبر.

أ- حذف الفاعل:

ورد حذف الفاعل في سورة طه في تسعة(09) مواضع، وذلك في إطار بناء الفعل للمجهول، لأنه واضح من خلال السياق اللغوي وغير اللغوي للسورة، وقد يكون الحذف راجعا إلى الكلام نفسه لا إلى غرض المتكلم فأسند الفعل المبني للمجهول إلى نائب الفاعل، لأن الفاعل معلوم من السياق.

حذف الفاعل في قوله تعالى:" فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11)" ،فبني الفعل (نودي) للمجهول، ونائبه ضمير مستتر تقديره هو ،لأن الذي نادى موسى وخاطبه هو الله سبحانه وتعالى، وهو ما يفسره قوله تعالى:" إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12)" .

حذف الفاعل في الآيات(13-38-48) وأسند الفعل المبني للمجهول (يوحى-أوحي) إلى نائب الفاعل، وذلك في قوله تعالى: "و أنا اخترتك فاستمع لما يوحى" و"إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى" و"إنا أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى"،فالله معلوم لدى المخاطب من خلال القرينة اللغوية، لأنه سبحانه وتعالى الذي أوحى إلى رسله وأنبيائه

بما كلفوا به، وهو الذي أوحى إلى أم موسى أن تضعه في التابوت وأن تلقيه في اليم، وقد أخبر الله موسى وهارون فيما أوحاه إليهما من الوحي أن العذاب لمن كفر وكذب بآيات ربه وتولى عن عبادته وطاعته.

حذف الفاعل في قوله تعالى: "قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52)"، فتقدير الكلام (لا ينسى ربي) حيث حذف الفاعل بعد الفعل المضارع المنفي (لا ينسى) لدلالة السياق اللغوي السابق عليه (لا يظل ربي).

حذف الفاعل في قوله تعالى:" قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59)"، بني الفعل المضارع(يحشر) للمجهول، وناب (الناس) عن الفاعل، فالفاعل معلوم من السياق..

وحذف الفاعل – أيضا- في قوله تعالى:" يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (102)". أسند الفعل المبني للمجهول (ينفخ) إلى نائب الفاعل (في الصور)، للعلم الواضح بالمحذوف، وهو إسرافيل عليه السلام الذي ينفخ في الصور ؛ وقد جاء في حديث "الصور"من رواية أبي هريرة:أنه قرن عظيم، الدارة منه بقدر السماوات والأرض، ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام وقد ثبت في الحديث الشريف أنه سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الصور فقال:" قرن ينفخ فيه"[1].

حذف الفاعل في قوله تعالى: "فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114) "، وأسند الفعل المبني للمجهول (يقضي) إلى نائب الفاعل (إليك) للعلم الواضح بالمحذوف، فالله هو الذي يوحى إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان إذا جاءه جبريل عليه السلام بالوحي، كلما قال آية قالها معه، من شدة حرصه على حفظ القرآن.

وحذف الفاعل أيضا في قوله تعالى: " قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126)" ،فأسند الفعل المبني للمجهول (تنسى) إلى نائبه وهو ضمير مستتر تقديره

---

[1] ابن كثير: تفسير القران العظيم،المجلد الثالث، ص205.

أنت وحذف الفاعل لأنه واضح من سياق الآية والآيات التي تقبلها فلمّا يعرض الكافر المكذب بالله عن آياته تعالى ولم يذكرها في الدنيا كذلك ينسى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ب–حذف المفعول به:

حذف المفعول به في سورة طه في أربعة مواضع للاكتفاء بذكر الفعل والفاعل لدلالة السياق عليه.

حذف المفعول به (الله) في قوله تعالى": إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3)"، و التقدير هو:"لمن يخشى الله"، فمن آتاه الله العلم فقد أراد به خيرا كثيرا، كما ثبت في الصحيحين، عن معاوية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"[1].

وحذف المفعول به في قوله تعالى:"...وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64)"، فاستعلى: فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف منع من ظهوره التعذر والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، فا(استعلى) مبالغة في علا أي (علا صاحبه وقهره)، والسين والتاء للتأكيد.

وحذف المفعول به أيضا في قوله تعالى: " وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79)"، فتم عطف(ما هدى) على أضل، فهدى: فعل ماضي مبني على الفتح المقدر على الألف منع من ظهوره التعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو. والمفعول به محذوف تقديره (قومه) لأنه معلوم من السياق اللغوي للآية نفسها.

حذف المفعول به في قوله تعالى:" فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88)"،حذف المفعول به (الهاء المتصلة بالفعل نسي) الذي وقع عليه فعل الفاعل (نسني) أي: نسيه حيث يعود الضمير المستتر على موسى عليه السلام الذي ذهب ليكلم ربه الواحد الأحد في الجبل من جانب الطور الأيمن، والتقدير هنا

هو:نسي موسى ربه هنا–و هو العجل– وذهب يطلبه في الجبل، وقد حذفت(الهاء) تكريما لسيدنا موسى عليه السلام الذي لم يكن العجل إلهه حتى ينساه، بل إلهه هو الله الواحد

[1] ابن كثير: تفسير القران العظيم، المجلد الثالث ، ص176.

الأحد رب العرش العظيم، لذلك قال لهم موسى لما رجع:" إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98) ".

وحذف المفعول به في قوله تعالى: " ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122)" ، فتم عطف (هدى) على (فتاب عليه)، حذف المفعول به (الهاء المتصلة بالفعل هدى)اي :هداه، فالهاء المحذوفة في محل نصب مفعول به لأن الاجتباء والتوبة على آدم عليه السلام كانا بعد أن عوقب وزوجته بالخروج من الجنة.

ج- حذف المبتدأ:

حذف المبتدأ في قوله تعالى:" الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) "، فالرحمان خبر أول لمبتدأ محذوف تقديره (هو)، وعلى العرش خبر ثان، كما يمكن أن تعتبر (الرحمان) مبتدأ و(على العرش) خبر وهنا لا يحدث الحذف في هذه الحالة.

وحذف المبتدأ في قوله تعالى:" **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8)** " وتقديره (هو) وذلك جريا على قراءة (هو الرحمان) في تقدير(الآية:05)، وقد حذف لأن دلالته واضحة من خلال السياق اللغوي.

د- حذف الخبر:

حذف الخبر في سورة طه في موضعين فقط ، وذلك لوجود قرينة تغني عن ذكره، فوقع حذف الخبر في قوله تعالى: "**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8)**"، فالله : مبتدأ مرفوع، خبره محذوف تقديره موجود.

كما حذف الخبر في قوله تعالى:" **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)**".حيث حذف خبر (لا) النافية للجنس وتقديره موجود.

2-3-1 الحذف الحرفي :

أ-حذف النون من"إنا": في قوله تعالى:

- " فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47)".

-" إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48)".

- " إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73)".

فقد طال الحذف على(إنّا) في هذه الآيات الكريمة بحذف نونها حذفا تركيبيا لتوالي الأمثال.

ب- حذف حرف الياء في الكلمة "قاضٍ": في قوله تعالى:" قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) ،حذفت الياء تفاديا للثقل، فأصلها "قاضي" ، فكان الحذف أبلغ من الذكر وناب عن الياء المحذوفة تنوين العوض.

ت- حذف حرف (الياء) من الكلمة (تتبعن): في قوله تعالى: "أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93)"،حذفت الياء لأن الملائمة لأخيه هارون على ما ظنه الخروج على الاستمرار في التبعية لموسى ولوصيته.

ث- حذف حرف اللام من الكلمة "ظلت": في قوله تعالى:" **وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97)**" أي :(ظللت) ، فحذفت اللام تخفيفا لتوالي اللامين، وهو حذف نادر عند النّحويين، وكان الحذف هنا لغرض تقليل الحدث وعلى أنّ زمنه قصير ويدل على ذلك رجوع موسى عليه السلام ليضع حدّا لفعل السامري وحرق العجل الذي صنعه.

ج- حذف (الياء) من الكلمة " ابْنَ أُمَّ ": في قوله تعالى:" قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94)" أي:(ابن أُمِّي)، والتي أختلف في شأنها.

ح-**حذف حرف الاستفهام** في قوله تعالى:" قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ... (71)" أي قال فرعون للسحرة: أ صدقتم بموسى واتبعتموه وأقررتم له قبل أن آذن لكم بذلك؟ وتقدير الآية هو: أ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ.

د-حذف حرف النداء "يا":

حذف حرف النداء اكتفاء بدلالة المنادي عليه، وغرض هذا الحذف هو تقريب المنادي من المتكلم، ففي قوله تعالى:" **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25)** "،يسأل موسى عليه السلام ربه عز وجل أن يشرح صدره، فيما بعثه به لأنه بعثه بأمر عظيم، وخطب جسيم، أرسله إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك، وأجبرهم وأشدّهم كفرا وأكثرهم جنودا.

لذلك فالمتكلم هو موسى عليه السلام، يدعو الله أن يكون عونا ونصيرا له، والتقدير هو قال: (يا رب...)، و كذلك في قوله تعالى:"قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45)"، فحذف حرف النداء "يا" في إطار المحاورة بين موسى وهارون، "قالا ربنا.."أي: (يا ربنا) خوفا من أن يعاقبهما فرعون، أو يعتدي عليهما.

كما حذف حرف النداء "يا" في قوله تعال:" قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84)"، و التقدير هو: (يا ربّ لترضى)، حيث اعتذر موسى عليه السلام من تعجّله، لأنه تعجل إلى استجابة أمر الله بمبالغة في إرضائه.

وحذف أيضا حرف النداء "يا" في قوله تعالى: " **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)**" أي:يا رب زدني منك علما. قال ابن عيينة رحمه الله: ولم يزل صلى الله عليه وسلم في زيادة من العلم، حتى توفاه لله عز وجل ولهذا جاء في الحديث: إن الله تابع الوحي على رسوله حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال ابن ماجة: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن نمير، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن ثابت، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال:كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم انفعني بما علمتني،وعلمني ما ينفعني، وزدني علما، والحمد لله على كل حال"[1].

وحذف أيضا حرف النداء"يا" في قوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (134)". و تقدير الكلام هو: لقالوا يا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا، لأن الكفار يقولون ذلك يوم القيامة بعد أن أهلكهم الله الإهلاك المفروض، لأن الإهلاك بعذاب الدنيا يقتضي أنهم معذبون في الآخرة.

---

[1] ابن كثير: تفسير القران العظيم، المجلد الثالث، ص207.

1-3-3 الحذف الفعلي:

وقع حذف الفعل في خمسة مواضع في سورة طه، حيث حذف المركب الفعلي "نزلناه" في بداية الآية في قوله تعالى: **"تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى (4)"**، والتقدير هو: (نزلناه تنزيلا)، أي هذا القرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو من عند الله رب كل شيء وملكيه.

فقد حذف الفعل (نزلناه) وناب عليه المفعول المطلق (تنزيلا) وهو ما جعل المصدر يدل على الزمن المطلق، حيث ارتبط تنزيل القرآن الكريم في الآية الكريمة بالزمن المطلق لأنه غير مقيد بزمن ليدل بذلك على التجدد والاستمرار في التبليغ.

-وحذف الفعل أيضا في قوله تعالى: **"قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61)"**، فدل نائب المفعول المطلق (ويلكم) على حذف الفعل،و(الويل) اسم للعذاب ليس له فعل، وانتصب ويلكم على إضمار فعل على التحذير أو الإغراء، أي (ألزموا ويلكم) ، أو (احذروا ويلكم) و إما على إضمار حرف النداء (يا ويلنا ويا ويلتنا).

-وحذف "كذلك" الفعل في قوله تعالى:**"وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (134)"**.

فالمصدر المؤول من أن وما بعدها (أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ...) في محل رفع فاعل لفعل محذوف تقديره (ثبت) أي أن الله أهلك هؤلاء المكذبين قبل أن يرسل إليهم الرسول محمد

صلى الله عليه وسلم، ونزل القرآن العظيم لكانوا قالوا: "ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا" قبل أن تهلكنا.

-حذف فعل القول "قال" في قوله تعالى:" **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53)** ،وقوله تعالى : **"كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99)"** ، حذف

فعل القول (قال) في بداية الآيتين الكريمتين ،وهو بذلك قد ساهم في التركيز على زيادة تسليط الضوء عل جملة مقول القول التي هي المقصد من الكلام وموضوع اهتمام المتلقي.

ونلاحظ أن حذف فعل القول يؤدي إلى حذف الضمير المستتر فيه والذي يحيل إلى الفاعل مما يؤدي إلى تنبيه المتلقي إلى البحث عن القائل والتركيز أكثر في معنى الآية، كما لا يقيد مقول القول بزمن فعل القول سواء إذا كان في الزمن الماضي أم الحاضر أم المستقبل وهذا ما يفتح باب التبليغ أكثر فكلما تلقاه المخاطب في زمن من هذه الأزمنة سيجد بأنه موجه إليه وقت تلقيه، وهو ما يجعل التبليغ في النص القرآني مستمرا لا ينقطع.

ومن هنا تبرز لنا الوظيفة التنبيهية للحذف والتي تساهم في استمرار المعنى وتماسك الدلالات من خلال لفت انتباه المخاطب (المتلقي) لما سيذكر بعد الحذف الفعلي وذلك بتقدير المحذوف والبحث عن المرجعية التي تربط بينه وبين الدليل في الآية.

1-3-4 الحذف الجملي:

حذفت الجمل في سورة طه في تسعة مواضع، وبذلك تتسع دائرة الحذف لتشمل جميع مكونات التركيب.

-حذفت الجملة في قوله تعالى:" **مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3)**"، و تقدير الجملة المحذوفة في بداية الآية هو: (وما أنزلناه في حال من الأحوال

) إلا تذكرة[1]، حيث دل الكلام السابق في (الآية:02) على الحذف، وبذلك يكون الحذف قد ساهم في تماسك الآيتين الكريمتين.

- حذف جواب الشرط في قوله تعالى: **وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)**"، والتقدير هو: وإن تجهر بالقول فلا تشق على نفسك فإن الله يعلم السر وأخفى، أي :فلا مزية للجهرية.

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر):تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص 185.

– حذفت جملة جواب الشرط أيضا في قوله تعالى: **وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28)**". وتقدير المحذوف هو: واحلل عقدة من لساني، إن تحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي . وقد دل هذا الحذف على تأكيد القائل موسى عليه السلام ورغبته في قيام الله عز وجل بالشرط لتحقيق جوابه، وهو ما يؤكد على وقوع الجواب بمجرد قيامه قيامه بشرطه.

– حذفت الجملة (إن تلق ما في يمينك) في قوله تعالى:" **وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69)**"، و التقدير فيه هو: وألق ما في يمينك إن تلق ما في يمينك تلقف ما صنعوا، و هذا يدل على استجابة الله تعالى.

– و يمكن أن نصنّف الجملة السابقة التي ذكرت في حذف المفعول به: " **فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88)**" في إطار الحذف الجملي أيضا على وجه تقدير المحذوف جملة، فالفعل (نسي) يحتاج إلى فاعل لكنه معلوم من السياق وهو موسى الذي ذكر قبله، كما يحتاج إلى مفعول به، وبذلك يكون التقدير: (...فنسى موسى إلهكم وإلهه).

حذفت الجملة (لما رجع موسى رآهم ضلوا وعبدوا العجل) في قوله تعالى:" **قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ**

ضَلُّوا (92)"، والتقدير هو: لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى، لما رجع موسى رآهم ضلوا وعبدوا العجل قال يا هارون ما منعك...

–حذفت الجملة (فعمل آدم بوسوسة الشيطان فأكلا منها..) وذلك في قوله تعالى: **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121)**"، والتقدير هو بعد (الآية :120) : فعمل آدم بوسوسة الشيطان فأكلا منها.

1-3-5 حذف شبه الجملة:

حذفت شبه الجملة في ثلاثة مواضع في سورة طه، وهي:

- حذف (أخفى من السر) في قوله تعالى: **وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)** والتقدير هو: يعلم السر وأخفى من السر.

- حذف (فيها) في قوله تعالى:" **إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118)**"،

والتقدير هو: ولا تعرى فيها، لدلالة السياق اللغوي السابق عليه لأن جملة (ولا تعرى) معطوفة على (ألا تجوع فيها).

-حذف (فيها) في قوله تعالى: "**وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119)**"، والتقدير هو: لا تضحى فيها، فقد تم عطف (ولا تضحى) على (لا تظمأ).

ومما سبق يبرز لنا دور الحذف بأنواعه المختلفة في ترابط معاني الآيات كما يتضح دوره في تلخيص واختصار الكلام، وذلك باستبعاد العبارات التي يمكن لمحتواها المفهومي أن ينشأ في ذهن المتلقي أو يدل عليه السياق ،ما يؤدي إلى تماسك النص من خلال الفراغ البنيوي الذي يهتدي المتلقي إلى فهمه انطلاقا من الجمل السابقة داخل الآية أو خارجها.

وبهذا يكون الحذف قد ساهم في ربط أجزاء سورة طه من خلال تقدير المحذوف بالاعتماد على السياق اللغوي وغير اللغوي للسورة مما يساعد في فهم المعنى المقصود وتحقيق التماسك النحوي والدلالي،كما أدى الحذف إلى تخفيف النطق من خلال حذف بعض أصوات الكلمة، وساعد أيضا في الإيجاز والاختصار.

1-4 الربــط:

الربط هو آلية من آليات التماسك النصي التي تضمن نصية النص وتحقّق الوظيفة النصية فيه بحيث يمكن أن نميز بينه وبين الآليات السابقة (الإحالة، الاستبدال، الحذف)، لأنه لا يتضمن إشارة موجّهة للكشف عن العنصر المفترض السابق أو اللاحق، فهو يتم عن طريق تحديد الكيفية التي تترابط بها التراكيب أو الجمل المتعاقبة.

ويعتمد الربط النحوي في سورة طه على مجموعة من الآليات التي تظهر في سطح النص وتربط بين أجزائه، وذلك من خلال الربط الزمني والربط الإضافي والربط التفسيري والربط الاستدراكين،كما تتنوع الأدوات المستخدمة في كل نوع ؛ هذا على المستوى الكيفي، أما

على المستوى الكمي ودوره في الكشف عن نوع هذا الربط فهو ما سنعرض له من خلال الجدول التالي:

نوع الربط	زمني	إضافي	تفسيري	استدراكي
تواتره	398	230	16	02
نسبته المئوية	%61,60	%35,60	%02,47	%0,30

جدول رقم-11-

من الجدول السابق نتبيّن ما يلي:

- يعد الربط الزمني أكثر أنواع الربط النحوي استخداما في سورة طه حيث تواتر (398) مرة بنسبة 61,60%، وذلك بالنسبة لمجموع كل الروابط التي بلغ عددها (646) رابط، وبذلك تحتل الروابط النحوية المرتبة الثانية في سورة طه بعد الإحالات الضميرية.
- يلي الربط الإضافي الربط الزمني بتواتره (230) مرة بنسبة 35,60%.

- جاء الربط التفسيري في المرتبة الثالثة بتواتره (16) مرة بنسبة 02,47% وهي نسبة ضعيفة مقارنة مع الربط الزمني والإضافي.
- وجاء الربط الاستدراكي في المرتبة الأخيرة بنسبة 0,30% وهي النسبة الأضعف بالنسبة لأدوات الربط.

1-4- 1 الربط الزمني:

يتوزع الربط الزمني كالتالي:

الربط الزمني	تواتره	نسبته
بواسطة الأفعال	380	%58,82
بواسطة بنى تركيبة أخرى	18	%02,78

جدول رقم-12-

نلاحظ من خلا الجدول أن الربط الزمني يتوزع على الأفعال بأزمنتها المختلفة التي تواترت(380) مرة بنسبة58,82 %،كما يتوزع على بني تركيبة أخرى: (يوم- يومئذ – سنين-ضحى-الساعة- القرون الأولى- عشرا-طلوع الشمس-غروبها- الليل- النهار) والتي ذكرت (18) مرة بنسبة 02,78% من مجموع كل الروابط.

ويتجلى دور هذه الروابط الزمنية في سورة طه من خلال سير الأحداث الواردة فيها باعتبارها سورة مكية تشمل قصتين أساسيتين من قصص الأنبياء (موسى وآدم عليهما السلام) بالإضافة إلى زمن مخاطبة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو زمن نزول القرآن الكريم.

وبذلك ينقسم الزمن في سورة طه إلى قسمين أساسين هما:

-الزمن الداخلي: ويقع هذا الزمن في عالم آخر غير عالم السورة الخارجي، وهو زمن داخل السورة يرتبط بجميع الأزمنة الفرعية الداخلية (الماضي،المستقبل) والتي تترابط فيما بينها ،فتشكل وحدة زمنية واحدة، حيث يعمل الزمن الداخلي على بناء الأحداث في السورة التي يتم فيها الانتقال من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى زمن موسى عليه السلام ثم إلى الزمن الأبعد زمن آدم عليه السلام ثم العودة مرة أخرى إلى زمن الخطاب زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

– الزمن الخارجي: و يتضمن زمن نزول سورة طه على الرسول صلي الله عليه وسلم في مكة ،وهو الزمن الذي يتحكم في جميع الأزمنة الواردة في السورة.

أ- الربط الزمني بواسطة الأفعال:

ظهرت الأفعال بكثرة في سورة طه -كما سبق وأن أشرنا- وهي أفعال تربط بين الأحداث التي وردت في الأزمنة المختلفة، و قد انطلق الربط الزمني للأفعال من زمن نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الزمن الحاضر بالنسبة إلى نزول سورة طه المكية،ويتضح ذلك في الآيات(2-3-4-5-6-7) من خلال الأفعال: (أنزلنا-تشقى- يخشى-خلق-استوى- تجهر- يعلم) ، حيث يرتبط الزمن الماضي بالزمن الحاضر، لأن الله أنزل القرآن الكريم عل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعباد وليس للشقاء كما زعم

المكذبون من أهل مكة، بل هو تذكرة لمن يخشى الله الذي خلق السماوات والأرض من قبل هو الذي أنزل القرآن على عبده ورسوله هداية للناس أجمعين.

وبعد ذلك تم الانتقال في الزمن من الحاضر (زمن النزول) إلى الزمن الماضي زمن قصة موسى عليه السلام مع فرعون وجنوده ثم الزمن الماضي الذي بعده و هو زمن قصة موسى عليه السلام مع السامري و المرتدّين ، وهداية بني إسرائيل ، ويتضح ذلك من خلال الربط الزمني المتواصل من (الآية :9) إلى غاية(الآية :98) . وتتمثل الأفعال بأزمنتها المختلفة (الماضي، المضارع، الأمر) في الأفعال التالية : (أتاك-رأى-فقال-أنكسوا-آنست-أتيكم-أجد-أتاها-نودي-إخلع-إخترتك-استمع-يوحى-اعبدني-أقم-أخفيها-تجزى-تسعى-يصدنك-يؤمن-اتبع-تردى-قال-اتوكأ-أهش-قال-ألقها-ألقاها- ألقاها -سعى-قال-خدها-تخف-سنعيدها-أضمم-تخرج-نريك-اذهب-طغى-قال-اشرح-يسير-احلل-يفقهوا-اجعل-اشدد-أشركه-يسبحك-نذكرك-قال-أوتيت-مننا-أوحينا-يوحى-أقذفيه-أقدفيه-فليلقه-يأخذه-ألقيت-لتصنع-تمشي-فتقول-أدلكم-يكفله-رجعناك-تقر-تحزن-قتلت-فنجيناك-فتناك-لبثت-جئت-اصتنعتك-اذهب -تنيا-اذهبا-طغى-قولا-يتذكر- يخشى- قالا- نخاف- يفرط-يطغى -قال-تخاف-أسمع-أرى-فأتياه-فقولا-أرسله-تعذبهم-جئناك-اتبع-أوحى-كذب- تولى- قال-قال- أعطى -هدى- قال- قال-يظل- ينسى -سلك - أنزل-فأخرجنا-كلوا- أرعوا-خلقناكم -نعيدكم- نخرجكم -أريناه-كذب- قال- أجئتنا -تخرجنا-نأتينك-نخلفه-قال-يحشر-تولى-أتى-قال-يحشر-تولى-أتى-قال-تفتروا-يسحتكم-خاب-افترى-تنازعوا-أسروا-قالوا-يريدان-يخرجاكم-يذهبا-اجمعوا-ائتوا-أفلح- استعلى-قالوا-تلقي-ألقى-قال- ألقوا-يخيّل-تسعى-أوجس- قلنا-تخف-ألقي تلقف-صنعوا-يفلح- أتى-نخلفه-قال-يحشر-تولى- -تلقف-صنعوا-صنعوا-يفلح-أتى-فألقى-قالوا-أمنا-قال-أمنتم-أذن-علمكم-فلأقطعن-ولأصلبنكم-لتعلمن-قالوا-نؤثرك-جاءنا-فطرنا-فاقضي-تقضي-آمنا-ليغفر-أكرهتنا-يأت-يموت-يحي-يأتيه-تجري-تزكي-أوحينا-أسري-فاضرب-تخاف-تخشى-فاتبعهم-فغشيهم-غشيهم-أضل-هدى-أنجيناكم -وعدناكم-نزلنا-كلوا-رزقناكم- تطغوا- فيحل-يحلل-هوى-تاب-امن-

عمل-اهتدى-أعجلك-قال عجلت-لترضى-قال -فتنا-أضلّهم- فرجع- قال- يعيدكم- طال- أردتم-يحل-أخلفتم-قالوا-أخلفنا-حملنا-فقذفناها-ألقى-أخرج-قالوا-نسي-يرون- يرجع-يملك-قال-فتّنتم-اتبعوني-أطيعوا-قالوا-نبرح-عاكفين-يرجع-قال-منعك-رأيتهم- ضلوا-تتبعني-عصيت-قال-تأخذ-خشيت-تقول-فرقت-ترقب-قال-قال-بصرت-يبصر- فقبضت-نبذتها-سولت-قال-إذهب- تقول -تخلفه-أنظر-نحرقنّه-ننسفنّه-وسع). نلاحظ تداخل الزمن الماضي مع الزمن الحاضر وهو ما يؤدي إلى تنوع الربط الزمني من خلال الأفعال الماضية والمضارعة والأمر ، وكلها حدثت في زمن موسى عليه السلام ،هذا الزمن الذي انطلق عندما رأى موسى عليه السلام النار وتكليم الله له وتكليفه بالرسالة وإعطائه المعجزة التي تمكنه من التغلب على فرعون،ثم يذكر الله موسى بمنّه عليه كما كان صغيرا في المهد ثم تكليفه وهارون بدعوة فرعون إلى عبادة الله الواحد الأحد،والطلب منه عدم استعباد بني إسرائيل.

وتتنوع الأزمنة بين (الحاضر والماضي) في المحاورة التي دارت بين فرعون وموسى وهارون وصراعهما مع سحرة فرعون ثم خروج موسى مع بني إسرائيل، وكفرهم بعده كما صنع لهم السامري عجلا له خوار .و هذا اختبار من الله لموسى بفتنة بني إسرائيل بعد ذهابه لمناجاته ثم تأتي الأفعال الدالة على الخطاب الذي وجهه موسى عليه السلام لبني إسرائيل، ومعاتبة السامري ثم هداية بني إسرائيل إلى أن الله هو الذي لا إله إلا هو، المعبود وحده لا شريك له.

ويعود الزمن من الماضي البعيد إلى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم مرة أخرى وهو الزمن الحاضر أي زمن نزول الوحي وذلك من (الآية :99) إلى غاية(الآية :114) بواسطة الأفعال الآتية :(نقص-سبق-أتيناك-أعرض-يحمل-ساء-ينفخ-نحشر-يتخافتون-لبثتم-يسألونك- ينسفها-يذرها-ترى-يتبعون-خشعت-تسمع-تنفع-أذن-رضي-يعلم-يحيطون-عنت- خاب-حمل-يعمل-يخاف-أنزلناه-صرفنا-يتقون-يحدث-تعالى-تعجل-يقضي-وقل-زدني).

قص الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قصة موسى عليه السلام وما حدث له،وكذلك يقص عليه الأخبار الماضية ، وقد أعطى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الذي لم يعطه لنبي قبله،فمن آمن به فقد فاز فوزا عظيما، ومن كذّب وتولّى فقد خسر خسرانا مبينا.

نلاحظ أن كل فترة زمنية يتخلّلها حيز زمني أخروي ثم العودة إلى الحديث عن زمن آخر من الأزمنة وهو الزمن الأبعد من زمن موسى عليه السلام ؛ زمن آدم عليه السلام بواسطة زمن الأفعال من (الآية :15) إلى غاية (الآية :123) في الكلمات التالية: (قلنا –اسجدوا– فسجدوا–أبى–قلنا–يخرجنّكما–تشقى–تجوع–تعرى–تظمأ–تصنعي–وسوس– أدلك–يبلى–أكل–بدت–طفق–يخصفان–عصى–غوى–اجتباه–تاب–هدى–قال–أهبطا– يأتيكم–اتبع–يضل– يشقى).

فبعد أن أمر الله تعالى آدم وحواء وإبليس بالهبوط من الجنة إلى الأرض انتقل الزمن مرة أخرى إلى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك من (الآية:124) إلى غاية (الآية:135)، لينفتح على المستقبل، وذلك بواسطة زمن الأفعال التالية: (أتتك–نسيها– تنسى–نجزي–أسرف–يؤمن– لم يهد–أهلكنا–سبقت–أصبر–يقولون–سبح–سبح–ترضى– تمدن–متعنا–نفتنهم–أمر–اسطبر–نسألك–نرزقك–قالوا–يأتينا–تأتهم–أهلكناهم–قالوا– أرسلت– نتبع–نذل– نخزى–قل–تربّصوا–فتعلمون–اهتدى).

أعطت هذه الأحداث التي تدل عليها الأفعال حيوية كبيرة في حركة الزمن الماضي وربطه بالزمن الحاضر والمستقبل،وهو زمن يعكس لنا تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة التي كلّف بها ،وقد ساهم في تحقيق التماسك النصي في سورة طه نحوا ودلالة.

ب–الربط الزمني بواسطة بنى تركيبية أخرى:

ارتبط استخدام البنى التركيبية الدالة على الزمن بالأحداث الكبرى التي ذكرت في سورة طه ؛كتوجيه الخطاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وذكر قصة موسى عليه السلام،و قصة آدم عليه السلام ، وذلك يتجلى في الآيات التالية : (10–20–38–40–59–64– 69–100–101–102–103–104–108–109–116–130) من خلال البنى الظرفية الزمنية : (إذ–إذا–سنين–ضحى–اليوم–حيث–يوم–اليوم–يومئذ–يوما–يومئذ–يومئذ– إذ–القرون–قبل طلوع الشمس–قبل غروبها)، وتعمل هذه البنى التركيبية الزمنية على الربط الزمني للأحداث داخل النص القرآني.

-قال الله تعالى:" إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10)".

ورد (إذ) ظرفا للحديث، وقد خص هذا الظرف بالذكر لأنه يزيد تشويقا إلى استعلام كنه الخبر، لأن رؤية النار تحتمل أحوالا كثيرة، وتدل على أن ذلك كان ليلا، وأن موسى عليه السلام كان في حاجة ماسة إليها، فطلب من أهله أن يمكثوا قليلا، فقد يجد على النار هدى أي عارفا بالطريق فيهديه إلى السبل لأن الطريق خفي عليه من شدة الظلمة.

-قال تعالى: "فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20)"

دلت (إذا) الظرفية على ما يستقبل من الزمن، فبعد أن ألقى موسى عليه السلام عصاه تحولت مباشرة إلى حية تسعى كانت الحياة فيها كاملة بالمشي الشديد.

-قال تعالى:" إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38)".

جاءت (إذ) الظرفية للدلالة على الزمن الماضي أي الوقت الذي من فيه الله تعالى على موسى عليه السلام عندما أوحي إلى أمه بأن تلقيه في اليم لما كان رضيعا خوفا عليه من فرعون.

-قال تعالى: إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40) .

يتواصل الحديث عن الزمن الماضي بواسطة ظرف الزمان (إذ) الذي يدل على الزمن الماضي الذي وقعت فيه أحداث قصة موسى عليه السلام عندما رفض المراضع، فأخذت أخته مريم بنت عمران تقول(هل أدلكم على من يكفله)، وهي أرادت بذلك أمه فرجّعه الله إليها كي تقر عينها، وهذه منّة أخرى على موسى عليه السلام لإكمال نمائه، ومنّة على أمه كذلك، فلم تفارق ابنها إلا ساعات قلائل.

ويظهر الظرف الثاني في الآية نفسها (سنين) ليدل على المدة الزمنية التي بقي فيها موسى عليه السلام في مدين عند شعيب عليه السلام، وعن وهب:" أنه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة"[1].

-قال تعالى: " قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59)".

فقوله تعالى: "يوم الزينة" هو تعيين للوقت،وهو يرتبط بالكلمة التي قبله "موعدكم" التي تدل على الوقت أيضا؛ ويوم الزينة كان يوم عيد عظيم عند القبط، وهو يوم كسر الخليج أو الخلجان،و تمثل المنافذ والترع المجعولة على النيل لإرسال الزائد في مياهه إلى الأرض البعيدة عن مجراه للسّقي، فتصل إلى جميع النواحي.

وزيادة المياه في نهر النيل هو توقيت السنة القطبية، وهو أول يوم من شهر توت القطبي، (أيول) سبتمبر بحسب التاريخ الإسكندري، وذلك قبل فصل الخريف بثمانية عشر يوما، أي يوافق اليوم الخامس عشر من شهر سبتمبر، وأول أيام شهر (توت) هو يوم النيروز عند الفرس[2]، و قيل يوم الزينة هو يوم عاشوراء[3]. و قد اختار موسى عليه السلام هذا الوقت من السنة الذي يتخذون فيه سوقا ويتزينون فيه موعدا للقاء السحرة.

ويدل ظرف الزمان الثاني (ضحى) على ضحى ذلك اليوم وهو وقت ابتداء حرارة الشمس بعد طلوعها.

-قال تعالى:"فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64)".

يدل (يوم) على ظرف الزمان، اليوم الذي جاء فيه جميع السحرة للقاء موسى وهارون عليهما السلام، وتدل جملة "و قد أفلح اليوم من استعلى" على تآمر السحرة بأن الفلاح يكون لمن غلب في ذلك الجمع.

-قال تعالى:" مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (100) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (101) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (102) .

---

[1] الزمخشري:الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التنزيل،ص56.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر):تفسير التحرير والتنوير،ج16 ،ص 246.

[3] الزمخشري:الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التنزيل،ص 71.

ذكر ظرف الزمان (يوم) مقترنا بالقيامة في (الآيتين: 100-101) وهي مضاف إليه تدل على يوم يقوم الناس للحساب في هذا اليوم العظيم، فمن أعرض عن ذكر الله فإنه يحمل إثما.

وجاء ظرف الزمان (يوم) في (الآية:102) بدلا من "يوم القيامة" في الآية السابقة، وهو تذكير بما يحصل للمجرمين "يومئذ" وهو الظرف الزمني الثاني في (الآية:102) الذي يؤكد على هول يوم القيامة والتذكير به والإنذار بما يحصل للمشركيين والكفرة فيه.

-قال تعالى:" يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (103) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104) ".

يدل ظرف الزمان "عشرا" على يوم القيامة وما يحدث فيه فيتخافت المجرمون من الخوف وهول ذلك اليوم، لأنهم علموا أنهم كانوا أمواتا فأحياهم الله فاستيقنوا ظلالهم وكفرهم فزعموا أنهم ما لبثوا في القبور إلا عشر ليال.

ويدل ظرف الزمان (إذ) في الآية الموالية (104) على الظرف الزمني الذي يتخافتون فيه فيقول أمثلهم رأيا أنهم لبثوا يوما واحدا كما ذكر في لآية لما وجدوا أجسادهم كاملة مثل ما كانوا في الدنيا، لأن بعضهم قال: "إن لبثتم إلا عشرا" فكان ذلك عذرا لأن عشر ليالي تتغير في مثلها الأجسام. فكان الذي قال"إن لبثتم إلا يوما" أقرب إلى رواج الاعتذار. فالمراد: أنه الأمثل من بينهم في المعاذير، وليس المراد أنه مصيب[1].

-قال تعالى:" يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108)"

ورد الرابط الزمني (يومئذ) للدّلالة على الظرف الزمني المتعلق ب"يتبعون الداعي"، وقد تقدم الظرف على عامله للاهتمام بذلك اليوم (يوم القيامة)، وليكون تقديمه قائما مقام العطف في الوصل أي: يتبعون الداعي يوم ينسف ربك الجبال ونودوا للحشر فحضروا يتبعون

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر) : تفسير التحرير والتنوير،ج16،ص .ص 305-306.

الداعي لذلك، وهو الملك إسرافيل عليه السلام، وقيل الداعي هو الرسول حيث يتبع كل قوم رسوله.

-قال تعالى:"يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109)"

(يومئذ) ظرف زمان يتعلق بيوم القيامة، فجملة (يومئذ لا تنفع الشفاعة كجملة(يومئذ يتبعون الداعي) في معنى التفريع على "وخشعت الأصوات للرحمان" أي لا يتكلم الناس بينهم إلا همسا، فلا يجرؤون على الشفاعة إلا من أذن له الرحمان

-قال تعالى:" وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116)"

جاء ظرف الزمان(إذ) الدال على الماضي البعيد محيلا إلى الوقت الذي أمر فيه الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فسجدوا، إلا إبليس أبى وعصى ربه.

-قال تعالى:" فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130).

ذكرت الروابط الزمنية في الآية الكريمة في إطار أمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالصّبر على ما يقوله كفار مكة، فأمره بمزاولة تزكية نفسه وأهله بالصلاة والإعراض عما منع الله الكفار به، لذلك فالأوقات المذكورة في الآية :(طلوع الشمس غروبها و أناء الليل و أطراف النهار) هي أوقات الصلاة ؛ وقت الصبح قبل طلوع الشمس، ووقتان قبل غروبها هما الظهر والعصر، وقيل المراد بصلاة العصر، وأما الظهر فأطراف النهار.

مما سبق نرى أن تعدد أدوات الربط الزمني في سورة طه جعل كل الأحداث مترابطة ومتماسكة وتعمل بصورة متداخلة ، سواء على مستوى الربط بين الجمل أو على مستوى الربط بين أجزاء السورة بمحاورها الكبرى: مخاطبة الرسول عليه الصلاة والسلام -ذكر قصة موسى عليه السلام- ذكر قصة آدم عليه السلام.

2- **الربط الإضافي (الوصل):**

يتوزع الربط في سورة طه كما يلي:

حروف العطف	تواترها	نسبة ورودها
الواو	143	%22,13
الفاء	77	%11,91
ثم	06	%0,92
أو	04	%0,61
المجموع	230	%35,60

جدول رقم-13-

نلاحظ من خلال الجدول ما يلي:

- ينتشر الربط الإضافي بكثرة في السورة وذلك بنسبة 35,60% بالنسبة إلى مجموع كل الروابط (الزمنية- الإضافية...) حيث يتوزع على استخدام حروف العطف (الواو-الفاء-ثم-أو)، والتي وردت بنسب متفاوتة ، حيث استخدم حروف العطف الواو (143) مرة بنسبة 22,13% وهي أكبر نسبة بالنسبة للروابط الإضافية، ثم يأتي الربط الإضافي بواسطة حرف العطف(الفاء) في المرتبة الثانية وذلك بتواترها (77) مرة بنسبة11,91%، أما الربط بواسطة (ثم) فقد تواتر بنسبة ضعيفة هي0,92% وذلك بذكره (06) مرات فقط وكذلك بالنسبة إلى الربط بواسطة الرابط (أو) الذي تواتر (04) مرات بنسبة0,61% وهي نسبة متقاربة مع نسبة الرابط (ثم) .

تعبر الروابط الإضافية (الواو-الفاء-ثم) عن التتابع الزمني، وتعمل على الربط بين الأحداث داخل سورة طه شأنها شأن الروابط الأخرى، وذلك عبر التتالي من خلال أداة العطف (الواو) على نحو ما نجده في الآيات التالية: (4-6-7-9-12-13-14-16-18-21-22-26-27-29-32-34-37-39-40-41-42-46-47-48-52-53-54-55-56-58-59-61-62-63-64-65-66

-90-89-88-87-81-80-79-77-76-75-74-73-71-70-69-
-114-113-112-111-110-109-108-102-99101-97-96-94
-126-125-124-123-122-121-120-119-118-117-116-115
135-134-133-132-131-130-129-127).

ومن خلال الترتيب في الزمن ويعبر عنه حرف العطف (الفاء) على نحو ما نجده في الآيات : (10-11-13-14-16-20-39-40-44-47-49-51-53-56-58-60-
61-62-64-66-67-70-71-75-77-78-81-85-86-87-88-90-
95-96-97-100-105-106-108-112-114-115-116-117-
120-121-122-123-124-126-130-134-135)، ومن خلال الترتيب والتراخي في الزمن وتعبر عنه أداة العطف (ثم) على النحو ما نجد في الآيات: (40-50-60-64-82-122).

فنلاحظ أن الربط الإضافي قد شكل سلاسل للربط داخل سورة طه، مما يجعل كل الآيات متماسكة، مشتركة المعاني و متعالقة المباني.

على نحو ما نجده في قوله تعالى:" **وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)**" الذي عطف على جملة ك" **لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6)**" لدلالة (الآية :07) على سعة علمه تعالى كما دلت (الآية :06) المعطوف عليها على عظيم سلطانه وقدرته، وبالإضافة إلى هذا يظهر الربط الإضافي داخل الآية الواحدة باستخدام (الواو) و(الفاء) السببية في (الآية: 7) ، وقد اتصل حرف العطف (الواو) ب (إن) ليتبيّن أن الله يعلم السر وأخفى من السر في الأحوال التي يجهر فيها القائل بالقول لإسماع مخاطبه أي فهو لا يحتاج إلى الجهر لأنه يعلم السر وأخفى منه.

كما استخدم حرف العطف (الواو) ثلاثة مرات في (الآية: 6) ليفيد الربط الإضافي والتتابع على ما يدل على عظمة الله وقدرته.

وعطفت جملة " **وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9)**" على جملة "**مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2)**" باستعمال حرف العطف(الواو) الذي يفيد الربط الإضافي ، حيث أعقب تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم على التبليغ والتنويه بشأن القرآن الكريم الذي أنزله الله عليه بذكر قصة موسى عليه السلام ليتأسّى به في الصبر على الشدائد وتحمل أعباء الرسالة ،وتسلية له بأن الذين كذّبوه سيكون عقابهم عقاب من سبقهم من المكذبين لذلك جاء في عقب قصة موسى عليه السلام قوله تعالى:" **كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99)**" فتم عطف " **وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا** "على (الآية: 09)، وكذلك جاء بعد قصة آدم عليه السلام قوله تعالى الذي يدل على قوة الترابط الإضافي والسببي:" **فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130)** " ، فيرتبط المعنى في هذه الآية بما ورد في الآيات السابقة التي يُخاطب فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو ما يحقق الربط الإضافي بين الجمل، ويحقق أيضا الربط الإضافي الداخلي أي داخل الآية الواحدة، فقد تكرر الربط الإضافي مع الربط السببي ست مرات، حيث يأمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يصبر على تكذيب كفار مكة، وأمره بأن يسبح بحمد ربه قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، ومن أناء الليل، وأطراف النهار.

ويعبر حرف العطف"الفاء" على الربط السببي والربط الإضافي في قوله تعالى: "**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13)**، أي فلما أتى موسى عليه السلام النار ناداه الله وأخبره بأنه ربه هو الذي يخاطبه فأمره مباشرة بأن يخلع نعليه قال علي بن أبي طالب ، وأبو ذر، وأبو أيوب: كانتا من جلد حمار غير ذكي. وقيل إنما أمره الله بخلع نعليه تعظيما للبقعة[1].

ثم بين الله لموسى سبب اختباره بذكر الجملة المعطوفة على ما قبلها (الآية: 13) حيث فرّع على الإخبار باختياره أن أُمر بلاستماع إلى الوحي.

---

[1] ابن كثير:تفسير القرآن العظيم، المجلد الثالث،ص 179.

وعلى هذا النحو تعددت آليات الربط الإضافي والسببي في سورة طه، وتتنوع دلالتها من خلال الربط الداخلي والخارجي الذي يتجلى في قوله تعالى: "**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21)**"،عطفت الآية (17) على الآية التي قبلها انتقالا إلى المحاورة التي أرادها الله أن يبين لموسى المعجزة العظيمة التي بعثه بها إلى فرعون وجنوده، من أجل تثبيته وزيادة اطمئنانه؛ بأن الكلام الذي يسمعه هو كلام الله، ولذلك أجاب موسى بقوله: (هي عصاي) فأفادت (الواو) هنا: الربط داخل الآية الواحدة (18) ،إذ تضيف كل عبارة لاحقة إلى سابقتها عنصرا إخباريا جديدا.

وجملة "**وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22)**" معطوفة على ما قبلها، وهنا برهان ثان لموسى عليه السلام، وهو أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه تخرج بيضاء تتلألأ كأنها فلقلة قمر.

ويتواصل الربط الإضافي في قوله تعالى: "**وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26)" وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34)** ،لما أظهر الله تعالى موسى المعجزتين عَلِم موسى أنه مؤيد من الله تعالى فطلب منه أن ييسر أمره ويشرح صدره بأن يزيل ما في نفسه من خواطر تكدّره أو توجب تردده في الإقدام على الذهاب إلى فرعون، ويضيف طلبا أخر وهو أن يحلل عقدة من لسانه لأن فيه كانت رتتة، وسبب ذلك أنه أخذ وهو طفل صغير بلحية فرعون، فهمّ به فقالت له زوجته آسية: إنه صبي لا يعقل وعلامته أن يأخذ جمرة من طست فتجعل في فيه،فوضع بين يديه طستا من جمر حتى يعلم ما يصنع، فوضع ذلك بين يديه، فأهوى موسى ليأخذ الذهب فأخذ جبريل عليه السلام بيده فأهوى بها في الجمر، فأخذ جمرة فوضعها في فيه فأصابته تلك اللثغة من ذلك الوقت.

ويضيف موسى عليه السلام طلبا آخر من الله وهو أن يجعل هارون وزيرا له يعينه في تبليغ هذه الرسالة العظيمة وهي رسالة التوحيد، وكذلك ليشركه في أمر رسالته، فجملة (و أشركه في أمري) معطوفة على جملة (اشدد به أزري) لذلك جاءت بيان لها.

وجاءت جملة (و نذكرك كثيرا) معطوفة على ما قبلها ، فقد علل موسى عليه السلام سؤاله بأن يسبحا الله ويذكراه كثيرا.

وجاء قوله تعالى:" **وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37)**" معطوفا على قوله تعالى:" **قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36)** " لأنها تتضمن منّة الله تعالى على موسى عليه السلام لذلك عطف عليها للتذكير بمنة الله عليه مرة أخرى.

و كذلك جملة "**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** (39)" معطوفة على الآية التي قبلها "**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38)**"أي حين أوحينا إلى أمك ما كان به سلامتك من الموت، وحين ألقيت عليك محبة مني.

وقوله تعالى: "...**وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41)** جاء معطوفا على ما قبله، حيث تم عطف (و قتلت) على جملة "**وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37)** " لأن ما ذكر في جملة (..و قتلت نفسا فنجيناك...) هي منّة ثالثة، عندما نجاه الله من الغم لما قتل القبطي- كما أسلفنا الذكر-، وعطفت الجملة (وفتناك فتونا) في الآية نفسها على (و قتلت نفسا)، والمراد بالفتون خوف موسى من فرعون، فقد خرج ولبث سنين في أهل مدين وهم قوم شعيب عليه السلام.

ويتواصل الربط الداخلي في الآية الواحدة بواسطة حرف العطف "ثم" وهو رابط زمني يفيد أن ما حصل لموسى من الأحوال كان مقدرا من الله تقديرا مناسبا متدرّجا، لأجل اصطفائه بهذه الرسالة لذلك تم عطف قوله تعالى: "واصطنعتك لنفسي"، لتبين لنا هذه الجملة المعطوفة الغرض المقصود من الخطاب القرآني في قوله تعالى:" **وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13)**" و كذلك قوله تعالى:" **اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24)**" ، وهو ما يعكس لنا

الدور الكبير الذي يلعبه الربط الإضافي في تماسك الدلالات والمعاني التي تضاف في كل مرة، كما ساهم في ترابط التراكيب النحوية التي تفسر بعضها بعضا،كما يعكس لنا الترابط الكبير مع الروابط الأخرى: الربط الزمني والربط السببي والربط الإضافي على تماسك التراكيب نحويا ودلاليا.

وتتوالى سلسلة من الروابط الإضافية (الواو –الفاء) في قوله تعالى:" **يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (112)**".

عطفت الجملة "فلا تسمع إلا همسا" على ما قبلها ، فلا يتكلم الناس يوم يقومون لرب العالمين إلا همسا، فيومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمان، وتتعلق جملة "و رضي له قولا" بجملة "من أذن له الرحمان" أي بالشافع. وتحتوي جملة "يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم " على الربط الداخلي بواسطة حرف العطف "الواو" الذي أفاد مطلق الجمع فالله هو الذي يعلم ما يصيرون إليه من ثواب أو عقاب ولا يحيط أحد علما بما يعلمه الله، وقد ذكر هذا في آية الكرسي وسورة البقرة.

وجملة "وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما "معطوفة على جملة "وخشعت الأصوات للرحمان " أي ظهر الخضوع في الأصوات والعناء في الوجوه.

وكذلك يظهر الربط الإضافي بواسطة (الواو و الفاء و أو) في قوله تعالى: **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)**.

عطفت الجملة " وكذلك أنزلناه..." على قوله تعالى:" **كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99)** " فالغرض واحد وهو التنويه بالقرآن الكريم، ففي (الآية :99) كان التنويه به جزئيا وذلك بالتنويه بقصصه ثم عطف عليه التنويه به كليا في (الآية :113)، وبالإضافة إلى هذا الربط الإضافي الخارجي بين الآيات نجد ربطا أخر داخل هذه الآية الكريمة، فقد تم عطف جملة "وصرّفنا "على ما قبلها في الآية: "**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** "، أي أن الله بين ما في القرآن من التخويف والتهديد والثواب والعقاب لعل الناس يخافون فيجتنبون معاصيه، ثم جاء الربط السّببي بواسطة "الفاء" في قوله تعالى: "فتعالى الله الملك الحق "، فبعد أن ذكر الله نعمة نزول القرآن الكريم ، نزّه نفسه لأنه هو الحق ووعده حق، ورسله حق، والجنة حق والنار حق.

و نشأت جملة "و لا تعجل بالقرآن..." على ما تقدم من التنويه بالقرآن الكريم وما اشتمل عليه من تصاريف إصلاح الناس، فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على صلاح الأمة ، كان يستعجل نزول القرآن الكريم وفي التعجيل به إسراع بعظة الناس وصلاحهم، فعلمّه الله بأن لا يعجل في ذلك.

وعطفت جملة "و قل رب زدني علما " على "ولا تعجل .." لتبيّن أن الباعث على الاستعجال محمود، وفيه تلطف مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم فأتبع نهيه عن العجلة بسؤال الزيادة من العلم .

ويتوسع الربط الإضافي أكثر حيث تم الانتقال من عطف جملة على جملة أخرى إلى عطف قصة على قصة أخرى، وهذا ما يتضح من خلال قوله تعالى:" **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116)**"، فقد تم عطف قصة آدم على قصة موسى عليه السلام وذلك بالعطف على **قوله تعالى:** "**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9)**" ، وهذا العطف هو تبعا لقوله تعالى :" **كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99)**" .

وبذلك يصبح الربط الإضافي في السورة وسيلة من وسائل استمرارها يؤدي إلى تأكيد تماسك المعطوفات سواء أكان ذلك بين المفردات أم بين الجمل أم بين أجزاء السورة ككل.و بذلك يصبح النص القرآني سلاسل من التراكيب أو الجمل المتعاقبة التي لا ترصف بعضها بعضها رصفا تراكميا عشوائيا وإنما تتسق وتترابط فيما بينها بروابط نحوية كثيرة مكونة بذلك نصا متماسكا ومتلاحما ومنسجما على مستوى التركيب والدلالة.

ومعنى هذا أن النص القرآني الكريم قد بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته مبلغا لا يدانيه فيه أي كلام آخر.

2- المستوى المعجمي:

التماسك المعجمي هو: "ذلك الربط الإحالي الذي يقوم على مستوى المعجم، فيعمل على استمرارية المعنى"[1]. ويتحقق الربط المعجمي داخل سورة طه من خلال آليتين أساسيتين هما : التكرار و التضام.

2-1- التكرار:

التكرار آلية من آليات التماسك النصي، يتطلب إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف له أو شبه مرادف له، كما أن العنصر المكرر قد يكون صوتا أو كلمة أو مركبا أو جملة تلفت انتباه المتلقي وتعمق إحساسه بتماسك أجزاء النص، وتجعله يزداد انجذابا وتأملا في صياغته.

وقد ظهر في سورة طه بأشكال مختلفة تتمثل في:

[1] عزة شبل محمد :علم لغة النص النظرية والتطبيق، تقديم سليمان العطار، مكتبة الآداب،ط2،القاهرة، مصر،1430هـ-2009م ،ص:141.

2-1-1 التكرار المباشر:

ويحدث عندما يتكرر العنصر المعجمي دون تغيير.

أ-تكرار الفعل (قال):

ورد تكرار الفعل (قال) بمختلف أوزانه (المفرد، المثنى، الجمع) بنسبة كبيرة في سورة طه، فتكرر (38) مرة ،وهو بذلك يحتل المرتبة الأولى بالنسبة للتكرار المباشر.

وقد قام الفعل (قال) بدور كبير في ربط وقائع الحوار الداخلي للنص القرآني (سورة طه) على نحو ما نجده في قوله تعالى: "**فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ...(10)**" و" **قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) ...قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) ...قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25)... قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) ... إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40)... فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) ...قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) ...قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) ...قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59) ...قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61).**

يمتد تكرار الفعل "قال" بصيغه المختلفة في هذا النص القرآني من(الآية :10) إلى غاية (الآية: 61) بمثابة الرابط الأساسي الذي ساعد في ربط أجزاء النص القرآني المبني على

الحوار ،ويصبح بذلك التكرار المباشر وسيلة من وسائل التذكير بالمعبود وتقوية المعنى الخاص بالربوبية .

ب- تكرار كلمة (رب):

تكرر لفظ (رب، ربك، ربه ...) (23) مرة محتلا بذلك المرتبة الثانية بعد لفظ القول، على نحو ما نجده في قوله تعالى: " **إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12)**" ، و "**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25)**" و" **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)** و "**قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52)**"و" **وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (133)** ".

يمثل تكرار كلمة (رب) تكرار المحور الأساس في السورة لأن موضوعها هو موضوع تثبيت العقيدة عقيدة التوحيد والإيمان بالله ، الرب، الخالق ،أي معرفة الله الواحد الأحد، ويتداخل هذا اللفظ مع الألفاظ الأخرى الدالة على نفس المعنى وهي أسماء الله الحسنى واسمه الأعظم، فنجد لفظ (الله ، وإله، وإلهكم)يتكرر (10) مرات، ولفظ الرحمان يتكرر (4) مرات، فيصبح التكرار المباشر للألفاظ والترادف هنا جزءا لا يتجزأ لأن المعنى واحد، وفي هذا الإطار يقوم التكرار المباشر بوظائف عدة منها: وظيفة التأكيد و وظيفة التنبيه ووظيفة التحذير لأن الله الواحد الأحد الذي بعث رسله رحمة للعالمين، سيعاقب كل من كذب وتولى ويجازي كل من تاب وآمن.

ج-تكرار كلمة (موسى):

بالإضافة إلى ما سبق يقدم التكرار اللفظي شكلا آخر من أشكال التماسك الداخلي من خلال الربط داخل كل جزء من أجزاء السورة عن طريق تكرار الكلمة المفتاح فيها فنجده كلمة"موسى" تتكرر(17) مرة في قصة موسى عليه السلام، التي تمتد من (الآية :9)إلى غاية (الآية:97) ،على نحو ما نجده في قوله تعالى:" **وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9)**"، حيث ذكر (موسى) عندما أراد الله سبحانه وتعالى إخبار الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بقصته عليه السلام حتى يسليه ويثبت قلبه ويصبر على ما يقاسيه من أذى المكذبين بالله .وتكراره في إطار ذكر الأحداث المتتالية في قصته مع فرعون، و السامري وبني إسرائيل.وذلك في قوله تعالى:

- "فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) "

-" وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17)"

-"قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19)"

-" قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) "

-"إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40)"

-" قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49)"

-" قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57)"

-" قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61)"

-" قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65)"

-" فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67)"

-" فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70)"

-" وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى(77)"

-" وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83)"

" فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86)"

-"فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88)"

-"فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91)".

ساهم التكرار المباشر في استمرارية الأحداث الكبرى في السورة وذلك من خلال تكرار بعض الألفاظ مثل: (موعدي – الأرض – السماوات – هارون– آدم – الهدى – بني إسرائيل....) والتي يدرك من خلالها السامع أن النص القرآني (طه) نص متماسك ومتضافر.

تتنوع أشكال التكرار الكلمي المباشر في سورة طه، فنجد أيضا تكرار المركب الاسمي على نحو ما تجده في قوله تعالى: "**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8)**" وقوله تعالى :" **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)**" وكذلك قوله تعالى:" **إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98)**".

يبرز التكرار المباشر للألفاظ وظيفتي التقرير والتأكيد، ويثبت الحقائق لأن الله هو الواحد الأحد لا شريك له سبحانه وتعالى. وهو تأكيد على موضوع السورة الرئيس تثبيت عقيدة التوحيد في النفوس.

2-1-2 التكرار بالترادف:

أ–بين (الله)و(الرحمان)و(الملك الحق)و(الحي القيوم):

ساهم الترادف في استمرار المعنى باعتباره شكلا من أشكال التكرار المباشر ،فقد ظهر الترادف بكثرة –كما أسلفنا– في تكرار معنى لفظ الجلالة من خلال الألفاظ (الرحمان– الله – إلهكم – إله – رب – ربكم – الملك الحق – الحي القيوم) ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

–" الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5)".

–" وَ لَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90)".

–" يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108)".

–" وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111)".

فقد ارتبط الترادف في لفظ الجلالة بالله الذي لا معبود بحق إلا هو،له وحده الأسماء الحسنى ،الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله الذي لا يموت ،المستغني عمّن سواه .

للترادف فائدة كبيرة تتجلى من خلال تعالق المعاني وبناء موضوع النص القرآني الأساس وهو التوحيد. ويتجلى الترادف أيضا بين الكلمات التالية:

ب-بين (اليم) و(البحر): على نحو ما نجده في قوله تعالى: "أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ...(39)"، و قوله تعالى:" وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78)".

ت-بين (القرآن)و(الذكر)و(الهدى)و(آياتنا): على نحو ما نجده في قوله تعالى:" مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) "كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99)"" وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)" "قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126)" ،وهي ألفاظ تدل على القرآن الكريم الذي نزله الله تعالى على عبده و رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

ث-بين (يوم القيامة) و(الساعة): على نحو ما نجده في قوله تعالى: " إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15)" و "مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (100)"،وهي ألفاظ تدل على يوم الحساب يوم بقوم الناس لرب العالمين.

وبذلك يكون الترادف في سورة طه قد ساهم في تماسكها دلاليا،كما أثرى رصيدها اللغوي من خلال اختلاف مدى الترادف وموقعه .

2-1-3 التكرار الجزئي:

يقصد بالتكرار الجزئي"التكرار الاشتقاقي أو تكرار جذر الكلمة"[1].

وقع التكرار الجزئي في سورة طه داخل الآية الواحدة أو بين الآيات، وهو يحتل بذلك مواقع مختلفة منها: الفعل ،و الفاعل،و المفعول به ، والمبتدأ،والخبر...

[1] عزة شبل:علم لغة النص ، النظرية والتطبيق، ص 145.

أ-التكرار الجزئي داخل الآية الواحدة:

-قال الله تعالى:" قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72)".

شكل التكرار الجزئي داخل الآية الكريمة مدى قصيرا للربط بين الكلمات:(فاقض-قاض-تقضي) ،فهي كلها مشتقة من الجذر(قضى).

ساهم هذا التكرار في تمديد المعنى واستمراره، وذلك عندما خاطب فرعون السحرة بعد إيمانهم بالله وما جاء به موسى ، فقالوا له:" فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ" أي افعل ما شئت وما وصلت إليه يدك ،" إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا" أي:إنما تسلط في هذه الدار الفانية،ونحن قد رغبنا في دار القرار.

-قال تعالى:" قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97)".

ظهر التكرار الجزئي بين الفعل والمفعول المطلق (قبضت-قبضة) و(ننسفنّه-نسفا) ما يزيد في توضيح المعنى وإبرازه للمتلقي ، فيدل الفعل(قبضت) على ملء كف اليد و هو القبضة بأطراف الأصابع،و يدل الفعل (ننسفنّه) أنه لما أحرق موسى عليه السلام العجل

بالنار ،ثم ألقى رماده في البحر نسفه نسفا،والنسف نفض الشيء ليذهب به الريح وهو التذرية[1].

وقد ورد التكرار نفسه في قوله تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105)"، ما يزيد في وضوح معنى النّسف ، لأن السياق يختلف فقد أجاب الله تعالى عن سؤال كفار قريش للرسول صلى الله عليه وسلم عن حال الجبال يوم القيامة،والتي سيذبها الله

[1] القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):التفسير الجامع لأحكام القرآن ،المجلد11،ص 243.

عن أماكنها ويمحقها. قال ابن الأعرابي وغيره: يقلعها قلعا من أصولها ثم يصيرها رملا يسيل سيلا،ثم يصيّرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا وهكذا[1].

-قال تعالى:" قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)".

ظهر التكرار بين الكلمتين (بعضكم-بعض) حيث يوضح لنا أمر الله لآدم وإبليس بالهبوط من الجنة إلى الأرض، فمن اتبع هدى الله فقد أفلح ومن كذب وتولى فقد خسر الدنيا والآخرة.

-قال تعالى:" وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (134)"

ظهر التكرار الجزئي من خلال الفعل (أرسلت) والمفعول به (رسولا)، فبين الله من خلاله أن هؤلاء المكذبين قبل أن يرسل إليهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وينزل عليهم القرآن الكريم، لكانوا قالوا: " **رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا**" قبل أن تهلكنا حتى نؤمن به ونتبعه.

-قال تعالى:" فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47)".

ظهر التكرار الجزئي من خلال خبر إن (رسولا) وفعل الأمر (أرسل)، وهما يدلان على أن الله أمر موسى وهارون عليهما السلام بأن يذهبا إلى فرعون ويخبرانه أن الله بعثهما لهدايته إلى طريق الحق ويرسل معهما بني إسرائيل ولا يعذبهم.

-قال تعالى:" قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (135)".

يوضح التكرار الجزئي بين الكلمتين (متربص- فتربصوا) المعنى في الآية الكريمة أي: قل يا محمد كل متربص منتظر دوائر الزمان ولمن يكون النصر،و ستعلمون من اهتدى إلى دين الحق.

---

[1] القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) : المصدر السابق، ص 245.

ب–التكرار الجزئي بين الجمل:

تتميز سورة طه بالتكرار الجزئي بين الآيات، و هو وسيلة من وسائل إبراز الحصيلة اللغوية للسورة ،على نحو ما نجده في استعمال الألفاظ : (تذكرة–ذكرا–ذكري–نذكرك–ذكرى) في قوله تعالى:

–"**إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3)**": جاء معنى(تذكرة) مرتبطا بالآية التي قبلها، فكانت مفعولا لأجله، أي ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى به، ما أنزلناه إلا للتذكرة، لأن الله أنزل القرآن على نبيه رحمة للعباد، وليتذكر ذاكر من كتاب الله ،وهو ذكر بين الله فيه للناس حدوده.

–"**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)**":يدل معنى (ذكري) على الصلاة أي: أقم الصلاة عند ذكرك لي،و هذا يشير إلى عظم قدر الصلاة إذ هي تضرع إلى الله تعالى، و قيام بين يديه.

–"**وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34)**":أفادت (نذكرك) معنى ذكر الله ،والإكثار من الذكر، هو ذكر الله قياما وقعودا،و في ذلك إكثار من ذكر الله تعالى بإبلاغ أمره ونهيه،كما في قوله تعالى: "اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42)" في سياق الحديث عن موسى وهارون أي لا تضعفا في تبليغ الرسالة.

–"**كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99)**" : أفادت كلمة (ذكرا) في الآية الكريمة معنى القرآن العظيم،و سمي القرآن ذكرا لما فيه من الذكر، وقيل ذكرا أي شرفا[1].

– "**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113)**" : أفادت كلمة (ذكرا) في الآية الكريمة معنى موعظة وذلك في سياق الحديث عن القرآن الكريم الذي نزله الله قرآنا عربيا،وقال قتادة :حذرا وورعا،وقيل شرفا:فالذكر هنا بمعنى الشرف[2].

---

[1] القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) :التفسير الجامع لأحكام القرآن،المجلد11،ص 243.

[2] القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):المصدر نفسه، ص 250.

– "وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)": جاءت كلمة (ذكري) بمعنى أمر الله وما أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل : عما أنزلت من الدلائل، ويحتمل أن الذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم،لأنه كان من الذكر[1].

وقد شكل هذا النوع من التكرار مدى طويلا للربط، فنجد المسافة بين الآية(3) والآية (14) هي (11) آية، و بين الآية (14) والآية (34) هي (20) آية، وبين الآية (34) والآية(42) هو (8) آيات، و بين الآية (42) والآية (99) هو (57) آية، و بين الآية (99) والآية (113) هو (14)آية ،و بين الآية (113) و الآية (124) هو (11)آية.

نلاحظ أنه في كل مرة يتسع مدى الربط بين الآيات غير المتجاورة ، فيجعلها التكرار تتماسك على المستوى الشكلي بالحفاظ على جذر الكلمة (ذكر)، و هو يضفي على السورة طابع التنوع وينفي عنها الرتابة، و كذلك على المستوى الدلالي بالحفاظ على المعاني المتقاربة و المترابطة التي تكمل بعضها بعض.

يقوم التكرار بأنواعه المختلفة بوظائف متنوعة منها :وظيفة التأكيد ،وظيفة التنبيه ،وظيفة التحذير، و ظيفة الاستمرار.

2–1– التضام:

التضام هو آلية من آليات التماسك النصي يعمل على استمرارية المعنى من خلال شبكة من العلاقات الدلالية التي تؤثر فيها الكلمات التي يتكرر استخدامها في سياقات لغوية متشابهة مما يجعل الجمل تبنى على أساس مشترك.

يقوم التضاد في سورة طه على علاقتين أساسيتين من العلاقات الدلالية وهما: والتضاد والتقابل.

2–2–1 التضاد: يشكل التضاد في سورة طه آلية من آليات التماسك النصي والذي تبرز من خلاله الحصيلة اللغوية المتنوعة في السورة والتي لها القدرة الكبيرة على إبراز المعاني المقصودة

[1] القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) :المصدر نفسه، ص 258.

في البنيات المتضادة، فبالأضداد تتضح المعاني أكثر، ويتم إيصالها إلى المتلقي من وجهتين مختلفتين (الإيجاب و السلب).

ينتشر التضاد في السورة بين الألفاظ المتضادة داخل الآية الواحدة، كما ينتشر بين الآيات المتجاورة.وتتمثل فيما يلي:

-قال تعالى:" إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76)".

وقع التضاد داخل (الآية :74) بين الكلمتين: (لا يموت-لا يحي) ،وذلك في سياق ما وعظ به السحرة فرعون يحذرونه من نقمة الله وعذابه الأبدي،فمن يلقى الله وهو كافر فله جهنم لا يموت فيها ولا يحيى، و في هذا السياق قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أما أهل النار الذين هم أهلها،فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون..."[1].

وينتقل التضاد من الربط داخل الآية إلى الربط بين الآيات المتجاورة : (74-75-76) من خلال الألفاظ (مجرما و مؤمنا) و(جهنم وجنات) ،في سياق توضيح المعنى أكثر،ففي مقابل المجرم نجد المؤمن وفي مقابل جهنم نجد جنات عدن، فمن لقي ربه يوم القيامة مؤمن القلب جزاؤه جنات عدن ومن لقيه مجرما كافرا عقابه جهنم.

-قال تعالى:" قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125)"

ظهر التضاد بين الكلمتين(أعمى –بصيرا) في إطار الحديث عن يوم القيامة الذي يحشر فيه الكافر أعمى،قال مجاهد وأبو صالح والسدي: لا حجة له، وقال عكرمة:عمي كل شيء عليه إلا جهنم.ويحتمل أن يكون المقصود أنه يبعث إلى النار أعمى البصر والبصيرة أيضا[2].

-قال تعالى:" فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130)".

---

[1] ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، المجلد الثالث ، ص 198.

[2] ابن كثير:تفسير القرآن الكريم، المجلد الثالث، ص 210.

وقع التضاد بين زوجين من الكلمات (قبل طلوع الشمس – قبل غروبها) و(من آناء الليل – أطراف النهار) ، وذلك في سياق أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما يقوله المكذبون بالوعيد،وقد أمره الله تعالى بالتسبيح بحمد الله وذلك في الأوقات المذكورة،وهي أوقات الصلاة :قبل طلوع الشمس أي صلاة الفجر،قبل غروبها أي صلاة العصر،آناء الليل أي وقتا المغرب والعشاء،وأطراف النهار المراد به أول النهار وآخره وهما وقتا الصبح والمغرب[1].

لعب التضاد دورا هاما في لفت انتباه المتلقي، وإحداث في نفسه ميلا وإصغاء،فيصبح مولدا من مولدات الوظيفة التنبيهية في النص القرآني، والتي تفتح مجال التبليغ والتواصل.

2-2-2 بالتقابل:

التقابل إحدى الآليات المعجمية الواردة في سورة طه المكية التي تساهم في تماسك السورة وترابطها،من خلال التقابل التركيبي والدلالي.

-قال تعالى:" لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6)"

وقع التقابل التركيبي بين الاسم الموصول وصلته في الآية الكريمة :

مَا فِي السَّمَوَاتِ/ مَا فِي الْأَرْضِ/ مَا بَيْنَهُمَا / مَا تَحْتَ الثَّرَى

جمع التقابل بين ما هو علوي (السماوات) وبين ما هو سفلي(الأرض) وما (بينهما)، وما تحت سفلي(الثرى)، ليدل أن الجميع ملك لله تعالى وفي قبضته، وتحت تصريفه ومشيئته وحكمه وإرادته ، فهو الخالق ولا رب غيره.

-قال تعالى:" قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52)".

لَا يَضِلُّ / لَا يَنْسَى

ظهر التقابل داخل الآية الكريمة بين فعلين مضارعين منفيين متكاملين في المعنى (لا يضل-لا ينسى) ، لأن الله لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه، ولا يترك من وحده حتى يجازيه.

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، ج 16 ،ص.ص 337-338.

-قال تعالى:" إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119)".

لَّا تَجُوعَ / لا تَعْرَى / لَا تَظْمَأُ / لَا تَضْحَى

ظهر التقابل في الآيتين الكريمتين بين الأفعال المضارعة المنفية في إطار الحديث عن السلام في الجنة حيث قرن بين الجوع والعري، لأن الجوع ذل الباطن، والعري ذل الظاهر، وهما مقترنان بالنفي، فلا جوع ولا عري في الجنة.

كما ظهر التقابل بين (تظمأ) وهو تعطش و(تضحي) وهو حر الظاهر، أي البروز للشمس، فلا عطش ولا حر في الجنة.

-قال تعالى:" مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55)".

وقع التقابل التركيبي و الدلالي داخل الآية بين الجار والمجرور والفعل والفاعل والمفعول به:

مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ / فِيهَا نُعِيدُكُمْ / مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ

تتقابل التراكيب نفسها بمعان إضافية،حيث يدل التركيب الأول (منها خلقناكم) على أن الله خلق آدم من تراب من أديم الأرض، ويتواصل المعنى بواسطة التركيب الثاني المقابل(فيها نعيدكم) ليدل على أن مصير الإنسان الذي خلق من الأرض إليها إذا مات ، ليكتمل المعنى من خلال التركيب الثالث (ومنها نخرجكم) أي يخرج الله الناس من قبورهم (من الأرض) إلى الحساب.

-قال تعالى:" قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26)...وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29)... وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32)".

تمتد وظيفة التقابل عبر هذه السلاسل الجملية المتجاورة ، التي بنيت على تكرار فعل الأمر الذي غرضه الدعاء، وتكرار الجار والمجرور و المفعول به في شكل متناظر ، ليعبر عن المحاورة التي دارت بين الله سبحانه وتعالى وموسى عليه السلام لما اختاره الله لتبليغ رسالة التوحيد إلى فرعون، فطلب موسى من الله تعالى أن يشرح صدره وييسر أمره،وأن يحلل عقدة من لسانه ،وأن يجعل له هارون من أهله وزيرا له.

-قال تعالى:" كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34)".

نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا / وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا

يتقابل المركب الفعلي الذي يتكون من الفعل المضارع والفاعل المستتر(نحن) والمفعول به (الكاف): (نسبحك ونذكرك) كما يتقابل نائب المفعول المطلق (كثيرا)، وهو تقابل بين ما قدمه موسى من تفسير عندما طلب من الله أن يرسل معه هارون إلى فرعون، ويتمثل في التسبيح والذكر.

وبذلك يساهم التقابل في الربط المعجمي وإثراء الرصيد اللغوي من خلال تكرار القوالب التركيبية و تغير الألفاظ التي تحمل دلالات مختلفة تكمل بعضها بعض.

ولا يقتصر التقابل بأنواعه المختلفة على العلاقات النحوية والدلالية فقط، بل يتداخل أيضا مع الربط الصوتي الذي يقوم على تكرار الإيقاع الصوتي المرافق لتكرار التراكيب، فتتحد كل هذه الآليات لتكون نصا متماسكا ومتلاحما .

3-المستوى التداولي:

إن البحث في كيفية تماسك النص القرآني لا يتوقف عند دراسة وتحليل آليات التماسك النحوي والتماسك المعجمي للنص القرآني، بل يتعداها إلى دراسة آليات أخرى للتماسك النصي تجمع بين اللغة والاستعمال، وهو ما يقتضي النظرة الشمولية للنص القرآني،و ذلك من خلال مراعاة المستوى التداولي للنص الذي يتم فيه الربط بين السياق اللغوي وغير اللغوي (المقام) ،لأن نسيج النص يتغير تبعا لعوامل النص الخارجية التي يتفاعل معها وهو ما يحقق تماسكه وانسجامه.

وبهذا نكون أمام المستوى التداولي الذي يفرض نفسه بقوة في هذه الأطروحة التي تسعى إلى دراسة الوظيفة النصية للنص القرآني والتي تنعكس من خلال آليات التماسك النحوي والمعجمي والصوتي والتداولي.

3-1- السياق القرآني وأبعاده التداولية في سورة طه:

يدل السياق على التتابع و الانتظام في السير من أجل بلوغ غاية معينة ، و لما كان المفهوم الاصطلاحي مرتبطا بالمفهوم اللغوي،فالمعنى الاصطلاحي ينطلق من الأصل اللغوي،فالسياق القرآني إذن هو:"تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان الموضوع المقصود ،دون انقطاع أو انفصال" [1].

والمقصود بتتابع المعاني هو ترابط المعاني الفرعية لخدمة المعنى الوارد ذكره في السورة، حيث تسير هذه المعاني سيرا منتظما مقصودا من قبل المتكلم ،باعتبار أن الألفاظ القرآنية هي الحاملة للمعاني التي تتجلى أكثر من خلال معرفة سياقاتها التي أنتجتها ،فيبرز لنا دور السياق القرآني في إعطاء معنى كاملا يؤدي الغرض الذي نزل القرآن لأجله.

وهذا ما أكدت عليه اللسانيات الحديثة لأن "النص منتج مترابط ،متسق ومنسجم،وليس تتابعا عشوائيا لألفاظ وجمل وقضايا وأفعال كلامية ...ولا تستقيم نصية القطعة إلا بانسجامها ،وهذا يأتي بإدراج النص ضمن إطاره السياقي ولا يكتمل إلا إذا اكتملت كل أبعاد النص."[2] فمعنى النص يولده السياق فما يصلح لموقف قد لا يصلح لموقف آخر.

يرتبط السياق القرآني بمناسبة نزول القرآن الكريم ، و هي من أهم القضايا التي اهتم بها علماء تفسير وتأويل القرآن الكريم، حيث يختلف السياق من مناسبة إلى مناسبة أخرى ومن المتكلم إلى السامع ومن الحضور إلى الغيبة، فقد كان القرآن الكريم يتنزل مفرقا حسب المناسبات الظاهرة في سياقها، والتي تساعد المتلقي على فهم معنى النص القرآني، وتحقق الهدف منه.

وبذلك تتجلى المناسبة في أخذها بيد السياق، فيتم اختيار الألفاظ الملائمة مع مقامها في أدق جوانبها حتى على المستوى الصوتي و الإيقاعي، ليسيطر في ذهن السامع إيقاعا معينا يوقظ حسه و تصوره[3].

---

[1] المثنى عبد الفتاح محمود:نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر،ط2008،1،ص 15.

[2] محمود حسين الزهيري: أثر السياق في توجيه المعنى القرآني من خلال جزء عم ،دار وائل،2014،ص 243.

[3] محمود حسين الزهيري:أثر السياق في توجيه المعنى القرآني من خلال جزء عم،ص 271.

تتمثل عناصر السياق في سورة طه فيما يلي:

3-1-1 المرسل : النص القرآني هو كلام الله المنزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل عليه السلام. لذلك تشترك السورتان (طه والرحمان) في المرسل ،والرسول،والقناة،والنظام.

3-1-2 الرسول : أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة لمعرفة ما ينجّيهم في الدنيا والآخرة.

يقول الله تعالى :"وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم" البقرة (الآية :143) ،وقوله تعالى:"هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين" الجمعة (الآية :2) .

كلف الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم برسالة سماوية معجزة وهي القرآن الكريم، ليكون مبلّغا ومبشّرا وهاديا ونذيرا ، مصداقا لقوله تعالى:"إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا" الإسراء(الآية :9).

رد القرآن الكريم على الذين زعموا أن محمدا شاعر وكاهن، قال الله تعالى :"إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكّرون". الحاقة (الآيات : 40،41،42) .

ذلك هو محمد بن عبد الله، الذي بلّغ القرآن للناس كافة، النبي الأمي صلى الله عليه وسلم، النور الكوني الذي بهر العالمين، وحق للناس أن يقتدوا بقدوته صلى الله عليه وسلم.

3-1-3 المرسل إليه: تتفاعل سورة طه مع سياقها الأول الذي نزلت فيه ،إذ أن المرسل إليه في زمن نزول السورة الكريمة هو زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، عندما كان أهل مكة يغلب عليهم الشرك ، لينفتح السياق القرآني على المستقبل ، لأن النص القرآني موجه للناس كافة وبذلك يصبح المرسل إليه لا يقتصر عل أهل مكة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم

بل يشمل الناس كافة في كل مكان وزمان حتى تقوم الساعة؛فمن آمن فله جزاؤه ومن كفر فله عقابه.

3-1-4 القناة : سورة طه خطاب لغوي تم نقله عن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الناس مشافهة في البداية كما كان يتلقاه عن طريق جبريل عليه السلام ، ثم أصبح القرآن الكريم مكتوبا في المصاحف بعد ذلك ، و بما أن تبليغ النص القرآني لا ينقطع فإن الوسائل المعتمدة في نقله قد تنوعت خاصة مع تطور وسائل الاتصال.

3- 1-5 النظام:أما فيما يخص النظام اللغوي الذي نزلت به سورة طه فهو اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم ، ذلك أن العرب عرفوا بفصاحتهم وجزالة ألفاظهم، فتحدّاهم الله سبحانه وتعالى على أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك.

3-1-6 الرسالة: لا ينفصل الرسول عن الرسالة (السورة القرآنية) ،فهما أمران مترابطان متلازمان ؛ الرسول جزء من الرسالة ،والرسالة مرآة تعكس المنهج الإلهي الذي وضعه الله لرسوله المختار لكي يخاطب البشر ويهديهم إلى الصراط المستقيم،حيث وضع الله سبحانه وتعالى في شخصيته صلى الله عليه وسلم الصورة الحية لروح القرآن وحقائقه وتوجيهاته،ومن ثم كان القرآن القوة الإلهية العظمى.

أ- تعريف السورة: تقع سورة طه بين سورتي مريم والأنبياء،وهي السورة العشرون في ترتيب المصحف الشريف ،وهي السورة الخامسة والأربعون في ترتيب النزول حيث نزلت بعد سورة مريم وقبل سورة الواقعة.

وعدت آيها في عدد أهل المدينة ومكة مائة وأربعا وثلاثين، وفي عدد أهل البصرة مائة واثنتين وثلاثين،و في عدد أهل الكوفة مائة وخمسا وثلاثين.

وإذا أردنا أن نبحث عن مكية السورة ومعرفة المرحلة التي تنتمي إليها فلا بد أن نجمع بين ما ذهب إليه علماء القرآن والمفسرون الذين أجمعوا على مكية سورة طه ، وإن كان بعضهم يستثني منها قوله تعالى :" فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآَنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)" و" وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131)" و" وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131)".

ويؤكد مكية السورة إسلام عمر بن الخطاب في مكة عندما قرأ آيات منها في العام الخامس من الدعوة قبيل الهجرة الأولى إلى الحبشة ، قد تكون هذه السورة نزلت في سنة خمس أو أواخر سنة أربع من البعثة [1].

تتحقق في السورة مجموعة من الضوابط التي تميز الوحي المكي:

- قصص الأنبياء (موسى،آدم).
- تفتح بحروف التهجي.
- الدعوة إلى التوحيد وإثبات البعث والجزاء، وذكر القيامة وهولها وعذابها وذكر الجنة وثوابها.

ب- تسميتها :

سميت سورة طه بما ابتدأت به وهو قوله تعالى:"طه"، والتي اختلف فيها المفسرون فمنهم من قال بأنها حروف مقطعة كالتي في أول البقرة وآل عمران والأعراف ويونس والرعد وغيرها من السور.

وقيل أنها اسم من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم ،و أن الكلام هنا هو نداء له صلى الله عليه وسلم (يا طه) ،ويرى بعضهم أن معناها هو: (يا هذا) ،وقال بعضهم :بل هي اسم من أسماء الله تعالى وقسم أقسم به ،و هناك من فسرها على أنها (طأها)بالهمزة أي (طإ الأرض) ثم سهلت الهمزة فصارت (طه)[2].

ج-أسباب نزول سورة طه:

من أسباب نزول سورة طه ما قاله أبو جهل والنضر بن الحرث للنبي صلى الله عليه وسلم بأنك لتشقى بترك ديننا، وذلك لما رأياه من طول عبادته واجتهاده فأنزل الله تعالى قوله:"طه،ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى"[3]. وقال الضحاك :لما نزل القرآن على النبي صلى الله

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر):تفسير التحرير والتنوير،ج 16،ص .ص181،180.

[2] ابراهيم عوض: سورة طه دراسة لغوية أسلوبية مقارنة ،الطائف ،1413 هـ-1993 م، ص62.

[3] النيسابوري (أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي): أسباب النزول ،وبهامشه الناسخ والمنسوخ،عالم الكتب،بيروت،ص 228.

عليه وسلم قام هو وأصحابه فصلوا فقال كفار قريش ما أنزل الله تعالى هذا القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم إلا ليشقى به فأنزل الله تعالى "طه" يقول :يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى .

وجاء في سبب نزول قوله تعالى:" فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآَنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114) أن ابن أبي حاتم أخرج عن السُّدي قال :كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه ،يتخوف أن يصعد جبريل ولم يحفظه " فأنزل الله "ولا تعجل بالقرآن".

وجاء في سبب نزول قوله تعالى:" وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131)" أن موسى بن عبيدة الرندي قال: "أخبرني يزيد بن عبد الله بن فضيل عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ضيفا نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني فأرسلني إلى رجل من اليهود يبيع طعاما ،يقول لك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بنا ضيف ولم يلق عندنا بعض الذي نصلحه فبعني كذا وكذا من الدقيق أو سلفني إلى هلال رجب فقال اليهودي:لا أبيعه ولا أسلفه إلاّ برهن قال فرجعت إليه فأخبرته قال والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه " [1].فنزلت هذه الآية تعزية له عن الدنيا .

نزلت سورة طه في مكة لما كان المقام مقام إنذار وتحذير الكفار الذين يكذبون بالله ورسوله ،فساق لهم الله قصص من الغابرين للعبرة ولتسلية المؤمنين المستضعفين.

3-1-7 السياق و موضوع السورة:

أ-سياق مخاطبة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والرد على المشركين:

تبتدئ السورة بمخاطبة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى "طه"، فكان الربط الأول بين السياق اللغوي للسورة والسياق الخارجي بواسطة هذه الإحالة المقامية ، وهو رد مباشر على سؤال كفار قريش ،فكان ذكر طه ملاطفة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث بيّن الله له أنه لم ينزّل القرآن الكريم عليه ليشقى بل ليذكّر به المؤمنين المصدّقين أن

[1] النيسابوري (أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي) : أسباب النزول ،وبهامشه الناسخ والمنسوخ،ص 229.

الله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض، وهو المالك للكون المطّلع على كل ما فيه، وأنه صاحب الأسماء الحسنى.

ويخاطب الله تعالى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بعد عرض قصة موسى عليه السلام ،و يبين له أن من أعرض عن ذكره سيعاقب يوم القيامة بنار جهنم، ثم ينتقل الخطاب كذلك بعد قصة آدم عليه السلام إلى مخاطبة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مرة أخرى ليصبّره الله تعالى على ما يلقاه من أذى، فأمره بالتسبيح والصلاة وعدم الالتفات إلى ما متّع به الكفار فهو فتنة لهم.

ب- سياق قصة موسى عليه السلام:

ذكر الله سبحانه وتعالى قصة موسى عليه السلام ،حيث ذكر مشهد النار التي كلمه عندها و بشّره باختياره رسولا وأمره بأن يعبده ويوحّده ، ليخبره بأن الساعة آتية لا محال ،فحذّره أن يصرفه عنها من يكفر بالله تعالى.

سأل الله موسى عليه السلام عن العصا التي كانت في يمينه، لأنه كان يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه ، فطلب منه أن يلقيها على الأرض فإذا هي حية تسعى؛ فخاف موسى منها لكن الله طمأنه، ثم طلب منه أن يضمّ يده إلى جناحه ويخرجها فصارت بيضاء من غير سوء.

طلب الله تعالى من موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون الذي طغى في البلاد ويريّه هاتين الآيتين لعله يرجع عن طغيانه وكفره بالله،فدعاه أن يشرح صدره وييسر أمره ويؤازره بأخيه هارون الذي هو أفصح منه في هذه المهمة الصعبة ،فاستجاب الله تعالى لنبيه. وبعد ذلك ذكّره بما منّ عليه من قبل عندما أنقذه من بطش فرعون الذي كان يقتل كل طفل يولد من بني إسرائيل فتربى في قصره.

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى ما يجب على الأخوين القيام به من دعوة فرعون بالحسنى وتحذيره من عذاب الله ،فبين موسى لفرعون الآيات التي أرسله الله بها إليه لكنّه كذّب وتولى، لينتهي الأمر بينهما إلى الاتفاق على اللقاء في يوم الزينة، فكانت المقابلة بين موسى

وكبار السحرة الذين جمعهم فرعون من كل أرجاء البلاد والذين راحوا يعرضون فنون سحرهم بالحبال والعصي التي ألقوا بها على الأرض فخيّل إلى موسى عليه السلام وكل من معه في هذه

المقابلة أنها حية تسعى؛ هذا الأمر الذي أثار الخوف والرهبة في النفوس، ولكن الله أوحى إلى موسى بأن ألقى عصاه فإذا هي تلقف كل العصي والحبال ، وهو الأمر الذي جعل كبار السحرة يسجدون لله رامين بتهديد فرعون، غير آبهين بأن يقطع أيديهم وأرجلهم.

وأظهر الله بعد ذلك مصير المجرمين وهو عذاب جهنم، ومصير المؤمنين وهو الجنة التي تجري من تحتها الأنهار.

وتواصلت قصة موسى من جديد مع فرعون، لأن الله أمره أن يسري بمن آمن به ،وأن يضرب البحر بعصاه فكانت لهم فيه طريق عبروا من خلالها وغرق فرعون وجنوده في البحر. وقد ذكّر الله بني إسرائيل في هذا المقام بنعمته عليهم لما نجّاهم من طغيان فرعون وجبروته وما أنزله عليهم من المن والسلوى وحذرهم من الطغيان وبيّن لهم أنه يتوب على المؤمنين الذين يعملون الصالحات.

ثم تتواصل قصة موسى عليه السلام عندما ذهب إلى لقاء ربه عند الجبل، وما قام به السامري مع بني إسرائيل عندما صنع لهم العجل ليعبدوه، فأوحى الله لموسى بما حدث بعده فرجع إلى قومه وسأل هارون عن السبب الذي جعله يترك قومه في هذا الضلال فأجابه بأنه خشي أن يفرق بينهم، ثم سأل موسى السامري فأجابه بأن نفسه سولت له أن يصنع عجلا لهم ليعبدوه ، فسحق موسى العجل ورماه في البحر ليبين لبني إسرائيل أن الله واحد لا شريك له ، هو المعبود وليس العجل الذي يصنعه الإنسان.

ج–سياق قصة آدم عليه السلام:

تنتقل السورة الكريمة إلى سياق قصة آدم عليه السلام مع إبليس الذي رفض أمر الله له بالسجود لآدم،فحذره الله من وساوسه ،لكنه ضعف أمام إغرائه فأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها لأن إبليس أوهمه بأنها هي شجرة الخلد والملك الدائم ،وبهذا عصى آدم ربه فأمره بالهبوط ومعه إبليس إلى الأرض، ثم بين الله له أنه سيرسل لذريته الأنبياء والرسل الذين يبيّنون لهم جزاء من آمن بالله ورسله وعقاب من كذب وتولى.

د–سياق التهديد والوعيد:

يذكر الله رسوله صلى الله عليه وسلم في آخر السورة بأنه لا يعاقب أمة من الأمم حتى يرسل إليها رسولا كي لا يكون لها حجة عليه سبحانه وتعالى يوم القيامة.

هـ–سياق الزمان والمكان في سورة طه:

ينطلق السياق الزمني في السورة من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو زمن نزول القرآن المكي الحاضر بالنسبة لفترة نزول سورة طه وذلك من خلال(الآية :1) و(الآية :7)، ثم الانتقال في السياق الزمني إلى الزمن الماضي وهو زمن قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقصة بني إسرائيل مع السامري وعبادتهم العجل، وعقاب موسى للسامري، وذلك من (الآية: 9 إلى الآية: 98).

يظهر بعد ذلك السياق الدال على زمن الرسول صلى الله عليه وسلم مرة أخرى من خلال (الآية :99 والآية :100) ، ليتم الانتقال إلى سياق زمني آخر وهو الزمن المستقبل يوم القيامة، وذلك من (الآية :101 إلى الآية :112) ، ثم العودة مرة أخرى إلى الزمن الحاضر وهو زمن الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال (الآية :114). وبعد ذلك كان الانتقال إلى سياق الزمن الماضي الأبعد وهو زمن آدم عليه السلام وذلك من (الآية: 115 إلى غاية الآية: 123) ثم العودة مرة أخرى إلى الزمن الحاضر زمن نزول الوحي من خلال الآيات (130،131 ،132)لينفتح السياق الزمني على المستقبل القريب والبعيد.

وبالإضافة إلى السياق الزمني في السورة يبرز أيضا السياق المكاني الذي قام مقام نزول السورة حيث شملت عدة أمكنة وهي: مكة المكرمة، جبل الطور ، اليم، البحر،بيت موسى عليه السلام – يدرك ضمنيا من الأحداث الواردة في السورة– ، بيت فرعون (نشأة موسى الأولى) ،مدين،المدينة ،الوادي المقدس.هذا بالإضافة إلى المكان الأخروي والسياق المكاني لقصة آدم عليه السلام: الجنة ثم الأرض ثم الآخرة.

نلاحظ أن السياق الزمني والمكاني في سورة طه قد ساهم في الربط بين الأحداث مما أدى إلى تماسكها والتحام أجزائها، وهو بيان لتماثل الظروف في كل هذه الأزمنة تثبيتا للرسول صلى الله عليه وسلم حتى يبلّغ رسالته التي كلّفه الله بها للناس كافة.

مم سبق نجد أن هذه السياقات المختلفة ترتبط بالقضية الأساس التي تناولتها سورة طه والتي تتميز بما يلي:

- معالجة القضايا العقدية وذلك بدعوة الإنسان إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له ،وهدم الشرك والوثنية .
- الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر ،والبعث بعد الموت .
- الدعوة إلى الاستعداد ليوم الحساب.
- تصوير الجنة وتبيين مشاهد النعيم فيها.
- تصوير النار وتبيين مشاهد العذاب فيها.

3-2 الأفعال الكلامية في سورة طه:

3-2-1 الأفعال التقريرية الواصفة ومؤشراتها التداولية:

تظهر الأفعال اللغوية في سورة طه من خلال الأفعال التقريرية الواصفة التي تشير إلى الأحداث والوقائع المختلفة التي يتحكم فيها السياق ومقاصد المرسل ،وتتمثل فيما يلي:

أ-مؤشر طه: يمثل هذا المؤشر اسم السورة وبدايتها -كما سبق وأن أشرنا- وهو اسم من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يوجه إليه الخطاب القرآني في سورة طه .

ويرتبط مؤشر طه بالضمائر التي تحيل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي تنتشر في كامل السورة، لأن اسم طه ذكر مرة واحدة فقط بشكل صريح.

ب-مؤشر عظمة الله:ويتجلى من خلال قوله تعالى:

" تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى (4) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8) ".

يصف لنا هذا الفعل التقريري أن الذي نزّل هذا القرآن العظيم على محمد صلى الله عليه وسلم هو الله الذي خلق السماوات العلى، و هو زيادة في تقرير معنى عظمة الخالق ،الرحمان

الذي استوى على العرش العظيم، والعرش هو عالم من العوالم العليا، قيل هو أعلى سماء من السماوات وأعظمها[1].

يدل هذا الاستواء على زيادة عظمة الخالق وسعة سلطانه ، وهو الذي يختص بأسمائه الحسنى الدالة على الاتصاف بحقائقها مثل : الرحمان ،الرحيم،الجبار ،القهار...، وفي كل هذا تثبيتا للرسول صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة.

ج–مؤشر موسى عليه السلام: تبرز الأفعال التقريرية الدالة على موسى من خلال الآيات التي تحمل التقرير والوصف ،و هي أفعال تتداخل مع الأفعال الإنجازية التي تتضمن الأمر، والنداء، والنهي، الاستفهام، وذلك من(الآية :10 إلى غاية الآية :98) .

تشير الأفعال التقريرية الواصفة إلى ما يلي:

- رؤية موسى للنار
- تكليم الله لموسى عليه السلام
- إرسال موسى إلى فرعون
- تذكير الله لموسى بمنه عليه منذ أن كان في المهد
- تكليف موسى وهارون لدعوة فرعون إلى توحيد الله
- استعباد فرعون لبني إسرائيل
- مجادلة فرعون لموسى وهارون
- التقاء موسى و هارون مع سحرة فرعون
- غلبة موسى للسحرة وبيان الحق
- خروج موسى مع بني إسرائيل
- غرق فرعون وجنوده

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير،ج16، ص 187.

- إخبار الله موسى بفتنة بني إسرائيل بعده وعبادتهم العجل
- معاتبة موسى لهارون
- عقاب السامري وإحراق العجل
- هداية بني إسرائيل.

وهي بذلك تبين العبرة للمكذبين والمعاندين الذين كذّبوا النبي صلى الله عليه وسلم.

د–مؤشر آدم عليه السلام : تتداخل الأفعال التقريرية الواصفة الدالة على هذا المؤشر التداولي مع الأفعال الإنجازية التي تتضمن الشرط والنداء والنفي والنهي والاستفهام ،وذلك من الآية 115 إلى غاية الآية 123 .

تشير الأفعال التقريرية الواصفة إلى ما يلي:

- تفريط آدم عليه السلام في العهد وذلك من عمل الشيطان
- طلب الله تعالى من الملائكة السجود لآدم فسجدوا
- رفض إبليس السجود لآدم عليه السلام
- عداوة إبليس لآدم وزوجته
- وسوسة الشيطان لآدم
- عمل آدم بوسوسة الشيطان ،وأكله من الشجرة مع حواء
- إثبات العصيان لآدم دون زوجته التي تبعته
- اجتباه ربه فتاب عليه وهداه
- خروج آدم وزوجته من الجنة
- أمر الله آدم وحواء وإبليس بالهبوط جميعا إلى الأرض.

هـ–مؤشر الآخرة :ظهرت الأفعال التقريرية الواصفة الدالة على اليوم الآخر في سورة طه في بداية و وسط ونهاية السورة ،وذلك في الآيات التالية:

–"إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى" (15)

-"إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى" (76).

-"مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (100) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (101) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (102) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (103) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (112)".

-"وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127)".

تدل الأفعال التقريرية الواصفة على اليوم الآخر وهو يوم الساعة يوم يحاسب الناس على أعمالهم،حيث يخبر الله تعالى عباده أن الساعة آتية يكاد يخفيها حتى يحاسب الكافر على معصيته ويعاقب بنار جهنم التي يتجدد عذابه فيها،ولكن من يأت ربه مؤمنا قد عمل الصالحات فجزاؤه جنات عدن تجري من تحتها الأنهار،وبذلك تتحول هذه الأفعال التقريرية إلى أفعال إنجازية في مقامها (اليوم الآخر) .

3-2-2 الأفعال الإنجازية ومؤشراتها التداولية:

تتمثل الأفعال الإنجازية في سورة طه في الأفعال اللغوية الإنجازية التي اقترن فيها فعل القول بالإنجاز والتأثير ،وهي تنتشر بكثرة في السورة حيث وردت في (72) آية بنسبة 56.25 **%**و هي تنقسم إلى قسمين هما:

1-الأفعال الإنجازية البسيطة:

وردت الأفعال الإنجازية البسيطة بنسبة 68.42**%** وذلك بتواترها (52) مرة ، وهي تتوزع على النفي والأمر والاستفهام والدعاء والشرط والوعيد.

أ-النفي: ورد الفعل الإنجازي النفي في (13) آية ،وهو بذلك يحتل المرتبة الأولى بنسبة 17.10 **%** ،وقد ظهر في الآيات التالية:(2-52-74-79-87-91-96-108-109-115-118-119-127).

تتكون هذه الأفعال الإنجازية الدالة على النفي من الأفعال القضوية التي تتكون بدورها من:

الأفعال الحملية: تتكون من المحمولات الفعلية المنفية :(ما أنزلنا-لا يضل-لا ينسى-لا يموت-لا يحيى-ما هدى-ما أخلفنا- لن نبرح- لم يبصروا-لا عوج-لا تنفع- لم نجد- لا تجوع-لا تعرى -لا تضمأ-لا تضحى- لم يؤمن).

الأفعال الإحالية: تشير الأفعال الإنجازية المنفية إلى نفي المعنى الوارد في العبارات التي تضمنتها.

-قال الله تعالى:" مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2)".

لم يُرد الله تعالى من إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن الكريم عليه أن يشقى بذلك.

- قال تعالى:" قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52)".

لما أراد فرعون أن يحاج موسى بما حصل للقرون الماضية ،أجابه موسى بأن علمها عند ربي في كتاب لا يظل ربي أي لا يخطئ ولا ينسى ، فتم نفي الخطأ وعدم التذكر عن الله سبحانه وتعالى الذي يعلم غيب السماوات و الأرض .

-قال تعالى: "إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (74)".

نفى الله الحياة والموت في جهنم وذلك جزاء الكافر الذي يتجدد عذابه فيها، فلا هو ميت لأنه يحس بالعذاب ولا هو حي لأن الموت أهون منها.

-قال تعالى:" وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79)".

أضل فرعون قومه فأوقعهم في الجهالة وسوء العاقبة فجاء الفعل (ما هدى) المنفي ليؤكد الفعل(أظل) بالمرادف.

-قال تعالى: "قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87)".

جاء الفعل (أخلفنا) منفيا بواسطة ما النافية في جواب قوم موسى لما أخبرهم بقوله الوارد في الآية الكريمة السابقة"...فأخلفتم موعدي..."،فوقعت الجملة "قالوا..."في إطار المحاورة جوابا عن كلام موسى عليه السلام ليدل الفعل المنفي على أن قومه ما أخلفوا موعده ولكن غرّهم السامري وغلبهم كبراء القوم.

-قال تعالى: " قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91)".

ورد الفعل (نبرح) منفيا بواسطة الحرف (لن)، فقد نفى قوم موسى ابتعادهم عن عبادة العجل بقصد التعبد وذلك لما طلب منهم هارون عبادة الله وحده،فما كان منهم إلا التصميم على عبادة العجل.

-قال تعالى:" قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96)".

وجه موسى عليه السلام خطابه إلى السامري الذي كان سببا في إضلال قومه ،والذي نفى إبصار القوم أي أنه نظر ما لم ينظروه،فقبض قبضة من أثر جبريل عليه السلام ونثرها على العجل فأصبح له خوار.

-قال تعالى: "يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109)"

جاءت الأفعال (عوج-تسمع-تنفع) منفية بلا النافية وذلك في إطار الحديث عن اليوم الآخر يوم ينسف الله الجبال نسفا ،ونودي للحشر فيتبع الناس الداعي وهو الملك إسرافيل عليه السلام وقيل الداعي هو الرسول أي يتبع كل قوم رسولهم[1] فلا عوج في السير.

ونلاحظ أن المصدر (عوج) جاء منفيا أي نفي جنس العوج في إتباع الداعي ،لذلك فرع عليه نفي الفعل (تسمع) فلا تسمع إلا همسا ،لأنه لا يجرأ أحد على طلب الشفاعة ،لذلك تم نفي الفعل(تنفع) أي لا تنفع الشفاعة يومئذ إلا من أذن له الرحمان.

-قال تعالى:" وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115)".

اقترن الفعل (نجد) بالنفي بواسطة الحرف (لم) ،وذلك في إطار ذكر التفريط في العهد لأنه من عمل الشيطان.والمراد بالعهد إلى آدم:العهد إليه في الجنة التي أنسي فيها، فاستعمل نفي العزم عند آدم في معنى عدم وجود العزم من صفته فيما عهد إليه[2].

-قال تعالى: إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119).

تعلل الآيتان الكريمتان الشقاء المترتب عن الخروج من الجنة فتم نفي الجوع والعري والعطش والحر فيها لما كان لآدم في الجنة من مأكل وملبس ومشرب واعتدال جو.

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير،ج16 ،ص 309.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر): المصدر نفسه، ص 319.

-**قال تعالى: "وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى(127)**.

يخاطب الله تعالى الذي يحشره يوم القيامة أعمى فيوبخه ،لأن من كفر ولم يؤمن بالله وآياته المنزلة سيعاقب أشد عقاب.

الأفعال الإنجازية :تتكون الأفعال الإنجازية قي هذه الآيات الكريمة من قوة إنجازية واضحة هي النفي القوة المصاحبة للأداء الكلامي.

ب-الأمر: ورد الفعل الإنجازي الأمر في (13) آية ،بذلك يتساوى مع الفعل الإنجازي الأول النفي فيحتل المرتبة الأولى بنسبة 17.10 **%** .

وقد ظهر الأمر في الآيات التالية:(13-14-22-24-39-43-44-54-58-64-116-130-135)، حيث تتكون هذه الأفعال الإنجازية من الأفعال القضوية التي تتكون بدورها من:

الأفعال الحملية: تضم المحمولات الفعلية الدالة على الأمر وهي:(اخلع-اعبدني-أقم – اضمم-أقذفيه-اذهبا-قولا-كلوا-ارعوا-اجعل-أجمعوا-ائتوا-اسجدوا-اصبر-سبح-سبح-قل-تربصوا).

الأفعال الإحالية: تشير الأفعال الإنجازية الدالة على الأمر إلى الأمر الموجه إلى:

-موسى عليه السلام

-والدة موسى

-الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

-آدم عليه السلام

-الملائكة عليهم السلام

-إبليس.

ويتجلى ذلك في الآيات التالية:

-" **وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13)"**

-**"إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)"**

-**"وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22)"**

-**"اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24)"**

-**"أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ – لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)"**

-**"اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)"**

-**"كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54)"**

-**"فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58)"**

-**"فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64)"**

-**"وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116)"**

-**"فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130)"**

-**"قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (135)"**.

الأفعال الإنجازية:تتكون من قوة إنجازية مصاحبة للأداء الفعلي للكلامي وهي الأمر.

ج–الأستفهام:جاء الفعل الإنجازي الاستفهام في المرتبة الثانية بتواتره (9) مرات بنسبة 11.84 %،وقد ظهر في الآيات التالية (9-17-40-51- 57 - 93 -95- 125-128 -133).

تتكون هذه الأفعال الدالة على الاستفهام من الأفعال القضوية التي تتكون بدورها من:

الأفعال الحملية :وتتكون من اسم استفهام أو حرف استفهام ومحمول فعلي أو اسمي وهي: (ما تلك-هل أدلكم-فما بال-ألا تتبعن-أفعصيت أمري-فما خطبك-لم حشرتني-أفلم يهدي-أولم تأتهم).

الأفعال الإحالية:

-قال تعالى: "وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9)".

يشير الاستفهام إلى التشويق إلى الخبر الذي ستتحدث عنه الآيات الموالية، وجاء في إطار مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

-قال تعالى:" وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17)".

يحيل الاستفهام "بما " إلى أنه سؤال عن شيئ أشير إليه بيمين موسى عليه السلام وهي العصا.

-قال تعالى: "إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى" (40).

جاء الاستفهام بالحرف (هل)، و هو يتطلب الإجابة بنعم أو لا، حيث تمشي أخت موسى عليه السلام وهي تسأل عن من يكفله، و قد أرادت أمه.

-قال تعالى:" قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51)".

يشير الاستفهام إلى سؤال فرعون لموسى عن حال قرون أهل مصر.

-قال تعالى: "قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57)"

يتصل هذا الفعل الإنجازي المتضمن للاستفهام بالآية السابقة، فجاء سؤال فرعون لموسى إنكاريا بواسطة حرف الاستفهام الهمزة ،ويقتضي ذلك أن موسى عليه السلام قد أراه معجزة العصا وانقلاب يده بيضاء.

-قال تعالى: "أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93)"

انتقل موسى عليه السلام من محاورة قومه إلى محاورة أخيه هارون ،فجاء الاستفهام بالحرف (الهمزة) استفهاما إنكاريا ،أي إنكار على مخالفة هارون لأوامره وهو يفيد التهديد.

-قال تعالى:" قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95)"

وجه موسى عليه السلام سؤاله للسامري بقوله (ما خطبك) أي ما هي مصيبتك التي أصبت بها القوم وما غرضك مما فعلت؟ [1]

-قال تعالى:" قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125)"

ورد الاستفهام في الآية الكريمة في إطار حديث الله سبحانه وتعالى عن يوم الحشر الذي جعل فيه عقاب الكافر أن يكون أعمى فيسأل عن ذلك بقوله (رب لم حشرتني أعمى).

-قال تعالى:"أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (128)"

جاء الاستفهام الإنكاري بواسطة الهمزة وهو أيضا يحمل التعجب في طياته ،ورد مفرعا على الإخبار بالجزاء بالمعيشة الضنك لمن أعرض عن عبادة الله وحده من المشركين في كل الأمم.

-قال تعالى:"وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (133)"

اجتمع الاستفهام الإنكاري بالنفي لما أخبر الله تعالى عن الكفار في قولهم "لولا"،أي:هلا"يأتينا" محمد"بآية من ربه"، أي بعلامة دالة على صدقه في أنه رسول الله، قال الله تعالى:" أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى" يعني القرآن العظيم الذي أنزله الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

الأفعال اللإنجازية: تتضمن هذه الأفعال قوة إنجازية مصاحبة للأداء الكلامي وهي الإستفهام.

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير،ج16 ،ص 205.

[2] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المجلد الثالث، ص 213.

وردت الأفعال الإنجازية الأخرى (الدعاء-النهي-الشرط-الوعيد) بنسب بسيطة حيث تواتر الفعلان الإنجازيان الدعاء والنهي (6)مرات بنسبة 7.89% وبذلك يحتلان المرتبة الثالثة ،أما الشرط والنداء فقد احتلا المرتبة الرابعة بتواترهما (4) مرات بنسبة 5.26 %،وجاء النداء والوعيد في المرتبة الأخيرة بتواترهما مرة واحدة بنسبة1.31% .

2-الأفعال الإنجازية المركبة:

وردت الأفعال الإنجازية المركبة بنسبة 26.31 %وذلك بتواترها (20) مرة، وهي تحتل بذلك المرتبة الثانية بالنسبة للأفعال الإنجازية.

تتكون الأفعال الإنجازية المركبة في سورة طه من قوتين إنجازيتين أو أكثر في الآية الواحدة مما يساعد في تحقيق مقاصد السورة أكثر ويفتح مجال الفهم للمتلقي أكثر .

وتتجلى هذه الأفعال الإنجازية المركبة كما يلي:

أ-النداء والأمر:

-قال تعالى: "فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13)"

تتكون هذه الأفعال الإنجازية من الأفعال القضوية التي تتكون بدورها من:

الأفعال الحملية: وتتكون من المحمول الاسمي (موسى) والمحمولات الفعلية (اخلع-استمع) التي موضوعها الفاعل ويعود على المحمول الاسمي الأول موسى.

الأفعال الإحالية: اجتمع النداء مع الأمر في هذه الأفعال الإنجازية المتسلسلة ،حيث برز فيها دور الآمر وهو الله سبحانه وتعالى الذي وجه نداءه إلى موسى عليه السلام ، فأمره أن يخلع نعليه لقداسة المكان الذي هو فيه، وحتى يستمع لما سيوحيه إليه . وقد تحققت هذه الأفعال الإنجازية في مقامها الخارجي بالواد المقدس وفي زمانها أي قبل زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

الأفعال الإنجازية: تتكون من قوة إنجازية مركبة هي النداء والأمر المتكرر مما يترك أثرا كبيرا في نفس المتلقي. فقد بني فعل النداء (نودي) للمجهول زيادة في التشويق إلى استطلاع القصة ، فإبهام المنادى يشوق سامع الآية إلى معرفته.

ب–الشرط الأمر و النهي:

–قال تعالى: "قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آَيَةً أُخْرَى (22)"

تتكون هذه الأفعال الإنجازية من الأفعال القضوية التي تتكون بدورها من:

الأفعال الحملية:وتتكون من المحمول الاسمي (هي) وموضوعه الحية،والمحمولين الفعليين (خذها –لا تخف) وموضوعهما موسى.

الأفعال الإحالية: اجتمع في هذه الأفعال الإنجازية الشرط والأمر والنفي، وهو ما يبين لنا استجابة موسى عليه السلام لأمر ربه فألقى عصاه التي تحولت إلى حية فيها الحياة كاملة فهي تسعى ،خاف موسى من هذه الحية التي أخذت تلتهم كل ما يحيط بها من أشجار وصخور، فطلب الله منه أن يأخذها ونهاه عن الخوف لأن الله الذي أعطاه إياها هو القادر على أن يعيدها سيرتها الأولى.

الأفعال الإنجازية: تتكون هذه الأفعال الإنجازية المركبة من قوة مركبة مصاحبة للأداء الفعلي للكلام هي الشرط والأمر والنهي.

ت–الأمر والنهي :

–قال تعالى: "فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآَيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47)"

تتكون الأفعال الإنجازية في هذه الآية الكريمة من المحتوى القضوي الذي يتكون بدوره من:

الأفعال الحملية: تتكون من المحمولات الفعلية (فأتياه–قولا–أرسل–لا تعذبهم) والتي فاعلها هو هارون وموسى.

الأفعال الإحالية: تحيل الأفعال الإنجازية في الآية الكريمة إلى الأمر الذي وجهه الله سبحانه وتعالى إلى موسى وهارون بأن يأتيا فرعون الذي طغى وكفر وتجبر كما أمرهما، وأن يخبراه بأنهما رسولا ربه بعثهما لدعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن ينهيانه عن تعذيب بني إسرائيل وأن يكف عن ما يسخر له بني إسرائيل من الأعمال الشاقة في الخدمة لأنه كان يعاملهم معاملة العبيد جزاء إحلالهم بأرضه.

الأفعال الإنجازية: اجتمع الفعل الإنجازي الأمر الذي تكرر ثلاث مرات مع الفعل الإنجازي النهي.

ث–الاستفهام والنداء:

–قال تعالى: "قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49)"

يتكون هذا الفعل الإنجازي من المحتوى القضوي الذي يتكون من:

الأفعال الحملية : وتتكون من المحمولين الأسميين (ربكما–موسى).

الأفعال الإحالية: يشير الاستفهام في الآية الكريمة إلى السؤال الذي وجهه فرعون إلى موسى وهارون ثم خص موسى بالإقبال عليه بالنداء لعلمه بأن موسى هو الأصل بالرسالة وأن هارون تابع له.

الأفعال الإنجازية:تتكون من قوتين إنجازيتين هما الاستفهام والنداء.

ج–الاستفهام والنداء والقسم و التوكيد والأمر والنفي:

–قال تعالى: "قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58)"

يتكون هذا الفعل الإنجازي من الأفعال القضوية التالية:

الأفعال الحملية: تتكون من المحمولات الفعلية (جئتنا–نأتينّك–اجعل) والمحمول الاسمي (موسى).

الأفعال الإحالية: تشير الأفعال الإحالية إلى استمرار المحاورة التي دارت بين موسى عليه السلام و فرعون الذي يسأل موسى عليه السلام بعد أن شاهد انقلاب العصا حية وانقلاب يده بيضاء.

وجاء الاستفهام في (أجئتنا) إنكاريا ، لذلك فرّع عليه القسم (فلنأتينك) بسحر مثله،و القسم من أساليب إظهار الغضب ، فاللام لام القسم والنون لتوكيده لأن فرعون يقصد مقابلة عمل موسى بعمل مثله حتى يكذّب موسى ويزيل ما يخالج نفوس الناس من تصديق موسى، حيث فرّع على ذلك طلب تعيين موعد بينه وبين موسى ليحضر له فيه السحرة.

الأفعال الإنجازية: تتكون من القوى الإنجازية المركبة التالية:الإستفهام والإنكار والنداء والقسم والتوعد والتوكيد والأمر.

ح–الأمر و التوكيد و النفي:

–قال تعالى:" وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69)"

يتكون هذا الفعل الإنجازي من الأفعال القضوية التالية:

فعل حملي: ويتكون من المحمولات الفعلية(ألق–صنعوا–لا يفلح) والتي موضوعها موسى عليه السلام والسحرة.

الأفعال الإحالية: يشير الأمر في أول الآية إلى طلب الله تعالى من موسى إلقاء العصا في هذا المقام فخاف موسى، فطلب الله منه أن لا يخاف وأن يلقي عصاه التي تحولت إلى ثعبان ضخم ابتلع كل ما صنع السحرة ،و قد نفى الله تعالى نجاح هؤلاء السحرة لأن ما صنعوه ينكشف بالتأمل وثبات النفس في عدم التأثر به.

الأفعال الإنجازية: تتكون من القوى الإنجازية المستلزمة : الأمر والتوكيد والنفي، وقد تحققت كلها في مقام انجازها في زمن موسى عليه السلام.

خ–الأمر و التوكيد و النهي:

–قال تعالى: "وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77)"

يتكون الفعل الإنجازي من المحتوى القضوي الآتي:

الأفعال الحملية: تتكون من المحمولات الفعلية (أوحينا–أسر–اضرب–لا تخاف–لا تخشى) والني موضوعها هو (موسى).

الأفعال الإحالية: تشير الأفعال الإحالية إلى تأكيد الوحي من خلال افتتاح الجملة بحرف التحقيق (لقد) للاهتمام بقصة موسى عليه السلام ، وهو ما يجعل المتلقي ينتبه لما يلقى من أخبار ،فقد أوحى الله تعالى إلى موسى بأن يسر ببني إسرائيل وأن يضرب لهم في البحر طريقا، كما طلب منه الله تعالى أن لا يخاف من أن يدركه فرعون أو يغرق في البحر.

الأفعال الإنجازية: تتكون الأفعال الإنجازية في الآية الكريمة من القوى الإنجازية المركبة وهي:التوكيد والأمر والنهي،وهي قوى تحققت في مقامها.

د–الاستفهام والنداء:

–قال تعالى: " وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83) ... فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86) ... قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92)".

تتكون هذه الأفعال الإنجازية من المحتويات القضوية الآتية:

الأفعال الحملية:وتتكون من المحمولات الفعلية (أعجلك–يعدكم–طال) والمحمولات الاسمية (موسى – قوم).

الأفعال الإحالية: تشير الأفعال الإنجازية الدالة على الاستفهام و النداء إلى استعمال الاستفهام في اللوم على موسى لأنه تعجل مفارقة قومه ليذهب إلى مناجاة ربه ،اجتهادا منه ورغبة كبيرة في تلقي الشريعة ولم يراع في ذلك إلا السبق إلى ما فيه خير لنفسه ولقومه،فلامه

الله تعالى على غفلته عن مراعاة ما يحدث بعد ابتعاده عن قومه قبل أن يوصيهم الله بالحفاظ على العهد ويحذرهم مكر الماكرين (السامري).

ويشير النداء في (يا قوم) إلى لوم موسى على قومه .

وقد تفرع عن الإستفهام الإنكاري (ألم يعدكم...) استفهاما إنكاريا آخر (أفطال عليكم العهد) أي وعد ربكم إياكم حتى يكون لكم يأس من الوفاء فتكفروا وتكذبوا وتعبدوا غير الله.

الأفعال الإنجازية: تتكون الأفعال الإنجازية من الاستفهام والنداء والقوة الإنجازية المستلزمة الإنكار.

ذ–النداء والنهي والنفي:

–قال تعالى: "قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94)"

يتكون هذا الفعل الإنجازي من الفعل القضوي الذي يتكون بدوره من:

الأفعال الحملية:وتتكون من المحمولين الاسميين (ابن أم–رأسي) ،والمحمولين الفعليين(لا تأخذ –ترقب) .

الأفعال الإحالية: تشير الأفعال الإنجازية إلى النداء والنهي والنفي ، والتي وردت في إطار المحاورة التي دارت بين موسى وأخيه هارون، فقد طلب هارون منه على وجه الترقيق والاستشفاع لأن موسى عليه السلام لما وبخه و أخذه بشعره ، فشعر هارون بأنه يجذبه إليه وقد صرح بذلك في سورة الأعراف في قوله تعالى:"...وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه..." الأعراف (الآية :150)، فعدل هارون عن استخدام (يا أخي) إلى(ابن أم) لأن ذكر الأم هو تذكير بأواصر الأخوة.

الأفعال الإنجازية:وتتكون من النداء والنهي والنفي وقد تحققت في مقام انجازها.

ر–الأمر والنهي والنفي :

–قال تعالى: "قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97)"

يتكون هذا الفعل الإنجازي من الفعل القضوي الذي يتكون بدوره من:

الأفعال الحملية: تتكون من المحمولات الفعلية (اذهب–لن تخلف– انظر–نحرقنّه–ننسفنّه) والمحمول الاسمي (مساس).

الأفعال الإحالية : تحيل الأفعال الإنجازية الواردة في الآية الكريمة إلى عقاب موسى للسامري ،حيث طلب منه الانصراف بقوله (اذهب) من الأمة، وأخبره بما عاقبه الله به في الدنيا ،فقد سلبه الأنس الذي في طبع الإنسان وعوضه به هوسا ووسواسا وتوحشا، فأصبح بعيدا عن مخالطة الناس، إذا لقي أحدا قال له :لا مساس، أي لا تمسني ولا أمسك، أما عقابه في الآخرة فهو جهنم. وقد طلب موسى من السامري أن ينظر إلى العجل الذي صنعه فسيحرقه أشد إحراق وينسفه في اليم نسفا.

الأفعال الإنجازية:وتتكون من الأمر والنهي والنفي وقد تحققت في مقام انجازها(زمن موسى عليه السلام).

ز–الشرط و النفي:

–قال تعالى: " وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (112) "

يتكون هذا الفعل الإنجازي من الفعل القضوي الذي يتكون بدوره من:

الأفعال الحملية: تتكون من المحمولات الفعلية (يعمل–يخاف) والمحمولات الاسمية (ظلما–هضما).

الأفعال الإحالية : يحيل الشرط في بداية الجملة إلى تحقيق الوعد الذي اقترن جوابه بالفاء ولا الناهية للدلالة على أن الذي يعمل الصالحات وهو مؤمن لا يخاف جزاء الظالمين.

الأفعال الإنجازية: اجتمع الفعل الإنجازي الشرط مع جوابه المنفي.

س–النداء و الاستفهام والنفي:

–قال تعالى: "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَملك لا يَبْلَى(120)".

تتكون الآية الكريمة من الأفعال الإنجازية التي تتكون من المحتويات القضوية التالية:

الأفعال الحملية: تتكون من المحمولين الفعليين (أدلك–يبلى) و المحمول الاسمي (آدم) .

الأفعال الإحالية : يحيل النداء (يا آدم) إلى بيان جملة (فوسوس إليه الشيطان)، فقد ألقى الشيطان في نفس آدم عن طريق الوسوسة وهي الكلام الخفي، ثم سأله أن يدله على شجرة الخلد، وهي الشجرة التي نهاه الله أن يأكل منها في الجنة –وقد ذكر ذلك في سورة البقرة– لكن الشيطان أغره وأكل منها، وهي ليست شجرة الخلد بدليل أن آدم لم يخلد،كما أخبره الشيطان بأن يكون له ملك لا يبلى.

الأفعال الإنجازية: اجتمع الفعل الإنجازي النداء مع الاستفهام و النفي، وقد تحققت هذه الأفعال في مقامها.

ش–الأمر والشرط والنفي:

–قال تعالى: "قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)".

تتكون الآية الكريمة من الأفعال الإنجازية التي تتكون من المحتويات القضوية التالية:

الأفعال الحملية: تتكون من المحمولات الفعلية (اتبع–يضل–يشقى).

الأفعال الإحالية : تشير إلى أن الله يبين لآدم وذريته الهدى ،فمن اتبّعه لن يعتريه الضلال والشقاء.

الأفعال الإنجازية: تتكون من القوة الإنجازية المركبة من الشرط والنفي والتي يبقى فيها مقام الإنجاز منفتح على المستقبل.

ص–الأمر والنفي:

–قال تعالى:"وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) "

تتكون الآية الكريمة من الأفعال الإنجازية التي تتكون من المحتويات القضوية التالية:

الأفعال الحملية: تضم المحمولات الفعلية (وأمر–واصطبر–نسألك)، وموضوعها الفاعل (محمد–الله).

الأفعال الإحالية : تشير إلى أن الله تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يأمر أهله بالصلاة ،كما أمره صلى الله عليه وسلم بما هو أعظم مما يأمر به أهله وهو أن يصطبر على الصلاة وذلك بغرض الإكثار منها ومن النوافل لأن الله كلفه بالعبادة.

الأفعال الإنجازية: تتكون من القوة الإنجازية المركبة من الأمر والنفي الموجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأهله وكل المؤمنين.

الأفعال التأثيرية: تترك كل هذه الأفعال الإنجازية أثرا واضحا في نفس المتلقي سواء تعلق الأمر بزمن نزول السورة المكية أي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أو تعلق الأمر بالزمن الذي جاء بعده لأن التبليغ يستمر في كل زمان ومكان فمن آمن بالله وحده لا شريك له فجزاؤه الجنة ومن كذب وكفر فعقابه جهنم لا يموت فيها ولا يحيى .

3–3– مقاصد سورة طه التداولية وفضائلها:

جاءت سورة طه بمقاصد تداولية واضحة وأغراض كثيرة تهدف إلى تثبيت العقيدة في النفوس(أهل مكة والناس كافة من بعدهم)، ويمكن أن نشير إلى أهمها كما يلي

– افتتحها الله سبحانه و تعالى باسم من أسماء خاتم الأنبياء و المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم طه الأمين خير خلق الله.

–تحدى الله سبحانه وتعالى بالقرآن العرب على أن يأتوا بسورة مثله، فكانت فاتحة السورة بالحروف المقطعة ، و هي من الإعجاز القرآني.

-التأكيد على أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تماثل رسائل الرسل من قبله فضرب المثل بموسى عليه السلام.

-ذكر الله قصص الأنبياء ملاطفة للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية وتثبيتا له على التبليغ، وليتأسّى بموسى عليه السلام في الصبر على تحمّل أعباء الرسالة.

-يبين الله لرسوله ولكافة المؤمنين أن الذين كذّبوه سيكون جزاؤهم جزاء من سلفهم من المكذّبين وهو نار جهنم.

-بين الله تأييده لموسى عليه السلام ونصره على فرعون وجنوده بالمعجزات الظاهرة.

-تبين لنا السورة الكريمة عداوة إبليس للإنسان وذلك بما تضمنته قصة آدم عليه السلام.

-التذكير بأهوال يوم القيامة يوم يحاسب الناس على أعمالهم.

وبذلك تكون كل هذه الآليات التداولية قد ساهمت في الربط بين السياق اللغوي لسورة طه المكية والسياق الخارجي(المقام) مما أدى إلى تماسك أجزاء السورة وانسجامها نحويا ومعجميا وتداوليا.

الفصـل الرابـع

الوظيفة النصية وآليات التماسك النصي في سورة الرحمن المدنية

1- المستوى النحوي.

2- المستوى المعجمي.

3- المستوى التداولي.

الوظيفة النصية وآليات التماسك النصي في سورة الرحمان المدنية

1- المستوى النحوي:

1-1-الإحالة:

سبق وأن أشرنا إلى الدور الكبير الذي تلعبه الإحالة بأنواعها المختلفة (الضمير، اسم الإشارة، الاسم الموصول) في تماسك النص القرآني واتساقه وترابطه.

وقد تمكنا من إحصاء انتشار هذه الإحالات في سورة الرحمان المدنية، والتي سنوضحها من خلال الجدول التالي:

نوع الإحالة	تواترها	النسبة المئوية
الضميرية	123	%96.09
الموصولية	04	%3.12
الإشارية	01	%0.78
العدد الإجمالي	128	

جدول رقم -14-

نتبين من الجدول ما يلي:

- غلبة الإحالة الضميرية حيث تواترت (123) مرة بنسبة 69.03% ، وهي النسبة الأكبر بالنسبة إلى مجموع الإحالات، و هي بذلك تحتل المرتبة الأولى في سورة الرحمان.
- جاءت الإحالة بالاسم الموصول في المرتبة الثانية ولكن بنسبة ضعيفة مقارنة بالضمائر، حيث تواترت (04) مرات فقط بنسبة 3.12%.
- ونلاحظ أن الإحالة باسم الإشارة جاءت في المرتبة الثالثة والأخيرة، وذلك بتواترها مرة واحدة بنسبة 0.78%.

لذلك سنركز على تحليل الإحالات حسب نسبة ورودها في السورة.

1-1-1 الإحالة الضميرية:

تتوزع الإحالات الضميرية بأنواعها المختلفة النصية و المقامية وفق الجدول التالي:

رقم الآية	العنصر الإحالي	الإحالة النصية		إحالة مقامية	العنصر المحال إليه
		قبلية	بعيدة		
1	الرحمان (هو)			+	الله
2	علم (هو)	+			الرحمان
3	خلق (هو)	+			الرحمان
4	علمه (هو)	++			الرحمان + الإنسان
6	يسجدان(هما)	+			النجم والشجر
7	رفعها (هو) (ها) وضع (هو)	++			الرحمان + السماء ،الرحمان
8	تطغوا (أنتم)			+	الناس (الباعة)
9	أقيموا (أنتم) ،لا تخسروا			+ +	الباعة الباعة
10	وضعها (ها)	+			الأرض
11	فيها	+			الأرض
13	تكذبان (أنتما) ربكما		+ +		الجن والإنس الجن والإنس
14	خلق (هو)	+			الرحمان
15	خلق (هو)	+			ا لرحمان
16	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
17	(هو) محذوف	+			رب المشرق والمغربين

	(هو) محذوف	+			رب المشرق والمغربين
18	ربكما		+		الجن والإنس
	تكذبان		+		الجن والإنس
19	مرج (هو)	+			الرحمان
	يلتقيان (هما)	+			البحران
20	بينهما (هما)	+			البحران
	لايبغيان (هما)	+			البحران
21	ربكما		+		الجن والإنس
	يكذبان		+		الجن والإنس
22	يخرج		+		اللؤلؤ والمرجان
	منهما	+			البحران
23	ربكما		+		الجن والإنس
	تكذبان		+		الجن والإنس
24	له	+			الرحمان
25	ربكما		+		الجن والإنس
	تكذبان		+		الجن والإنس
26	عليها			+	الأرض
27	ربك			+	النبي صلى الله عليه وسلم
28	ربكما		+		الجن والإنس
	تكذبان		+		الجن والإنس
29	يسأله (ه)	+			ربك
	هو	+			ربك
30	ربكما		+		الجن والإنس

	تكذبان		+		الجن والإنس
31	سنفرغ لكم، أيها	+	 ++		ربك الثقلان – الجن والإنس
32	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
33	استطعمتم تنفذوا فانفذوا، لا تنفذوا	+ + ++			الجن والإنس الجن والإنس الجن والإنس
34	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
35	عليكما	+			الجن والإنس
36	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
37	كانت	+			السماء
38	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
39	ذنبه		+		الإنس والجن
40	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
42	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
43	هذه بها	 +	+		جهنم جهنم

44	يطوفون بينها	+ +			المجرمون جهنم
45	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
46	خاف ربه		+ +		أبو بكر الصديق (عامة لناس) أبو بكر الصديق (عامة لناس)
47	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
48	ذواتا	+			الجنتان
49	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
50	فيهما تجريان	+ +			الجنتان عينان
51	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
52	فيهما	+			الجنتان
53	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
54	بطائنها	+			الجنتان
55	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
56	فيهن	+			الفرش

	لم يطمثهن	+			قاصرات الطرف
56	قبلهم	+			لم يطمثهنّ أحد قبل
57	ربكما	+			الجن والإنس
	تكذبان	+			الجن والإنس
58	كأنهنّ	+			قاصرات الطرف
59	ربكما	+			الجن والإنس
	تكذبان	+			الجن والإنس
60					
61	ربكما	+			الجن والإنس
	تكذبان	+			الجن والإنس
62	دونهما(هما)		+		جنتان غيرهما
63	ربكما	+			الجن والإنس
	تكذبان	+			الجن والإنس
64	مدهامّتان	+			الجنتان
65	ربكما	+			الجن والإنس
	تكذبان	+			الجن والإنس
66	فيهما	+			الجنتان
	نضّاختان		+		العينان
67	ربكما	+			الجن والإنس
	تكذبان	+			الجن والإنس
68	فيهما	+			الجنتان الأربع
69	ربكما	+			الجن والإنس
	تكذبان	+			الجن والإنس

70	فيهن	+			الجنان الأربع، الجنتين الأوليين والجنتين اللتين من دونهما
71	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
73	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
74	لم يطمثهنّ قبلهم	+ +			الحور العين لم يطمثهن أحد قبل
75	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
77	ربكما تكذبان	+ +			الجن والإنس الجن والإنس
78	ربك		+		محمد صلى الله عليه وسلم

جدول رقم-15-

نتبين من خلال الجدول ما يلي:

- ساهمت الإحالة الضميرية بكل أنواعها قبلية(وبعدية نصية ومقامية) في تماسك سورة الرحمان المدنية، حيث قامت الضمائر بالربط داخل الآية الواحدة أو بين الآيات في بداية ووسط ونهاية السورة، وهذا يدل على استمرار المعنى في السورة.

- سيطرت الإحالات الضميرية القبلية على باقي أنواع الإحالات الضميرية الأخرى فجاءت في المرتبة الأولى بتواترها (90) مرة بنسبة 70.31% بالنسبة إلى مجموع كل الإحالات واحتلت الإحالة الضميرية البعدية المرتبة الثانية بتواترها (26) مرة بنسبة

20.31% ، أما الإحالة المقامية فجاءت في المرتبة الخيرة وذلك بتواترها سبع (07) مرات فقط بنسبة 5.46%.

- ظهرت الضمائر المتصلة بكثرة في السورة وهي تنقسم إلى: ظاهرة (المفرد المذكر، والمثنى والجمع)، ومتصلة، ومستترة.

- تتضافر كل هذه الضمائر في سورة الرحمان لتقوّي الإحالة، فلا يمكن أن ترد كل هذه الآيات دون رابط شكلي يوضح الدلالة.

- كل الإحالات المقامية تحيل إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو المتلقي الأول للنص القرآني لينذر الكافرين ويبشر المؤمنين.

- ونجد أن لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر صراحة في سورة الرحمان عكس سورة طه المكية التي ذكر في بدايتها .

- لا يخرج لخطاب الموجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في سورة الرحمان في بدايتها وفي وسطها وفي نهايتها عن كونه تكليفا بتبليغ رسالة الدين الإسلامي، وردا على حجج الكافرين.

- استمرار الضمائر التي تحيل إلى لفظ الرحمان" على مدار السورة كلها، ومن ثم فمرجعية الضمائر التي تحيل إليه كلها نصية داخلية قبلية.

- يؤكد لنا الانتشار الواسع للضمائر المحيلة دورها الكبير في تحقيق التماسك النصي واستمرار العلاقات القائمة بين آيات السورة الكريمة من البادية إلى النهاية.

وبذلك فقد ساهمت الإحالات الضميرية في الربط بين أجزاء السورة التي تؤكد على أن الله سبحانه وتعالى هو الذي كلّف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم برسالة التبليغ، تبليغ عقيدة التوحيد وتثبيت أسس الإيمان في النفوس.

إذا تتبعنا حركة الضمائر الإحالية في سورة الرحمان وجدناها ترتكز على أربع إحالات كبرى، وهي المراجع الرئيسية في السورة وتتمثل في:

- الإحالة إلى الرحمان (الله)
- الإحالة إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

- الإحالة إلى الثقلين (الجن والإنس)
- الإحالة إلى الجنتين.

أ-الإحالة إلى الرحمان:

استهل الله سبحانه وتعالى سورة الرحمان باسم من أسمائه الحسنى الذي يدل على رحمته الواسعة التي وسعت كل شيء وعموم إحسانه، وواسع فضله، ثم ذكر بعد ذلك النعم التي تشمل الدين والدنيا، فوردت في علاقة إسنادية إحالية، لأن لفظ الرحمان" هو المسند إليه في صدارة السورة، فقد ارتبطت به الضمائر الظاهرة والمستترة والمتصلة من بداية السورة إلى نهايتها ،وكلها تحيل إلى لفظ الجلالة " الرحمان" إحالة نصية قبلية، مما تجعل كل الآيات تتماسك بشكل عجيب وملفت للانتباه.

-قال الله تعالى: " الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2)"

يحمل الفعل (علّم) في بنيته الضمير المستتر (هو) الذي يعود على الرحمان الوارد في بداية السورة، وهي إحالة قبلية تشير إلى أن الله تعالى يخبرنا عن فضله ورحمته بخلقه، وذلك أنه أنزل القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم ليبلغه إلى جميع الناس، فيسر الله حفظه وفهمه على من رحمه.

وقد افتتح الله سورة الرحمان باسم من أسمائه الحسنى وهو :" الرحمان"، الذي يدل على تشويق السامع إلى ما يخبر به عنه، لأن المشركين كانوا لا يألفون هذا الاسم الكريم، قال تعالى: " **قالوا وما الرحمان**" الفرقان(الآية : 60)، فهم إذا سمعوا هذه الفاتحة ترقبوا ما سيرد من خبر عنه تعالى، أما المؤمنون إذا طرق أسماعهم هذا الاسم الكريم استشرفوا لما سيرد من أخبار مناسبة لاسم (الرحمان)، مما هم متشوقون إليه من آثار رحمته[1].

ويؤكد محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره للقرآن الكريم: " التحرير والتنوير" على أن هذه الآية الكريمة هي آية واحدة عند جمهور العادين، وعدها قراء الكوفة آية[2]، وبذلك يمكن أن

---

[1] ابن عاشور (محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير،الجزء27 ،ص230.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر): المصدر السابق،ا لجزء 27 ، ص230.

يكون (الرحمان) خبر لمبتدأ محذوف وتقديره (هو) أو مبتدأ خبره الجمل التي تأتي بعده، (علم القرآن، خلق الإنسان....) على أساس العلاقة الإسنادية القائمة في بداية السورة.

وهذا يرجع إلى أن السورة نزلت بسبب قول المشركين في الرسول صلى الله عليه وسلم" إنما يعلمه بشر" ،فذكر الله "الرحمان" في بداية السورة وتلاها مباشرة ب" علم القرآن" التي سبقت قوله تعالى: " خلق الإنسان"، فكان الاهتمام بذكر الذي علم محمد صلى الله عليه وسلم القرآن أقوى من الاهتمام بالأخبار الأخرى.

ونلاحظ أن الإحالة الضميرية في الفعل الماضي (علّم) تشير إلى الرحمان، وهي إحالة نصية قبلية، لأن لفظ الرحمان ذكر في السورة ،ومع هذا فنحن نحتاج إلى معرفة السياق الخارجي للنص الذي سيساعدنا في فهم العلاقة القائمة بين اللفظين (الرحمان وعلّم)، وجاء الفعل (علّم) مسندا إلى الرحمان لإفادة التخصيص أي: هو علم القرآن لا بشر علم محمد صلى الله عليه وسلم، فحذف المفعول الأول للفعل (علم) بسبب ظهوره من خلال السياق اللغوي، والتقدير هو: علم الرحمان محمد صلى الله عليه وسلم القرآن، وذلك لأن المشركين أنكروا أن يكون الله سبحانه وتعالى هو الذي علمه القرآن[1].

–قال تعالى: " خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) ".

يتواصل الربط الضميري الإحالي بواسطة الضمير المستتر (هو) في الفعل (خلق) والذي يعود دائما على الله (الرحمان) في بداية السورة مما يساعد في ربط الآيات بعضها ببعض.

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر): المصدر نفسه، الجزء 27، ص231 .

ونجد أن نعمة خلق الإنسان هي نعمة ثانية من ناحية الإخبار، فقد سبقتها نعمة تعليم القرآن الكريم لأن نعمة الدين هي التي يصلح بها حال الناس في الدنيا و الآخرة.

ويحيل خلق الإنسان إلى نعمة عظيمة لأن فيها تشريفا للمخلوق بإخراجه من غياهب العدم إلى مبرز الوجود في الأعيان ،وبذلك يستمر التأكيد على أن الله سبحانه وتعالى يتفرد بالألوهية وهو وحده القادر على خلق الإنسان، ومن ينكر ذلك فقد كفر بنعمة الله عليه وكان من الخاسرين.

-قال تعالى: " عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)".

يحيل الضمير المستتر (هو) في (علّمه) إلى" الرحمان" في بداية السورة، فالكلمة (علّمه) هي الخبر الثالث، وهي النعمة الثالثة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى دون عطف على ما سبقها. وقد فسر محمد الطاهر بن عاشور البيان بقوله: " الإعراب عما في الضمير من المقاصد والأغراض وهو النطق وبه تميز الإنسان عن بقية أنواع الحيوان فهو من أعظم النعم"[1]. أي علم الله الإنسان النطق[2] .

-قال تعالى:" وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) ".

يتواتر الضمير المستتر (هو) المحيل إحالة قبلية إلى كلمة " الرحمان" في الفعلين (رفعها ووضع) اللّذين يشيران إلى خلق السماء ،وهي آية من آيات الله سبحانه وتعالى ونعمة من نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فقد أخبرنا الله تعالى عن المسند إليه (الرحمان) بالمسند الفعل على غرار الآيات السابقة، وكلمة (وضع) معطوفة على الخبر فهي في معناه.

وتبرز إحالة أخرى بالضمير المتصل بالفعل (رفع) (الهاء) وهي إحالة قبلية إلى السماء المذكورة في الآية ، فلا نحتاج إلى السياق الخارجي للبحث عنه، و" رفْعُ السماء " يقتضي خلقها،

---

[1] ابن عاشور (محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، الجزء27، ص233.

[2] المحلى (جلال الدين محمد بن أحمد) و السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر):تفسير الجلالين ،حققه وهذبه و نقحه صبري موسى و محمد فايز كامل ،بإشراف الدكتور علي أبو الخير ،مع ملحق كتاب المنتخب من أسباب النزول للواحدي و السيوطي،ط3،دار الخير ودار القرآن الكريم ،دمشق ،سورية،و بيروت ،لبنان،1423هـ-2003م،ص531 .

وذُكر رفعها لأنه محل العبرة بالخلق العجيب، "ومعنى رفعها: خلقها مرفوعة إذا كانت مرفوعة بغير عمد"[1]. وتقدم لفظ (السماء) على الفعل زيادة في الاهتمام بها بالاعتبار بخلقها.

جاءت الإحالة في الفعل (وَضَعَ) بالضمير المستتر (هو) وهي إحالة إلى الرحمان من جهة، ولها علاقة " بالميزان" التي وردت على صيغة (مفعال) من(الوزن) من جهة أخرى " والوزن تقدير تعادل الأشياء وضبط مقادير ثقلها"[2]وجاء الميزان هنا بمعنى " العدل"[3]، و قد قرن ذكر "وضع الميزان " مع "رفع السماء" تنويها بشأن العدل بأن نُسب إلى العالم العلوي وهو عالم الحق والفضائل، وأنه نزل إلى الأرض من السماء أي هو مما أمر الله به.

ولذلك تكرر ذكر العدل مع خلق السماء، كما في قوله تعالى: " هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره ومنازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق" في سورة يونس وقوله أيضا :" وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين" في سورة الحجر وقوله تعالى أيضا: " وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق" في سورة الدخان[4].

-قال تعالى: " وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) " .

وردت الإحالة الضميرية القبلية في الفعل (وضعها) بالضمير المستتر (هو) الذي يحيل إلى كلمة (الرحمان) في بداية السورة ، ويحيل الضمير المتصل (الهاء) إلى الأرض إحالة قبلية، وأفادت كلمة " وضعها" معنى " أثبتها"[5]، فالله و ضع الأرض للأنام، والأنام كلمة اختلف فيها أهل اللغة والتفسير، وفسره الزمخشري بقوله: " الخلق وهو كل ما ظهر على وجه الأرض من دابة فيها روح"[6]، وعن ابن عباس أيضا أنه الإنسان فقط، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه[7]، وبذلك يشير إشارة واضحة إلى الإنسان لأنه في مقام الامتنان والاعتناء بالبشر.

---

[1] ابن عاشور (محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، الجزء27، ص237.

[2] ابن عاشور (محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، الجزء27 ، ص237.

[3] المحلى (جلال الدين محمد بن أحمد) و السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر): تفسير الجلالين ،ص531.

[4] ابن عاشور(محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، ص238.

[5] المحلى (جلال الدين محمد بن أحمد) و السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر): تفسير الجلالين ،ص531.

[6] ابن عاشور(محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، الجزء27، ص241.

[7] ابن عاشور(محمد الطاهر) :المصدر السابق، ص241.

–قال تعالى: " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14)"

ظهرت الإحالة مباشرة في بداية الآية في الفعل (خلق) وهي إحالة إلى لفظ الرحمان في بداية السورة والإحالة الثانية بالنسبة لخلق الإنسان الذي ذكر في (الآية: 3).

بين الله سبحانه وتعالى كيفية خلق الإنسان ، وهي عملية إسنادية متواصلة فجاء المسند فعلا في: " علم القرآن " و" خلق الإنسان" و"علمه البيان"، فقد خلق الله الإنسان أي آدم عليه السلام من صلصال كالفخار والصلصال هو " الطين اليابس"[1]، فشبه ذلك بالفخّار وهو الطين المطبوخ بالنار والذي يسمى الخزف، فقد خُلق الإنسان من صلصال يشبه الفخار فصار الإنسان في صورة خاصة و المعنى هو :" صلصال يابس يشبه يبس الطين المطبوخ والمشبه غير المشبه به، وقد عبر عنه بالحمأ المسنون، والطين اللازب، والتراب"[2].

–قال تعالى: " وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15)"

تستمر الإحالة الضميرية القبلية بواسطة الضمير المستتر في الفعل (خلق)، فبالإضافة إلى خلق الإنسان من صلصال كالفخار خلق الله سبحانه وتعالى الجان أي إبليس وما خرج عنه من الشياطين من نار، حيث يشير المارج إلى ما هو مختلط بعناصر أخرى إلا أن النار أغلب عليه كما أن التراب أغلب على تكوين الإنسان مع ما فيه من عنصر النار.

لعبت هذه الإحالة دورا كبيرا في تماسك سورة الرحمان كما عكست لنا قدرة الله تعالى وحكمته في الخلق، و هي أيضا إشارة إلى ما سبق ذكره في القرآن الكريم من تفضيل الإنسان على الجان إذ أمر الله إبليس بالسجود للإنسان، فعصى ربه كما مر معنا في سورة طه، وكذلك ما جاء في قوله تعالى : " وإذْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين" (البقرة: 34).

---

[1] المحلى (جلال الدين محمد بن أحمد) و السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر): تفسير الجلالين، ص531.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر) : تفسير التحرير والتنوير، ص245.

-قال تعالى: " رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17)"

يحيل الضمير المحذوف قبل رب (هو) إلى الرحمان من جهة إحالة قبلية إذا قدرنا الجملة ب: (الرحمان هو رب...) ويحيل في الوقت نفسه إحالة بعدية إلى (رَبُّ) في "رب المشرقين ورب المغربين" ، فالله هو رب المشرق أي جهة شروق الشمس، و رب المغرب أي جهة الغروب، وتثنية المشرقين والمغربين باعتبار أن الشمس تطلع في فصل الشتاء والربيع من سمت آخر، والشمس بين هذين المشرقين والمغربين ينتقل طلوعها وغروبها في درجات متقاربة.

وقد ورد في" تفسير الجلالين" للقرآن الكريم " رب المشرقين" :مشرق الشتاء ومشرق الصيف[1]، وتبقى ربوبية الله سبحانه وتعالى للمشرقين والمغربين بمعنى الخلق والتصرف.

-قال تعالى: " مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) ".

يحيل الفعل " مرج" إحالة ضميرية قبلية بواسطة الضمير المستتر (هو) الذي يعود على الرحمان في بداية السورة،وتمثل كلمة (مرج) خبرا آخر عن " الرحمان" الذي أرسل البحرين، هذا الخلق العجيب الذي يدل على عظمته تعالى وقدرته وعلمه وحكمته في الخلق،وعلاقة (مرج) بالبحرين هي أنه :" لا يحبس ماءهما عن الجري حاجز...وأنه خلقهما ومرجهما، لأنه مرجهما إلا عقب أن خلقهما[2].

ويذكر محمد الطاهر بن عاشور أنهما يمثلان: " نهر الفرات وبحر العجم المسمى اليوم بالخليج الفارسي والتقاؤهما انصباب ماء الفرات في الخليج الفارسي، في شاطئ البصرة،

---

[1] المحلى (جلال الدين محمد بن أحمد) و السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر): تفسير الجلالين ،ص532.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، الجزء 27 ، ص248.

والبلاد التي على الشاطئ العربي من الخليج الفارسي تعرف عند العرب ببلاد البحرين لذلك"[1].

-قال تعالى: " وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24) ".

يعود الضمير المتصل في " له" على " الرحمان" وهي إحالة قبلية واضحة لا نحتاج فيها إلى العودة إلى السياق الخارجي لأن المرجع مذكور في بداية السورة، وهي إحالة إلى قدرة الله سبحانه وتعالى الذي سخر لنا هذه السفن التي تجري في البحر كالجبال في كبرها وما فيها من متاجر ومكاسب منقولة من قطر إلى قطر آخر، لما فيه من صلاح للناس في جلب ما يحتاجونه من بضائع، فهي تبقى في البحر في تصرفه تعالى لأن إنشاء البحر للسفن لا يخرجها عن ملك الله[2].

-قال تعالى: " يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29)".

يحيل الضمير المتصل بالفعل (يسأل) إلى الرحمان في بداية السورة وهي إحالة نصية قبلية والمراد منه هو الإخبار بالحاجة إلى الله سبحانه وتعالى، فسؤال أهل السماوات هو سؤال الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ويسألون رضا الله تعالى، وسؤال من في الأرض هم البشر الذين يسألون الله نعم الحياة في الدنيا والنجاة في الآخرة.وبذلك تشير هذه الإحالة إلى غنى الله عما سواه وافتقار الخلائق إليه.

وتظهر الإحالة الثانية في الآية نفسها بالضمير المنفصل (هو) الذي يحيل إحالة قبلية إلى الرحمان في بداية السورة، فيتجلى هذا التماسك العجيب بين الآيات وبين معانيها التي تلخص لنا قدرة الله سبحانه وتعالى، فالضمير المنفصل هنا يشير إلى الرحمان الذي كل يوم هو في شأن من شؤون من في السماوات والأرض؛ من استجابة سؤال، ومن زيادة، ومن حرمان، ومن تأخير الاستجابة، ومن تعويض عن المسؤول بثواب[3].

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر): المصدر السابق، ص248.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر): المصدر نفسه، ص251.

[3] ابن عاشور (محمد الطاهر): المصدر نفسه،ص255.

–قال تعالى: " سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31)".

بعد أن جاءت الإحالات القبلية السابقة بالضمير المستتر أو المتصل (الهاء) أو المنفصل (هو) ، انتقلت الإحالة الضميرية إلى (الرحمان) بالضمير المستتر(نحن) العائد على الله تعالى في كل الأحوال ، و هي إشارة إلى أن الرحمان الذي علم القرآن، وخلق الإنسان وعلمه البيان، رب المشرقين ورب المغربين ،والذي مرج البحرين، وله السفن في البحر كالأعلام، و الذي يفتقر إليه أهل السماوات والأرض ، وحده الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له.

ومن خلال هذه الإحالة الضميرية التي ترتبط بمعنى الآية ككل يخاطب الله الإنس والجن بأنهم سيحاسبون.

فكل هذه الإحالات الضميرية النصية القبلية إلى "الرحمان " المذكور في صدارة السورة جعلت كل الآيات السابقة مترابطة و متماسكة بعضها ببعض، ذلك أن لفظة " الرحمان" هي عنوان لنعم الله العظيمة والتي ختمتها السورة بتمجيد هذا الاسم العظيم (الرحمان) بقوله تعالى: " تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام" لرحمان(الآية : 78).

فقد قرن الله سبحانه وتعالى اسمه باسم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي يحيل عليه الضمير(الكاف) المتصل ب (ربك) ، وهي إشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الواسطة في حصول تلك الخيرات الواردة في السورة الكريمة للذين خافوا مقام ربهم بما بلّغهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ب– الإحالة إلى الثقلين:

–قال تعالى: "سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَان".

ظهرت هذه الإحالة جلية في الآية المذكورة إحدى وثلاثين مرة في الآيات: (13 – 16 – 21- 23 – 25 – 28 – 30 – 32 – 34 – 36 – 38 – 40 – 42 – 45 – 47 – 49 – 51 – 53 – 55- 57 -59 – 61 – 63 – 65- -67 – 69 – 71 – 73 – 75 – 77).

سيطرت الإحالة إلى الثقلين في سورة الرحمان بسبب هذا التكرار في الآية نفسها التي بلغت فيها الإحالة الضميرية المقامية والنصية حسب ما قبلها وما بعدها من معان اثنان

وستون (62) إحالة ، بالإضافة إلى الإحالات الأخرى الواردة في الآيات الأخرى التي تحيل دائما إلى الثقلين (الجن والإنس)،إذ تبرز الإحالات هنا في عودة ضمير المثنى المتصل (كما) ب(ربكما) على الثقلين وهما الجن والإنس في قوله تعالى: "سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ " (الآية:31)، و بذلك تصبح هذه الآية محور الإحالة الضميرية النصية القبلية و البعدية في سورة الرحمان.

تتوزع هذه الإحالات الضميرية على (67) إحالة بعدية قبلية، ويمكن أن نوضحها كما يلي:

الإحالات البعدية:

ظهرت الإشارة إلى مخاطبة الجن والإنس في النص عن طريق الإحالات البعدية المتكررة بالضمائر نفسها (كما ،الفعل +آن).و يرتبط هذا التكرار ارتباطا وثيقا بما قبله وما بعده من معان، فجاءت الإحالة في (ربكما، تكذبان) في سياق الاستفهام ب (أيّ) التي تستعمل لتعيين واحد من الجنس الذي تضاف إليه، وهي هنا استعملت في تقرير ضد ما يقر به مثل قوله تعالى: " ألم نشرح لك صدرك" ،و وردت في الآية الكريمة لتبيّن أنه لا أحد من الجن والإنس يستطيع أن يجحد نعم الله المذكورة في بداية سورة الرحمان والتي أكدتها كلمة (آلاء) لأنها جمع لما ذكر سابقا في السورة، لذلك خاطب الله سبحانه وتعالى باستعمال ضمير المثنى الفريقين اللذين أنزل عليهما القرآن أي خطاب موجه للمؤمنين والكافرين، " فتكذيب الآلاء والنعم كناية عن الإشراك في الإلهية والمعنى فبأي نعمة من نعم الله عليكم تنكرون"[1].

وهذا ما يتضح في الآية المحال إليها في قوله تعالى: " سنفرغ لكم أية الثقلان" (الآية: 31) فإذا "كان المخاطبون بذلك مشركين مع الله في العبادة انتقل إلى تهديدهم بأنهم و أولياءهم من الجن المسوّلين لهم عبادة الأصنام سيعرضون على حكم الله"[2].

الإحالات القبلية:

ظهرت الإحالة القبلية بواسطة الضمير المنفصل (كما) و الضمير المتصل بالفعل (آن) في قوله تعالى:" **فبأي آلاء ربكما تكذبان**" (الآية: 30) التي وردت مباشرة قبل وبعد

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر):تفسير التحرير والتنوير، الجزء 27، ص244.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر):المصدر السابق، ص256.

(الآية :31):"**سنفرغ لكم أية الثقلان**" لتوضيح الإحالة مباشرة بعدها بلفظتي (الجن والإنس) عندما خاطبهما الله تعالى بقوله: "يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) " .

كما تظهر إحالة أخرى داخلية قبلية إلى الجن والإنس من خلال الضمائر المتصلة بالأفعال (استطعتم، تنفذوا، أنفذوا، لا تنفذون) في (الآية :33) ،و هي إحالة إلى تعجيز الجن والإنس، أي :إن قدرتم على الخروج أو الانقلاب من هذا الموقف فافلتوا، وهذا مؤذن بالتعريض وبالتخويف مما سيظهر في ذلك الموقف من العقاب لأهل التضليل، فقد

ذكر الله تعالى السماوات والأرض و كل الجهات تحقيقا للتعجيز أي: هذه السماوات والأرض أمامكم فإن استطعتم فاخرجوا من جهة منها فرارا من موقفكم هذا.

وجاءت جملة " لا تنفذون إلا بسلطان" بيان للتعجيز الذي في الجملة قبله فإن السلطان هو القدرة أي لا تنفذون من هذا المأزق إلا بقدرة عظيمة تفوق قدرة الله الذي حشركم لهذا الموقف، وأنّى لكم هاته القوة[1].

وبعد هذه الآية الكريمة تظهر الإحالات الضميرية القبلية من خلال قوله تعالى: "فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) " التي تكررت (22) مرة، وتضاعفت فيها الإحالة إلى الجن والإنس بواسطة تثنية الضمير في (كما ، تكذبان) التي تمثلت في (44) إحالة قبلية والتي يتواصل فيها التقرير والتوبيخ الموجه إلى الجن والإنس.

ونجد أيضا الإحالة إلى الجن والإنس في قوله تعالى:" يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35)" وذلك من خلال الضمير المتصل (كما) بحرف الجر (على) والضمير (آن) المتصل بالفعل(تنتصر)، وتمثل هذه الآية الكريمة استئنافا بيانيا عن الجملة "إن استطعتم أن تنفذوا" لأن ذلك الإشعار بالتهديد يثير في نفوسهم تساؤلا عما وراءه.

والضمير المتصل ب" عليكما" راجع إلى الجن والإنس، ومعنى"يرسل عليكما" أن ذلك يعترضهم قبل أن يلجوا في جهنم، أي يقذفون بشواظ من نار أي باللّهب الذي يخالطه دخان لأنه قد كمل اشتعاله وذلك أشد إحراقا.

---

[1] المحلى (جلال الدين محمد بن أحمد) و السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر):تفسير الجلالين ،ص532.

أما الإحالة الضميرية القبلية في" لا تنتصران" تشير إلى أنهما الآن لا يجدان ناصرا ينصرهما[1].

من خلال ما سبق يتجلى لنا دور الإحالات الضميرية في تماسك وتضافر معاني السورة نحويا ودلاليا، لأنها مثلت شبكة من الإحالات القبلية والبعدية المنتشرة في النص القرآني بشكل مكثف، وهنا تبرز لنا فائدة عظيمة وهي فائدة التكرار الضميري الذي ساهم في بروز التماسك الدلالي الرائع بين الآيات التي ترتبط كلها بالقضية الأساسية للسورة وهي الأيمان بقدرة الله سبحانه وتعالى التي أعجزت الكافرين و بنعمه وآلائه التي لا تعد ولا تحصى.

ج–الإحالة إلى لفظ "الجنتين":جاءت الإحالة إلى الجنتين في المرتبة الثالثة بعد الإحالة إلى "الرحمان" و"الثقلين"، حيث برزت الإحالة القبلية من خلال تواتر مجموعة من الضمائر في سياق وصفه تعالى لجنتي المقربين.

–قال تعالى: " وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46) ".

انتقل الله سبحانه وتعالى من وصف جزاء المجرمين إلى ثواب المتقين المقربين، ولا شبهة في أن من خاف مقام ربه هم جنس الخائفين لا خائف معين، لكل من خائف مقام ربه.

وقد ذكرت الجنات في القرآن الكريم بصيغة الجمع، ويجوز أن تكون التثنية مستعملة كناية عن التعدد[2].

تحيل لفظة " الجنتين" إحالة خارجية نحتاج فيهما إلى السياق أكثر، فقد قال ابن شوذب وعطاء الخراساني أن هذه الآية الكريمة نزلت في أبي بكر الصديق. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أُبَي حدثنا محمد بن مصطفى، حدثنا بَقيّة عن أبي بكر بن أَبي مريم عن عطية بن قيس أن هذه الآية الكريمة نزلت في الذي قال: أحرقوني بالنار لعلي أضل الله، قال: تاب يوما وليلة بعد أن تكلم بهذا، فقبل الله منه وأدخله الجنة. ويؤكد ابن كثير على أن هذه الآية عامة.

---

[1] ابن كثير: تفسير القران العظيم، المجلد الرابع ، ص323.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر):تفسير التحرير والتنوير، الجزء 27 ، ص264.

-قال تعالى: " ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48)".

يحيل ضمير المثنى المقدر (هما) في (ذواتا) إحالة قبلية إلى " الجنتين" ،فبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى الجنتين، نعتها فقال " ذواتا أفنان" أي: أغصان نضرة حسنة، تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة[1].

"وذواتا أفنان" ذواتا ألوان، وقد روي عن سعيد بن جُبَير، والحسن، والسدي، وخُصيف، والنظر ابن عربي،و أبي سنان مثل ذلك. ومعنى هذا القول أن فيهما فنونا من الملاذ ،وقال عطاء: كل غصن يجمع فنونا من الفاكهة،وقال محمد بن إسحاق، عن يحى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عن أسماء قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم -وذكر سدرة المنتهى – فقال: " يسير في ظل الفنن منها الراكب مئة سنة- أو قال يستظل في ظل الفنن منها مائة راكب- فيها فراش الذهب، كأن ثمرها القلال " رواه الترميذي من حديث يونس بن بكير[2].

- قال تعالى: " فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) ".

تتكرر الإحالة القبلية إلى الجنتين بضمير المثنى المتصل ب (فيهما)، و هي تثنية جارية على نحو ما تقدم في تثنية (جنتان)، وقد أكد محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير"على أنه إذا كانت الجنتان اثنتين لكل من خاف مقام ربه فلكل جنة منهما عين فيهما،وإن كان الجنتان جنتين فالتثنية مستعملة في إرادة الجمع أي عيون على عدد الجنات، وكذلك إذا كان المراد من تثنية "جنتان" الكثرة كما تثنية "عينان" للكثرة[3].وقد وصف الله العينين بأنهما تجريان أي تسرحان في الجنتين لتسقي تلك الأشجار والأغصان فتثمر من جميع الألوان[4].

---

[1] ابن كثير: تفسير القران العظيم، المجلد الرابع، ص336.

[2] ابن كثير:المصدر السابق، ص.ص326-327.

[3] ابن عاشور(محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، ص266.

[4]- ابن كثير: تفسير القران العظيم، المجلد الرابع ،ص 327.

– قال تعالى: "فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52) ".

تمت الإحالة الضميرية القبلية بواسطة ضمير المثنى المتصل ب" فيهما" وهي إشارة إلى أن الجنتين فيهما من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون (الجن والإنس) وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

–قال تعالى: " وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62) ".

تحيل كلمة (دونهما) إحالة قبلية بواسطة ضمير المثنى المتصل (هما) إلى الجنتين السابقتين أي عطف على قوله" جناتان" أي ومن دون تينك الجنتين جنتان،أي لمن خاف مقام ربه، ومعنى "من دونهما" يحتمل أن (دون) بمعنى (غير) ،أي ولمن خاف مقام ربه جنتان وجنتان أخريان غيرهما[1].

ويجوز أن تكون (دون) بمعنى أقل، أي لنزوله المرتبة، أي ولمن خاف مقام ربه جنتان أقل من الأولين فيقضي ذلك أن هاتين الجنتين لطائفة أخرى ممن خافوا مقام ربهم هم أقل من الأولين في درجة مخافة الله تعالى[2].

– قال تعالى:" مُدْهَامَّتَانِ (64) ".

وردت الإحالة في هذه الآية الكريمة بواسطة ضمير المثنى المقدر (هما) وهي دائما إحالة قبلية إلى الجنتين في قوله تعالى:" **وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62) "**، وهي إشارة إلى وصف الجنتين بالسواد مبالغة في شدة خضرة أشجارهما حتى تكونا بالتفاف أشجارها وقوة خضرتها كالسوداوين لأن الأشجار التي رويت ماء تشتد خضرة أوراقه حتى تقترب من السواد[3].

–قال تعالى: " فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (66) "

تستمر الإحالة الضميرية القبلية بواسطة ضمير المثنى (هما) المتصل بحرف الجر (في) ، وهو استمرار في وصف الجنتين اللتين فيهما عينان فوارتان بالماء.

– قال تعالى: " فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (68) "

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، الجزء 27، ص.ص271-272.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر): المصدر السابق، ص272.

[3] ابن عاشور(محمد الطاهر):المصدر نفسه ،ص272.

كذلك في هذه الآية الكريمة تمت الإحالة بواسطة ضمير المثنى المتصل (هما) في (فيهما)، وذلك في وصف هاتين الجنتين، ففيهما فاكهة ونخل ورمان، حيث عطف النخل والرمان على فاكهة لشرفهما على غيرهما من الفواكه[1]، وجاء فيما تقدم في قوله تعالى:

" فيهما من كل فاكهة زوجان"، فالوصفان سواء.

– قال تعالى: " فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (70) ".

يعود الضمير في (فيهن) على الجنات الأربع؛ الجنتين الأوليين والجنتين اللتين من دونهما، وهي إحالة ساهمت في تماسك كل هذه الآيات المتتالية وربطها بمحط الوصف وهو " الجنتان" ويجوز أن " تكون لصاحب الجنتين الأُوَلَين أخريان فصارت له أربع جنات"[2].

أي فيهن نساء خيّرات وصفهم الله تعالى بالحسان أي جمع حسناء ومعنى خيرات أنهن فاضلات النفس كرائم الأخلاق ومعنى حسان أنهم حسان الخَلق أي صفات الذوات[3].

ونلاحظ أن كل هذه الإحالات والإشارات الضميرية السابقة القبلية التي ارتكزت على صيغة المفرد و المثنى وجمع المؤنث حسب السياق اللغوي قد ساهمت في اتساق الآيات وتماسكها.

وبالإضافة إلى هذه الإحالات الأساسية البارزة ظهرت الإحالات الضميرية الثانوية ومنها ما ورد في قوله تعالى:" وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10)"، حيث يعود الضمير المتصل " الهاء" في (وضعها) على (الأرض) الذي أشير إليه أيضا في قوله تعالى:"كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) "بواسطة الإحالة الضميرية (الهاء) في (عليها) .

نلاحظ أن الآيتان (10) و(26) على بعدهما البنيوي – تفصل بينهما ستة عشر آية – متماسكتان تماسكا قويا، وكان للإحالة الدور الكبير في ذلك.

كما تظهر الإحالة الضميرية المقامية التي تشير إلى السياق الخارجي لسورة الرحمان، وهي مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: " وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

---

[1] – ابن كثير: تفسير القران العظيم، المجلد الرابع، ص330.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، الجزء 27، ص273.

[3] ابن عاشور(محمد الطاهر):المصدر نفسه ،ص273.

وَالْإِكْرَامِ (27) " يعود (الكاف) في (ربك) على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفيه تعظيم لقدره ،و تظهر الإحالة نفسها في آخر سورة الرحمان، في قوله تعالى:" تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)"، وهي أيضا إحالة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة (الكاف) المتصل (بربك) وهي إحالة مقامية أيضا،حيث أضيف لفظ الجلالة (رب) إلى ضمير المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم إشارة إلى ما في معنى الرب من السيادة المشوبة بالرأفة، وإلى ما في الإضافة من التنويه بشأن المضاف إليه، كون الرسول صلى الله عليه وسلم هو المكلف بتبليغ الرسالة (رسالة الإسلام)، وهو الواسطة في حصول كل الخيرات التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في السورة ؛ وذلك بما بلّغه النبي صلّى الله عليه وسلّم من هدي وإرشاد وتبيين...، وهي إحالة عظيمة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم

تربط بين السياق اللغوي والسياق الخارجي للسورة مما تجعل النص أكثر تماسكا وانسجاما مع مقامه الخارجي ،لأن هذه السورة الكريمة نزلت بسبب قول المشركين في النبي صلى الله عليه وسلم " إنما يعلمه بشر" – كما سبق وأن أشرنا– أي يعلمه القرآن فكان الاهتمام بذكر الرحمان الذي علم نبيّه القرآن وهو ما يحقق التماسك الدلالي الذي تَتَّحِدُ فيه كل آيات السورة من البداية إلى النهاية لتحقيق مقاصد السورة وأهدافها.

1-1-2 الإحالة الموصولية:

جاءت الإحالة الموصولية في سورة الرحمان بنسبة قليلة مقارنة مع الإحالة الضميرية، وهي بذلك تحتل المرتبة الثانية بتواترها (04) مرات فقط بنسبة 3.12% ،و يمكن أن نوضحها من خلال الجدل التالي:

الآية التي احتوت على الإحالة الموصولية	العنصر الإحالي	المحال إليه
قال تعالى: "كل من عليها فان" (الآية :26)	(من)	لفظ الأنام في قوله تعالى:" والأرض وضعها للأنام" (الآية:10)

قال تعالى "يسأله من في السماوات والأرض" (الآية:29)	(من)	أهل السماوات والأرض ،إحالة مقامية
قال تعالى: " هذه جهنم التي يكذب بها المجرمين" (الآية:43)	(التي)	لفظ جهنم في الآية نفسها
قال تعالى: " لمن خاف مقام ربه جنتان " (الآية :46)	(من)	الذي يخاف مقام ربه في الآية نفسها و هي إحالة تشير إلى المقام الخارجي(أبوبكر والناس كافة)

جدول رقم –16–

نلاحظ من خلال الجدول أن الاسم الموصول"من" تكرّر ثلاث مرات في هذه الإحالة، ويرتكز دوره في تماسك النص القرآني (سورة الرحمان) على الجملة التي ورد فيها والجملة التي قبلها مباشرة أوقبلها بمسافة معينة . وورد الاسم الموصول (التي) مرة واحدة.

أ–الإحالة الموصولية ب "من":

–قال تعالى:" كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26)".

أحال الاسم الموصول (من) إلى لفظ الأنام الذي ذكر في قوله تعالى:" **وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10)**" إحالة قبلية، وهي تشير إلى أنه كل من على هذه الأرض من أنام يفنى و يموت.

–قال تعالى:" يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29)".

يحيل الاسم الموصول (من) في الآية الكريمة إلى أهل السماء وأهل الأرض إحالة مقامية في إطار الإخبار عن غنى الله عما سواه وافتقار الخلائق إليه في كل الأوقات، وأنهم يسألونه بلسان حالهم، لأن أهل السماوات (الملائكة) يسبحون بحمد ربهم ويستغفرونه لمن في الأرض ويسألون رضاه تعالى، أما سؤال أهل الأرض (البشر) فهو عن نعم الحياة الدنيا والنجاة في الآخرة.

-قال تعالى: "وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46)".

يشير الاسم الموصول (من) المتصل بلام الملك إلى أن الله يعطي من خاف مقام ربه جنتين، وهي إحالة نصية بعدية مباشرة إلى" من خائف مقام ربه" أي في الآية نفسها.

ب- الإحالة الموصولية ب"التي":

-قال تعالى:" هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43)".

يحيل الاسم الموصول "التي" إحالة قبلية مباشرة على (جهنم) التي ذكرت في الآية نفسها.

فعلى الرغم من قلة الإحالات الموصولية في سورة الرحمان إلا أنها لعبت دورا مهما في تماسك أجزاء السورة وترابطها وانسجامها.

1-1-3 الإحالة الإشارية:

مثلت نسبة ضعيفة جدا وهي0.78% بتواترها (مرة) واحدة فقط في قوله تعالى: " هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43)، حيث أحال اسم الإشارة (هذه) إحالة بعدية مباشرة إلى لفظ (جهنم) في الآية نفسها، أي تشير إلى النار التي كان يكذب بها المجرمون (الكفار) وهي توبيخ وتحقير لهم.

ساهمت الإحالات الضميرية والموصولية والإشارية في تماسك سورة الرحمان، حيث ظهرت المرجعية في الآية نفسها كما ظهرت في عدد كبير من الآيات، فربطت بين أجزاء النص شكلا ودلالة، كما ساهم السياق في تحقيق التماسك النصي وذلك من خلال الإحالات الخارجية.

1-2- الاستبدال :

عرّف هاليداي ورقية حسني الاستبدال بأنه: "عملية تتم داخل النص ، وهو يتم في المستوى النحوي بين الكلمات" [1]، حيث يتم تعويض عنصر لغوي بعنصر لغوي آخر. و

[1]- محمد خطابي: لسانيات النص ،(مدخل إلى انسجام الخطاب) ،الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي،1991، ص19.

الاستبدال علاقة مرجعها الصيغ اللغوية من قبل المفردات والمركبات وهو يتم في المستوى المعجمي النحوي[1].

وفيما يلي جدول توضيحي لأهم الاستبدالات الواردة في سورة الرحمان:

الآية	العنصر المستبدل	المستبدل به	نوع الاستبدال
الرحمان (1)	الرحمان	" رب –ربكما– ربك"	اسمي
"الرحمان" (1)	الرحمان	"هو" (الآية 29)	ضميري
" والأرض وضعها للأنام" (10)	الأنام	" من" (26)	اسمي
" سنفرغ لكم أية الثقلان" (31)	الثقلان	الجن والإنس	اسمي
" هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون" (43)	جهنم	التي	اسمي

الجدول رقم –17–

نلاحظ أن الاستبدال في سورة طه الرحمان يتداخل مع الإحالة الضميرية والموصولية، وهو بذلك يركز على الاستبدال الاسمي .

1–2–1 استبدال "الرحمان" ب"رب–ربك–ربكما":

وقد ظهر الاستبدال الاسمي في لفظ الجلالة (الرحمان) الوارد في الآية الأولى، حيث استبدل ب (رب – ربك – ربكما) وذلك في قوله تعالى:

---

[1]– محمد سالم أبو عفرة :السبك في اللغة العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب ،تقديم محمد العبد،مكتبة الآداب ،ط1،القاهرة ،مصر ،2010م،ص96.

-" فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" [الآيات: 13....،77]

-" يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29)"

-" وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ "(27)

-" رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17) "

- "وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46)"

-" تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)".

فكلمة (الرحمان) أو (الرب) هي كلها أسماء من أسماء الله تعالى، وهي صفات جامعة للعظمة والكمال، وهو ما يؤكده قوله تعالى: "تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)"، فالبركة هي :"الخير العظيم والنفع، وقد تطلق البركة على علو الشأن، والاسم ما دل على ذات سواء كان علما مثل لفظ (الله) أو كان صفة مثل الصفات العلى وهي الأسماء الحسنى، فأي اسم قدرت من أسماء الله فهو دال على ذات الله تعالى"[1].

كما استبدال لفظ (الرحمان) بضمير الشأن في (الآية:29).

هذا إلى جانب عمليات استبدالية أخرى شكلت شبكة متماسكة من الدلالات في السورة مما أدى إلى التحامها و تضافرها .

1-2-2 استبدال "الأنام"ب"من":

استبدل لفظ "الأنام" في قوله تعالى:" وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10)" بالاسم الموصول (من) في قول تعالى: " **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26)**".

1-2-3 استبدال "الثقلين" ب"الإنس والجن":

تم استبدال كلمة " الثقلان" في قوله تعالى: " سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31)" بالجن والإنس في قوله تعالى: " يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)" .

1-2-4 استبدال "جهنم"ب"التي":

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر):تفسير التحرير والتنوير، الجزء 27، ص276.

ورد استبدال لفظ (جهنم) في قوله تعالى:" هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43)" بالاسم الموصول بعدها مباشرة في الآية نفسها.

1-2-5 استبدال " قاصرات الطرف"ب "كأنهن":

واستبدلت " قاصرات الطرف" في قوله " فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56)" ب " كأنهن" في قوله تعالى :" كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58)" ، وذلك في إطار وصف الجنتين كما أسلفنا الذكر.

قد ساهم الاستبدال في تماسك النص القرآني على مستوى الشكل والدلالة وذلك من خلال ربط اللاحق بالسابق.

1-3- الحذف:

الحذف آلية من آليات التماسك النحوي يتم داخل النص ويكون بافتراض عنصر غير ظاهر في النص، يقوم المتلقي بتقديره اعتمادا على نص سابق مرتبط به. ولهذا ينبغي البحث عن الحذف بين الجمل لأنه يمثل جزءا مهما من فضاء النص القرآني.

ونظرا لأهمية هذه الآلية النصية والدور الذي تلعبه في تلخيص النص يبرز الأثر الذي يتركه الحذف عن طريق الفراغ البنيوي الذي يهتدي إليه القارئ ويفهمه انطلاقا مما يرد في الجملة السابقة أو النص السابق، وللكشف عن عمليات الحذف في النص نعتمد على القرائن المعنوية والمقالية التي تساعدنا في تقدير العنصر المحذوف.

يشير الحذف الواقع في سورة الرحمان إلى اختلاف الوظيفة النحوية، وهو ما يمكن توضيحه من خلال الجدول التالي:

رقم الآية	المحذوف	دليل الحذف	نوع الحذف
1	هو	الرحمان:خبر لمبتدأ محذوف	اسمي

		تقديره هو.	
2	محمدا (الإنسان): مفعول به	" علم القرآن" القرآن: مفعول به ثان للفعل المتعدي علم، والمفعول به الأول محذوف تقديره محمد أو الإنسان.	اسمي
7	فعل :رفع	" والسماء رفعها" السماء: مفعول به منصوب لفعل محذوف يفسره الفعل الذي ذكر بعده.	فعلي
10	فعل: وضع	" والأرض وضعها للأنام " الأرض: مفعول به منصوب لفعل محذوف يفسره الفعل الذي ذكر بعد المفعول به.	فعلي
17	(هو): مبتدأ (هو): مبتدأ	" رب المشرقين ورب المغربين" رب: خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو. حذف الاسم المعطوف بعد حرف العطف والتقدير :هو رب المغربين	اسمي
31	حرف النداء (يا)	" سنفرغ لكم أيه الثقلان" أيها: منادي مبني على الضم في محل نصب بحرف	حرفي

		النداء المحذوف (يا).	
35	الفاعل	" يرسل عليكما شواظ من نار و نحاس فلا تنتصران" يرسل:فعل مضارع مبني للمجهول شواظ: نائب فاعل مرفوع.	اسمي
41	الفاعل	"يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام" . بنا الفعل المضارع (يعرف ويؤخذ) للمجهول.	اسمي
39	الفاعل	فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان . يسأل(فعل مضارع مبني للمجهول). إنس: نائب فاعل مرفوع	اسمي
48	هما (لمبتدأ)	" ذواتا أفنان" ذواتا: خبر لمبتدأ محذوف تقديره هما.	اسمي
64	هما (مبتدأ)	" مدهامّتان" خبر لمبتدأ محذوف تقديره هما.	اسمي

جدول رقم -18-

نتبين من الجدول السابق أن الحذف قد وقع في تراكيب سورة الرحمان (12) مرة، والذي تدل عليه القرائن والإشارات الموجودة في النص وخارجه.

1-3-1 الحذف الاسمي:

يرد الحذف الاسمي في القرآن الكريم معتمدا على عنصر واحد هو الخبر،و يقدر فيه المبتدأ المحذوف فلا يمكن للعنصر الواحد أن يكون مفيدا بمفرده فلا بد" من تقدير اعتماده وإسناده إلى عنصر آخر مَنْوِيٌّ ذهنيّا حتى تتكون منها جملة، وهذه الجملة المقدرة المرتبطة بالمعنى هي ما يسميه التحويليون بالبنية العميقة أو التركيب الباطن، أما ما ينطق لفظا أو يكتب خطا فهو البنية السطحية بعد أن حذف منها من العناصر ما دلت عليه القرائن"[1].

أ-حذف المبتدأ:

-قال تعالى: "الرَّحْمَنُ (1) ".

حذف المبتدأ وتقدير الكلام هو: (هو الرحمان)، وذلك لوجود قرينة تغني عن ذكرة ،يقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسير" التحرير و التنوير":" هذه آية واحدة عند جمهور العادين وقع في المصاحف التي برواية حفص عن عاصم علامة (آية) عقب كلمة " الرَّحْمَنُ " ،إذ عدها قراءة الكوفة آية فلذلك عد أهل الكوفة آي هذه السورة ثمان وسبعين. فإذا جعل اسم الرَّحْمَنُ آية تعين أن يكون اسم " الرَّحْمَنُ " إما خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو الرَّحْمَنُ، أو مبتدأ خبره محذوف يقدر بما يناسب المقام"[2].

و يلاحظ المتتبع للسورة الكريمة أن الحذف الاسمي وقع في بداية السورة، وهذا الحذف نتج معناه بالقرائن الحالية والمقالية، وأن المعنى واضح باللفظ القليل الجامع (الرَّحْمَنُ)، فلم تذكر تفصيلات كثيرة في بداية السورة بتوجيه اهتمام المخاطب إلى الخبر.

---

[1] طاهر سليمان حمودة :ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، الدار الجماعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر،1999، ص 200.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر):تفسير التحرير والتنوير، الجزء 27،ص230.

ونجد أن القرينة الحالية ترجع إلى الظروف والملابسات المصاحبة للنص اللغوي، والتي تضم مجموعة العناصر المكونة للموقف الكلامي،وقد سبق وأن أشرنا إلى سبب نزول سورة لرَّحْمَنُ وذلك لما سأل الكفار عن من يعلم محمدا القرآن؟ فكانت الإجابة من الله سبحانه وتعالى ب"الرَّحْمَنُ" مباشرة ،وأما بالنسبة إلى توفر القرينة اللفظية التي تساعد على تقدير المحذوف (المبتدأ) أي الأثر الظاهر في آخر كلمة الرَّحْمَنُ أي: الاسم المرفوع في صدارة الكلام، الذي له دلالته المعنوية والموقعية في الأسماء مما يسمح لنا اعتماد الأثر في الإعراب وتقدير المحذوف (المبتدأ).

وقد تم حذف المبتدأ تحقيقا لمقاصد السورة الكريمة، وهي توجيه اهتمام المخاطب إلى الخبر (الرَّحْمَنُ) وهو صفة من صفاته تعالى واسما من أسمائه الحسنى.

فعند قطع صفة الموصوف (هو) عن صفته الرَّحْمَنُ يتم إظهار صفة الرَّحْمَنُ ،لذلك وقف الله سبحانه وتعالى على كلمة الرَّحْمَنُ لأن ثمة كلام جديد يجب أن يشعر المخاطب به، وهو جواب المشركين بواسطة الأخبار المتتالية: علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان...

-قال تعالى: " رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17)" .

حذف المبتدأ في صدارة الآية الكريمة وفي الجملة المعطوفة أيضا، ف(ربّ) الأولى هي خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، و(ربّ) الثانية معطوفة على (ربّ) الأولى، حذف الاسم الذي قبلها وتقديره (هو)، فللجملة المعطوفة تركيب الجملة الاسمية التي قبلها، وحذف المبتدأ في هذه الحالة (هو) قصد تعظيم الخبر، فالمحذوف(هو) ضمير الشأن الذي يدل على التعظيم لأن السياق يدل على ذلك ولا حاجة لذكر المبتدأ.

-قال تعالى: " ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48)" .

حذف المبتدأ وتقديره: (هما) ذواتا أفنان، فذواتا هي خبر لمبتدأ وتقديره هما مرفوع بالألف لأنه مثنى .وقد حذف المبتدأ في الآية الكريمة لوضوحه لدى المخاطب. وكذلك في قوله تعالى: " مُدْهَامَّتَانِ (64)" فمُدْهَامَّتَانِ خبر للمبتدأ محذوف تقديره (هما) مرفوع بالألف لأنه مثنى.

ب–حذف الفاعل:

–قال تعالى: " يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35) ".

حذف الفاعل وأسند الفعل إلى نائبه لأن الفاعل معلوم لدى المخاطب بالقرينة السياقية ، ففاعل الإرسال معلوم عند جميع المخاطبين وهو يتمثل في الله سبحانه وتعالى، وبذلك يتضح الغرض من هذا الحذف وهو الإيجار والإشعار بأن الله تعالى هو المتفرد بهذا الإرسال.

–قال تعالى: " فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ(39)".

حذف الفاعل وأسند الفعل (يسأل) المبني للمجهول إلى نائب الفاعل (إنس)، فقد تم حذف الفاعل في الآيتين الكريمتين للعلم الواضح بالمحذوف لأن الله هو الذي يسأل الخلائق عن أعمالهم وقال مجاهد لا يسأل الملائكة عن المجرمين يعرفون بسيماهم[1] .

–قال تعالى: "يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41)".

حذف الفاعل وأسند الفعل المبني للمجهول (يعرف) إلى نائبه (المجرمون)،كما حذف الفاعل في الجملة المعطوفة، وأسند الفعل المبني للمجهول (يؤخذ) إلى نائب الفاعل(بالنواصي).

ج–حذف المفعول به:

–قال الله تعالى: "عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2)".

حذف المفعول به الأول وذكر المفعول به الثاني(القرآن) للفعل المتعدي (علّم)، وذلك لدلالة السياق عليه ،ويصبح تقدير الجملة هو:علّم محمدا صلى الله عليه وسلم القرآن.

1–3–2 الحذف الفعلي:

–قال تعالى: "وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7)".

حذف الفعل (رفع) مع فاعله المقدر ويفسره الفعل الذي ذكر بعد المفعول به (السماء)، وتقدير الجملة هو: رفع السماء رفعها.

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، الجزء 27، ص325.

-قال تعالى: " وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10)".

حذف الفعل (وضع) مع فاعله المقدر اختصارا لدلالة السياق عليه، وتقدير الجملة هو:وضع الأرض وضعها.

1-3-3 الحذف الحرفي:

أ-حذف حرف النداء:

-قال تعالى: "سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31)".

حذف حرف النداء (يا) اكتفاء بدلالة المنادى عليه أي: يا أيها الثقلان، وغرض هذا الحذف هو تقريب المنادى من المتكلم.

مما سبق يتضح لنا أن الحذف علاقة قبلية شأنه في ذلك شأن الاستبدال، إلا أن الاستبدال يترك أثرا يسترشد به المتلقي أما الحذف فهو يختلف عنه في كونه أنه لا أثر له إلا الدلالة فلا يحل شيء محل المحذوف.

وعلى الرغم من قلة الحذف في سورة الرحمان مقارنة بالإحالة الضميرية، إلا أنه ساهم في تماسك معاني السورة.

1-4- الربـــط:

يشير الربط النحوي في سورة الرحمان إلى العلاقات الموجودة بين الكلمات والتراكيب، وهو يعتمد على آليتين أساسيتين و تتمثلان في: الربط الإضافي والربط الزمني، كما تتنوع الأدوات المستخدمة في كل نوع منهما.

1-4-1 الربــط الإضافي:

عبرت (الواو والفاء) عن الربط الإضافي في سورة الرحمان، إذ تضيف كل جملة لاحقة إلى سابقتها عنصرا إخباريا جديدا ،ويلاحظ الدارس للسورة غياب الروابط الإضافية الأخرى ،وهي ميزة من ميزات السورة.

يتوزع الربط الإضافي في سورة الرحمان كما يلي:

الرابط الإضافي	تواتره	نسبته
الفاء	37	%26,24
الواو	34	%24,11
المجموع	71	%50,35

جدول رقم-19-

نتبين من خلال الجدول أن نسبة تواتر الربط الإضافي هي نسبة تتقارب مع نسبة ورود الربط الزمني،فقد مثل الربط الإضافي نسبة 50,35% ومثل الربط الزمني نسبة 49,63% .

أ-الربط الإضافي ب(الفاء) :

-قال تعالى:" فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ".

نلاحظ أن الربط الإضافي عن طريق الفاء في الآية الكريمة يستأنف في كل مرة كلما عرضت نعمة من نعم الله تعالى ، حيث تكررت (31) مرة ، وهي بذلك تحقق الربط بين الآيات من بداية السورة إلى نهايتها.

-قال تعالى:" يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)"

تبين الفاء المتصلة بالفعل(أنفذوا) أن الله محيط بالجن والإنس،لا يقدرون على التخلص من حكمه ،فأينما ذهبوا في مقام الحشر يحيط بهم.

-قال تعالى: "يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35)"

ربطت الفاء المتصلة بالفعل (لا تنتصران) بين الآيتين (33) و(35) ،لأن يوم الحشر لا يقدر أحد على الذهاب إلا بسلطان أي بأمر الله ، ولهذا سيرسل لهب النار ودخانها على من كفر بالله ولم يؤمن بما جاء به الأنبياء والمرسلين.

–قال تعالى:"فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37)"
" فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39)"
"يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41)".

ارتبطت (الفاء) بظرف الزمان(إذا) في بداية (الآية :37) و بظرف الزمان (يومئذ) في بداية (الآية :39) لتحقق الربط بين الآيات، فيرتبط المعنى اللاحق بالسابق بشكل متعاقب ، وكذلك الفاء التي وردت في (الآية :41) فهي تدل على تتابع الأحداث المتعلقة باليوم الآخر الذي تعرف فيه الملائكة المجرمين بعلاماتهم ،فتأخذهم بمقدمة رؤوسهم وبأقدامهم ،و ترميهم في النار.

ب–الربط الإضافي ب(الواو):

ساهم حرف العطف(الواو) في الربط الداخلي للجمل، والربط الخارجي أي بين الجمل من خلال إضافة معان جديدة في كل مرة، فيتحقق ربط أجزاء الكلام ووصل معانيه بعضها ببعض على نحو ما نجد في الآيات التالية:

–قال تعالى: "الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7)".

ربطت (الواو) بين هذه البنى المتتابعة ؛ فذكر الله سبحانه وتعالى الشمس هذا الكوكب الذي تفرد بخلقه ،و عطف عليه بذكر القمر ، وقد اقتصر الله تعالى على ذكر الشمس والقمر دون بقية الكواكب وإن كان فيها حسبان الأنواء ،والحر،والبر مثل الجوزاء والشعري ومنزلة الأسد، والثريا، لأن الشمس والقمر هما الباديان لجميع الناس، ونظام سيرهما دقيق يؤثر على معاملات الناس واستعدادهم لما يحتاجون إليه عند تغيرات أجوائهم وأرزاقهم،ويتضمن الامتنان بما في ذلك من منافعهم[1]،فالشمس والقمر كلاهما كائنات بحسبان ،أي لحساب الناس مواقع سيرهما.

[1]ابن عاشور(محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، الجزء27، ص 234.

وقد عطفت (الآية: 6) على (الآية :5) أي عطف الخبر على الخبر،لأن سجود النجم والشجر لله تعالى هو انتقال من الامتنان بما في السماء من المنافع إلى الامتنان بما في الأرض وجعل لفظ "النجم" واسطة الانتقال لصلاحيته لأنه يراد منه نجوم السماء وما يسمى نجما من نبات الأرض[1]. ويطلق اسم النجم على نجوم السماء،كما يطلق على النبات والحشيش الذي لا سوق له فهو متصل بالتراب.

وتفسير النجم في هذه الآية الكريمة هو النبات الذي لا ساق له، أما الشجر فهو النبات الذي له ساق وارتفاع عن وجه الأرض وهما (النجم و الشجر) ينتفع بهما الإنسان والحيوان[2].

فكان في هذا الإخبار دلالة قوية على عظمة الله تعالى وقدرته.

ويتواصل الربط الإضافي بواسطة الواو في (الآية: 7) ،وهي جملة معطوفة على (المسند) ،عن طريق الإخبار عن المسند إليه بالمسند الفعلي،كما ظهر في بداية السورة"الرحمن علم القرآن"،"خلق الإنسان"، "علمه البيان"،فرفع السماء يتطلب خلقها ،حيث تقدم الاسم على الفعل (رفعها) للاهتمام بعملية الخلق،كما تم الربط الداخلي في الجملة نفسها بحرف العطف (الواو):"ووضع الميزان)،وقرن ذلك مع رفع السماء لما في دلالة الميزان من عدل، وكذلك لما فيه من معنى أمر للناس بالعدل ،وهو ما يتضح أكثر في الآية التي بعدها.

–قال تعالى:"وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (12)".

ربطت الواو بين (الآية :9) و(الآية: 8) ليكتمل المعنى من خلال ربط اللاحق بالسابق ، ف(الآية: 9) تؤكد المعنى نفسه في الآية السابقة ، لأن الله تعالى أمر عباده بإقامة العدل في الميزان، كما ربطت الواو بين" وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ" و" وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ" أي لا تنقصوا الميزان إذا وزنتم للناس،ويستمر الربط بين الآيات المتجاورة ،فتم

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر):المصدر السابق، ص 235 .

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر):المصدر نفسه، ص 236.

عطف قوله تعالى:" وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10)" على " وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7)" أي: كما رفع الله السماء وضع الأرض ومهدها،ليستقر عليها الخلق .فيها فاكهة مختلفة الألوان، وعطفت جملة: "وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ" على ما قبلها ،وقد أفرد الله تعالى النخل بالذكر لشرفه ونفعه ، رطبا ويابسا. والأكمام :هي أوعية الطلع،وهو الذي يطلع فيه القنو ثم ينشق عن العنقود، فيكون بسرا، ثم رطبا، ثم ينضج ويتناهى ينعه واستواؤه[1]. وتم عطف جملة " وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ " على الآية السابقة كما ربطت الواو بين الحب ذو العصف و الريحان ، فالعصف هو الورق أول ما ينبت الزرع بقلا ومعنى هذا –والله أعلم–أن الحب كالقمح والشعير ونحوهما له في حالة نباته عصف، وهو ما على السنبلة، والريحان: الورق،أي :إذا أدجن وانعقد فيه الحب[2].

–قال تعالى :"وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15)".

بعد أن ذكر الله تعالى خلقه للإنسان وهو خلق آدم عليه السلام من طين يابس في (الآية:14) ذكر خلق إبليس، وهو من الجن من لهب النار المختلط بعضه ببعض، فأفادت الواو معنى الربط الإضافي.

–قال تعالى:"رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17)"

ربطت الواو ربطا داخليا بين المعنيين المتكاملين في الآية الكريمة لأن الله سبحانه وتعالى هو رب مشرقي الشمس في الشتاء والصيف، ورب مغربيها فيهما، فالجميع تحت تدبيره وربوبيته.

–قال تعالى:"يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22)".

ربطت الواو بين اللؤلؤ والمرجان، فاللؤلؤ هو من الجواهر، وأما المرجان فقيل هو صغار اللؤلؤ الخرز الأحمر.قال ابن عباس: ما سقطت قط قطرة من السماء في

---

[1] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المجلد الرابع، ص319.

[2] ابن كثير: المصدر نفسه، ص319

البحر،فوقعت في صدفة إلا صار منها لؤلؤة. وكذا قال عكرمة ، فإذا لم تقع في صدفة نبتت بها عنبرة[1]. ولما كان اتخاذ هذه الحلي نعمة على أهل الأرض، امتن بها عليهم.

-قال تعالى:"وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24)".

يرتبط المعنى في هذه الآية الكريمة بالمعنى السابق الذي ارتبط بذكر البحرين-العذب والمالح- وذكر الحلي وما ينفع الناس فيهما، فساهمت الواو في إضافة ذكر السفن الضخمة التي تجري في البحر بمنافع الناس، رافعة قلاعها وأشرعتها كالجبال.

-قال تعالى: "وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) و" تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)".

ربطت (الواو) بين معنيين متكاملين، حيث نعت الله تعالى وجهه الكريم بأنه: "ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ"، أي:" هو أهل أن يجل فلا يعصى، وأن يطاع فلا يخالف...قال ابن عباس :ذو العظمة والكبرياء."[2]، وربطت الواو أيضا بين (الآية: 27) وما قبلها" كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26)": قال الشعبي: إذا قرأت "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ"، فلا تسكت حتى تقرأ : "وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ"، فكل من على وجه الأرض من الخلق هالك، ويبقى وجه الله ذو العظمة والكبرياء والفضل والجود.

-قال تعالى :"يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29)"

- يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) ".

تم الربط الداخلي في الآيتين الكريمتين بين(السماوات) و(الأرض) في إطار الإخبار عن غنى الله تعالى عما سواه،وافتقار الخلائق إليه في جميع الآنات، وكذلك في إطار مخاطبة الجن و الإنس أنه لا مفر لهم من أمر الله وقدره في مقام الحشر.

-قال تعالى:" يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35)".

---

[1] ابن كثير: المصدر السابق، ص 320.

[2] ابن كثير : المصدر نفسه، ص322.

ظهر الربط الإضافي داخل الآية بواسطة حرف العطف (الواو) الذي أفاد الجمع بين "شُوَاظٌ مِنْ نَار" وَ"نُحَاسٌ"؛ والشواظ: هو لهب النار، وقيل هو الدخان، واللهب الأخضر المنقطع،و قيل هو اللهب الذي فوق النار ودون الدخان.وقيل سيل من نار.

و"نحاس" أي:دخان النار، والعرب تسمي الدخان نحاسا.

-قال تعالى:" فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39)".

جمعت الواو بين الإنس والجن لأن يوم القيامة لا يسأل أحد منهما فقد ختم على أفواههم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

-قال تعالى:" يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41) "

-قال تعالى:"يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آَنٍ (44)".

يتواصل الربط الإضافي داخل الآيات، فربطت (الواو) بين" النَّوَاصِي" وَ"الْأَقْدَامِ" وتمثل الجمع بين ناصية الكفار وأقدامهم يوم الحساب لما تقوم الزبانية بإلقائهم في النار.

وكذلك تم الربط بين "بَيْنَهَا" وَ "بَيْنَ حَمِيمٍ آَنٍ"، أي الجمع بين نار جهنم التي كان يكذب بوجودها المجرمون والحميم وهو الشراب الذي هو كالنحاس المذاب الذي يقطع الأمعاء،أي يعذب الكافر تارة في نار جهنم، وتارة أخرى يسقون من الحميم الحار جدا.

-قال تعالى:"وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46)"

-قال تعالى:"فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56)"

-"كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58)".

ربطت (الواو) بين هذه الآية الكريمة وما قبلها، فبقي الحديث عن اليوم الآخر مستمرا ،فبعد أن ذكر الله تعالى عقاب الكافر ذكر جزاء كل من خاف مقامه عز وجل، وهو جنتان فيهما من كل الملاذ ،وفيهما غضيضات الطرف فلا يرين شيئا في الجنة أحسن من أزواجهن فلم يمسسهن إنس ولا جان من قبل، فتم الجمع بين الإنس والجان ،وكذلك بين الياقوت و

المرجان وذلك في إطار تشبيه نساء الجنة بصفاء الياقوت وبياض المرجان الذي جعله مجاهد،والحسن،و السدي،وابن زيد ها هنا اللؤلؤ[1].

-قال تعالى:" وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62)".

ساهم الربط الإضافي عن طريق الواو في ربط الآية الكريمة بما قبلها فجاءت معطوفة على قوله تعالى:"**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46)**" ، فهاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في النرتبة والفضيلة .

-قال تعالى:"فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (68)"

-"لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74)"

-"مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (76)".

وصف الله تعالى جنتي أهل اليمين، فجاء الربط الإضافي داخليا في الآية نفسها، فتم الربط بين (فَاكِهَةٌ) وَ(نَخْلٌ) وَ(رُمَّانٌ) فعطف الخاص "نَخْلٌ وَرُمَّانٌ" على العام "فاكهة" وإنما افرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما.

وربطت (الواو) بين (الإنس والجان) و"رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ" في سياق الحديث عن النساء الصالحات في هاتين الجنتين ،فلم يطأهن إنس قبل أزواجهن ولا جان، متكئين على وسائد ذوات أغطية خضر وفرش حسان.

وعلى الرغم من توفر سورة الرحمان على آليات الربط الزمني والإضافي ،فقد جاءت الآيات الأولى في السورة: "**الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)**" خالية من الروابط الظاهرة لأنها وردت على نمط التعديد ،وهي متماسكة شكلا ودلالة عن طريق الإحالة الضميرية –كما سبق وأن ذكرنا–،أما باقي آيات السورة فهي لا تخلوا من أحد الروابط،فقد حقق العطف تماسكا كبيرا على المستوى الداخلي للبنى النصية ،فأصبحت سلسلة واحدة موحدة تتعالق فيها المعاني وتتضافر.

---

[1] ابن كثير:تفسير القرآن العظيم، ص 321.

1-4-2 الربط الزمني:

يتحكم الربط الزمني في سورة الرحمان من خلال زمن الأفعال وروابط زمنية أخرى.ويمكن أن نوضح ذلك من خلال الجدول التالي :

الروابط الزمنية	تواترها	نسبتها
بواسطة الأفعال	67	%47,51
بواسطة روابط أخرى	3	%2,12
المجموع	70	%49,63

جدول رقم – 20–

نتبين من الجدول ما يلي:

–الربط الزمني من أكثر أنواع الربط استخداما في سورة الرحمان، ويرجع ذلك تنوع الأفعال التي تدل على الزمن الماضي والحاضر والمستقبل.

–تواتر الربط الزمني(70) مرة بنسبة 49, 63%،وبذلك فهو يحتل المرتبة الثانية بالنسبة للربط في سورة الرحمان مقارنة بالربط الإضافي –حتى وان كانت النسبة متقاربة–.

–زاد الربط الزمني في السورة من حضور الإحالة القبلية بشكل بارز، و خاصة الزمن الماضي للأفعال والزمن المضارع.

أ–الربط الزمني بواسطة الأفعال:

ظهرت الأفعال بنسبة 47,51% بتواترها (67) مرة،وقد انطلق الربط الزمني بواسطة الأفعال الماضية من بداية السورة، و يتضح ذلك من خلال الأفعال التالية:(علم–خلق–رفعها وضع–وضعها–خلق –خلق– مرج –استطعتم –انشقت–خاف–تبارك)،التي وردت في الآيات التالية: (2–3–4–7–10–14–15–33–37–46)، حيث ارتبط الزمن الماضي بتعليم القرآن للإنسان،وتيسير تلاوته وحفظه و فهم معانيه،كما ارتبط بالزمن الأبعد وهو خلق الإنسان وتعليمه البيان عما في نفسه تمييزا له عن غيره من المخلوقات،ثم

يتم الانتقال إلى الزمن الماضي الأبعد من ذلك وهو زمن رفع السماء فوق الأرض،و قد وضع الله الأرض ومهّدها ليستقر عليها الخلق ،ليؤكد الزمن الماضي مرة أخرى على قدرة الله تعالى الذي خلق آدم من طين يابس كالفخار، وخلق إبليس من لهب النار،ثم تتغير دلالة الزمن الماضي إلى الزمن المستقبل بواسطة الفعل (انشقت) الذي ارتبط بالظرف(إذا) الذي جعله يدل على المستقبل أي الدلالة على يوم تنشق السماء وهو يوم القيامة.

ونلاحظ بعد ذلك انفتاح الزمن الماضي على كل الأزمنة (الماضي- الحاضر- المستقبل) من خلال الفعل (خاف) فلكل من اتقى الله من عباده من الإنس والجن وخاف مقامه بين يديه، فأطاعه، وترك معاصيه جنتان،كما ينفتح الزمن الماضي أيضا على الزمن غير المحدود من خلال الفعل (تبارك) المتعلق بالله سبحانه و تعالى.

يتواصل الربط الزمني في سورة الرحمان من خلال الأفعال المضارعة التالية: (يسجدان- تطغوا-تخسروا-تكذبان(31مرة)-يلتقيان-يبغيان-يخرج-يبقى-يسأله-تنفذوا-يرسل- تنتصران- يسأل-يعرف-يأخذ- يكذب-يطوفون-تجريان-يطمثهن-يطمثهن)التي وردت في الآيات الآتية:(8-13-19-20-21-22-23 - 25-27-28-29-30-31-32-33-34-35-36-39-40-43-46-47-49-50-51-53-55-56-57-59-61-63-65-67-69-71-73-74-75-77)،فقد ارتبط الزمن الحاضر والمستقبل بزمن نزول السورة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم،وكل الأزمنة بعده إلى يوم القيامة .

دل الفعل المضارع (يسجدان) على الإخبار بسجود النجم والشجر لله تعالى في كل زمن، ويدل الفعل (تكذبان) الذي يتكرر في السورة بشكل كبير على توبيخ الجن والإنس الذين يكذبون بنعم الله في الزمن الحاضر أي زمن نزول السورة ويمتد الزمن ليشمل المستقبل القريب والبعيد، وهو تكرار لدلالة الزمن التي تجعل كل المعاني تشد بعضها بعضا، وتستمر الدلالة على الزمن الحاضر والمستقبل مع باقي الأفعال المضارعة.

أما الروابط الزمنية التي تدل على الأمر فهي قليلة جدا، بحيث نجد فعلين فقط وردا في صيغة الأمر: (أقيموا-أنفذوا) في الآيتين: (9 و33) فتنفتح دلالة الفعل (أقيموا) على الزمن الحاضر والمستقبل لأن الله يأمر الناس بالعدل في الميزان في كل وقت، وكذلك بالنسبة للفعل (أنفذوا) الذي يخاطب به الله تعالى الجن والإنس الذين لا يستطيعون النفاذ من أمر الله إلا بسلطان.

ب-الربط الزمني بواسطة روابط أخرى:

وتعبر عنه الظروف (يومئذ- يوم – إذا) التي تواترت ثلاث مرات فقط في السورة بنسبة 2,12% ، وهي نسبة ضعيفة مقارنة مع الربط الإضافي والربط الزمني.

-قال تعالى:" يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29)".

ارتبط الظرف الزمني (يوم) بإخبار الله المتلقي عن غناه عما سواه، وافتقار الخلائق إليه في جميع الأوقات، وأنهم يسألونه بلسان حالهم وقالهم، وأنه كل يوم هو في شأن،قال الأعمش عن مجاهد ،عن عبيد بن عمير :"كل يوم هو في شأن"،قال:من شأنه أن يجيب داعيا، أو يعطي سائلا، أو يفك عانيا، أو يشفي سقيما. وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال:كل يوم يجيب داعيا،ويكشف كربا،ويجيب مضطرا،ويغفر ذنبا.وعن الحارث بن رباح الغساني ،عن أبيه،عن منيب بن عبد الله بن منيب الأزدي، عن أبيه قال:تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية :"كل يوم هو في شأن"، فقلنا :يا رسول الله، وماذا الشأن؟ قال :"أن يغفر ذنبا،ويفرج كربا ،ويرفع قوما،ويضع آخرين"[1].

وبذلك يرتبط الظرف الزمني (يوم) بالزمن الماضي والحاضر والمستقبل للدلالة على التجدد والاستمرار في المعنى.

-قال تعالى: "فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37)".

[1] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المجلد الرابع، ص 322.

يدل ظرف الزمان (إذا) على ما يستقبل من الزمان وهو يوم القيامة، يوم تنشق السماء وتكون ذائبة كما يذوب الدردي والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء،وذلك من شدة هول يوم القيامة العظيم.

-قال تعالى:" فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39)".

ارتبط ظرف الزمان (يومئذ) بالظرف الزمني (إذا) في (الآية:37) ليدل على يوم القيامة، يوم لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان من المجرمين.

يعكس الربط في سورة الرحمان عن طريق الربط الإضافي، والربط عن طريق الأفعال وعن طريق ظرف الزمان قوة التماسك بين معاني الآيات،كما يعطي حيوية كبيرة في حركة الزمن على الرغم من قصر سورة الرحمان -مقارنة مع سورة طه – فيرتبط الزمن الماضي بالزمن الحاضر والمستقبل بشكل يجعل سورة الرحمان متماسكة داخليا على المستوى اللغوي ،ومنسجمة خارجيا على مستوى المقام الخارجي.

وتبقى هذه الآليات غير كافية في تحقيق الربط الكلي للسورة على مستوى الشكل والدلالة، وبذلك تمتد إلى آليات أخرى معجمية تساهم في تماسك السورة.

2-التماسك المعجمي:

2-1- التكرار:

التكرار آلية من آليات التماسك النصي المعجمي، فهو يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له،أو مشابه له.

تتنوع أشكال التكرار في سورة الرحمان، وهي كما يلي:

2-1-1 التكرار الصوتي:

تشكل الأصوات المظهر المادي للغة ،ولأن الدلالة تتحقق من معاني المفردات داخل التركيب مع وسائط لغوية يقتضيها المقام أو السياق ،وهو ما يجعل الدراسة الصوتية أساس كل

درس لغوي حديث ،"فالأصوات اللغوية في داخل الكلمات إذا رموز لغوية صوتية ذات دلالات"[1].

و مهما تعددت الآراء تبقى علاقة الصوت بالمعاني مجالا واسعا ينطوي على أسرار كثيرة، خاصة إذا تعلق الأمر بالنص القرآني المعجز بنظمه ولغته وبلاغته ومعانيه.

ويلاحظ الدارس لسورة الرحمان النظام الصوتي المتميز الذي تنفرد به عن باقي السور، وخاصة إذا تعلق الأمر بالفواصل القرآنية.

الإيقاع المبني على الفاصلة القرآنية :

الفاصلة القرآنية وجه من وجوه الإعجاز القرآني، لما لها من تأثير كبير في النفوس وإمالتها لتقبل المعاني التي جاءت بها.

إن الفاصلة في القرآن الكريم لا تخرج عن كونها كلمات أواخر الآيات، يفصل بها بينهما وبين ما بعدها.

ويجب أن نفرق بين الفاصلة والسجع، لأن الفاصلة تكون فيها مقاطع الكلام متقاربة في الحروف (آن ، آم)، أما السجع فتكون فيه مقاطع الكلام متّحدة في الحروف ولهذا فالفواصل أعم من السجع.

للفاصلة إيقاع موسيقي مؤثر في النفس، حيث نجدها ترتبط بما قبلها من الكلام في النص القرآني، فتضفي عليه طابعا خاصا من خلال إعجاز جرسها وإيقاعها، وتساعد بذلك في توضيح المعنى و تحقيق أغراض ومقاصد السورة.

وقد كان للفواصل(آن ،آم) في سورة الرَّحْمَنُ مزيّة مهمّة في إعطاء الآيات القرآنية جرسا موسيقيا له أثره الخاص في النفس، فقد جاءت بإيقاعات موسيقية مختلفة تتنافس مع سياق الآية ، إذ تعد جزاء لا يتجزأ منها ومتممة لمعناها، لأنها تمنحها إيقاعا موسيقيا رائعا يبعث على الدهشة بما تضيفه من سحر بياني رائع.

---

[1] تمام حسان:اللغة بين المعيارية و الوصفية ،عالم الكتب ،ط2، القاهرة،1421هـ-2001م،ص 116.

جاءت الفاصلة القرآنية في السورة محملة بالمعنى الذي يكمل المضمون كما ساعدت في إضفاء جو موسيقي خاص ،مما أدى إلى تماسك والتحام أجزائها من البداية إلى النهاية.

أ-البنية الإيقاعية الأولى (آن) :

وهي بنية تتشكل من المقطع "آن" الذي هيمن على خواتم آي سورة الرَّحْمَنُ، و هي مركبة من ألف مد ونون ساكنة حيث أن "العرب لا تقف على متحرك أبدا. وبهذا الاعتبار تخلت أواخر الآيات عن وظيفتها الإعرابية- النحوية -لتنهض بوظيفة أهم شأنا، وأشد تأثيرا في المتلقين، وهي الوظيفة الإيقاعية"[1].

ونلاحظ أن كلمة (الرَّحْمَنُ) الواردة في أول السورة هي المحركة لهذا الإيقاع الذي ينهض نَسْجُ السورة عليه، حيث أصبحت (الألف والنون) صوتا موسيقيا ساحرا له رنين تكرر (67) مرة ، ويتوزع على الكلمات التالية :

(الرحمن- القرآن- الإنسان- البيان-بحسبان- يسجدان-الميزان- الميزان- الميزان —الريحان- تكذبان- تكذبان —تكذبان-يلتقيان -يبغيان —تكذبان- المرجان- تكذبان-تكذبان -فان -تكذبان -شأن -تكذبان -الثقلان —تكذبان- سلطان -تكذبان -تنتصران —تكذبان- الدهان- تكذبان- جان -تكذبان —تكذبان- آن- تكذبان- جنتان —تكذبان- أفنان- تكذبان- تجريان- تكذبان -زوجان -تكذبان -دان —تكذبان- جان تكذبان —المرجان- تكذبان -الإحسان —تكذبان-جنتان- تكذبان- مدهّامتان -تكذبان نضّاختان- تكذبان- رمان- تكذبان -حسان -تكذبان -تكذبان —جان- تكذبان حسان- تكذبان).

نتج هذا الإيقاع العذب من الأصوات التي سبقت (الألف و النون) أيضا, وهي كما نلاحظ تسيطر عليها (الباء) بالإضافة إلى الأصوات (الراء- السين- الياء- الدال- الجيم- الفاء- الشين- اللام- التاء- النون- الدال- الميم).

---

[1] عبد المالك مرتاض: نظام الخطاب القرآني،تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان،دار هومة للطباعة والنشر،الجزائر،2001 ،ص274.

ولقد ساهمت هذه البنية الإيقاعية المهيمنة من بداية السورة إلى نهايتها في تماسك السورة وترابطها صوتيا و دلاليا.

ب–البنية الإيقاعية الثانية (آم):

هي بنية تتشكل من المقطع (آم)، وتنتمي إلى البنية الأولى بحكم التقارب الموجود بين الأصوات فيها وخاصة بين (النون و الميم)، وقد ورد هذا الإيقاع في نهاية سبع آيات و تتمثل في:

(للأنام– الأكمام– الأعلام – الإكرام –الأقدام– الخيام–الإكرام).

وقد سبقت هذه الفواصل بالأصوات التالية:(النون– الكاف– العين– الدال– الخاء)، وهي الحروف الأكثر ورودا في اللغة العربية.

وحين نتأمل هذه الفواصل المنتهية (بالألف و الميم) نجدها واقعة في مواطن ذكر الخيرات التي أنعم بها الله على عباده في الدنيا و الآخرة إلا واحدا منها وهو كلمة (الأقدام) التي وردت في إطار الحديث عن الكفرة و المجرمين الذين يساقون إلى جهنم ، وقد تواتر الإيقاع الميمي الجميل للدلالة على ذات الله و ألوهيته العظيمة.

ت–البنية الإيقاعية الثالثة (آر):

تتشكل البنية الإيقاعية الثالثة الواردة في سورة الرَّحْمَنُ من المقطع (آر) وهي دائما تندرج ضمن تشكيل الإيقاع في السورة، الذي يقوم على الألف اللينة بالإضافة إلى الرّاء وهو صوت مجهور مكرّر، له رنين متميز في السورة إلّا أنّه لم يتكرّر إلّا مرتين فيها في: (كالفخار– من نار).

ونلاحظ أنه مهما كان تغير الصوت بعد الألف اللينة لا ينكسر الإيقاع لأنه يشترك في الامتداد لدى الوقف سواء علينا توقفنا على (آن) أو (آم) أو (آر) فإن الصوت الموقوف عليه ينصهر في المد ويتحد معه.

ونشير أيضا إلى أن هذا الإيقاع جاء محصورا بين إيقاعين متتالين (تكذبان، (كالفخار، من نار)، تكذبان)، و قد ساعد هذا التجاور في انسجام الفواصل مع بعضها بعض.

ث–البنية الإيقاعية الرابعة (ين):

تتشكل هذه البنية الإيقاعية من المقطع (ي ن)، وردت مرة واحدة في كلمة:(المغربين) كفاصلة مبنيّة على المد (بالياء) + (صوت النون) المهيمن على أواخر الفواصل مما جعلها لا تضر بالإيقاع العام للسورة التي جاء الإيقاع فيها بتشكيلاته المتقاربة والمتناغمة والمترابطة فيما بينهما، وقد ساهمت أيضا في تجلي معنى القدرة الإلهية .

ج–البنية الإيقاعية الخامسة (ون):

تتكون هذه البنية الإيقاعية من مقطع (ون) وهي أيضا وردت مرة واحدة في كلمة: (المجرمون) التي ظهر فيها المد بالواو مع النون التي تنتشر بشكل واسع في السورة، مما جعلها تنسجم مع الإيقاع ولا يمكن أن نعتبرها شاذة، في السورة بل ساهمت في بروز معنى العقاب الذي ينتظر المجرمين في جهنم.

ح- **الإيقاع المبني على التراكيب:**

برزت في سورة (الرحمان) تشكيلات إيقاعية أخرى نتجت عن تكرار التراكيب الفعلية والاسمية المختلفة، والتي زادت من تماسك المعاني وترابطها، كما أضفت على السورة إيقاعا موسيقيا مميزا لا نظير له.

ويمكن أن نقسم هذه التشكيلات الإيقاعية كما يلي:

التركيب الإيقاعي الأول:

–قال تعالى:" عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3)".

ظهر هذا التركيب الإيقاعي بشكل ثنائي بين آيتين متجاورتين متعاقبتين ومتقابلتين ،إذ يتكوّن كل تركيب من كلمتين فعلهما فعل ماض.

عَلَّمَ / الْقُرْآنَ

خَلَقَ / الْإِنْسَانَ

تقابل فعلي / تقابل اسمي

جاء الفعلان متماثلان في الزمن والحركة الإعرابية، وكذلك بالنسبة للاسمين بعدهما.

ورغم الاختلاف الإيقاعي الموجود في وسط الكلمة إلاّ أن الإيقاع توحّد في فاصلة كل منهما مما جعلهما منسجمين فجاء التركيب ككل على إيقاع واحد متماسك .

-التركيب الإيقاعي الثاني :

-قال تعالى:" الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6)".

يتشكل هذا الإيقاع من تقابل ثلاث كلمات متتالية حيث تقابل كل كلمة الكلمة الأخرى في الآية الموالية لها مباشرة حيث أصبح الإيقاع فردي وثنائي و ثلاثي :

الشَّمْسُ / وَ/ الْقَمَرُ / بِحُسْبَانٍ

النَّجْمُ / وَ / الشَّجَرُ / يَسْجُدَانِ

وقد أضفى هذا الإيقاع الصوتي المتقابل بين ما هو علوي وما هو سفلي في الآيتين الكريمتين نغما موسيقيا خاصا أدى إلى تماسك النص القرآني تماسكا موسيقيا (صوتيا) وتماسكا دلاليا .وهو ما يترك أثرا كبيرا على المتلقي الذي يدرك قدرة الله تعالى العظيمة على الخلق.

-التركيب الإيقاعي الثالث :

-قال تعالى:" وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) ...وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10)".

على الرغم من المسافة الموجودة بين الآيتين (7) و(10) إلاّ أننا نجد بينهما إيقاعا مشتركا يقوم على التقابل الاسمي و الفعلي:

وَ / السَّمَاءَ / رَفَعَهَا

وَ / الْأَرْضَ / وَضَعَهَا

يتقابل الاسمان (السماء) و(الأرض) نحويا ويختلفان تقطيعيا، و يتقابل الفعلان (رفعها) و (وضعها) نحويا وصرفيا –لهما الصيغة نفسها (فعلها)–.وبذلك مكّن هذا التماثل الصيغي الإيقاع التركيبي من البروز في بداية الآيتين الكريمتين المتماسكين والمتضافرتين.

–التركيب الإيقاعي الرابع :

–قال تعالى :"خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15) ".

تقوم هذه التشكيلة التركيبية الإيقاعية في الآيتين الكريمتين على الإيقاع الفردي والثنائي والثلاثي والرباعي حيث تتماثل العناصر اللغوية نحويا وصوتيا وبشكل متقابل ومتماثل :

خلق	**الإنسان**	**من صلصال**	**كالفخار**
خلق	**لجان**	**من مارج**	**من نار**
فعل+ فا	**مفع به**	**جار و مجرور**	**جار و مجرور**

نلاحظ في التركيبين (خلق الإنسان) و (خلق الجان) أن بداية الآيتين الكريمتين قد أدركت الإيقاع " آن " السابق والمهيمن على سورة الرحمان و كأن الآيتين عكسًا إيقاعيًا واضحا، حيث ظهر الإيقاع في بداية الآيتين وليس في نهايتهما و مع هذا فقد ساهم هذا التشكيل الإيقاعي في تماسك الآيتين وفي ترابطهما مع كل الآيات دلاليا و صوتيا.

–التركيب الإيقاعي الخامس:

–قال تعالى:"رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17)".

يتكرر الإيقاع نفسه في الآية الكريمة وكأنها آيتان متجاورتان ،حيث يتكرر الإيقاع نحويا وصوتيا تكرارا تاما بين :(ربُّ و ربُّ)، وتكرارا نحويا وصيغيا بين :(المشرقين والمغربين)،

فكان التكرار التركيبي مناسبا لدلالة الآية الكريمة لأن الله تعالى هو الذي يتحكم في الشمس من المشرق إلى المغرب ويتحكم في نظام الكون كله.

-التركيب الإيقاعي السادس :

-قال تعالى: "وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)... تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)".

يحمل التركيب الإيقاعي المتكرر في سورة الرحمان طاقة إيقاعية كبيرة سواء على مستوى الأزواج الإيقاعية المفردة (يبقى- تبارك) ،(وجه - اسم) ، (ربك - ربك)، (ذو الجلال - ذي الجلال) ، والتي تعبر عن التماثل بين التركيبين في الآيتين من حيث الصوت والدلالة فالفعل (يبقى) يدل على الزمن الحاضر وما يستقيل من الزمن لتنتقل الدلالة من قصور الزمان الدنيوي إلى الزمن اللامحدود المتصل بوجود الله الأول والأخر والباقي . ويقابل الفعل الثاني (تبارك) الفعل الأول المطابق له ، فالله هو الذي يجل فلا يعصى، وأن يكرم فيعبد.

ونجد أن التقابل بين (وَجْهُ - اسْمُ) هو تماثل ثلاثي الأصوات القصيرة يجعل الكلمتين متجانسين ،ليكبر هذا التماثل والتجانس بين الكلمات المتبقية التي شكل الإيقاع (ربك- ذو الجلال و الإكرام) والتي تقوم على التكرار التام للكلمات المكونة له ،و بذلك يتجلى الإيقاع الفردي والثنائي و الثلاثي والرباعي والخماسي والسداسي حيث تتماثل العناصر اللغوية نحويا و صوتيا وبشكل متقابل ومتماثل :

يبقى	**وجه**	**ربك**	**ذو**	**الجلال**	**والإكرام**
تبارك	**اسم**	**ربك**	**ذي**	**الجلال**	**والإكرام**

جعل هذا التكرار الإيقاعي الآيتين متماسكتين دلاليا ونحويا و صوتيا حتى وإن كانت المسافة بعيدة بينهما.

-التركيب الإيقاعي السابع :

-قال تعالى:"فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50)...فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (66)".

يتكرر الإيقاع في الآيتين الكريمتين تكرارا ثلاثيا متماثلا:

فِيهِمَا	**عَيْنَانِ**	**تَجْرِيَانِ**
فِيهِمَا	**عَيْنَانِ**	**نَضَّاخَتَانِ**

أعطى التكرار التركيبي الإيقاعي (تَجْرِيَانِ – نَضَّاخَتَانِ) دلالة واضحة تعكس الفرق بين جنتي المقربين وجنتي أهل اليمين، لأن (تجريان) غير (نضاختان) كما سبق وأن ذكرنا ومن خلال ذلك نلاحظ أن هذا الإيقاع قد ساهم في تماسك الآيتين غير المتجاورتين (50)...(66). وهما متجانستان أيضا مع الإيقاع العام للسورة (آن): (عينان – تجريان – عينان –نضّاختان) .

– التركيب الإيقاعي الثامن :

-قال تعالى:" فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56)... لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74)".

جاء التركيب الإيقاعي بين الآيتين متجانسا في نسجه و دلالته؛ لأن الآية الأولى تصف قاصرات الطرف والثانية تصف الحور المقصورات في الخيام. وبذلك فهو يقوم على التقابل والتماثل الفردي والثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي:

لَمْ	**يَطْمِثْهُنَّ**	**إِنْسٌ**	**قَبْلَهُمْ**	**وَ**	**لَا**	**جَانٌّ**
لَمْ	**يَطْمِثْهُنَّ**	**إِنْسٌ**	**قَبْلَهُمْ**	**وَ**	**لَا**	**جَانٌّ**

-التركيب الإيقاعي التاسع :

-قال تعالى " فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ".

وهو التركيب الإيقاعي الأبرز في سورة الرحمان بتشكيلته العجيبة المتفردة بنسجها الإيقاعي في القرآن الكريم ككل، فقد بلغ التكرار التام ذروته فلم تتكرر آية كاملة بكل ألفاظها في القرآن الكريم مثل هذه الآية الكريمة التي تكررت (31) مرة تكرارا تركيبيا وصوتيا ونحويا ودلاليا متماثلا ومتقابلا، حيث ساهم هذا التركيب في ترابط أجزاء السورة من البداية إلى النهاية .

فكل هذه الفواصل المتماثلة (التي تنتهي بألف و نون، أو ألف و ميم، أو ألف وراء، أو واو و نون ،أو ياء و نون) تعطي نوعا من التماثل والتناسق بين الآيات في كل مجموعة.

نلاحظ أن القران الكريم قد تخير الألفاظ ذات الجرس الموسيقي الواضح الملائم لجو الآيات إذ يشيع فيها جو من الإيمان بالله وحده لا شريك له.

تترك الفواصل القرآنية في سورة الرحمان أثرا واضحا في نفس المتلقي إذ تساعد في تقبل المعاني المقصودة وفهمها فهما صحيحا من خلال النغمة الموسيقية العذبة التي تدل على تناسق الكلام وتماسكه وتلاؤم فواصله ،كما تساعد في بناء التشكيل الصوتي وتنوعه إذ تعمل على تنظيم الآيات، وتجعلها في نسق موسيقي معين يؤثر في السامع أجمل تأثير.

فقد ذكر الله النعم التي أنعم بها على، فبأي نعمة من هذه النعم التي ذكرها الله يجحد الإنسان ومن تبعه من الجن؟ لأن الله خلق الإنسان وعلمه القرآن والبيان وسخر موجودات السماء و الأرض لفائدته.

وبعد أن ذكر الله نعم الدنيا والدين، ذكّر الله تعالى باليوم الآخر وما فيه من عقاب للمكذبين، كما خص بالذكر الجنتين الأوليين والجنتين اللتين من دونهما.

فقد تميزت سورة الرحمان بالانسجام الموسيقى الواضح في فواصلها وهو ما اكسبها تآلفا ملحوظا، وصبغ السورة كلها بإيقاع متناغم وذلك بسبب اتفاق معظم الفواصل في الصوت فكان الانسجام الموسيقي والدلالي.

2-1-2 التكرار المباشر:

ويقصد به الإعادة المباشرة للكلمات أو الجمل، ويعني الاستمرار في الإشارة إلى العنصر المعجمي نفسه ، مما يؤدي إلى استمرار الترابط والتماسك بين عناصر النص اللغوية، و تأكيد المعنى و إبرازه، وتمكين المتلقي من تذكر المعاني السابقة للألفاظ المكررة.

تتنوع أشكال التكرار المباشر في السورة وتتمثل في:

التكرار المفرد:

أ-تكرار كلمة (رب): على نحو ما نجد في قوله تعالى:

- "رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17)"
- "وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)"
- "وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46)"
- "تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)".

تكرر لفظ (رب) في سورة الرحمان خمس مرات، وذلك في إطار الحديث عن الله رب العالمين، وهي كلمة ترتبط ارتباطا وثيقا بكلمة (الرحمان). والغاية الكامنة وراء الرحمة والربوبية تقتضي الاعتراف لِلّه بنعمه الكثيرة .

ففي قوله تعالى : " رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17)" نجد أن ربوبية الله تعالى للمشرقين والمغربين بمعنى الخلق والمقصود بتثنية المشرقين و المغربين هو أن الله هو رب مشرق الصيف ومشرق الشتاء و مغرب الصيف ومغرب الشتاء ، وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم ، وبروزها منه للناس، ففي اختلاف المشارق والمغارب اختلاف مصالح الخلق من الجن والإنس .

وكذلك وردت كلمة(ربك) في قوله تعالى: " وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)" عقب ما عدده الله من نعم ، ليشير إلى أن مصير نعم الدنيا إلى النهاية والفناء، وذكر (وجه ربك) لذاته ،أي :هو هنا جار على عرف كلام العرب ، والوجه يعبر عن الجملة والذات ويستحيل أن يكون لله وجه بالمعنى الحقيقي، وقد كان السلف يحجمون

على الخوض في ذلك مع اليقين باستحالة ظاهره على الله سبحانه وتعالى، كما تناوله أيضا علماء التابعين و من جاء بعدهم بالتأويل ويقول الطاهر بن عاشور في ذلك: " وفي استحضار الجلالة بعنوان (رب) مضافا إلى ضمير المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم إشارة إلى ما في معنى الرب من السيادة المشوبة بالرأفة والتنمية ، و إلى ما في الإضافة من التنويه بشأن المضاف إليه وإلى كون النبي صلى الله عليه وسلم هو الواسطة في الحصول تلك الخيرات للذين خافوا مقام ربهم بما بلغهم النبي صلى الله عليه وسلم من الهدي " [1].

واتصال كلمة (رب) بالكاف ضمير المخاطب هو خطاب للنبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي يبلغ للناس القرآن ليذّكروا و يعتبروا.

ووردت كلمة (رب) في قوله تعالى: "وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46) ،وكذلك في قوله تعالى:" تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)، إذ تمثل كلمة (ربِّك) وصف الله تعالى بكامل البركة أي الخير العظيم و النفع، و يعني (اسم ربك) أيّ اسم قدر من أسماء الله فهو دال على ذاته تعالى.

ب–تكرار كلمة (الجن والإنس):

تكررت هاتين الكلمتين مقترنتين مع بعضهما بعض في خمسة مواضع من السورة على نحو ما نجد في قوله تعالى:

- "خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15)"
- "يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)"
- "فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39) "
- " فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56)"
- " لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74)".

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر):تفسير التحرير والتنوير، الجزء 27،ص277.

جاءت هاتين اللفظتين في موضع واحد مبدلتين بلفظ واحد يدل عليهما وهو (الثقلان) في قوله تعالى :" سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31)"، بالإضافة إلى تكرارهما في الضمير في قوله تعالى: " فبأي آلاء ربكما تكذبان " ، ولاشك أن هذا التكرار في الآيات الكريمة له دور كبير في تماسك النص القرآني (الرحمان).

ت–تكرار كلمة (السماء):

وردت في السورة أربع مرات بشكل ملفت للانتباه حيث تكررت مرتين بشكل مفرد ومرتين بشكل جمع ، وذلك في قوله تعالى:

- " وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) "
- " يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29)".
- "يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)"
- "فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37)".

خلق الله سبحانه وتعالى السماء مرفوعة بلا عمد، وذكر رفعها لأنه محل العبرة بالخلق العجيب. ومعنى رفعها هو خلقها مرفوعة وقد تقدم في الآية الأولى ذكر السماء مع الفعل (رفعها) وذلك لزيادة الاهتمام بلفظ (السماء) الذي وقع عليه فعل الفاعل.

وجاءت لفظة السماء في الآية الثانية مقترنة بالأرض في سياق الحديث عن أهل السماوات والأرض الذين هم في حاجة كبيرة إليه تعالى ،فسؤال أهل السماء هم الملائكة الذين يسبحون الله ويستغفرون لأهل الأرض ومن في الأرض وهم البشر الذين يسألون الله نعم الدنيا و الفوز بالآخرة.

ووردت " السماء " في (الآية : 33) مقترنة بالأرض في إطار تعجيز الجن والإنس أي لا تنفذون من هذا المأزق إلا بقدرة عظيمة تفوق قدرة الله الذي حشرهم لهذا الموقف وأنّى لهم هذه القدرة. وتمثل أقطار السماوات الناحية الواسعة من المكان الواسع " وذكر

السماوات والأرض أمامكم فإن استطعتم فاخرجوا من جهة منها فرارا من موقفكم هذا، وذلك أن تعدد الأمكنة يسهل الهروب من إحدى جهاتها " [1].

ويؤكد الطاهر بن عاشور في تفسيره على أن الأرض المذكورة في هذه الآية الكريمة إما أن تكون الأرض التي في الدنيا وذلك حين البعث، ويمكن أن تكون أرض الحشر .

وجاءت لفظة " السماء " في الآية الرابعة في إطار انشقاق السماء من أحوال الحشر، أي إذا قامت الساعة وانشقت السماء فكانت كالوردة الحمراء، فيصير لونها أحمرا وهو تشبه واضح ، ويظهر تشبيه ثان للسماء (كالدهان) الذي يمثل دردي الزيت ووجه الشبه بينهما هو في التموج والاضطراب .

ومن الكلمات التي تكررت ثلاث مرات ما يلي:

ث–تكرار كلمة (الميزان):

قال تعالى:" وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9) ".

تكررت كلمة الميزان ثلاث مرات في هذه الآيات المتتابعة دون تغيرها بضمير يحيل عليها. و الميزان هو اسم آلة الوزن،و الوزن تقدير تعادل الأشياء و ضبط مقادير ثقلها.وقد شاع إطلاق الميزان على العدل على وجه تشبيه المعقول بالمحسوس[2]، وهو معنى الميزان في هذه الآيات الكريمة التي تدل على العدل، وقد اقترن ذكر(الميزان) الأول بذكر(رفع السماء)تنويها بشأن العدل بأن نسب إلى العالم العلوي وهو عالم الحق وأنه نزل إلى الأرض من السماء أي من الله تعالى ،وهذا ما نجده يتكرر في القران الكريم على نحو ما نجده في سورة يونس في قوله تعالى:"هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلاّ بالحق" يونس(الآية : 5)،وهو ما يجعل النص القرآني يتماسك على مستوى السورة الواحدة وعلى مستوى السور الأخرى.

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر):تفسير التحرير والتنوير، الجزء27، ص259.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر) : تفسير التحرير والتنوير،الجزء27،ص 237.

وجاء تكرار كلمة الميزان الثانية في (الآية:8) في سياق أمر الناس بالعدل ، فنهى الله عن إضاعة العدل في الميزان وتطفيفه.ونلاحظ عطف الجملة في قوله تعالى:"وأقيموا الوزن بالقسط" على الجملة السابقة "ألا تطغوا في الميزان" غلى احتمال كون الجملة تفسيرية لها، ومعنى الجملة يشير إلى جعل العدل ملازما لما يقوم به الناس من أمور.

ثم عطف الله مرة أخرى "ولا تخسروا الميزان" في الآية نفسها على" أقيموا الوزن" ليؤكد على العدل في الميزان فنهى عن جعل الغير خاسرا بإنقاصه. وبذلك ساهمت هذه الكلمة في توكيد المعنى والإصرار عليه وتماسكه.

وقد تواترت الكلمات التالية: (الأرض- فاكهة- خلق- جنتان- أنفذوا) ثلاث مرات على نحو ما نجده في قوله تعالى: "يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)".

حيث أعاد الله سبحانه وتعالى كلمة (أنفذوا) ثلاث مرات توكيدا للحجة على الثقلين، وقد جاءت الآية الكريمة في سياق الشرط فضمت جملة الشرط " إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا" وجوابه "فانفذوا" ثم ورد بعدها تحد من الله يعجز الجن والإنس عن ذلك.

أما الألفاظ التي تكررت مرتين فجاءت في المرتبة الأخيرة وهي:(علم-وضع-الإنسان-النخل-نار-المجرمون-عينان-المرجان-الإحسان- لم يطمثهن-ذو الجلال والإكرام).

وتتعلق في مجملها بنعم الله على مخلوقاته في الدنيا والآخرة ،فهو الذي علم القران وخلق الإنسان وعلمه البيان وهو الذي جعل لمن خاف مقام ربه جنتان وما تضمنته من خيرات،وهو الذي يعاقب المجرمين الذين يعصونه،وهو ذو الجلال الإكرام الجامع لصفات الكمال اللائقة به تعالى.

1-2-3 التكرار الجزئي: ويقصد به التكرار الاشتقاقي أو تكرار جذر الكلمة.

وقد ظهر تكرار الكلمات تكرارا جزئيا في سورة الرحمان في مواقعها المناسبة، حيث يبرز الكلام بحسب المعنى المطلوب ،فتؤكد المعاني التي يتطلب المقام توكيدها من أجل تثبيتها في نفس المتلقي ومن ثم إقامة الحجة عليه وخاصة أن النص القرآني يوجه إلى المتلقي في كل

زمان ومكان،أي لا يتوقف فيه التبليغ ولا ينقطع فيه التواصل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقع التكرار الجزئي في سورة الرحمان إما داخل الجملة الواحدة أو بين الجمل، على نحو ما نجده في الكلمات التالية:

أ–البحرين–البحرين–البحر : في قوله تعالى:

–" مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19)"

– "وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24)"

ب–الميزان–الميزان–الميزان–الوزن: في قوله تعالى:

–" وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7)"

–" أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8)"

–"وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9)".

ج–الإنسان–الإنس :في قوله تعالى:

–" خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3)"

– "خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14)"

–"فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39)"

–"فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56)"

–" لم يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74)".

د–الجان –الجن: في قوله تعالى:

–" وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15)

– " يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ...(33) .

شكل هذا النوع من التكرار داخل الجملة مدى قصيرا للربط النصي، في حين ان التكرار الجزئي الذي وقع بين جملتين شكل مدى طويلا له.

وقد نشأ عن هذا التكرار إيقاعا صوتيا متميزا مما زاد في تماسك السورة الشكلي والدلالي.

1-2-4 التـرادف:

لم يظهر الترادف في السورة بشكل كبير ،إلا أنه ساهم في إبراز المعنى العام للسورة،وهو مخاطبة الجن والإنس باستعمال كلمة (الثقلان)في قوله تعالى:" سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31) "،وهي كلمة تدل على الجن والإنس كما يوضحه قوله تعالى:" "يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)". وكذلك بمخاطبتهما في قوله تعالى:"فبأي آلاء ربكما تكذبان" ،حيث استعملت صيغتي المثنى في الاسم (ربكما) والفعل المضارع (تكذبان)، فقد ساعدت في كسر الرتابة الناتجة عن التكرار المباشر للكلمات أو الآيات،و ارتبط استخدامه بالغاية التبليغية للنص فساعد في شرح وفهم معاني الكلمات التي تمتد عبر النص، وبذلك يصبح الترادف آلية من آليات التماسك الدلالي للسورة في مستواها المعجمي، وقد ساهم في صنع آليات أخرى للتماسك بتداخله مع الإحالات الموجودة في النص القرآني.

1-2-5 التكرار الجملي:

تميزت سورة الرحمان بتكرار قوله تعالى:"فبأي آلاء ربكما تكذبان" إحدى وثلاثين مرة من أصل ثمان وسبعين آية ، وذلك في الآيات التالية: (13-16-18-21-23-25-28-30-32-34-36-38-40-42-45-47-49-51-63-53-55-57-59-61-63-65 -67-69-71-73-75)،حيث مثل تكرار الآية الكريمة نسبة 39.74 % من مجموع آيات السورة، و هي نسبة كبيرة ساهمت في ظهور التماسك النصي بين أجزاء السورة وتلاحمها.

جاء هذا التكرار تأكيدا للغرض الذي تهدف إليه السورة الكريمة حيث ذكر الله سبحانه وتعالى مختلف النعم التي انعم به على عباده، وعند تعداد كل نعمة من هذه النعم يوبخ الله تعالى الإنس والجن.

وتكرر قوله تعالى أيضا:" لم يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ " .

وجاء هذا التكرار في إطار وصف الجنتين الأوليين والجنتين اللتين من دونهما جزاء للذي يخاف مقام ربه وذلك في الآيتين الكريمتين (56) و(74).

أ-تكرار التراكيب المتطابقة:

تتكرر بعض التراكيب في سورة الرحمان بصورة متحدة البينة، والتي ساعدت في تشكيل الإيقاع الصوتي لسورة الرحمان وما يحدثه من جمال في النسيج القرآني، وهو ما يؤدي إلى تكثيف الدلالة ويترك أثرا واضحا نابعا من تكرار التركيب على نسق تعبيري متطابق، على نحو ما نجده في التراكيب الفعلية التالية:

-قال الله تعالى:" عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) ".

فقد ساعدت هذه التراكيب المتشابهة في إعطاء نغما موسيقيا خاصا في سورة الرحمان التي تخبر عن الرحمان الوارد ذكره في بداية السورة ، المقصود بلفظه ومعناه وموسيقاه بهذا الرنين الذي يدوي في أرجاء الكون ويخاطب كل الموجودات ويملأ الدنيا. فقد ساعدت هذه الآيات في بيان آلاء الرحمان.

يدل التركيب الأول"علم القران" على النعمة الكبرى التي تتجلى فيها رحمة الله بعباده، لأن القرآن هو منهج السماء والأرض، وهو الذي يقيم عقيدة الإنسان وتصوراته ونظم حياته وأحوالها فيمنح اليسر والطمأنينة في القلوب، وهو الذي يحيي في النفوس الإيمان -القضية الكبرى التي تحملها السورة- ومن هنا تقدم ذكر القران على خلق الإنسان.

-قال تعالى:" الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5)" وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6)".

الشَّمْسُ	**وَ**	**الْقَمَرُ**	**بِحُسْبَانٍ**
النَّجْمُ	**وَ**	**الشَّجَر**	**يَسْجُدَانِ**
مبتدأ	**حرف عطف**	**اسم موصول**	**خبر**

أدى التركيب الإيقاعي المشترك بين التركيبين إلى إبراز المعنى ،لأن الشمس هي التي تبعث الحرارة في الأرض كما تشير إلى الحساب والقدير في بناء الكون.

وكذلك النجم والشجر فهما نموذجان من نماذج الكون الكثيرة لهذا الوجود المرتبطة ارتباط عبادة بخالقها فهما أيضا يسجدان لله وحده لا شريك له.

– قال تعالى:" خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15)".

خَلَقَ	الْإِنْسَانَ	مِنْ	صَلْصَالٍ	كَ	الْفَخَّارِ
خَلَقَ	الْجَانَّ	مِنْ	مَارِجٍ	مِنْ	نَارٍ
فعل وفاعل	مفعول به	حرف جر	اسم مجرور	حرف جر	اسم مجرور

يتكون التركيب الفعلي (14) من فعل ماض (خلق) وفاعله ضمير مستتر تقديره هو و(الإنسان) مفعول به، وشبه جملة (من صلصال)، وشبه جملة ثانية (كالفخار).و كذلك التركيب الفعلي(15) فهو يتكون من فعل ماض (خلق) فاعله ضمير مستتر تقديره هو والجان مفعول به و(من مارج) شبه جملة أولى و(من نار) شبه جملة ثانية.

ارتبط التركيب الإيقاعي بين الآيتين المتجاورتين بالخطاب الذي وجهه الله تعالى إلى الجن والإنس،في حين يمتن الله تعالى على الجن والإنس بنعمة الإيجاد والإنشاء يقرر سبحانه وتعالى مادة خلق الإنسان والجان.

قال تعالى:

–" فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50)"

–"فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (66)".

وقع التجانس التركيبي يبين الآيتين الكريمتين، رغم المسافة الموجودة بينهما، حيث تتكون الآية (50) من جار ومجرور (فيهما) في محل رفع خبر مقدم ومبتدأ مؤخر (عينان) وجملة فعلية (تجريان) في محل رفع نعت.

وكذلك الآية (66) فهي تتركب من جار ومجرور (فيهما) في محل رفع خبر مقدم ومبتدأ مؤخر (عينان) وجملة فعلية(نضاختان) في محل رفع صفة .

وهما تركيبان متماثلان صوتيا ونحويا يدلان على صفات الجنتين الأوليين ففيهما عينان تسرحان لسقي الأشجار والأغصان فتثمر من جميع الألوان وجنتين من دونهما فيهما عينان فياضتان لا تنقطعان.

-قال تعالى:" رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17)" .

بعد أن ظهرت التراكيب المتطابقة في السورة من خلال الآيات المتجاورة والمتباعدة،ظهر التطابق التركيبي داخل الآية نفسها كما هو مبين في الآية (17) حيث تكرر التركيب الأول (رب المشرقين) بمكوناته النحوية : (رب) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو والمشرقين مضاف إليه ،وكذلك التركيب الثاني(رب) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو والمغربين مضاف إليه.

تتجلى من خلال الآية الكريمة ربوبية الله للمشرقين والمغربين، وهما من آيات الله ومن آلائه على الجن والإنس،بما يتحقق فيهما من الخير لسكان الأرض جميعا.

ومما سبق فإن النص القرآني يستخدم الأصوات والتراكيب المختلفة التي تتكرر بطاقاتها النغمية الهائلة وشحناتها الإيقاعية التي تترك أثرا واضحا في المعنى.

2-2- التضام:

التضام آلية من آليات التماسك النصي المعجمي يعمل على استمرارية المعنى، وذلك من خلال توفر النص على مجموعة من الكلمات التي يتكرر استخدامها في السياقات المتشابهة، مما يساعد في خلق نظام مشترك بين الجمل في النص القرآني.

ينقسم التضام في سورة الرحمان إلى أربعة أقسام أساسية هي:

2-2-1 التضام وارتباطه بموضوع السورة:

يتجلى التضام في سورة الرحمان من خلال الظهور المشترك للكلمات وارتباطها بموضوع السورة ، فيساعد في تشكيل وحدة النص القرآني كما يبرز محتواه اللغوي عبر تضام الكلمات المترابطة ، التي تمثل النقطة المشتركة مع ما يمتلكه المتلقي من مخزون لغوي خاصة وأن السورة مدنية نزلت بعد تثبيت العقيدة في النفوس، أين أصبح للمتلقي مخزون من المفردات المتعلقة بالدين الإسلامي، لذلك نجد مفردات السورة تركز أكثر على تثبيت الإيمان بالله

وتكذيب المشركين الّذين يشككون في من علّم محمدا صلى الله عليه وسلم القران والرد عليهم على نحو ما نجده في بداية السورة: "الرحمان" هذا الاسم الذي يمثل محط الحديث أي موضوع السورة الرئيس، ومن ثم تشكل كلمة الرحمان رأس التضام، فتتضام مع مجموعة من الكلمات التي تشكل الدلالة في السورة مثل: (الرحمان-علم-خلق-علمه-رفعها-وضع-وضعها-ربكما(31)مرة -خلق-خلق-رب-رب-له ذو الجلال والإكرام-يسأله-هو-سنفرغ-ربه-اسم ربك-ذي الجلال والإكرام).

ويتفرع عن هذا التضام مجموعة من التضامات الثانوية الأخرى ومنها:

أ-ذكر قدرة الله العظيمة والنعم التي انعم بها على مخلوقاته في الكلمات التالية :

(القران-البيان-الشمس-القمر-الشجر-السماء-الميزان-الأرض-فاكهة-النخل-الحب-الريحان-المشرقين-المغربين-البحرين-البرزخ-اللؤلؤ-المرجان-الجواري-البحر-السماوات-الأرض -أقطار السماوات والأرض).

تقدم لنا السورة الكريمة شبكة من العلاقات المعنوية التي تربط بينها النعم الكثيرة التي سخرها الله للإنسان، وأول هذه النعم نعمة القران الكريم، وهو أول النعم وأسبق قدما من ضروب آلاء الله وأصناف نعمائه، فقد أنزل الله القرآن الكريم على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم ليعلمه للناس كافة و يخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام ، فعلمهم البيان والنطق ليميّزهم عن الحيوان، ثم يذكّر الله بعد ذلك بدلائل قدرته تعالى ، فهو الذي خلق الشمس والقمر والنجم والشجر ،وما في ذلك كله من نعم على الناس وباقي المخلوقات، والسماء رفعها بلا عمد ووضع فيها العدل والميزان لينزله بأمره إلى الأرض التي وضعها وخفضها للخلق وجعل فيها الفاكهة والنخل التي وصفها الله بذات الأكمام،وهو اعتبار بأطوار ثمر النخل وامتنان بجماله.

ومن نعمه أيضا الحب ذو العصف والريحان: فالحب ذو العصف هو الذي له سنابل وورق وقصب وهو وصف لحب الشعير والحنطة التي بها قوام حياة معظم الناس وحيواناتهم. والريحان هو كل ما له رائحة ذكية من أزهار وحشائش.كما خلق الله البحار التي أودعها المنافع الكثيرة المسخرة للناس كاللؤلؤ والمرجان والسفن التي تجري في البحر كالأعلام.

ب-وصف الجنتين الأوليين للمقربين ووصف الجنتين اللتين من دونهما لأصحاب اليمين في الكلمات التالية :(جنتان-ذواتا أفنان-عينان- تجريان-فاكهة-زوجان-فرش-إستبرق-جنا الجنتين-دان- قاصرات الطرف-الياقوت-المرجان-جنتان-نضاختان-فاكهة-نخل-رمان-خيرات—حسان-حور-مقصورات-الخيام-متكئين-رفرف-خضر-عبقري-حسان- لم يطمثهن).

ج- تضام الكلمات الدالة على جهنم في الكلمات التالية:(المجرمون-النواصي-الاقدام-جهنم-يكذب-المجرمون-يطوفون-السيمات-حميم آن).يتجلى التضام في الألفاظ الدالة على جهنم التي يكذب بها المجرمون الذين يطوفون بينها وبين حميم آن يعذبون في الجحيم ويسقون من الحميم.

د- تضام الكلمات الدلالة على الثقلين في الكلمات التالية: (ربكما – صلصال – الفخار-مارج-نار).

وقد كرر الله توبيخه للثقلين على عدم الاعتراف بنعمه وذلك في قوله تعالى :"فبأي آلاء ربكما تكذبان" ،وهو تكرير ليس لمجرد التأكيد بل هو توبيخ لهما لأن ربوبية الله تقتضى الاعتراف بنعمه الكثيرة.فالله هو الذي خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار. وهذا مظهر من مظاهر قدرته تعالى وحكمته في خلق الإنسان والجن وإشارة واضحة إلى تفضيل الإنسان على الجن إذ أمر الله الجان بالسجود لآدم عليه السلام لذلك يخاطب الله المشركين بأنهم وأولياءهم من الجن سيعرضون على حكم الله.

2-2-2 التقابل:

برز التقابل في سورة الرحمان بشكل واسع من بداية السورة إلى نهايتها وهو يتداخل مع التكرار التركيبي والصوتي في كثير من الأحيان، حيث ظهر داخل الجملة الواحدة وبين جملتين ليمتد إلى سلسلة من الجمل المتواصلة ، مما أضفى على الألفاظ القرآنية جمالا ورونقا

أ-التقابل داخل الجملة الواحدة:

-قال الله تعالى:" رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17) ".

يتقابل التركيب الأول (رب المشرقين) مع التركيب الثاني(رب المغربين) من خلال تكرار العناصر نفسها، وتتضح في هذا التقابل ربوبية الله تعالى للمشرقين والمغربين لأنه هو الذي خلقهما ويتصرف فيهما.

-قال تعالى:" يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29) ".

برز التقابل بين ما هو علوي (السماوات) وما هو سفلي (الأرض) وهو بيان لافتقار كل من في السماوات ومن في الأرض إلى الله في جميع الأوقات.

-قال الله تعالى: " يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)".

ظهر التقابل في الآية الكريمة بين (الجن والإنس) وبين (السماوات والأرض)أي بين الجن الذين خلقهم الله من نار وبين الإنس الذين خلقهم الله من طين. كما برز التقابل بين السماء والأرض في إطار الحديث عن الثقلين.

-قال الله تعلى:" فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39) ".

تتحدث الآية الكريمة عن يوم القيامة عندما تلتقي جميع الخلائق للحساب، فوقع التقابل بين الجن والإنس لأنهم لا يسالون فقد الله ختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعلمون.

-قال الله تعالى:" يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41) ".

تقابلت كلمة (النواصي) مع الأقدام، والنواصي جمع ناصية وهي الشعر في مقدمة الرأس أي الجزء العلوي من جسم الإنسان.والأقدام هي الجزء السفلي من الجسم- يوضع فيها القيد – فتظهر علامات المجرمين عليهم فيعرفون بسيماهم فيؤخذون إلى العقاب.

ب- التقابل بين جملتين:

يتجلى التقابل بين جملتين في الآيات التالية :

-قال تعالى:" الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) ".

وقع التقابل في إطار التذكير بدلائل قدرته تعالى، وفي ذلك تذكير بالنعم التي أنعم بها على الناس.حيث تقابل خلق الشمس والقمر مع النجم والشجر ، وهو تقابل بين ما هو علوي وما هو سفلي؛ هذا الانتقال الذي تم فيه الامتنان لما في السماء والأرض من منافع حيث جعل لفظ (النجم) وسيلة للانتقال لأنه يصلح لذلك ، فهو يجمع بين الدلالة على نجوم السماء والدلالة على النبات الذي لا ساق له . ويحمل هذا التقابل توبيخ المشركين لما في ذكر الشمس والقمر وسجودهما إشارة إلى المنافع الكبيرة التي أعطاها الله للإنسان ،وهي إشارة أيضا إلى ما في سجود النجم والشجر من دلالة لإيقاظ النفوس.

-قال تعالى:" وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) ...وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10)".

ظهر التقابل بين الآيتين الكريمتين بين ما هو علوي (السماء) وما هو سفلي (الأرض)، أي التقابل بين خلق السماء ورفعها بلا عمد وهو تذكير بالخلق العجيب للعبرة و وضع العدل فيها وما هو سفلي، فتم عطف"والأرض وضعها " على"والسماء رفعها"، فيتقابل الرفع مع الوضع .

-قال تعالى :" خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15) ".

تقابل خلق الإنسان مع خلق الجن أي خلق آدم عليه السلام من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار وهو خليط من النار وعناصر أخرى إلا أن النار أغلب عليه

ومن هنا تبرز لنا نعمة الله على الإنسان في خلقه "من مادة لينة قابلا للتهذيب والكمال والرفق بالموجودات"[1].

3- التوازي والتقابل:

جاء التوازي في سورة الرحمان بشكل لافت للانتباه حيث يتجلى بين مجموعتين من الآيات التي تجمع بينهما علاقة التشابه التركيبي والدلالي، مع العلم أنه تُتْبَعُ كل آية بفاصل مشترك وهو قوله تعالى:"فبأي آلاء ربكما تكذبان ".

المجموعة الأولى:

قال تعالى:" وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46) ... ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48) ...فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) ...فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52) ...مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54) ...فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56) ...كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58)".

وقع التقابل بين وصف الجنتين الأوليين ووصف الجنتين اللتين من دونهما، كما هو موضح من خلال الجدول التالي:

صفات جنتي المقربين	صفات جنتي أصحاب اليمين
ذواتا أفنان	مدهّامتان
فيهما عينان تجريان	فيهما عينان نضّاختان
فيهما من كل فاكهة زوجان	فيهما فاكهة ونخل ورمان
فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان .	حور مقصورات في الخيام لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان

جدول رقم-21-

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر) : تفسير التحرير والتنوير،الجزء27،ص 245.

ساهم التقابل بين الجنتين في رسم سورة واضحة لما يناله المتقون من نعيم، حيث تتماسك المعاني وتتضح من خلال عامل التوازي المبني على التقابل والعلاقات الدلالية الموجودة بين الجنتين ،لأن جنتي المقربين ذواتا أفنان أي أغصان نضرة تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة ، فيهما عينان تجريان ومن كل فاكهة مما يعلم الناس وخير مما يعلمون، ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت فقد سمع عن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول:"يسير في ظل الفنن منها الراكب مئة سنة – أو قال :يستظل في ظل الفنن منها مائة راكب – فيها فراش الذهب ،كان ثمرها القلال "[1].

وفيهن قاصرات الطرف لم يمسسهن قبلهم إنس ولا جان. ويتقابل كل هذا مع ما هو موجود في الجنتين اللتين من دونهما ،فهما مدهامّتان أي خضراوان من شدة الرّي بماء العينان النضّاختان، وفيهما فاكهة ونخل ورمان. لكن الجنتين الأوليين أعم وأكثر في التنويع على فاكهة ،ولهذا فُسّر قوله تعالى:"ونخل ورمان" من باب عطف الخاص على العام كما قرره البخاري وغيره، وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرها، وقيل الوصفان سواء وعليه المخالفة بين الصنفين من الأوصاف تفنن. وعطف (نخل ورمان) على فاكهة من باب عطف الكلي على الجزئي. وتتصف الجنتان اللتان من دونهما بوجود خيرات حسان أي نساء فاضلات النفس كرائم الأخلاق وهن حور العيين من محاسن النساء مقصورات في الخيام لم يطمثهن إنس قبلهم و لا جان،وهذا يدل على أن الصفات الثابتة لنساء الجنتين واحدة.

وبذلك فقد ساهم التقابل بشكل واضح في ترابط معاني الآيات المتقابلة وتماسكها، كما ساهم في صنع وحدة النص القرآني ككل وبناء القضية الأساس التي تحملها السورة وهي تثبيت الإيمان في النفوس.

2-2-4 التضاد:

برز التضاد في سورة الرحمان كآلية من آليات التماسك النصي في المستوى المعجمي، وبرزت من خلاله الحصيلة اللغوية في السورة ، والتي ساعدت في ظهور الوظيفة التنبيهية التي تثير اهتمام المتلقي.

---

[1] ابن كثير:تفسير القرآن العظيم، المجلد الرابع ، ص328.

فكان التضاد آلية يتم بها الإثبات والنفي، يتم في إطاره التكرار الإيقاعي وما يحدثه من نظام صوتي ودلالي يؤدي إلى الكشف عن الدلالات المقصودة في النص القرآني المدني.

يتداخل التضاد مع التقابل في كثير من الأحيان على نحو ما نجده في قوله تعالى:" رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17)" حيث وقع التضاد بين (المشرقين والمغربين).

وفي قوله تعالى:" يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29) " وقع التضاد بين (السماوات والأرض) .

وكذلك في قوله تعالى:" يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) ".

ظهر التضاد المثبت في الآية الكريمة بين(السماوات والأرض)، وظهر التضاد بالنفي بين (أنفذوا ولا تنفذون).

ويستمر التضاد في سورة الرحمان في قوله تعالى :" يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41) "،وذلك بين (النواصي والأقدام) لأنه سيجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتربط ناصيته بقدميه ويفتل ظهره ويقذف في نار جهنم.

3-المستوى التداولي:

3-1 السياق القرآني وأبعاده التداولية:

سبق وأن أشرنا إلى أن السورتين الكريمتين (طه والرحمان) تشتركان في المرسل والرسول والقناة والنظام بالنسبة لعناصر السياق الخارجي،أما بالنسبة إلى المرسل إليه فهو يختلف من سورة إلى أخرى خاصة في زمن نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم،لأن سورة طه مكية نزلت في أهل مكة وسورة الرحمان مدنية نزلت بعد تثبيت عقيدة التوحيد في النفوس مع أنها تدعوا أيضا إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

يتفاعل النص القرآني "سورة الرحمان" مع سياقه الأول الذي نزلت فيه السورة الكريمة ،إذ أن المتلقي لم يكن خالي الذهن لأنه كان مزودا بالمعرفة الخلفية للدّين الجديد وذلك أن العقيدة قد ثبتت في نفوس المسلمين من خلال القرآن المكي – كما أسلفنا الذكر- حيث أصبح

المتلقي للنص القرآني بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم قادرا على استيعاب أصول الإيمان وفهم مقاصد النص القرآني المدني المنزّل.

ولا يتوقف توجيه القرآن الكريم إلى المرسل إليه على زمن نزول الوحي لأن التبليغ فيه لا ينقطع ويشمل الناس كافة في كل الأزمنة والأمكنة بعد زمن الرسول صلى الله عليه وسلم.

3-1-1 طبيعة الرسالة (سورة الرحمان):

أ-تعريف السورة: تقع سورة الرحمان بين سورتي (القمر) و(الواقعة)، وهي السورة الخامسة والخمسون في ترتيب المصحف الشريف.أما ترتيب نزول السورة ففيه اختلاف كبير يرجع إلى الاختلاف في النزول هل هي مكية أم مدنية؟ فأما من قال بمكيتها فعدها الثالثة والأربعون، وعلى هذا فهي نزلت قبل سورة (فاطر) وبعد سورة (الفرقان)، وأما من قال بمدنيتها فعدها السورة الثامنة والتسعين ،وبذلك تكون قد نزلت قبل سورة (الإنسان) وبعد سورة (الرعد) .

وهي سورة مكية في قول جمهور الصحابة والتابعين ،و روي عن ابن عباس :أنها مدنية نزلت في صلح القضية عندما أبى سهيل بن عمرو أن يكتب في رسم الصلح "بسم الله الرحمان الرحيم "، كما نسب إلى ابن مسعود أيضا أنها مدنية.

وعن ابن عباس أنها مكية سوى آية منها هي قوله تعالى: مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29).[1]

ب- عدد آياتها: عد أهل المدينة ومكة آيها سبعا وسبعين، وأهل الشام والكوفة ثمانا وسبعين لأنهم عدوا الرحمان آية، وأهل البصرة ستا وسبعين[2].

ج- تسميتها:وردت سورة" الرحمان" في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد روى الترميذي عن جابر عن عبد الله قال :"خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ سورة الرحمان"[3] .

---

[1] ابن عاشور (محمد الطاهر):تفسير التحرير والتنوير، الجزء 27 ، ص 228 .

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر): المصدر نفسه،ص 228.

[3] ابن عاشور(محمد الطاهر): المصدر السابق، ص 227.

وجاء في تفسير القرطبي أن قيس بن عاصم المنقري قال للنبي صلى الله عليه وسلم :" اتل ما أنزل علي فقرأ عليه سورة الرحمان،فقال أعدها ، فأعادها ثلاثا،فقال:إن له لحلاوة"[1] . وسميت أيضا بهذا الاسم في كتب السنة وفي المصاحف، وتسمى "عروس القرآن"، لما رواه البيهقي في شعب الإيمان عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمان"[2].

ولكل شيء عروس أي:"لكل جنس أو نوع واحد من جنسه يزينه ،تقول العرب :عرائس الإبل لكرائمها فإن العروس تكون مكرمة مزينة مرعية من جميع الأهل بالخدمة والكرامة،ووصف سورة الرحمان بالعروس تشبيه ما تحتوي عليه من ذكر الحبرة والنعيم في الجنة بالعروس في المسرة والبذخ ،تشبيه معقول بمحسوس ومن أمثال العرب ،لا عطر بعد عروس... أو تشبيه ما كثر فيها من تكرير" فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" بما يكثر على العروس من الحلي في كل ما تلبسه" [3] .

ومن أوجه تسمية هذه السورة –أيضا– أنها تبتدئ باسمه تعالى "الرحمان"، وهي السورة الوحيدة التي افتتحها الله بهذا الاسم المبارك .

د– أسباب نزول سورة الرحمان:

اختلف العلماء في تحديد مكان نزول سورة الرحمان، وقد أكد الطاهر بن عاشور على أنها من أول السور نزولا.

أخرج أحمد في مسنده بسند جيد أن أسماء بنت أبي بكر قالت:"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون يقرأ " فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" "[4]،وهذا ما يدل على أنها نزلت قبل سورة الحجر ،وللاختلاف فيها لم تحقق رتبتها في عداد نزول السور القرآنية .

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر): المصدر نفسه، ص 227.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر): المصدر نفسه، ص 227.

[3] ابن عاشور(محمد الطاهر): المصدر نفسه،ص 227.

[4] ابن عاشور(محمد الطاهر): المصدر السابق، ص228.

فإذا كانت سورة مكية فإنها نزلت قبل سورة الحجر وقبل سورة النحل وبعد سورة الفرقان، فتعد ثالثة وأربعين بعد سورة الفرقان وقبل سورة فاطر.

وعدها الجعبري ثامنة وتسعين بناء على القول بأنها مدنية وجعلها بعد سورة الرعد وقبل سورة الإنسان.[1]

سبب النزول :هو قول المشركين في قوله تعالى :"وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمان قالوا وما الرحمان" (الفرقان :60) ،فكانت تسميتها باعتبار إضافة (سورة) إلى (الرحمان) على معنى إثبات الوصف. وهو ما يؤكد العلاقات القائمة بين سور القرآن الكريم مما يجعلها كلها تتماسك، لأن الإجابة المباشرة لهؤلاء الكفار الذين يسألون عن الرحمان كانت في سورة الرحمان.

وقيل أن سبب نزولها هو قول المشركين "إنما يعلمه بشر" في سورة النحل الآية (103) ، فرد الله عليهم في سورة الرحمان بأن الله هو الذي علم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم[2].

وقد أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء أن سبب نزول قوله تعالى :"ولمن خاف مقام ربه جنتان" الرحمان(الآية:46)، هو أن أبي بكر الصديق ذكر ذات يوم وفكر في القيامة والموازين والجنة والنار فقال:وددت أني كنت خضراء من هذه

الخضر تأتي علي بهيمة تأكلني وأني لم أخلق فنزلت هذه الآية.وأخرج ابن أبي شوذب قال :نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق.

وقال ابن أبي حاتم :حدثنا أبي،حدثنا محمد بن مصطفى،حدثنا بقية عن أبي بكر بن مريم، عن عطية بن قيس:"نزلت في الذي قال :أحرقوني بالنار لعلي أضل الله ،قال :تاب يوما وليلة بعد أن تكلم بهذا فقبل الله منه وأدخله الجنة"[3].

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر): المصدر نفسه، ص 228.

[2] ابن عاشور(محمد الطاهر): المصدر نفسه، ص 228

[3] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المجلد الرابع، ص320.

ويؤكد ابن كثير على أن هذه الآية عامة، فمن خاف مقام ربه عز وجل ولم يطغ،ولم يؤثر الدنيا وعلم أن الآخرة خير وأبقى ،فأدى الفرائض واجتنب محارم الله ،فله يوم القيامة جنتان.

3-1-2 السياق وموضوعات السورة:

يتشكل موضوع سورة الرحمان من مجموعة من الأجزاء التي تتلاحم وتتماسك من أجل تأدية الغرض العام للسورة وهو معرفة الله الرحمان والإيمان به.

تتألف سورة الرحمان من السياقات التالية:

أ-سياق الرد على المشركين: افتتح الله سبحانه وتعالى السورة باسم من أسمائه الحسنى (الرحمان)، فكان الربط الأول بين السياق اللغوي للآية الأولى والسياق الخارجي.

ويدل ذكر الرحمان في بداية السورة الرد المباشر على سؤال المشركين ، فكان في اسمه تعالى "الرحمان" تشويق المتلقي للخبر، لأن المشركين كانوا لا يألفون هذا الاسم، فبمجرد قول الله سبحانه وتعالى :"الرحمان" في بداية السورة هو تنبيه للمتلقي حتى يترقب ما سيرد بعدها من أخبار عن الله (الرحمان) ، فيتشوق المؤمن إلى سماع الخبر الآتي لوصفه تعالى.

ذكر الله تعالى أنه هو من علّم القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله:" الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2)"،فكان الاهتمام بذكر الذي يعلم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن أقوى من الاهتمام بالخلق، لذلك يقول الطاهر بن عاشور:"وأوثر استحضار الجلالة باسم الرحمان دون غيره من الأسماء لأن المشركين يأبون ذكره، فجمع في هذه الجملة بين ردين

عليهم مع ما للجملة الاسمية من الدلالة على ثبات الخبر ،ولأن معظم هذه السورة تعداد للنعم والآلاء فافتتاحها باسم الرحمان براعة استهلال"[1]،فقد بدأ الله السورة بما يدل عليه لفظ (الرحمان) ،الذي تتجلى فيه صفة رحمته الواسعة.

ب-سياق تعداد نعم الله على عباده: بعد ذكر الرحمان في بداية السورة ،ابتدأت بتعداد آلاء الله ونعمه التي لا تعد ولا تحصى ،وفي مقدمتها نعمة تعليم القرآن الكريم التي سبق ذكرها نعمة خلق الإنسان ،وهي نعمة عظيمة لأنها الركيزة الأساسية التي يصلح بها المجتمع الإنساني. ثم

---

[1] ابن عاشور(محمد الطاهر):تفسير التحرير والتنوير، الجزء 27 ، ص. ص 230-231.

ذكرت بعد ذلك نعمة أخرى عظيمة وهي خلق الإنسان وتعليمه البيان، وفيهما تشريف له لأن الله أخرجه من غياهب العدم إلى الوجود في العيان.وإذا تأملنا الحديث عن خلق الإنسان فإننا سنعود لا محالة إلى السياق الخارجي للسورة، لأن قضية الخلق هي قضية كبرى تدل على قدرة الله تعالى، وهي تفيد في تقوية المعنى وترابطه، كما تفيد في تقوية الرد على المشركين الذين أنكروا أن الله خلق الإنسان لأنهم عبدوا غيره.

ونلاحظ أيضا أنه تقدم ذكر خلق الإنسان وتعليمه النطق و الإفصاح على خلق السماوات والأرض على الرغم من أن خلق الإنسان كان بعد خلق الكون بكل ما فيه، وذلك لمناسبة خلق الإنسان لتعليمه القرآن .

وتفتح السورة بعد ذلك صفائح الوجود الناطقة بآلاء الله الجليلة :الشمس والقمر ،والنجم والشجر، والسماء التي رفعها بلا عمد وما فيها من آيات وعجائب وأسرار، والأرض التي بسطها الله للأنام وبث فيها من كل أنواع الخيرات من فواكه وزرع وثمار، والبحر الذي يخرج منه اللؤلؤ والمرجان الذي سخره الله لينتفع منه الإنسان .فكل هذه الآلاء تدل على قدرته تعالى و وحدانيته.

ج- سياق مخاطبة الجن والإنس: تخاطب السورة الثقلين حيث احتوت على تكرار قوله تعالى: "فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" في إحدى وثلاثين آية، وجاء هذا التكرار بعد تعداد آلاء الله ونعمه، ليبين الله لهما أنه لا يمكن جحد هذه النعم ،وبذلك فالخطاب في سورة

الرحمان يشمل جميع الخلق،ما يعكس لنا اختلاف المخاطب في السورة الكريمة فقد قال الجن المؤمنون بالله لما سمعوا هذه الآية الكريمة : "اللهم ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد"[1].

د- سياق مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم: يوجه الخطاب في سورة الرحمان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لم يذكر في السورة صراحة بل تمت الإشارة إليه بواسطة الضمائر المحيلة كقوله تعالى:" وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ "(27) و " تَبَارَكَ اسْمُ

[1] ابن كثير:تفسير القرآن العظيم، المجلد الرابع، ص320

رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ " (78)، فكان الجمع بين مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم وتمجيد الله سبحانه وتعالى ذو العظمة والكبرياء لأن ذكر الله تعالى وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم له علاقة مباشرة بالإطار التبليغي الذي نزلت فيه السورة.

هـ- سياق وصف جنتي المقربين: وصف الله سبحانه وتعالى هاتين الجنتين فقال :"ذواتا أفنان"، أي :أغصان نضرة حسنة، تحمل من كل أنواع الثمار.فيهما عينان تسرحان لسقي تلك الأشجار فتثمر من جميع الألوان ،كما وصف أهل الجنة بأنهم مضطجعون على فرش من الديباج، وفيهن قاصرات الطرف لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن.

و- سياق وصف جنتي أهل اليمين:هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن الكريم، قال تعالى:"ومن دونهما جنتان" قال ابن عباس:أي من دونهما في الدرج. وقال ابن زيد: من دونهما في الفضل، وعن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه؛ أن رسول صلى الله عليه وسلم قال :"جنتان من فضة ،آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما"[1].

وهما جنتان سوداوان من شدة الرّي من الماء، فيهما عينان فياضتان، وفيهما نساء خيّرات لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن.

ز- سياق محاسبة الخلائق يوم القيامة: ذكر الله تعالى حال المجرمين الأشقياء الذين يعرفون بسيماهم، كما ذكر حال المتقين الذين ينعمون بالجنتين وما فيها من نعيم.

3-2- الأفعال الكلامية في سورة الرحمان:

تنقسم الأفعال الكلامية في سورة الرحمان إلى قسمين هما:

3-2-1 الأفعال التقريرية الواصفة و مؤشراتها التداولية:

تتجلى الأفعال اللغوية في سورة الرحمان من خلال الأفعال التقريرية الواصفة المحيلة إلى الوقائع التي تدل عليها بأزمنتها المختلفة والتي يتحكم في دلالتها السياق و مقاصد المتكلم،

---

[1] ابن كثير:تفسير القرآن العظيم، المجلد الرابع، ص 326.

فتحقق الملفوظات الأكثر بروزا في سورة الرحمان مقاصد السورة الكريمة، لأنها تؤثر على المتلقي في السياق الكلامي سواء كانت كلمات مستقلة أو تابعة أو عبارات أو جمل، ومن ثم نرى أنها أكثر تحقيقا للغاية التبليغية.

وقد ظهرت هذه الأفعال التقريرية الواصفة لتبين الحقائق المختلفة التي تضمنتها السورة، وتتمثل فيما يلي:

المؤشر الأول:الرحمان

قال تعالى: "الرَّحْمَنُ (1)".

تحمل السورة اسم الرحمان ،وهو أول لفظ جليل من أسماء الله الحسنى تبتدئ به سورة من سور القرآن العظيم ،وهو الرحمان الذي علم القرآن للإنسان الذي خلقه في أحسن تقويم ،وعلمه النطق و البيان ،وميزه عن الحيوان وسائر المخلوقات عندما أكرمه بالعقل.

وهو الرحمان الذي خلق الكون وقدره بحسبان وصخره للإنسان الذي خلقه من صلصال كالفخار ،وخلق الجان من مارج من نار.

وكلمة الرحمان اسم من أسماء الله الحسنى الدالة على صفات كماله ؛لأنها مشتقة من الصفات "فصفات الإحسان والجود، والبر والحنان، والمنة، والرأفة، واللطف، أخص باسم الرحمان" [1].

تفتح كلمة الرحمان الباب واسعا أمام تماسك السورة مع باقي سور القرآن الكريم وخاصة التي ورد فيها اسم الرحمان، وتتمثل في:

- سورة الإسراء، الآية (110)
- سورة مريم ،الآيات (18-44-45-58-61-69-75-78-85-87-88-91-92-93-96)
- سورة طه ،الآيات (5-90-108)
- سورة الأنبياء، الآيات (26-36-42-112)
- سورة الفرقان، الآيتان (26 -63)
- سورة الشعراء، الآية (5)

[1] سعيد بن علي بن وهف القحطاني:شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة ،بيت الحكمة ،ط1،العلمة،الجزائر،2010،ص29.

- سورة يس،الآيات (11-23-52)
- سورة الزخرف ،الآيات (17-19-20-33-36-45-81)
- سورة الملك، الآيات (3-19-20-29)
- سورة النبأ، الآية (37).

جاء اسم الرحمان على وزن فعلان من سعة هذا الوصف وثبوت جميع معناه الموصوف به، ولهذا قال تعالى في سورة طه "الرحمان على العرش استوى"، ذلك أن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها ،و الرحمة أيضا محيطة بالخلق واسعة لهم.

المؤشر الثاني:ذكر آلاء الله الكثيرة

قال تعالى: "عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (12)".

ذكر الله آلائه الكثيرة ونعمه الظاهرة على عباده، ضمن الأفعال التقريرية الوصفية التداولية التي نشأت فيها العملية التواصلية ،حيث دعمت التراكيب اللغوية المثبتة هذا التقرير الذي يحمل المتلقي على التصديق بحقيقة هذه الآلاء وأنها من صنع الخالق وحده لا شريك له.

المؤشر الثالث:توبيخ الجن والإنس

قال تعالى: "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ".

تتكرر هذه البنية الخطابية الفاصلة بين الآيات (31) ،وهو تكرار لتوبيخ الجن و الإنس على إنكارهما وتكذيبهما بنعم الله وآلائه التي لا يمكن جحودها.

المؤشر الرابع:الخلق

قال تعالي : "خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15)".

من رحمة الله تعالى بخله أنه خلق الإنسان وهو آدم عليه السلام الذي خلقه الله من صلصال كالفخار وخلق الجان من لهب النار.وتمثل عملية الخلق مؤشرا قويا يدل على عظمة الخالق و قدرته وتصرفه في مخلوقاته .

المؤشر الخامس:وصف البحر

قال تعالى:" مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) ... يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22) ...وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24)".

يتواصل إخبار المتلقي بواسطة الأفعال التقريرية الواصفة المتعلقة بالبحرين المالح والحلو، اللّذين أرسلهما الله ومنعهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من برزخ حاجز فاصل بينهما.

المؤشر السادس:تقرير فناء كل من على الأرض وبقاء وجه الله عز وجل

قال تعالى: "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)".

ويفتح هذا المؤشر التداولي باب الإخبار والاتصال، لأن الله تعالى يخبرنا بفناء كل مخلوقاته ،ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم، وهو تبليغ لا ينقطع.

المؤشر السابع :إحاطة الله بالجن والإنس

قال تعالى:" سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31)... يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) ".

يحيط الله بالجن والإنس الذين لا يستطيعون الهرب من أمره وقدره.

المؤشر الثامن:وصف علامة من علامات يوم القيامة

قال تعالى:" فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37)".

يقرر الله تعالى حقيقة من حقائق قيام الساعة ،فذكر انشقاق السماء التي ستذوب كما تذوب الفضة قي السبك،وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها ،فتارة حمراء ،وصفراء وخضراء ،وذلك من شدة هول يوم القيامة العظيم.

المؤشر التاسع:وصف العلامات التي تظهر على المجرمين وعذابهم في جهنم

قال تعالى:" فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39) ...يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41) ... هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آَنٍ (44)".

يحمل هذا المؤشر التداولي حقيقة من حقائق اليوم الآخر وهي عقاب الكافرين الذين يطوفون بين حميم آن، وهو تقرير حقيقة ستتحول إلى إنجاز في مقامها المناسب وهو اليوم الآخر.

المؤشر العاشر:وصف الجنتين الأوليين والجنتين الأخريين

قال تعالى:" وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46)...ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48)... فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) ...فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52) ...مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54) ...فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56)...كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58)".

قال تعالى :"وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62)... مُدْهَامَّتَانِ (64)... فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (66) ...فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (68)... فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (70)... حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (72)... مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (76)" .

يحمل هذا المؤشر التداولي حقيقة أخرى من حقائق اليوم الآخر وهي الجزاء الذي ينتظر كل من خاف مقام ربه و ستتحول هذه الحقيقة إلى إنجاز في مقامها المناسب وهو اليوم الآخر.

3-2-2 الأفعال الإنجازية و مؤشراتها التداولية:

وهي الأفعال التي يقترن فيها المضمون بالأداء، لأنها تنهض بإقامة العلاقة بين الملقي والمتلقي في الموقف التواصلي، وبذلك تلعب الأفعال اللغوية المنجزة أثناء التلفظ دورا هاما في بيان مقاصد المتكلم في سورة الرحمان وذلك من خلال الأساليب والصيغ والتراكيب المناسبة للتأثير والإقناع ما يتوافق مع المقاصد والأهداف المرجوة. وهي تنقسم إلى قسمين هما:

1-الأفعال الإنجازية البسيطة:

أ-الاستفهام:

-قال تعالى: "فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ".

يتكون هذا الفعل الإنجازي من الفعل القضوي الذي يتكون بدوره من:

الفعل الحملي:يتكون من الفاء الفصيحة وحرف الجر(الباء) والاسم المجرور (أي) والمضاف إليه (آلاء) والمضاف إليه (ربكما) والفعل والفاعل (تكذبان) .

الفعل الإحالي: يتوزع الاستفهام في سورة الرحمان من بدايتها إلى نهايتها حيث تتكرر الآية الكريمة التي سبقت الإشارة إليها وهي قوله تعالى: "فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" ،وذلك بأسلوب من أروع الأساليب البلاغية التي تخاطب العقل والوجدان،كما تجعل المتلقي طرفا مشاركا في العملية التبليغية القائمة . لأن الآية الكريمة ترتبط بما قبلها وما بعدها من معان إذ يرشدنا الله إلى أنه المتصرف في خلقه بما يشاء ،وله الأمر كله، هذا بالإضافة إلى إثبات الحقائق الكونية التي تدعوا إلى التأمل في خلق السماوات والأرض والشجر والبحار،

فيخاطب الله الجن والإنس أي النعم ظاهرة عليكم لا تستطيعون إنكارها،ويتواصل هذا الفعل الكلامي في السورة ليرتبط أيضا بوصف خلق الإنسان والجان وتقرير فناء كل من على الأرض وبقاء وجهه عز وجل فالله محيط بالثقلين لا يستطيعون الهرب من أمره فكيف يكذبان بذلك ،كما ارتبط هذا الفعل الانجازي الحاصل بعلامة من علامات يوم القيامة وهي انشقاق السماء التي تذوب كالدهن ،فكيف يكذب الجن والإنس بقدرته تعالى ،كما ارتبط الفعل الكلامي بوصف جهنم ووصف الجنتين.وكل ذلك من خلال علاقة الاستفهام بإثبات وحدانية الله .

الفعل الإنجازي: يتكون من قوة انجازية هي الاستفهام الإنكاري الذي تتجاوز دلالته الاستفهام العادي فقد استلزم قوة إضافية هي التوبيخ، حيث يجسد هذا الفعل الإنجازي عملية الإقناع القرآني.

الفعل التأثيري:ترك هذا الفعل الإنجازي أثرا كبيرا في نفس المتلقي (الجن والإنس) في زمن نزول السورة ويبقى التأثير مستمر استمرار النص القرآني.

ب–النفي:

–قال الله تعالى: " بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20)".

يتكون هذا الفعل الانجازي من الفعل القضوي الذي يتكون بدوره من:

الفعل الحملي: يحتوي على محمول اسمي (بينهما)،موضوعه معلوم من سياق السورة اللغوي (برزخ)،ومحمول فعلي منفي(يبغيان) ،موضوعه الفاعل الذي يعود على البحرين في الآية السابقة رقم (19).

الفعل الإحالي: تحيل الآية الكريمة إلى البحرين (العذب والمالح) حيث نفى الله تعالى أن يبغي هذا على هذا فجعل بينهما برزخا أي حاجزا فاصلا.

الفعل الانجازي:يتضمن قوة انجازية حرفية هي النفي.

ج–النهي:

قال تعالى:" يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35)".

يتكون هذا الفعل الانجازي من الفعل القضوي الذي يتكون بدوره من:

الفعل الحملي: يتكون من المحمول الفعلي المبني للمجهول (يرسل)،فاعله محذوف معلوم من السياق ،ويتكون أيضا من المحمول الفعلي المنتفي (تنتصران) وموضوعه الفاعل (أنتما) أي الجن والإنس المخاطبان في السورة الكريمة.

الفعل الإحالي: إن معنى الآية هنا يرتبط بمعنى الآية رقم (33) ،وهي فعل انجازي خاص بالمستقبل أي يوم الحشر، لذلك يبقى فعلا تقريريا حتى يتحقق قي مقام انجازه يوم تقوم الساعة ،لان الله يخبر الجن والإنس المكذبين الجاحدين لنعمه تعالى بأنه سيرسل عليهما لهب من نار ،ونحاس مذاب فلا ينصر بعضكم بعضا.

الفعل الانجازي: يتكون من قوة انجازية واحدة وهي النهي.

د–الشرط:

قال تعالى:" فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37)".

يتكون هذا الفعل الانجازي من الفعل القضوي الذي يتكون بدوره من:

الفعل الحملي: يحتوي الفعل الانجازي على محمول فعلي (انشقت) وموضوعه الأول الفاعل(السماء)،كما يحتوي على محمول اسمي (وردة) موضوعه المبتدأ الذي يعود على السماء.

الفعل الإحالي: يحيل الفعل الكلامي إلى اليوم الآخر، إذ يشير إلى حالة السماء التي تنشق وتذوب كالدهن شدة هول يوم القيامة.

الفعل الانجازي: يتكون من القوة الانجازية الحرفية الشرط.

الفعل التأثيري: يحدد الشرط في الآية الكريمة طبيعة العلاقة بين الملقي والمتلقي، فيكون التأثير الناتج مباشرة هو الإيمان بقدرته تعالى في تسيير الكون. وفي هذا تتضح مسؤولية كل من الجن والإنس عن إيمانهما أو كفرهما لأنه سيأتي اليوم الذي يحاسبان فيه.

2-الأفعال الإنجازية المركبة:

أ-الاستفهام والتوكيد:

-قال تعالى: "هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60)".

يتكون هذا الفعل الانجازي من الفعل القضوي الذي يتكون بدرره من:

الفعل الحملي:يتكون من حرف الاستفهام (هل) ومن المحمول الاسمي(الإحسان)، وأداة الحصر (إلّا).

الفعل الإحالي: يخاطب الله تعالى الجن والإنس باستعمال حرف الاستفهام (هل) الذي ينبئ عن طبيعة المتلقي الذي سيجيب بنعم إذا كان من المتقين المصدقين بأن الله سيجازي من أحسن العمل في الدنيا بالإحسان إليه في الدار الآخرة، وبذلك يمتد هذا الفعل الكلامي ليشمل الدنيا والآخرة، ويشمل أيضا جميع المخاطبين بالآية الكريمة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وفي كل الأزمنة بعده.

الفعل الإنجازي :يتكون من القوة الانجازية المركبة من الاستفهام و التوكيد.

الفعل التاثيري: كل استفهام يترك أثرا في المتلقي المخاطب به في العملية التبليغية ،وهو ما يستوجب معرفة ذهن المتلقي الذي قد يكون يعلم أو لا يعلم المعلومة التي سئل عنها والتي لها علاقة مباشرة بسياق السورة الخارجي(المقام).

ب–الأمر والنهي:

–قال تعالى:" أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9)".

يتكون هذا الفعل الانجازي من الفعل القضوي الذي يتكون بدوره من:

الفعل الحملي:ويتكومن المحمولات الفعلية (لا تطغوا–أقيموا –لاتخسروا)، موضوعها الفاعل(أنتم).

الفعل الإحالي:اجتمع الأمر مع النهي في الفعل الكلامي الانجازي الذي يتجلى فيه دور الله تعالى الآمر، وتقتضي هذه الأفعال الانجازية جوابا لأنها تتضمن معنى الشرط، ولأن الكلام موجه إلى المتلقي الذي نهاه الله عن التطفيف في الميزان.

الفعل الإنجازي:يتكون من قوة انجازية مركبة من النهي والأمر.

ج–النداء والشرط والأمر:

–قال تعالى:" يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)".

يتكون هذا الفعل الانجازي من الفعل القضوي الذي يتكون بدوره من:

الفعل الحملي:يتكون من المحمولات الفعلية (إن استطعتم–أن تنفذوا–فانفذوا–لا تنفذون)، وموضوعها الفاعل (أنتم) المحيل إلى الجن والإنس.

الفعل الإحالي: إن لهذه الآية الكريمة جملة من المعاني المتضافرة ، التي تتكون من النداء(يا معشر) والشرط(إن استطعتم) والأمر(فانفذوا) والنفي (لا تنفذون) وشرط إضافي (إلاّ بسلطان)،ينادي الله الجن والإنس وهو طلب استحضار يراد منه إقبال المدعو على الداعي، لذلك يعد النداء من الأفعال التوجيهية التي تحفز المتلقي لرد فعل المتكلم وهو بذلك يكتف

الدلالة في سورة الرحمان نظرا لارتباطه بالقوى الانجازية الأخرى، التي يبين الله من خلالها للثقلين أنهما لا يستطيعان الهرب من أمره تعالى وقدره، ولا يستطيعان التخلص من حكمه إلاّ بسلطان أي إلاّ بأمر من الله.

الفعل الإنجازي: يتكون من قوة انجازية مركبة وهي القوة المصاحبة للأداء الفعلي للكلام وتتمثل في :النداء والشرط والأمر والنفي.

د–النفي المكرر:

–قال تعالى:" فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39)".

يتكون هذا الفعل الانجازي من الفعل القضوي الذي يتكون بدوره من:

الفعل الحملي: يحتوي على محمول فعلي منفي (لا يسأل)،فاعله محذوف معلوم من سياق السورة، ومحمول اسمي (جان).

الفعل الإحالي: تتواصل الإحالة إلى يوم الحشر وما سيحدث فيه، فقد نفى الله أن يسأل الإنس والجن عن ما ارتكباه من ذنوب، لأن الله سيختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، ويقادون إلىلا النار ويلقون فيها .

الفعل الانجازي: يتضمن قوة انجازية واحدة هي :النفي.

هـ–النفي المكرر:

–قال تعالى:" فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56)"

–قال تعالى:" لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74)".

يتكون هذا الفعل الانجازي من الفعل القضوي الذي يتكون بدوره من:

الفعل الحملي: يحتوي الفعل الانجازي الأول من المحمول الاسمي (قاصرات الطرف) والمحمول الاسمي المنفي (جان) كما يتكون من محمول فعلي منفي (لم يطمثهنّ)، ويتكون الفعل الانجازي الثاني من المحمول الاسمي (هن) في الفعل (يطمثهن) والذي يعود على (حور) التي ذكرت في(الآية :72)،كما يتكون من محمول فعلي منفي (لم يطمثهنّ) والمحمول الاسمي المنفي (جان).

الفعل الإحالي: تحيل الآيتان الكريمتان إلى مقام الآخرة عندما ذكر الله تعالى جزاء المقربين وجزاء أهل اليمين. وهي إحالة إلى أن قاصرات الطرف والحور العين لم يطأهن أحد من الجن والإنس قبل أزواجهن. وفي هذا دليل واضح على دخول مؤمن الجن الجنة.

الفعل الانجازي: يتكون من القوة الانجازية المكررة وهي النفي الذي يفيد تأكيد وقوع الخبر.

الفعل التأثيري: يحدد الشرط في الآية الكريمة طبيعة العلاقة بين الملقي والمتلقي ،فيكون التأثير الناتج مباشرة هو الإيمان بقدرته تعالى في تسيير الكون، وفي هذا تتضح مسؤولية كل من الجن والإنس عن إيمانهما أو كفرهما لأنه سيأتي اليوم الذي يحاسبان فيه.

و–التهديد والنداء :

–قال تعالى: "سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31)".

يتكون هذا الفعل الانجازي من الفعل القضوي الذي يتكون بدوره من:

الفعل الحملي: يحتوي الفعل الانجازي على محمول فعلي (سنفرغ)، موضوعه الفاعل (نحن) المضمر وهو (الله).

الفعل الإحالي: يحيل الفعل الكلامي إلى تهديد الله سبحانه وتعالى الجن والإنس الذين كفروا بنعمه وقدرته تعالى لأنهم سيحاسبون على كل أعمالهم.

الفعل الانجازي: يتكون من القوة الانجازية الحرفية النداء والقوة الانجازية المستلزمة التهديد والوعيد.

الفعل التأثيري العام :لقد طابقت هذه الأفعال الكلامية مقامات انجازها، وهي تتضمن توجيه الكلام من الأعلى (الله تعالى) إلى الأدنى (الجن والإنس).

كما يتضح لنا أن المتلقي للنص القرآني مطالب بانجاز فعل الطلب المأمور وهذا يتطابق مع مدى فهم المتلقي وامتثاله لانجازه.

3–3– مقاصد سورة الرحمان التداولية:

جاءت سورة الرحمان بمقاصد تداولية واضحة وأهداف سامية يمكن أن نلخصها فيما يلي:

- افتتحها الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى، الذي يحمل كل معاني الرحمة التي شمل

الله بها كل خلقه.

- نوهت السورة بالقرآن الكريم، فقدم الله نعمة الدين ونعمة نزول القرآن وتعليمه البيان على كل النعم الأخرى.

- بين الله لعباده (المشركين خاصة) بأنه هو الذي علم النبي صلى الله عليه القرآن ردا على مزاعم الكفار الذين قالوا:"إنما يعلمه بشر"، وردا على زعمهم أن القرآن هو أساطير الأولين...

- تعداد آلاء الله الباهرة ونعمه التي لا تعد ولا تحصى ،والتي تدل على وحدانية الله سبحانه وتعالى.

- قدرة الله في تسيير الأفلاك والسفن التي تجري في البحر كالإعلام.

- ذكر الفناء والتذكير باليوم الآخر وبقاء الله وحده لا شريك له.

- عرض مشاهد يوم القيامة وما فيها من أهوال لتنبيه المتلقي على ما ينتظره من ثواب أو عقاب.

- ذكر النعم التي أعدها الله لعباده الصالحين من المقربين وأهل اليمين.

- تمجيد الله تعالى والثناء عليه و على اسمه الذي افتتحت به سورة الرحمان.

مما سبق نستنتج أن العلاقات القائمة بين المعاني المقصودة في النص القرآني قد ساهمت في تماسك أجزائه وآياته المختلفة وذلك حسب الظروف البيئية والاجتماعية المحيطة بالنص ،وبذلك تختلف الآليات النحوية والمعجمية والصوتية والتداولية بين القرآن المكي والمدني ،إذ يتعلق الأمر بالقضية الكبرى للسورة القرآنية ،فنجد مستوى لغويا محددا وفقا لما يتطلبه الموقف الكلامي، سواء تعلق الأمر بتثبيت عقيدة التوحيد في سورة طه أو بتثبيت الإيمان بالله وقدرته في سورة الرحمان التي تتجلى فيها– أيضا –قضية عقيدة التوحيد وذلك للتذكير بها و تأكيدا عليها لعظيم أثرها في المرحلة المدنية.

وقد تباينت هذه الآليات المستخدمة في النص القرآني من حيث الورود حسب ذهن المتلقي،لأن التبليغ المكي يرتكز على المتلقي خالي الذهن الذي لا يعرف طبيعة الدين

الإسلامي الجديد، وحتى تتثبت عقيدة التوحيد تقدم السورة المكية قصص الأنبياء وما حدث في القرون الماضية للعبرة.

أما التبليغ بالقرآن المدني فيرتكز على المتلقي الذي تثبتت عنده العقيدة أي أصبحت لديه خلفية دينية واضحة حول عبادة الله وحده لا شريك له فيأتي دور تقوية اليمان بالله وقدرته العظيمة في تسيير الكون بكل ما فيه من نعم وآلاء باهرة.

خـاتمـة

خاتمـــة:

حاول هذا البحث أن يقدم وصفا لغويا تحليليا لسورتي (طه والرحمان) على ما لهما منخصوصية النص القرآني المكي والمدني،المعجز بلغته وبلاغة أساليبه ومعانيه، وقد سعى البحث إلى كشف وظائف اللغة وذلك بالتركيز على الوظيفة النصية وآليات التماسك النصي في القران الكريم.

وقد استعانت هذه الدراسة بإجراءات كثيرة جمعت بين ما قدمته اللسانيات الوظيفية ولسانيات النص والتداولية،واعتمدت على تحليل النص القرآني باعتباره نصا يقوم على التبليغ وتحقيق الوظيفة التواصلية للغة.

ولذلك كان التركيز على دور الوظيفة النصية التي تضمن نصية النص من خلال آليات التماسك النصي،هذه الآليات التي تجمع بين ما قدمه دي بوجراندودريسلر وخاصة ما قدمه هاليداي ورقية حسن من إسهامات في علم اللغة النصي،هذا بالإضافة إلى الاستفادة من ما قدمته اللسانيات التداولية وخاصة ما جاء به أوستين وسيرل في هذا المجال،كما كانت الاستفادة أيضا من ما قدمه اللغويون العرب قديما وحديثا وخاصة الذين اهتموا بعلوم القرآن.

وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج في المستوى النظري والتطبيقي،ذلك أن نتائج الدراسة التطبيقية تشمل التحليلات برمتها وهي منبثة في ثنايا البحث.

وفي ضوء ما سبق يمكن أن نثبّت أهم النتائج المتوصل إليها كما يلي:

إنّأبرز ما يميّز التطور اللساني الحديث هو الاهتمام بدراسة اللغة،هذه الدراسة التي تطورت بتطور المدارس اللسانية الكبرى: مدرسة جنيف،ومدرسة براغ،ومدرسة كوبنهاجن، ومدرسة ألمانيا،ومدرسة أمريكا، وخاصة ظهور الاتجاه التداولي الذي ربط بين البنية والوظيفة.

إن ظهور الوظيفة في اللسانيات الغربية الحديثة كان مرتبطا بما قدمته مدرسة براغ من دراسات جديدة، وخاصة ما قدمه تروبتسكوي بتركيزه على الوظيفة التمييزية للأصوات،أما

كارل بوهلر فقد حدد وظائف اللغة في ثلاث وظائف أساسية،والتي استفاد منها جاكبسون حيث تمكن من وضع ست وظائف للغة ضمن مخطط تواصلي يتكون من ست عناصر أساسية هي: المرسل، المرسل إليه، الرسالة، القناة، السنن، السياق،هذه الدراسة التي فتحت الباب واسعا أمام تطور الدراسات اللغوية التي تهتم بالوظيفة التواصلية للغة،كما ساهم مارتيني في تطور هذا الاتجاه أيضا.

وقد نحت مدرسة لندن منحى آخر من خلال النظرية السياقية لفيرث والذي استفاد منها تلميذه هاليداي الذي اهتم بوظائف اللغة التي قسمها إلى قسمين: وظائف أساسية (تمثيلية، تعالقية،نصية)،ووظائف ثانوية تؤول جميعها إلى تحقيق الوظيفة التواصلية للنص.

كما اهتم ليتش وفلاسفة اللغة بالوظيفة التي تؤديها اللغة.

ظهور اتجاهات وظيفية أخرى تهتم بدراسة الجملة كنظرية الوجهة الوظيفية للجملة ونظرية البراغمنتاكس ونظرية النحو النسقي ونظرية التركيبات الوظيفية ونظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك.

تجاوز الدارسون في لسانيات النص حدود الجملة إلى فضاء لغوي أوسع هو فضاء النص، الذي أصبح من أكثر المفاهيم تداولا في الساحة النقدية و اللسانية ، وذلك لما له من أبعاد فكرية وإيديولوجية، وعلى الرغم من ذلك لم يستقر مفهومه ولم يكتمل نتيجة تضارب واختلاف المصطلحات والاتجاهات اللغوية في الدراسات العربية والغربية قديما وحديثا.

إن ابرز ما يميز النص من اللّانص هو ذلك التماسك الشديد بين أجزائه،وهذا التماسك لا يتحقق إلا من خلال مجموعة من الآليات والوسائل، وهو عنصر أصيل في الدراسات اللغوية العربية القديمة وخاصة التي كانت تهتم بالنص القرآني،حيث كرّس الدارسون جهودهم لخدمته محاولين بيان وجوه إعجازه ولا تزال مؤلفاتهم شاهدة على ذلك،ويظهر ذلك جليا في كتب البلاغة العربية،من خلال ما قدمه أبي بكر الباقلاني في كتابه"

إعجاز القران"، وعبد القاهر الجرجاني في كتابه"دلائل الإعجاز"، اللّذين ظهرت على يديهما نظرية النظم اللغوية التي لها علاقة مباشرة بنظرية التماسك النصي المعاصرة.

كما وجدنا أنه من بين الدراسات التي تهتم بالتماسك النصي الدراسات التي قدمها المصنفون في علوم القرآن مثل كتاب"البرهان في علوم القرآن"لبدر الدين الزركشي، وهي دراسات جمعت بين تماسك النص وانسجامه، وقد اعتنى الأصوليون والفقهاء بإطراف العملية التواصلية عناية تجاوزوا بها ما قدمه البلاغيون والنحاة.

وقد اهتمت الدراسات اللغوية العربية بالنص القرآني وعلومه باختلاف توجهاتها، وذلك ببيان دور الملقي في إنتاج النص والمتلقي في فهمه وتأويله إلى جانب الإلمام بكل العناصر المؤثرة في عملية التبليغ، فنظرية الاتصال هي نظرية قائمة بذاتها في التراث اللغوي العربي.

وبعد الدراسة والتحليل للوظيفة النصية وآليات التماسك النصي في سورتي طه المكية والرحمان المدنية تم الوصول إلى اكتشاف مدى التماسك الموجود في كل سورة وارتباطهما، كل ذلك في روعة أسلوب وبلاغة نظم.

وقد لعبت مجموعة من الآليات النصية دورا كبيرا في بيان هذا التماسك، ويتجلى ذلك من خلال تقسيم الدراسة التطبيقية إلى المستويات التالية:

1-المستوى النحوي:

تجلت الوظيفة النصية وآليات التماسك النصي في المستوى النحويمن خلالعلاقات الإحالة الضميرية والموصولية والاشارية،حيث ساهم استخدام الإحالات القبليةوالبعدية في كشف مقاصد السورتين الكريمتين؛ والمتمثلةفي تثبيت العقيدة وترسيخ الإيمان بالله وحده لا شريك له.

تشير الإحالة في سورة طهإلى التركيز على أصول الدين والتوحيد والنبوة والبعث والنشور من خلال عرض قصص الأنبياء تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتطمينا لقلبه الشريف.

تشير الإحالة في سورة الرحمان إلى التركيز على الإيمان بالله وحده لا شريك له من خلال تعداد نعم الله الظاهرة، وتوبيخ المكذبين من الجن والإنس، والإشارة إلى أثار رحمته تعالى بعباده الصالحين الذين جزاؤهم الجنة، كما تحيل إلى بيان عقاب المكذّبينبوصف جهنم لهم. كما ارتبطت الإحالة الداخلية بالإحالة الخارجية التي تحقق انسجام النص مع مقامه الخارجي.

للضمائر الدور الأبرز في هذه الإحالات وخاصة الإحالات القبلية في السورتين،كما ساهمت في خلق ما يسمى بالاختصار اللغوي بالإضافة إلى دورها في تحقيق التماسك النصي بالإضافة إلى ذلك ما قدمته الإحالات الموصولية والاشارية.

تعددت أشكال التماسك النحوي في السورتين الكريمتين لتشمل الربط بالأدوات فنجد الربط الإضافي والزمني والسببي والشرطي والاستدراكي.

لم يظهر الحذف و الاستبدال بشكل كبير في السورتين، وعلى الرغم من ذلك فقد برزا في سورة طه أكثر من سورة الرحمان،وساهم في إثراء الدلالة وإثارة اهتمام المتلقي ليتفاعل مع النص القرآني المكي والمدني.

2-المستوى المعجمي:

ظهر التماسك في هذا المستوى من خلال مجموعة من الآليات التي ساهمت في بلورته وتحقيق الوظيفة النصية للنص القرآني،وذلك من خلال التكرارات بأنواعها المختلفة خاصة في سورة الرحمان.

عكس هذا التنوع التكراري في السورتين الكريمتين الحصيلة اللغوية الكبرى لهما، فالتكرار الجزئي و الكلي للألفاظ والتراكيب، بالإضافة إلى الترادف والتقابل والتوازي يحقق تماسك المعاني وكثافتها وتأكيدها في السورتين.

ساهم التضام في بناء موضوع السورتين فهما يشتركان في تثبيت العقيدة في النفوس رغم اختلافهما من حيث المكي والمدني، وقد ساهم في تشكيل معجم النص القرآني في صورة شبكة متداخلة لبناء المعنى المقصود.

وقد ساهمت البنية الإيقاعية المميزة في سورة الرحمان في تماسكها أكثر من خلال الإيقاع المبني على الفاصلة القرآنية وكذلك من خلال التراكيب وما أحدثته من إيقاع ساهم في تماسك وانسجام السورة.

3-المستوى التداولي:

يعكس هذا المستوى التفاعل القائم بين التداولية ولسانيات النص وذلك من خلال الاهتمام بدراسة اللغة في الاستعمال، والتي يحكمها الإطار التواصلي للنص، الذي يتحقق من خلال دور الملقي والمتلقي وطبيعة النص والقناة والنظام اللغوي المستعمل والسياق بكل ما يحمله من ظروف خارجية تحيط بإنتاج النص القرآني.

ارتبطت السورتين المدروستين بالوظيفة التواصلية التي انعكست من خلال الربط بين ما جاء في المستوى النحوي والمعجمي والصوتي والتداولي هذا الأخير الذي تجلى في السورتين من خلال السياق وعناصره، وأسباب النزول،والأبعاد التداولية للمؤشرات اللغوية الكبرى في السورتين (طه والرحمان)،وكذلك الأفعال اللغوية التقريرية الواصفة التي تتحول إلى أفعال انجازيه في مقاماتها كلما تعلق الأمر بالجزاء والعقاب.

برزت الأفعال الانجازية الظاهرة في السورتين الكريمتين من خلال الاستفهام،والنهي، والنفي،والنداء،والشرط،والتوكيد،والتهديد.

ونجد أن كل فعل تقريري واصف في سورة طه المكية وسورة الرحمان المدنية يؤول إلى الفعل الانجازي بامتياز، لأنه يتم في الإطار التواصلي الممتد إلى اليوم الأخر ولهذا فالتبليغ في النص القرآني لا ينقطع لأنه مستمرإلى يوم القيامة.

ومن خلال ما سبق نجد أن الوظيفة النصية بآلياتها الكبرى تضمن تماسك النص القرآني (طه والرحمان) وانسجامه.

ملاحـق

سورة طه

بسم الله الرحمان الرحيم

طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى (4) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8) وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا

مُوسَى (40) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41) اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (62) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (63) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى

(71) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ
إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ
مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا
وَلَا يَحْيَى (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى
(75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى
(76) وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا
تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ
(78) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ
وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى
(81) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (82) وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ
قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84)
قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ
غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ
أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ
بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) فَأَخْرَجَ
لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا
يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (89) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا
قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ
عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا
(92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي
خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا
سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا
وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ

وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98) كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (100) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (101) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (102) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (103) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (112) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114) وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا

فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (128) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (129) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (133) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (134) قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (135).

سورة الرَّحْمَنُ

بسم الله الرحمان الرحيم

الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (12) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (16) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (18) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (23) وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (25) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (30) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (36) فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (40) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (42) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (44) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (45) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48)

فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (49) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (51) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (53) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (55) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (57) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (59) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (61) وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (63) مُدْهَامَّتَانِ (64) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (65) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (66) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (67) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (68) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (69) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (70) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (71) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (72) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (73) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (75) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (76) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (77) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78).

فهرست الأعلام

فهرست الأعلام مرتبا و فقا لأبجدية اللغة العربية

أندريه مارتينه(1908م):

ولد مارتيني سنة 1908 بمدينة السافوا بفرنسا،وبعدما أكمل دراساته العليا اشتغل بالتدريس في بعض ثانويات باريس وفي الوقت نفسه، انكب على دراسة اللغة الانجليزية، درس في الولايات المتحدة الأمريكية بجامعة كولومبيا أين تأثر باللساني "بلومفيلد" مؤسس المدرسة التوزيعية.

يعد "مارتينيه" من أعلام الفونولوجيا، شغل منصب مدير المجلة اللسانية النيويوركية " الكلمة " في عام 1984 وفي سنة 1960 شغل منصب أستاذ في السربون ومنصب مدير الدراسات اللسانية في معهد الدراسات العليا بباريس.

اعتمد "مارتينيه" على مبادئ مدرسة براغ الوظيفية فتطورت على يده اللسانيات في أرويا عامة وفي فرنسا خاصة.

ألف "مارتينيه" ما يزيد عن مائتين وسبعين مؤلفا ،يتعلق العديد منها باللسانيات العامة واللسانيات الوصفية و الفونولوجيا الوظيفية و الفونولوجيا التاريخية[1].

إميل بنفنيست(1902–1976) :

ألسني فرنسي ولد عام 1902 ،عمل في ميدان النحو المقارن الهندوأوروبي، اقترح نظرية الجذر الثلاثي (صامت- صائت- صامت) الذي اعتبره أساسا تنتج عنه تفرعات كثيرة .ناقش نظرية دي سوسير حول اعتباطية الإشارة، من أهم كتبه :"مسائل في الألسنية العامة".

ادوارد سابير(1884–1939):

لساني أمريكي ولد في لاونبورغ ، ثم سافر إلى أمريكا و هو طفل صغير . درس اللغة الجرمانية في كولومبيا فتعلمها وبحث فيها بتوجيه من العالم" بواس" من أشهر مؤلفاته "اللغة"، وهو لم يكن منشغلا بالأنثروبولوجيا و اللسانيات فحسب بل بالأدب والفن والموسيقى أيضا ، لهذا

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور،ص155.

رأى أنه لا ينبغي فصل الدارسة اللغوية عن دراسة باقي مظاهر السلوك البشري وعن علم النفس وعلم الاجتماع،وهو الأمر الذي جعله يركز على الجانب الاتساقي للغة و على بعدها الثقافي.

بوهلر(1879- 1963) :

عالم وطبيب نفساني ألماني ،حصل على شهادة في الطب من جامعة ستراسبورغ، ثم درس علم النفس،ثم درس بعد ذلك في عدة جامعات ألمانية قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى.

وبعد أن خدم بوهلر في الجيش الألماني خلال الحرب العالمية الأولى، عين أستاذا في الطب النفسي في جامعة فينا، ليضطر إلى الفرار إلى النرويج سنة 1938،ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية و بقى فيها حتى وفاته[1] .

تروبتسكوي نيكولاي سيرجفيتش (1890–1938):

ولد عام 1890 بموسكو، وهو من عائلة عريقة تنتمي إلى أمراء روسيا، انكب على الدراسات اللغوية منذ أن كان في الخامسة عشر من عمره،وكان طالبا في قسم اللغة الهندوأوروبية في الجامعة التي كان يديروها والده،وفي سنة 1916 أصبح عضوا في هيئة التدريس، و بعد قيام الثورة فر إلى إقليم (روستوف) على نهر الدون، ثم إلى إسطنبول سنة 1919 ،ثم انتقل إلى فينا سنة 1922، حيث درس فقه اللغة السلافية .

يعد تروبتسكوي مؤسس علم الفونولوجيا اشترك مع جاكبسون و كارسفسكي في الدراسة الفونولوجية حيث أصدر كتابه " مبادئ الفونولوجيا " عام1939، والذي ترجم إلى الفرنسية سنة1949 [2]، وتروبتسكوي هو المؤسس الأول لعلم الأصوات الوظيفي. ومن

---

[1] فاطمة طبال بركة: النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص) ،ص 258.

[2] خليفة بوجادي:محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة،ص103.

أرائه في هذا المجال أن الفونيم هو أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدرس،واللغة هي عبارة عن تنظيم وظيفي.

تشومسكي (1928-.....):

أفرام نعوم تشومسكي لساني أمريكي يهودي الأصل من مواليد ديسمبر عام 1928، تابع دراسته الجامعية في جامعة بنسيفانيا في مجالات الألسنية و الرياضيات والفلسفة، تتلمذ على يد هاريس و تأثر بجاكوبسون، وهناك درس علم اللغة، والرياضيات والفلسفة، وقد ناقش في 1955 أطروحة عنوانها " التحليل التحويلي "، وفي سنة 1956 أتم عمله بعنوان " البنية المنطقية للنظرية الألسنية "، وهذان العملان لم ينشرا بل صدر ملخص عنهما سنة 1957 بعنوان:" الأبنية النحوية " فكان الكتاب دستور مذهب جديد هو المذهب التوليدي، وقد دققه في كتابه" مظاهر النظرية النحوية "و"مقولات نظرية النحو التوليدي "، ثم عمل على كشف المنطلقات الفلسفية في نظرياته فألف " الألسنياتالديكارتية " و" اللغة و الفكر ".

انظم إلى جمعية الرفاق بجامعة هارفارد بين 1950 و 1955،وظل يرتقي في حياته العلمية ، حتى حصل أخيرا على كرسي الأستاذية في اللسانيات اللغات الحديثة.

حظيت أعماله بالتقدير، فمنح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة شيكاغو محاضرات بيكمان في جامعة كاليفورنيا في بيركلي،وفي عام 1969 ألقى محاضرات " جان لوك " في جامعة اكستفورد ، و محاضرات ذكرى شيرمان في جامعة لندن [1].

بالإضافة إلى أنه عضو في جمعيات عدة علمية لغوية و غير لغوية ، كالجمعية الأمريكية للتقدم العلمي و الأكاديمية الأمريكية للفنون و العلوم . ولم تقتصر شهرة تشومسكي على مجال الألسنية أو المجال العلمي فحسب بل تعدته إلى مجال الكتابة في السياسة ، فقد عرف بانتقاداته لسياسة الولايات المتحدة الخارجية.

[1] فاطمة طبال بركة: النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص) ،ص260.

جون فيرث (1890–1960):

ولد في مدينة يورشير البريطانية، درس الانجليزية بجامعة البنجاب،ثم في كلية لندن الجامعية،وفي1944 عين أستاذا للسانيات العامة في بريطانيا حتى سنة 1956، تتلمذ على يديه" هالورد بالمر"، صاحب كتاب "أسس الدراسة اللغوية و مبادئ علم الفونيتيك الإنجليزي".

وهو أول من جعل اللسانيات علما معترفا به في بريطانيا ،فقد درس التاريخ في المرحلة الأولى من دراسته الجامعية قبل أن يصبح جنديا في الإمبراطورية البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى ، ثم عمل أستاذا للأدب في البنجاب سنة 1916، وبعدها عاد إلى بريطانيا ليشغل منصبا في قسم الصوتيات في الجامعة البريطانية ،وفي سنة 1944 كان أول أستاذ في اللسانيات العامة في بريطانيا . ولقد اهتم فيرث بالصوتيات الوظيفية و علم الدلالة أو ما يعرف بالنظرية السياقية.

رومان جاكبسون (1896 –1981):

ولد بموسكو عام 1896 من عائلة يهودية روسية، تمتع والده بثقافة واسعة مما انعكس على شخصيته . أتقن اللغة الفرنسية ، و تعلم الألمانية و اللاتينية ، كما اهتم بالشعر، فقد حلل شعر" مالارميه "وهو في سن الثانية عشر، ونظم الشعر وهو في الخامسة عشر من عمره ، كما اهتم بالفولكلور وهو ابن السادسة عشر، تخصص في جامعة موسكو في مجال القواعد المقارنة وفق اللغة السلافية كما اهتم بالعلاقة بين اللغة و الأدب، وشارك في تأسيس مدرسة براغ عام 1915.

توجه في عام 1920إلى تشيكوسلوفاكيا، أين شارك في تأسيس نادي براغ وأصدر عام1921 دراسة هامة تناولت الشعر الروسي الحديث.وفي عام 1928 وضع مع تروبتسكوي و كارسيفسكي النظريات اللسانية التي اعتمدتها مدرسة براغ.

وفي عام 1938 شغل منصب نائب رئيس مدرسة براغ، وانتقل في عام 1942 إلى الدانيمارك والنرويج حيث درّس في معهد الدروس العليا في نيويورك إلى غاية سنة 1946،ثم جامعة كلومبيا إلى غاية1949و هارفرد إلى غاية 1957.

ألف جاكبسون ما يربو عن 370 كتابا و مقالة و ما يربو عن 100 عمل من النصوص والمقدمات والأشعار المختلفة[1] .

زليغهاريس (1909م):

ألسني أمريكي من أصل روسي ولد سنة 1909 ، وحصل على الجنسية الأمريكية ، درس في جامعة بنسلفانيا في الولايات الأمريكية، حصل على درجة الدكتوراه إثر تقديمه أطروحة تناولت قواعد اللغة الفينيقية، كان من رواد التيار التوزيعي، تأثر بتلميذه تشومسكي فوسع أنموذجه الألسني بإدخال مفهوم التحويل، إلا أن مفهوم التحويل عند هاريس يختلف بعض الشئ عنه عند تشومسكي، و قد وزع اهتماماته الألسنية بين اللغات السامية واللغات الأمريكية الهندية.

ويرجع هذا الاهتمام إلى أنه حاول استخراج عناصر الوصف الألسني ضمن إطار المنهجية البنيوية الحديثة عبر تحليله لهذه اللغات.ومن مؤلفاته (مناهج الألسنية الهيكلية) و(الهياكل الرياضية في اللغة) و(مقالات في الألسنية الهيكلية و التحويلية).

لويس هلمسليف (1899–1965) :

ولد بكوبنهاغن سنة 1899 في أسرة متعلمة، فقد كان والده مدير جامعة كوبنهاغن. و يعد من أبرز الدارسين الذين أفادوا من مناهج النظرية الرياضية و المنطقية في دراسة اللغة دراسة شكلية مجردة ،توفي عام 1965.

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة و التطور،ص 145، و ينظر: نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضياها الراهنة،ص.ص 266-267.

ليونارد بلومفيلد (1887– 1949):

ألسني أمريكي تلقى علومة الجامعية في جامعة هارفرد حيث تخصص في اللغة الألمانية ونال الدكتوراه فيها. درس منذ 1909 في جامعة شيكاغو، ثم درس الألسنيات العامة ، اهتم باللغات الهندو أوروبية ولا سيما من حيث و ظائف الأصوات و علم الصرف.

شارك في تأسيس جمعية " الألسنية الأمريكية " كما ساهم في المجلة التي صدرت عنها، وقد كان لاهتماماته بدراسة اللغات الأمريكية الهندية أثر كبير في تحديد اتجاهه الألسني الحديث.

فرديناند دو سوسير(1857–1913):

ولد في جنيف عام 1857 في أسرة متعلمة، دخل في عام1875 إلى جامعة جنيف السويسرية، ثم توجه إلى جامعة لا يبزش الألمانية عام 1876 لدراسة اللغة الأوروبية الهندية، حيث أقام بها أربع سنوات ، و عندما بلغ العشرين من عمره، نشر مذكرة عن النظام البدائي لحروف اللين في اللغات الهندوأوروبية، ثم توجه إلى فرنسا للدفاع عن أطروحته في موضوع استخدام حالة الإضافة في اللغة السنسكريتية الهندوأوروبية التي منح عليها درجة الدكتوراه بامتياز. ففد درس اللغة السنسكريتية والألمانية الراقية القديمة، وفي سنة 1891 عاد إلى جنيف ودرّس بالجامعة علوم اللغة ومن ثم ألقى محاضراته في السنوات الممتدة من1907 إلى 1911،والتي أصبحت فيما بعد دروسا في علوم اللسان.

أصيب بمرض شديد في صيف 1912، وتوفي بعد عام أي فيفري 1913عن عمر يناهز56 سنة[1].

فيلام مثيزيوس (1882 –1945):

من ألمع اللسانيين في اللغة والأدب الإنجليزي، وقد ساهم في تأسيس حلقة براغ، ليشغل منصب أستاذ اللغة الإنجليزية بجامعة كارولين الأمريكية.

---

[1] شفيقة العلوي:دروس في المدارس اللسانية الحديثة،التنظير،المنهجوالإجراء،كنوز الحكمة،1434هـ-2013م،ص 10.و ينظر:خليفةبوجادي:محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة،ص 86.

نشر في عام 1911 ندائه الأول لمنهج جديد غير تاريخي لدراسة اللغة بعنوان "حول كمونية الظواهر اللغوية "[1] . و من إسهاماته الكبيرة في اللسانيات ما قدمه من دراسات حول مفهوم " الموضوع " و " الخبر " وتطوير المنظور الوظيفي للجملة.

من أهم مؤلفاته:

_ ملاحظات حول التطور الفونولوجي للروسية بالمقارنة مع اللغات السلافية الأخرى .

_ لغة الأطفال ، الحبسة ، و القوانين الفونولوجية العامة .

_ مقدمة في تحليل الكلام أخرجه بالاشتراك مع " هال " و "فانت" عام 1952.

_ مبادئ اللغات ، عام 1956 بالاشتراك مع" هال".

_ محاولات في اللسانيات العامة عام 1963.

فرانز بواز (1858–1942):

بدأ دراسته الجامعية طالبا في الفيزياء والجغرافيا فأدرك حقيقة أن العلوم الإنسانية تختلف منهجا ومضمونا عن العلوم الفيزيائية، فانجذب إلى العلوم الإنسانية، ورأى أن اللغة أهم مظهر من مظاهر الثقافة ،ومن ثمة يجب على الأنثروبولوجي أن يفهمها و يصفها بدقة بالغة و يبين كيف أن نظامها يشكل وحدة متماسكة.

فالمجتمع حسبه لا يمكن فهمه من خلال بيئته بل من خلال ثقافته،ولا يمكن فهم ثقافته إلا من خلال لغته،و بذلك اعتمد في دراسته للغة على الكلام المنطوق خلافا"لدي سوسير" الذي اعتمد على اللغة.

ومما لاشك فيه أن شهرته تعود إلى كونه المؤسس الرئيس للمدرسة اللسانية الأمريكية، والمسؤول الأول عن برنامج دراسة اللغات الهندية المنتشرة في شمال المكسيك.واليوم يعترف الجميع أن معاهد اللسانيات في الجامعات الأمريكية قد انتقلت من معاهد الأنثروبولوجيا بدلا من معاهد اللغة الحديثة كما هو الحال بالنسبة لأوروبا.

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور،ص 139.

هاليداي (1925–....):

ولد في سنة1925 في انجلترا في أسرة جامعية درس اللغات وتخرج في جامعات بكين وانجلترا سنة 1955، تحصل سنة 1981على جائزة "دافيد راسل" للبحث المتميز في تعليم الانجليزية من المجلس الوطني لمعلمي الانجليزية بأمريكا، وقد كان هاليداي من أنبه تلاميذ فيرث في الدلالة.

قدم "هاليداي" أعمالا لسانية متنوعة، منها لسانيات النص والتعليمية والشعرية واللسانيات العامة ، وهو صاحب نظرية في النحو تسمى (بنظرية النحو النظامي)،وقد ألف بالاشتراك مع زوجته هندية الأصل "رقية حسن" كتابا حول الاتساق في اللغة الانجليزية سنة1985 ليفتحا باب لسانيات النص على مصراعيه .

المصادر والمراجع

المصـادر والمراجـع:

القران الكريم:رواية حفص عن عاصم،دار الفجر الإسلامي،ط5،بيروت، 1998.

أولا:المصـادر

1. ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد):مقدمة ابن خلدون،ضبط وشرح وتقديم محمد الاسكندراني ،دار الكتاب العربي ،بيروت،لبنان،1425هـ-2005م.
2. ابن كثير:تفسير القرآن العظيم، دار البصائر،الجزائر، ودار الحديث، القاهرة،المجلد الثالث ،والمجلد الرابع، 1423هـ-2003م.
3. ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم):لسان العرب ،دار صادر للنشر والتوزيع ،المجلد 3، و المجلد6، دط،بيروت،لبنان،دت.
4. ابنعاشور(محمد الطاهر):تفسير التحرير والتنوير،دار سحنون للنشر والتوزيع،الجزء16،و الجزء 27، الجمهورية التونسية.
5. ابن فارس (أبو الحسن أحمد):مقاييس اللغة، مكنية الخانجي، القاهرة، ج6، ط3، 1402هـ-1981م.
6. ابن فارس(أبو الحسن أحمد):مقاييس اللغة،منشورات علي بيوض،دار الكتب العلمية،ط1، ج1،بيروت،لبنان،1999م.
7. الألوسي البغدادي(أبو الفضل شهاب الدين محمود):روح المعاني في تفسير القران العظيم و السبع المثاني، دت.
8. الباقلاني(أبو بكر):إعجازالقرآن،دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، 2001م.
9. التبريزي(أبو زكريا يحي بن علي بن محمد بن الحسين الخطيب): الملخص في إعراب القرآن،تحقيق يحي مراد،دارالحديث،القاهرة،مصر،دت.
10. الجرجاني(عبد القاهر): دلائل الإعجاز،موفم للنشر،ط1،الجزائر،1991م.

11. الجرجاني(علي بن محمد السيد الشريف) :التعريفات،معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي، تحقيق عبد المنعم الحنفي ،دار الرشاد،القاهرة.
12. الزمخشري (محمود بن عمر): الكشافعنحقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،دار الكتاب العربي ،ج3،ط3، بيروت، لبنان،1407هـ - 1987م.
13. الزبيدي (مرتضى) : تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج14،بيروت،لبنان، 1414هـ-1994م.
14. الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله):البرهان في عون القرآن،تحقيق أبي الفضل الدمياطي،دار الحديث،القاهرة،1427هـ-2006م.
15. الزرقاني(محمد عبد العظيم):مناهل العرفان في علوم القرآن،دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي وشركاه، المجلد 1،دت.
16. النيسابوري(أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي):أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ،عالمالكتب،بيروت،لبنان،دت
17. المحلى(جلال الدين محمد بن أحمد)و السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر):تفسير الجلالين للقرآن الكريم،حققه وهذبه ونقحه،صبري محمد موسى و محمد فايز كامل،بإشراف الدكتور علي أبو الخير،مع ملحق كتاب المنتخب من أسباب النزول للواحدي والسيوطي،دار الخير ودار القرآن الكريم،ط3، دمشق،سورية،و بيروت ،لبنان،
18. الصابوني(محمد علي):صفوة التفاسير،دار الضياء،البليدة ،وقصر الكتاب المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،المجلد الثالث،الرغاية،الجزائر،1990م.
19. القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):التفسير الجامع لأحكام القران،المجلد11،دت.
20. السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان):الإتقان في علوم القرآن،و الباقلاني(القاضي أبي بكر):إعجاز القرآن، المكبة الثقافية ،بيروت،لبنان،1973م.

ثانيا:المراجع العربية

1. أحمد المتوكل: أفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط ،المغرب، 1993 م.
2. أحمد المتوكل: التركيبات الوظيفية (قضايا ومقاربات)، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب،ط1، 1426 هـ-2005م .
3. أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب،1985م.
4. أحمد المتوكل:دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي،دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1،المغرب،1406هـ/1986م.
5. أحمد المتوكل:اللسانيات الوظيفية مدخل نظري،دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع،طرابلس ، ليبيا،ومنشورات الكتاب الجديد ،بيروت لبنان ،ط2 ،2010 م.
6. أحمد المتوكل:الخطاب المتوسط (مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات)،منشورات الاختلاف، الجزائر،دار الأمان،الرباط،المغرب،ط1، 1432هـ/2011م.
7. أحمد المتوكل:الوظيفة والبنية(مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية،منشورات عكاظ،الرباط،المغرب،1993م.
8. أحمد المتوكل:من البنية الحملية إلى البنية المكونية(الوظيفة المفعول في اللغة العربية)،دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط 1، الدار البيضاء،1407هـ-1987م.
9. أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية (حقل تعليمية اللغات).ديوان المطبوعات الجامعية،ابن عكنون،الجزائر،2000م.
10. أحمدمومن: اللسانيات النشأة والتطور،ديوان المطبوعات الجامعية،ط2،بن عكنون،الجزائر، م2005.

11. أحمد محمد قدور: المبادئ في اللسانيات، دار الفكر، ط1،سوريا،1996م
12. أحمد محمد عبد الراضي: نحو النص بين الأصالة والحداثة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 1429 هـ – 2008م.
13. أحمد شامية:خصائص العربية والإعجازالقرآني،ديوان المطبوعات الجامعية،ابن عكنون،الجزائر،1995م.
14. أحمد مداس: لسانيات النص(نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري)،جدار للكتاب العالمي،ط1، 2008م.
15. أحمد محمد قدور: المبادئ في اللسانيات، دار الفكر ، سوريا ،ط1، 1996م.
16. ابراهيم عوض: سورة طه دراسة لغوية أسلوبية مقارنة ،الطائف ،1413 هـ-1993 م.
17. إبراهيم محمود خليل:اللسانيات ونحو النص،دار المسيرة،عمان،الأردن،2007م.
18. بن زروق نصر الدين:دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة،كنوزا لحكمة،ط1،الأبيار، الجزائر1432هـ-2011م.
19. تمام حمد عيد المنيزل:الحذف في النحو العربي،مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع،ط2 ،اربد،الأردن،2012م.
20. جمعان بن عبد الكريم:إشكالات النص،دراسة لسانية نصية،الناديالأدبي،الرياض،المركز الثقافي العربي،بيروت،ط1، 2009م.
21. تمام حسان:اللغة بين المعيارية والوصفية،عالم الكتب،ط2، 1421هـ-2001م.
22. حسن كمال مكاوي وليلى حسن السيد: الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المحمدية اللبنانية، لبنان، ط2، 2004م.

23. حنفي بن ناصر ومختار لزعر:اللسانيات منطلقاتها النظرية و تعميقاتها المنهجية ،ديوان المطبوعات الجامعي،2011م، 2ط، الجزائر.
24. خالد خليل هويدي:التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث(الأصول والاتجاهات)،مكتبة عدنان والدار العربية للعلوم ناشرون،ط1،بيروت لبنان،1433هـ-2012م.
25. خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، العلمة، الجزائر، 2009م.
26. خليفة بوجادي:اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات، بيت الحكمة، العلمة، ط1، 2012م، الجزائر.
27. رايص نور الدين: نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، مطبعة سايس، فاس، ط 1،المغرب،1428هـ-2007م.
28. الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية(مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون)منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1 ،1428 هـ-2007 م.
29. طاهر سليمان حمودة :ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، الدار الجماعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر،1999م.
30. محمد الأمين:جمال المضمون والأسلوب في سورة يس،مطبعة آنفو،فاس،المغرب،2009م.
31. محمد محمود حجازي:الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتاب الحديثة، مطبعة المدني،القاهرة، مصر،1970 م.
32. محمد سالم أبو عفرة :السبك في اللغة العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب ،تقديم محمد العبد،مكتبة الآداب ،ط1،القاهرة ،مصر ،2010م.
33. محمود أحمد نحلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،دار المعرفة الجامعية الأزاريطة، الاسكندرية، مصر،2005م.

34. محمود أحمد نحلة: علم اللغة النظامي مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،مصر،1430هـ-2009م.
35. محمد الأخضر الصبيحي:مدخلإلى علم النص ومجالات تطبيقه،الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1،الجزائر،2008م.
36. محمد الأمين:جمال المضمون و الأسلوب في سورة يس،مطبعةآنفو،فاس،المغرب،2009م.
37. محمد محمود حجازي:الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم،دار الكتاب الحديثة،مطبعة المدني،القاهرة،مصر،1390هـ- 1970م.
38. محمد كريم الكواز:أسلوب التعقيب في القرآن الكريم،منشورات جامعة الشايع من أفريل،ط1، ليبيا،1425هـ.
39. محمد عبد الرحمان بن صالح الشايع:المكي والمدني في القرآن الكريم،طبع قسم القرآن الكريم وعلومه،كلية أصول الدين،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،ط1، الرياض،1418هـ-1997م.
40. محمد عزة شبل:علم اللغة النصي(النظرية والتطبيق)،تقديم سليمان العطار،مكتبة الآداب،القاهرة،2009م.
41. محمد خطابي:لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب) ،المركز الثقافي العربي، بيروت،لبنان،ط2، 2006م.
42. محمود حسين الزهيري :أثر السياق في توجيه المعنى القرآني من خلال جزء عمّ،دار وائل،ط1، 2014م.
43. مشال زكريا:الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط ،1406هـ-1986م.
44. المثنى عبد الفتاح محمود:نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية،دار وائل للنشر،ط1، 2008م.

45. نعمان بوقرة: مدخل إلى التحليل اللساني للنظام الشعري، عالم الكتب الحديث، ط1 الأردن، 2008م.
46. نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضياها الراهنة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، جدار للكتاب العالمي، ط1، 1430هـ-2009م.
47. نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر،2006م.
48. نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر،2009م.
49. نواري سعودي أبو زيد:جدلية الحركة و السكون نحو مقاربة أسلوبية لدلائلية البنى في الخطاب الشعري، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر.
50. صالح بلعيد:دروس في اللسانيات التطبيقية،دار هومة،ط6،الجزائر، 2011م.
51. صبحي إبراهيمالفقي:علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،دراسة تطبيقية على السور المكية،دار قباء،للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،ط1، 1431هـ-2000م.
52. عبد المالك مرتاض: نظام الخطاب القرآني،تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان،دار هومة للطباعة والنشر،الجزائر،2001م.
53. عبد الجليل مرتاض: التحليل البنيوي للمعنى والسياق ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
54. عبد الجليل مرتاض: الوظائف النحوية في مستوى النحوية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
55. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا ، بيروت،لبنان،ط1، 2004م.

56. عبد الواسع الحميري: في أفاق لكلام وتكلم النص، المؤسسة الجامعية للدراسات والشر والتوزيع،ط1 ، بيروت ،لبنان،1431هـ-2010 م.
57. عمر أوكان :اللغة والخطاب،رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة ،2011م .
58. عثمان أبو زنيد:نحو النص (إطار نظري ودراسات تطبيقية)،عالم الكتب الحديث،ط1، 1431هـ-2010م.
59. عبد القادر حسن:شرح وتفسير الشافية في الإعجاز، الدار الفكر العربي،ط1،القاهرة،1989م.
60. عزة شبل محمد:علم النص (النظرية والتطبيق)،مكتبة الآداب عليحسن ،ط2، القاهرة،2009م.
61. فاطمة طبال بركة: النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1993م.
62. سعيد بن علي بن وهف القحطاني:شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة،بيت الحكمة،ط1، العلمة ،الجزائر،2010م.
63. شفيقة العلوي:دروس في المدارس اللسانية الحديثة،التنظير،المنهجوالإجراء،كنوز الحكمة،1434هـ-2013م.
64. شوقي ضيف:البلاغة تطور وتاريخ،دار المعارف،ط2، القاهرة.
65. يوسف وغليسي : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1،بيروت ،لبنان، 2008.
66. يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع،ط1،المحمدية، الجزائر، 1428هـ-2007م.

ثالثا:المراجع المترجمة

1. جيفري سامسون: المدارس اللغوية التطور والصراع ،ترجمة نعيم كراعين،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط1، 1993م.
2. دي بوجراندروبرت:النص والخطاب والإجراء،ترجمة:تمام حسان،دار عالم الكتب،ط1،القاهرة،1988م.
3. رونالد إيلوار: مدخل إلى اللسانيات، ترجمة : بدر الدين القاسم ،منشورات وزارة التعليم العالي،1400 هـ-1980م.
4. زتسسلاف و اوزنياك:مدخل إلى علم النص(مشكلات النص)،ترجمة :سعيد حسن بحيري،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1، 1424هـ-2009م.
5. كارل ديتربونتبخ:المدخل إلى علم اللغة،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،دت.
6. كلاوس برينكر:التحليل اللغوي للنص(مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج) ،دت.
7. فان دايك: النص والسياق(استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، ترجمة :عبد القادر قنيني،أفريقيا الشرق،المغرب،بيروت،لبنان،2000م.
8. فرانسوازأرمنيكو:المقاربةالتداولية،ترجمة:سعيدعلوش،دط،دت.
9. هورستايزنبرج وجراد كليمينوفوزيجفريدشميث و ديترفهيجر:إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة ،ترجمة:سعيد حسن بحيري،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،ط1،القاهرة ،مصر،2008م.

رابعا:الدوريات

محمد خان:القرآن الكريم ونظريات الإعجاز،مجلة التواصل، العدد2،جانفي، 1977م.

خامسا:القواميس

قاموس المورد (عربي، انجليزي) روحي البعلبكي، دار العلم للملايين، ط6 ،1994.

سادسا:الرسائل

يحي بعيطيش:نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، قسنطينة، 2005م-2006م.

سابعا: المراجع باللغة الأجنبية

1.André martinet, éléments de linguistique générale , Armand Colin ,quatrième édition ,deuxième tirage .

2.Corder.S .P.Introducing Applied Linguistics(penguin education ,1973.

3.Dictionnaire du français 3700 mots précis de grammaire tableau, de conjugaison de verbes réguliers et irréguliers alphabet phonétiques international .répertoire historique et géographiques des langues ,Imprimé en France , par imprimerie Herissey , édition N2, nouvelle édition1995.

4.Dictionnaire ALmanhal, français – arabe, par Dr SOUHEIL IDRISS , Dr JABOUR ABDEL

فهرست الموضوعات

فهرست الموضوعات

مقدمة أ – ط

المدخـل

الثورات الكبرىللسانيات الحديثة ونظرتها للغة

تمهيد 12

1) مدرسة جنيف السويسرية 18

2) مدرسة كونبهاغن الدانيماركية 24

3) المدرسةالألمانية 31

4) المدرسةالأمريكية 32

5) التداولية وآفاق الدرس اللساني الحديث 59

الفصلالأول

الاتجاه الوظيفي في الدراسات اللسانية الحديثة

1 – مفهوم الوظيفة 73

2– مدرسة براغ 79

2–1– تروبتسكوي. 86

2–2– كارل بوهلر. 90

2–3– رومان جاكسبون 91

2–4– روبول 110

2–5– بوبر 111

2–6– أندريه مارتينيه 112

2–7– إيميل بنفنست 118

3– مدرسة لندن 120

3–1–جون فيرث 121

3–2– هاليداي 134

3-3- ليتش 139
4-الوظيفة عند الفلاسفة 140
5-تطور النظريات النحوية الوظيفية في الدراسات اللسانية الحديثة 142
الفصلالثاني
التماسك النصي من منظور لسانيات النص
1-تعريف النص 167
1- 1المفهوم اللغوي 167
1-2المفهوم الاصطلاحي 167
أ-تعريفات بنيوية 168
ب-تعريفات سيميائية 170
ج-تعريف علماء الاجتماع للنص 171
د-تعريف النص من منظور لسانيات النص وتحليل الخطاب 172
2-مهمة نحول النص 186
3-الوظائف النصية 190
4-التماسك النصي من منظور لسانيات النص 193
4 -1-آليات التماسك النصي 193
4 -1-2 آليات التماسك النحوي 196
أ-الإحالة 196
ب-الاستبدال 199
ج-الحذف 200
د-الربط 202
5-التماسك النصي من منظور الدراسات اللغوية عند العرب القدماء 209
5 -1 التماسك النصي عند علماء البلاغة 209
5-2 التماسك النصي عند المصنفين في علوم القرآن 212

6–طبيعة وخصائص النص القرآني 216
6–1 مفهوم النص القرآني 216
6–2 مفهوم السورة 218
6–3 مفهوم الآية 220
6–4 القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز 222
6–5 معرفة المكي والمدني 223

الفصل الثالث
الوظيفة النصية وآليات التماسك النصي
في سورة طه المكية

1– المستوى النحوي 237
1–1 الإحالة 237
1–1–1 الإحالة الضميرية 238
1–1–2 الإحالة الموصولية 315
1–1–3 الإحالة الاشارية 328
1–2 الاستبدال 333
1–3 الحذف 341
1 –3–1 الحذف الاسمي 346
1–3–2 الحذف الحرفي 349
1–3–3 الحذف الفعلي 352
1–3–4 الحذفالجملي 353
1–3–5 حذف شبه الجملة 355
1–4 الربط 356
1–4–1 الربط الزمني 356
1–4–2 الربط الإضافي 366

2–المستوى المعجمي 373
2–1 التكرار 373
2–1–1 التكرار المباشر 374
2–1–2 التكرار بالترادف 377
2–1–3 التكرار الجزئي 379
2–2 التضام 383
2–2–1 التضاد 383
2–2–2 التقابل 385
3–المستوى التداولي 387
3–1 السياق القرآني وأبعاده التداولية في سورة طه 387
3–1–1 المرسل 388
3–1–2 الرسول 388
3–1–3 المرسل إليه 389
3–1–4 القناة 389
3–1–5 النظام 390
3–1–6 الرسالة 390
3–1–7 السياق وموضوع السورة 392
3–2 الأفعال الكلامية في سورة طه 396
3–2–1 الأفعال التقريرية الواصفة ومؤشراتها التداولية 396
3–2–2 الأفعال الانجازية ومؤشراتها التداولية 400
1– الأفعال الانجازية البسيطة 400
2– الأفعال الانجازية المركبة 407
3–3 مقاصد سورة طه التداولية. 415

الفصـل الرابع

الوظيفة النصية وآليات التماسك النصي

في سورة الرحمان المدنية

1- المستوى النحوي 418

1-1 الإحالة 419

1-2-2 الإحالة الضميرية 419

2-2-2 الإحالة الموصولية 441

3-2-2 الإحالة الاشارية 443

1-2 الاستبدال 443

1-3 الحذف 446

1 -3-1 الحذف الاسمي 449

1-3-2 الحذف الفعلي 451

1-3-3 الحذف الحرفي 452

1-4 الربط 452

1-4-1 الربط الإضافي 453

1-4-2 الربط الزمني 459

2-المستوى المعجمي 463

1-2 التكرار 463

1-2-2 التكرار الصوتي 463

2-1-2 التكرار المباشر ودوره في تماسك سورة الرحمان 473

3-1-2 التكرار الجزئي 477

4-1-2 الترادف 479

5-1-2 التكرارالجملي 479

2-2 التضام 482

2-2-1 التضام وارتباطه بموضوع السورة 482
2-2-2 التقابل 485
2-2-3 التوازي والتقابل 487
2-2-4 التضاد 488
3-المستوى التداولي 489
3-1 السياق القرآني وأبعاده التداولية في سورة الرحمان 489
3-1-1 طبيعة الرسالة 490
3-1- 2 السياق وموضوع السورة 493
3-2 الأفعال الكلامية في سورة الرحمان 496
3-2-1 الأفعال التقريرية الواصفة ومؤشراتها التداولية 496
3-2-2 الأفعال الانجازية ومؤشراتها التداولية 500
1-الأفعال الانجازية البسيطة 500
2-الأفعال الانجازية المركبة 502
3-3 مقاصد سورة الرحمان التداولية. 506
خاتمة 509
ملاحق 515
المصادر والمراجع 531
فهرست الموضوعات. 542

تلخيص الأطروحة باللغة العربية:

ارتبط مفهوم اللغة عند كثير من الدارسين اللغويين بالوظيفة التي وضعت من أجلها وهي التبليغ والتواصل ، حيث ركز اللسانيون على إبراز الوظائف المختلفة للعناصر اللسانية.

و قد اشتهر بتناول وظائف اللغة عدد من الباحثين اللسانيين المحدثين ، ومنهم هاليداي (Halliday) الذي ركز على الوظيفة النصية التي تمكن المتكلم من تنظيم الخطاب وفقا لمقتضيات المواقف التبليغية فتنقله من مجرد متواليات خطابية إلى نص متماسك.وباعتبار ظاهرة التماسك النصي من الظواهر اللغوية التي استقطبت أراء النقاد والدارسين ارتأينا أن نخوض في هذا المجال من خلال الربط بين الوظيفية التي تؤديها اللغة و التماسك النصي في القرآن الكريم، وقد اخترنا سورة طه المكية وسورة الرحمان المدنية باعتبارهما سورا يختلف فيهما التبليغ والتواصل باختلاف مكان وزمان النزول .ومن هنا وسم عنوان البحث ب:**وظائف اللغة وآليات التماسك النصي في القران الكريم سورتي (طه والرحمان) نموذجا .**

وقد تطلبت هذه الدراسة البحث في الكيفية التي تتجلى فيها الوظيفة النصية ودورها في تماسك النص القرآني وبيان أسرارها ومظاهر استعمالها، و الكشف عن مدى تحققها فيه وذلك بالاعتماد على مجموعة من الآليات التي تناولتها الدراسات العربية القديمة و اللسانيات النصية الحديثة .ومن هذا المنطلق ركز البحث لأول مرة على الجانب التطبيقي الذي يجمع بين المستويات التالية :(النحوي و المعجمي والتداولي) .

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن أتخذ المنهج الوصفي الاستقرائي والمنهج الوظيفي التداولي من أجل الربط بين البنية والوظيفة في سورتي طه و الرحمان،كما استعنت بالمنهج التاريخي .

جاءت خطة البحث التفصيلية مقسمة إلى أربعة فصول تسبقها مقدمة ومدخل وتعقبها خاتمة، حيث اشتملت المقدمة على أهم الخطوات المنهجية للأطروحة،أما المدخل فتناولت فيه الثورات الكبرى للسانيات الحديثة ونظرتها للغة،وخصصت الفصل الأول للحديث عن الاتجاه الوظيفي في اللسانيات الحديثة. وخصصت الفصل الثاني للحديث عن التماسك النصي من منظور لسانيات النص ومن منظور الدراسات اللغوية عند العرب القدامى.ووقفت في الفصل الثالث الخاص بدراسة الوظيفة النصية وآليات التماسك النصي في سورة طه المكية دراسة تطبيقية على ثلاث مستويات ،فدرست في المستوى النحوي الإحالة بأنواعها المختلفة والاستبدال، والحذف،والربط ودورهم في تماسك النص القرآني المكي. ودرست في المستوى المعجمي التكرار بأنواعه المختلفة (المباشر، الجزئي، الكلمى، الجملي...) و التضام (التقابل، التضاد، التوازي).

ودرست في المستوى التداولي مرسل النص القرآني الأعلى(الله سبحانه وتعالى) ، والرسول، والمرسل إليه، والقناة، والسنن، وطبيعة الرسالة (النص القرآني)،السياق

وموضوع السورة،والأفعال التقريرية والأفعال الإنجازية و مؤشراتها التداولية في سورة طه، ومقاصد السورة التداولية.

كما وقفت في الفصل الرابع الخاص بدراسة الوظيفة النصية وآليات التماسك النصي في سورة الرحمان المدنية دراسة تطبيقية على ثلاث مستويات فدرست في المستوى النحوي الإحالة بأنواعها المختلفة (الضميرية،الموصولية، الاشارية)، والاستبدال، والحذف، والربط ودورهم في تماسك النص القرآني المدني.ودرست في المستوى المعجمي التكرار بأنواعه المختلفة (تكرار الفواصل القرآنية، التكرار المباشر، الجزئي، الكلمى، الجملي...) و التضام (التقابل، التضاد).

ودرست في المستوى التداولي مرسل النص القرآني الأعلى (الله سبحانه وتعالى) ، والمرسل إليه ، وطبيعة الرسالة (النص القرآني) ،السياق وموضوعات السورة، والأفعال التقريرية والأفعال الإنجازية و مؤشراتها التداولية في سورة الرحمان، ومقاصد السورة التداولية.

وخصصت الخاتمة لمحاولة جمع أهم النتائج المتوصل إليها،فكشف لنا البحث أن أبرز ما يميز التطور اللساني الحديث هو الاهتمام بدراسة اللغة في الاستعمال فتجاوز الدارسون في لسانيات النص حدود الجملة إلى فضاء لغوي أوسع هو فضاء النص الذي أصبح من أكثر المفاهيم تداولا في الساحة النقدية و اللسانية ، وذلك لما له من أبعاد فكرية وإيديولوجية .

_إن ابرز ما يميز النص من اللّانص هو ذلك التماسك الشديد بين أجزائه،وهذا التماسك لا يتحقق إلا من خلال مجموعة من الآليات و الوسائل .وهو عنصر أصيل في الدراسات اللغوية العربية القديمة وخاصة التي كانت تهتم بالنص القرآني .

وبعد الدراسة والتحليل للوظيفة النصية وآليات التماسك النصي في سورتي طه المكية والرحمان المدنية تم الوصول إلى اكتشاف مدى التماسك الموجود في كل سورة وارتباطهما بعضهما ببعض ، كل ذلك في روعة أسلوب وبلاغة نظم ، وقد لعبت مجموعة من الآليات النصية دورا كبيرا في بيان هذا التماسك في كل مستويات الدراسة .

Résumé de la thèse en Français:

La notion de la langue a été associé par de nombreux linguistes à la fonction prescrite: notification et de la communication, où les linguistes se sont concentrés les différentes fonctions des éléments linguistiques.

Certains nombre de linguistes chercheurs compétents étaient connus en utilisant les fonctions de la langue, parmi ces chercheurs Halliday, qui portait sur la position du texte permettant au conférencier d'organiser le discours, selon les exigences des attitudes notificatives, le texte sera reproduit comme séquences rhétoriques au texte consistant. Le phénomène de la cohésion du texte est l'un des phénomènes linguistiques qui ont attiré les opinions des critiques et chercheurs, nous avons décidé d'aller dans ce domaine en liant l'emploi réalisée par la langue et la cohésion de script dans le Coran, nous avons choisis Sourate Taha mecquoise et Surate Rahman Medinat ce sont des sourates dont le mur de la notification et la communication se différent selon la différence du lieu et du temps. D'où on a titré la dénomination de ce document de recherche: **Emploi de langue et mécanismes de cohésion dans les sourates du Coran (Taha et Rahman) comme modèle.**

Cette étude a nécessité la recherche dans la façon dont la fonction de texte réfléchi et son rôle dans la cohésion du texte coranique et la déclaration de ses secrets et les aspects de leur utilisation, et révéler l'étendue atteint par elle et en se fondant sur un ensemble de mécanismes qui traitait des anciennes études arabes et linguistiques textuelle modernes. De ce point et pour la première fois la recherche a mis l'accent sur le côté pratique, qui combine les niveaux suivants: (grammaticale et lexicale et délibérative).

La nature du sujet a exigé que je prenne une approche inductive carrière descriptive et de l'approche délibérative pour un lien entre la structure et la fonction : Surat Rahman et Taha, et également fait appel à l'approche historique.

Le plan de cette recherche détaillé a été divisé en quatre chapitres précédés d'une préface une introduction et une conclusion, l'introduction comprenait les plus importantes étapes méthodologiques de la thèse, La préface a saisi les grandes révolutions linguistiques modernes et les perspectives de la langue. J'ai consacré le premier chapitre pour parler de l'orientation de carrière dans la linguistique moderne. Le deuxième chapitre consacré à parler de la cohésion de script dans la perspective de la linguistique textuelle du point de vue des études linguistiques aux anciens Arabes. Le troisième chapitre se tenait sur l'étude de la fonction du texte et les mécanismes de cohésion dans la sourate Taha mecquoise étude empirique sur trois niveaux, au niveau de grammaire l'étude des différents types et le remplacement de référence, la suppression, la liaison et leur rôle dans la cohésion du texte coranique à La Mecque.

Et l'étude à la redondance du niveau lexical sous ses différentes formes (directe, partielle, ...) et de convergence (juxtaposition, le contraste, le parallélisme).

Et j'ai étudié au niveau délibérative l'expéditeur du texte Coranique (Dieu Tout-Puissant), le Prophète, le destinataire, le canal, la Sunna, et la nature du message (le texte coranique), le contexte et le sujet de la sourate, les actes normatifs, les actes d'accomplissement et ses indices délibératives dans sourate Taha, et l'instinct de la sourate délibérative.

J'ai conservé dans le quatrième chapitre l'étude de la fonction du texte et les mécanismes de cohésion textuelle Sourate Rahman une étude pratique sur trois niveaux, j'ai étudié la grammaire niveau de référence de différents types (de conscience, la connectivité, à titre indicatif), et le remplacement, la suppression, connectivité et leur rôle dans la cohésion du texte Coranique Medina. Au niveau lexical les différents formes de répétition (intervalles de récurrence Coranique, la répétition directe, partielle, ...) et de convergence (juxtaposition, le contraste).

Et j'ai étudié au niveau délibératif l'expéditeur du texte coranique (Dieu Tout-Puissant), et le destinataire, ainsi que la nature du message (le texte coranique), le contexte et les thèmes des surates, et les actes normatifs et les indicateurs délibératifs dans la sourate Al- Rahman, et à des fins de la délibération de la sourate.

J'ai prescrit la Conclusion pour tenter de recueillir des résultats les plus importants.

L'étude nous a fait aperçus que la spécification la plus distinctive de l'évolution linguistique est l'intérêt pour l'étude de la langue d'usage, les chercheurs ont anticipé en linguistique les limites de texte en gros à un espace linguistique plus large est le texte qui est devenu l'un des concepts les plus négociés dans le domaine monétaire et espace linguistique et qu'en raison de ses dimensions intellectuelles et idéologiques.

La caractéristique la plus distinctive du texte et non texte est la forte cohésion entre ses parties, et cette cohésion ne peut être atteinte grâce à une série de mécanismes et de moyens. Il est un élément inhérent aux anciennes études linguistiques arabes, en particulier ceux qui étaient concernés par le texte Coranique.

Après l'étude et l'analyse des scripts d'emploi et des mécanismes des cohérences du texte dans la sourate Taha mecquoise et Rahman civile a été accompli, pour découvrir l'étendue de la cohésion trouvé dans chaque sourate et ils se rapportent les uns aux autres, le tout dans la splendeur des systèmes de style et de l'éloquence, un ensemble de mécanismes de texte ont joué un rôle majeur pour affirmer cette cohérence dans l'ensemble des niveaux de l'étude.

English Thesis Summary

The concept of language was associated by many linguists to the prescribed function: notification and communication, where linguists have concentrated the different functions of language elements.

Some numbers of competent researcher's linguists were known using the functions of language, among these researchers Holliday, ho focused on the position of the text allowing the speaker to organize the speech, as required by notificatives attitudes, the text is reproduced as rhetorical text sequences consisting. The phenomenon of the cohesion of the text is a linguistic phenomenon that have attracted the opinions of critics and scholars, we decided to go in this area by linking the use made by the language and script of cohesion in the Quran, we chose Mecca Surah Taha Surah Rahman Medina this are suras whose notification and communication Wall is different according to the difference of place and time. Hence we titled the name of this research paper: Language Employment and cohesion mechanisms in the suras of the Quran (Taha and Rahman) as a model.

This study involved research into how the text function thought and its role in the cohesion of the Quran text and the declaration of its secrets and aspects of their use, and reveal the extent and achieved by it on the basis of a set of mechanisms that dealt with ancient Arabian and modern textual linguistic studies. From this point and for the first time research has focused on the practical side, combining the following levels: (grammatical and lexical and deliberative).

The nature of the subject demanded that I take an inductive approach descriptive career and deliberative approach to link the structure and function: Sura and Rahman Taha, and also uses the historical approach.

The plan of this detailed research has been divided into four chapters preceded by a preface an introduction and a conclusion; the introduction included the most important methodological steps of the thesis, the preface has seized the great modern revolutions language and outlook of the language. I devoted the first chapter to discuss career orientation in modern linguistics. The second chapter about the script of cohesion from the perspective of text linguistics from the perspective of linguistic studies to ancient Arabs. The third chapter stood on the study of the function of the text and cohesion mechanisms in Surah Taha Makki empirical study on three levels, at grammar the study of different types and the substitution of reference, removing, binding and their role in the cohesion of the Quran in Mecca.

And study the lexical level of redundancy in its different forms (direct, partial ...) and convergence (juxtaposition, contrast, parallelism).

And I studied the deliberative level sender of the Quranic text (God Almighty) , the Prophet , the recipient , the channel , the Sunnah , and the nature of the message (the Quran) the

context and the subject of Sura, normative acts, acts of accomplishment and deliberative clues in Surah Taha, and the instinct of deliberative Surah.

I kept in the fourth chapter the study of the function of text and textual cohesion mechanisms Surah Rahman a practical study on three levels,

I studied grammar reference level of different types (of consciousness, connectivity, for information) and the replacement, deletion, connectivity and role in the cohesion of the Quran text Medina. At the lexical level the various forms of repetition (recurrence intervals Koran, the direct repeat Partial ...) and convergence (juxtaposition, the contrast).

And I studied the deliberative level sender of the Quran (God Almighty) , and the recipient , and the nature of the message (the Quran) , the context and themes of Surat , and normative acts deliberative indicators in Surat Al- Rahman, and for purposes of deliberation of Surat .

I commanded the Conclusion to try to collect the most important results.

The study found that made us the most distinctive specification language evolution is the interest in the study of language use, the researchers anticipated linguistic wholesale text boundaries in a linguistic space more wide is the text that has become one of the most traded in the monetary field and linguistic space and, because of its intellectual and ideological dimensions concepts.

The most distinctive feature of the text and not text is the strong cohesion between its parts, and this cohesion can only be achieved through a range of mechanisms and means.

There is an inherent element to the Arab old linguistic studies, especially those concerned with the Quran text.

After the study and analysis of user scripts and mechanisms of text coherence in Surah Taha Mecca and civil Rahman has been accomplished, to discover the extent of the cohesion found in every surat and they relate to each to the other, all in the splendor of style and eloquence systems, a set of text mechanisms have played a major role to assert that consistency in all levels of study.